الجمهوريّة العربية السورية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة دمشق – كلية الشريعة
قسم: التفسير وعلوم القرآن

التناسب والتكامل في قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

(دراسة وصفية)

رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

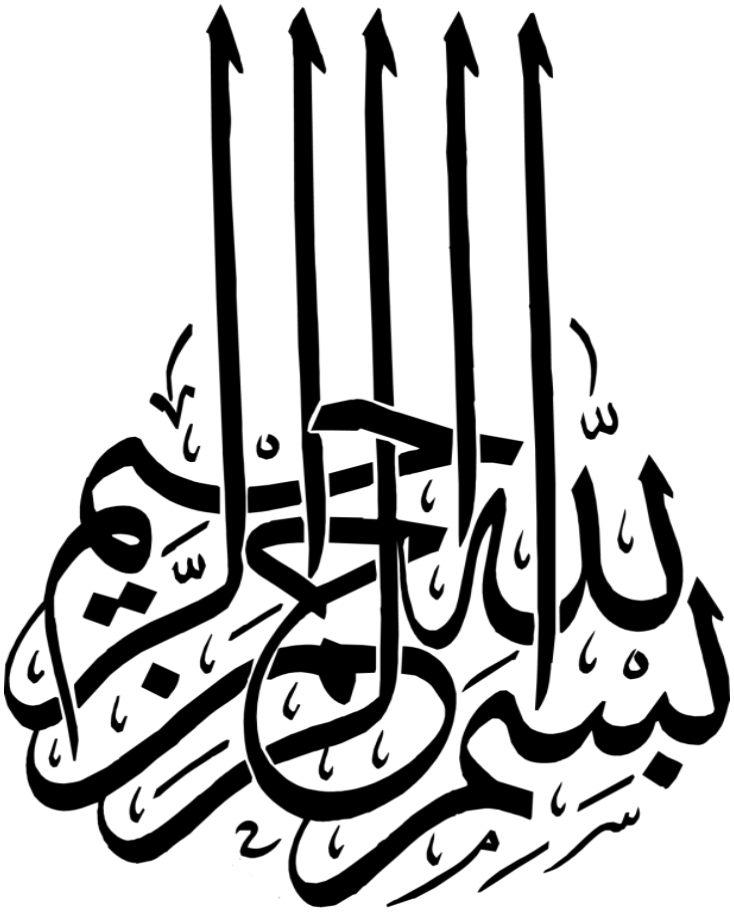
إعداد الطَّالبة:

تسنيم عبد الرحمن حقي

إشراف الدكتور:

حازم زكريا محي الدين

١٤٤٧هـ – ٢٠٢٥م


بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهوريّـــــة العربيّـــــة السّـــــوريّة
وزارة التعلـيم العـالي والبحـث العلمـي

جـــامـــعـــة دمشـــــق
كـــلـــيـــة الشـــــريـــعـــة
الـدّراســـــات الـعـلـيـا
قسم: التفسير وعلوم القرآن



إفادة

رسالة ماجستير

عنوان الرسالة: التناسب والتكامل في قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم (دراسة وصفية)

إعداد الطالب: تسنيم حقي

تمت مناقشة الرسالة بتاريخ: .../.../2025م وقام الطالب بتعديل ملحوظات لجنة المناقشة.

أعضاء اللجنة

الاسم	الصفة	التاريخ والتوقيع
	مشرف	.../.../٢٠٢٥م
	عضو	.../.../٢٠٢٥م
	عضو	.../.../٢٠٢٥م

شكر وتقدير

أوجّه خالص شكري وتقديري إلى:

- رئاسة جامعة دمشق.
- عمادة كليّة الشريعة.
- السادة الأساتذة أعضاء قسم التفسير وعلوم القرآن
- السيد الدكتور: حازم زكريا محي الدين الذي تفضَّل بالإشراف على رسالتي، والسادة الدكاترة أعضاء لجنة المناقشة.

الباحثة: تسنيم حقي

التناسب والتكامل في قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

(دراسة وصفية)

الطَّالبة: تسنيم حقي. المشرف: الأستاذ المساعد الدكتور: حازم زكريا محي الدين.

مستخلص الرسالة

يهدف البحث إلى بيان مدى تناسب الجزء الوارد من القصة القرآنية مع موضوعات السورة التي ورد فيها، ومع مقصدها الرئيس، ومدى ارتباط القصة القرآنية مع زمن نزولها، ومدى تكامل الجزء الوارد من القصة القرآنية مع بقية أجزائها الواردة في القرآن الكريم. ولتحقيق تلك الأهداف قسَّمت الرسالة إلى ثلاثة فصول؛ الفصل التمهيدي: مدخل إلى دراسة التناسب والتكامل والقصة القرآنية. الفصل الأوَّل: تناسب ما ورد من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات السور التي ورد فيها، ومع مقصدها الرئيس. الفصل الثاني: تكامل قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم.

واعتمدت المنهج الوصفي، وذلك من خلال جمع الآيات القرآنية المتعلِّقة بقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وتحليلها، واستنباط دلالاتها للوصول إلى الغايات من هذا التَّوزيع للقصة القرآنية، وتوصَّل البحث إلى أنَّ:

١. هناك ترابطاً وثيقاً بين موضوعات السورة ومقاصدها الرئيسية، فجميعها تمضي في سياق متآلف، وبأسلوب مترابط.
٢. وردت مشاهد قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في السور المكِّية أكثر من السور المدنية؛ لأنَّ طبيعة القضايا التي ناقشتها القصة كانت أقرب للعهد المكِّي.
٣. عند دراسة حلقات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام متفرِّقة وجدناها منسجمة مع موضوعات السورة، ومقصدها الرئيس، وعند دراستها مجتمعة وجدناها متآلفة ومتكاملة، مما يدلُّ على إعجاز القرآن الكريم، وعودته لمصدر إلهي واحد، وأنَّه كلام ربِّ العالمين.

الكلمات المفتاحية: التناسب – موضوعات السورة – القصة القرآنية – التكامل – إبراهيم عليه السلام.

الإهداء

أهدي هذا البحث إلى:

الساعين لفهم كتاب الله عزَّ وجلَّ، وتدبُّر آياته، والاهتداء بأنواره

من بذلوا غاية جُهدهم لإحقاق الحقِّ، وإعلاء كلمة الله عزَّ وجلَّ، ورفع راية الإسلام

المجاهدين المرابطين على الثغور ليحمونا من السُّوء

شهداء هذا البلد العظيم الذين قدَّموا أرواحهم لنحيا بكرامة وإنسانية وحريّة لطالما حَلُمنا بها

من جعلوا من المستحيل حقيقة ... ومن نقلوا لنا الحقيقة ... ومن سجنوا في سبيل قول الحقيقة

كلِّ سوري أحبَّ وطنه، مهما كانت لغة تعبيره عن حبه

من غرسوا في قلوبنا اليقين بأنَّه مهما طال ليل الظَّالمين لابد لفجر الحقِّ أن ينقشع

فنالت شآمنا حريّتها عند مطلع فجر ٢٠٢٤/١٢/٨م على يد المجاهدين المسلمين

ليسجل التاريخ أنَّ مآل العزَّة والنُّصرة للإسلام والمسلمين مهما تآمر علينا الظَّالمين المعتدين

وأنَّ السيادة والخلافة ستكون في قادم الأيام للمسلمين كما كانت لهم في سابق الأيام

فالتاريخ تاريخنا، والحاضر حاضرنا، والمستقبل لنا بإذن الله

اكتب لكم هذا الإهداء والمآذن تصدع الله أكبر، ولا إله إلا الله، ولا غالب إلا الله

عاشت سورية حرَّة أبية

اللَّهم بارك لنا في شامنا، اللَّهم بارك لنا في شامنا، اللَّهم بارك لنا في شامنا

كما أهدي هذ العمل المتواضع إلى:

من لولاه لم يَخُطَّ قلمي كلمة أو يصوغ عبارة

من كان المنارة لعقلي في ظلمات تردُّدي وحيرتي

من كان نِعمَ الأب والنَّاصح والموجِّه والمعين لي في رحلة بحثي

إلى مشرف رسالتي الدكتور حازم زكريا محي الدين

وفقك الله، وقضى لك حوائجك، ورفع درجاتك في الدنيا والآخرة.

وإلى من وهبونا الحياة، وكانوا لنا نِعمَ السند

من أعطونا دون مقابل، ودعمونا دون كَلل أو ملل

أمي وأبي أدامكما الله تاجاً فوق رؤوسنا، ورزقنا كمال برِّكما.

وإلى من كانوا رفاق الدرب في السرَّاء والضرَّاء

من تشاركت معهم الدموع والضحكات

من كانوا يُصغون إليَّ بكلِّ حبٍّ وأنا أشاركهم ما توصلت إليه من بحثي

أخواتي الغاليات لا حرمني الله من أُنسِكم.

وإلى من كانوا الحافز لي على الاستمرار في إتمام هذا البحث بالرغم من كلِّ الصعوبات

طالباتي الغاليات اللواتي كلَّما رأيتهم ألهبوا في داخلي الرغبة في الاستزادة من العلم حتَّى أكون لهم تلك المعلمة النافعة

وفقني الله للانتفاع من هذا البحث، وأعانني على نقل ما تعلَّمته لَكُنَّ بكلِّ حبٍّ.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن متناسبةً سوره، ومترابطةً آياته، في أوجز لفظ، وأعظم أسلوب، وأشهد أن لا إله إلَّا الله الذي جعل القرآن ضياءً لعقول عباده، وهدايةً لقلوب أتقيائه، وأشهد أنَّ سيدنا محمد ﷺ خاتم أنبيائه ورُسُلِه، المبيّن لكلام ربه، والهادي لحِكَمِه وأسراره، وعلى آله وأصحابه الذين ساروا على نهجه، وحملوا أمانته، وبلَّغوا رسالته.

وبعد: فإنَّ من أعظم نِعَمِ الله تعالى على هذه الأمَّة أن جعل لها كتاب هداية، فهو دليلها ونورها، وفيه فلاحها وعزُّها، خير كتابٍ أُنزل، على خير نبيٍّ أُرسل، فكانت كلُّ آية من آياته، وكلُّ قصة من قصصه حجَّة باهرة، وبرهاناً ساطعاً على ألوهية مصدره، وكفى للإنسان شرفاً ورفعة أن يشغل عمره في تدبُّر آياته، واستخراج حِكَمِه، والكشف عن وجوه إعجازه، ولهذا السبب نهض كثير من العلماء يتدارسون كتاب الله تعالى، فمنهم من بذل جهده لاكتشاف مدى التَّناسب والانسجام بين آياته وسوره، ومنهم من درسه بحَسْبِ موضوعاته، ومنهم من أفرد المؤلفات في قصصه، ومنهم من جعل همَّه دراسة كلِّ آية على حدى، ومنهم من وسَّع نظره ودرسه دراسة تكاملية، كلٌّ بحَسْبِ ما فتح الله عليه وسدَّد خطاه، وقمت باختيار قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام لدراسة مدى تناسب حلقاتها مع موضوعات السور التي وردت فيها، ومع مقصدها الرئيس، ومع زمن نزولها، ثمَّ القيام بمسح شامل لجميع حلقات القصة لدراسة مدى التَّكامل والتَّرابط والانسجام والاتِّساق بين جميع حلقاتها في القرآن الكريم؛ لكي ندرك بعضاً من أسرار نظم القرآن الكريم، وتناسب آياته، ودقَّة عباراته، ووجوه إعجازه، ولكي نبتعد عن فَهْمِ المعاني بشكل مختزل أو مشوب ببعض النقص.

وهذا ما سأتناوله في بحثي التَّناسب والتَّكامل في قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم سائلة المولى عزَّ وجلَّ القبول والتَّوفيق لإنجازه على الوجه الذي يرضيه عنِّي.

أ. مشكلة البحث وأسئلته:

إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد تفضَّل على عباده بقَصِّ أحسن القصص في كتابه الكريم، يقول تعالى: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف:٣] ودعاهم للتفكر فيها والاعتبار منها.

وقد شغل القصص القرآني من خلال حِكَمِه ومعانيه ودلالاته حيّزاً كبيراً من القرآن الكريم، مما جعل فئة كثيرة من الباحثين[١] تقف عند هذه القصص، وتطرح التَّساؤلات في محاولة منها لفهم الحكمة من إيراد هذه القصص بالإجمال تارةً، وبالتَّفصيل تارةً أخرى، ومن ورود القصة الواحدة متفرّقة في السور، ومن تكرارها في عدَّة مواضع، وفي محاولة منها لفهم الحكمة من إيراد هذا الجزء من القصة في هذا الموضع من السورة، وعلاقة هذا الجزء بما قبله وما بعده من الآيات.

وعلى الطَّرف المقابل فقد وجدنا فئة أخرى –معظمها من المستشرقين– قد وقفت عند طريقة القرآن الكريم في سرده للقصص القرآني، واتَّخذت منها مجالاً للتشكيك والطَّعن فيه، والنيل من بلاغته، وتصويره بمظهر المفكَّك والمشتَّت.

وبعد البحث والتحري رأت الفئة الأولى أنَّ القصة القرآنية لم تُذكَر في السورة لذاتها، وإنَّما ذُكِرَ منها الجزء الذي يخدم المقصد العام للسورة، وراحت تفترض اتِّحاد هذا الجزء وتناسبه مع سياق السورة التي ورد فيها ومع موضوعاتها، حتَّى توصلت إلى تكامل النَّظْمِ القرآني الذي عَدُّوه من مظاهر إعجاز القرآن الكريم؛ لأنَّه أشبه بالخيط الرَّفيع الدَّقيق الذي لا يراه إلا من أمعن النَّظر والتَّأمل والتَّفكر والتَّدبر في كتاب الله تعالى، وعايش عصر التَّنزيل، فإذا به يصل إلى ترابط آيات السورة الواحدة من أوَّلها إلى آخرها، وترابط مطلعها بختامها، وترابط القصص الواردة فيها مع سياق السورة وموضوعاتها ومقاصدها، فإذا وسَّع المتَّأمل نظره إلى الحدِّ الذي يجعله يتجاوز حدود القصة الواردة في السورة الواحدة تجده توصَّل إلى تكامل هذه القصة مع بقية أجزائها الواردة في السور الأخرى.

وأمَّا الفئة الثانية التي تعامت عن النَّظر والتَّفكر في كتاب الله تعالى فَخَلُصَتْ إلى القول بأنَّ القرآن الكريم –صانه الله من كلِّ أذى– يعاني من عجز بياني وقصور فني، ويفتقر إلى التَّناسب والتَّكامل بين آياته.

وبين مَوقِفي هاتين الفئتين سيدور هذا البحث في محاولةٍ للتَّحقق من هذه المسألة من خلال تتبُّع قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام، والتي ورد ذكرها في خمسة عشر سورة في القرآن الكريم، كما وردت إشارات في الثَّناء على سيدنا إبراهيم عليه السلام، في إحدى عشرة سورة، ثمَّ دراستها دراسة تدبُّرية تكاملية، وطرح تساؤل رئيس وهو: ما مدى تناسبُ الأجزاء المذكورة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع السور التي وردت فيها، وما مدى تكامُلها فيما بينها؟

---

(١) كفضل عباس في كتابه (القرآن الكريم إيحاؤه ونفحاته)، وعبد الكريم الخطيب في كتابه (القصص القرآني في منطوقه ومفهومه).

وتساؤلات فرعية وهي:

١. ما مدى تناسب الجزء الوارد من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات السورة التي ورد فيها، ومع مقصدها الرئيس؟
٢. ما مدى تناسب الجزء الوارد من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع زمن نزولها؟
٣. ما مدى تكامل الجزء الوارد من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع بقيَّة أجزائها الواردة في السور الأخرى؟

ب. أهداف البحث:

١. إظهار عناية القرآن الكريم بذكر القصة أو جزء منها في الموضع المناسب لها في السورة، والمتناسب مع مقصد السورة الرئيس، والمنسجم مع السِّياق الذي ورد فيه، والمكمِّل لبقية أحداثها الواردة في السور الأخرى.
٢. الكشف عن مدى تناسب الجزء الوارد من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات السورة التي ورد فيها، ومع مقصد السورة الرئيس.
٣. دراسة مدى ارتباط نجوم قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام الموزَّعة عبر النَّص القرآني مع زمن نزولها.
٤. بيان مدى تكامل الجزء الوارد من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع بقيَّة أجزائها الواردة في السور الأخرى على امتداد القرآن الكريم.
٥. البرهنة على التَّرابط الوثيق بين آيات وسور القرآن الكريم، والتَّأكيد على أهمِّية القصة بوصفها أحد عناصر تماسك السورة.

ت. أهمية البحث وأسباب اختياره:

أولى بعض العلماء اهتماماً بالغاً بدراسة القصص القرآني من حيث طريقة عرض وقائعه وتحليل أحداثه، كما سعى بعض العلماء في العصر الحديث مستفيدين من جهود مَنْ تقدَّمهم إلى إثبات أنَّ لكلِّ سورة في القرآن وحدة موضوعية ومقصداً أساسياً تدور عليه بأجزائها المترابطة فيما بينها، وعلى الرغم من قيام بعض العلماء – وبشكل خاص في العصر الحديث– ببعض الإشارات المنهجية والتطبيقية حول مدى تناسب القصة القرآنية مع موضوعات ومقصد السورة التي وردت فيها، ومع أحوال تنزليها، ومع بقية حلقاتها الواردة في السور الأخرى، إلَّا أنَّني لم أجد أحداً من الباحثين قد أفرد لهذا العمل بحثاً مستقلاً برأسه، لذا عزمت متوكلةً على الله أن أقوم بهذه الدراسة سائلةً المولى عزَّ وجلَّ التَّوفيق والسداد والقبول؛ والأمل يحذوني لأن تسهم ولو بجزء يسير في:

١. زيادة الوعي والاهتمام بمسألة التَّرابط والانسجام في النَّص القرآني، وجعله طريقة من طرق فهم القرآن الكريم وتفسيره على وجه دقيق وصحيح.

٢. إثراء الدراسات الإعجازية المتعلِّقة بالقرآن الكريم، من حيث إظهار أنَّ القصة الواحدة وبالرُّغم من نزولها على مدار سنوات عديدة وفي سياقات مختلفة إلَّا أنَّها بقيت ذات وحدة نصِّية ووحدة موضوعيَّة.
٣. تسليط الضُّوء على قصة أبي الأنبياء، إبراهيم الخليل عليه السلام، وهو من أولي العزم من الرُّسل، وتعريف المسلمين على طريقة دعوته إلى الله تعالى، وتصوير ما بذله من جهد وما كابده من عناء في سبيل تبليغ رسالته؛ ليكون قدوة للدُّعاة في عصرنا الراهن.

ث. منهج البحث:

اتَّبعت في بحثي المنهج الوصفي، وذلك من خلال جمع الآيات القرآنية المتعلِّقة بقصة نبي الله إبراهيم عليه السلام، ثمَّ محاولة تصنيفها وتحليلها، واستنباط الدلالات والمعاني التي تحتملها، ومن ثمَّ محاولة الوصول إلى الغايات والحِكَمِ من هذا التُّوزيع والتَّقسيم للقصة القرآنية.

ج. إجراءات البحث:

١. اعتمدت نقل الآيات برسم المصحف العثماني، برواية حفص عن عاصم، وذكرت اسم السورة ورقم الآية في المتن عقب ذكر الآية لكيلا أثقل الحاشية.
٢. التزمت تخريج الأحاديث من الصَّحيحين، فإن لم توجد فمن كتب السُّنن، وإلا فمن كتب المصنَّفات والمسانيد، ووضعت التَّخريج في الحاشية مع ذكر الباب والصفحة ورقم الحديث والحُكْمُ عليه.
٣. ترجمت لجميع الأعلام الوارد ذِكرُهم في الرِّسالة، وذلك بالرُّجوع إلى كتب التراجم المختصة.
٤. شرحت الكلمات الغريبة الوارد ذِكرُها في الرِّسالة، وذلك بالرُّجوع إلى كتب اللغة المختصة.
٥. عرَّفت بالبدان والأماكن، وذلك بالرُّجوع إلى الكتب المختصة.
٦. عزوت الأقوال إلى قائليها ووضعتها ضمن علامتي تنصيص، وما تصرَّفت فيه أشرت إليه في الحاشية بكلمة انظر.
٧. اكتفيت في الحاشية بذكر اسم المرجع والمؤلِّف والجزء والصفحة، وأما بقية المعلومات فقد أخَّرتها إلى فهرس المصادر والمراجع حتَّى لا أثقل الحاشية، وفي حال وجود أكثر من مرجع فقد رتَّبتها من الأقدم للأحدث.
٨. ذَيَّلت البحث بفهارس متنوعة وهي: فهرس الآيات، وفهرس الأحاديث، وفهرس الأعلام، وفهرس البلدان، وفهرس المفاهيم والمصطلحات العلمية، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

ح. الدِّراسات السَّابقة:

١. بحث بعنوان: The Quran As Literature القرآن بوصفه أدباً، للباحث: المستنصر مير، أميركا، مجلة الدين والأدب، العدد (٢٠)، ١٩٩٨م، صفحتان.

يعتبر هذا البحث هو الأقرب لموضوعي، حيث بين الكاتب من خلال بحثه أن القصة القرآنية لم تُروى لذاتها، وإنما يروى منها الجزء الذي يخدم المقصد العام للسورة، وفي بحثي سأقوم بالتوسع في هذا الموضوع ان شاء الله، بالإضافة إلى تناول فصل كامل حول تكامل القصة القرآنية مع بقية أجزائها الواردة في السور الأخرى.

٢. بحث بعنوان: التناسب القصصي في سورة البقرة دراسة في هدي علم المناسبة، للباحثين: د.زهراء خالد سعدالله العبيدي، ود.طلال يحيى ابراهيم الطوبجي، العراق، كلية الآداب، جامعة الموصل، منشور في مجلة جامعة زاخو، المجلد: الأول (B)، العدد (٢)، ٢٠١٣م، ١١ص.

هذه الدراسة اقتصرت على ذكر التناسب القصصي في سورة البقرة، أما بحثي فيتناول التناسب في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في جميع السور التي ورد فيها.

٣. بحث بعنوان: مناسبة القصص في السورة القرآنية لمقصدها (دراسة تطبيقية على سورة البقرة)، د.توفيق علي زبادي، المملكة العربية السعودية، مجلة تعظيم الوحيين، العدد (٢)، السنة: الأولى، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٨م، ٦٠ص.

هذه الدراسة اقتصرت على إيراد مناسبات القصص الواردة في سورة البقرة لمقصدها، أما بحثي فيتناول التناسب في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع السورة التي ورد فيها، ومع أحوال تبليغ الرسالة الإسلامية، ومع بقية أجزائها الواردة في السور الأخرى.

٤. أطروحة دكتوراة بعنوان: أثر المناسبة في توجيه المعنى في النص القرآني، للباحث: محمد عامر محمد، العراق، كلية الآداب، جامعة الكوفة، عام ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م، ٢٥٦ص.

قامت هذه الأطروحة بدراسة علم التناسب من حيث نشأته وتطوره، وأثره على الآيات والسور، أما بحثي فاختص بأحد أنواع التناسب وهو التناسب القصصي.

خ. خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على: مقدمة، وفصل تمهيدي، وفصلين رئيسين، وخاتمة.

أمَّا المقدمة فتتضمن: مشكلة البحث، وأسئلته، وأهدافه، وأهمِّيته، ومنهجه، وإجراءاته، والدراسات السابقة.

وأما الفصول فتتضمن:

الفصل التمهيدي :مدخل إلى دراسة التناسب، والتكامل، والقصة القرآنية.

المبحث الأول: التناسب والتكامل في القرآن الكريم، وفيه عدَّة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التناسب، وأهمِّيته، ومستوياته.

المطلب الثاني: نبذة عن جهود العلماء في دراسة التناسب.

المطلب الثالث: تعريف التكامل الموضوعي في القرآن الكريم، وأهمِّيته.

المطلب الرابع: دراسة التكامل في القصة القرآنية، والفرق بينه وبين التناسب.

المبحث الثاني: القصة في القرآن الكريم، وفيه عدَّة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية، وأهمِّيتها، ومقاصدها.

المطلب الثاني: بُنيَة القصة القرآنية، ومنهج القرآن الكريم في عرضها.

المطلب الثالث: نبذة عن جهود العلماء في دراسة القصة القرآنية.

الفصل الأول :تناسب ما ورد من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات السور التي ورد فيها، ومع مقصدها الرئيس.

المبحث الأول: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في السور المكية، وفيه عدَّة مطالب:

المطلب الأوَّل: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة مريم.

المطلب الثاني: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء.

المطلب الثالث: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة هود.

المطلب الرابع: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الحجر.

المطلب الخامس: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام.

المطلب السادس: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الصافات.

المطلب السابع: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الزخرف.

المطلب الثامن: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الذاريات.

المطلب التاسع: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة النحل.

المطلب العاشر: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة إبراهيم.

المطلب الحادي عشر: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء.

المطلب الثاني عشر: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة العنكبوت.

المبحث الثاني: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في السور المدنية، وفيه عدَّة مطالب:.

المطلب الأول: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة.

المطلب الثاني: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة آل عمران.

المطلب الثالث: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الحجِّ.

الفصل الثاني :تكامل قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم.

المبحث الأوَّل: التكامل بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام الداعية إلى التوحيد وإثباته.

المبحث الثاني: التكامل بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام المثبتة لوحدة رسالة الأنبياء.

المبحث الثالث: التكامل بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام المثبتة للبعث.

المبحث الرابع: تكامل قصة حياة نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم.

الخاتمة فتتضمن النتائج والتوصيات.

الفصل التمهيدي:

مدخل إلى دراسة التناسب، والتكامل، والقصة القرآنية

وفيه عدَّة مباحث:

المبحث الأوَّل: التناسب والتكامل في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: القصة في القرآن الكريم.

5

المبحث الأول: التناسب والتكامل في القرآن الكريم، وفيه عدَّة مطالب:

المطلب الأول: تعريف التناسب، وأهمِّيته، ومستوياته.

المطلب الثاني: نبذة عن جهود العلماء في دراسة التناسب.

المطلب الثالث: تعريف التكامل الموضوعي في القرآن الكريم، وأهمِّيته.

المطلب الرابع: دراسة التكامل في القصة القرآنية، والفرق بينه وبين التناسب.

المبحث الأوَّل: التناسب والتكامل في القرآن الكريم

يُعدُّ التَّناسب وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني الذي يكشف عن مدى الانسجام بين آياته، والتَّرابط بين سوره، والتَّكامل بين موضوعاته، لنصل إلى المعاني المقصودة، والغايات المرجوة من سَبْكِ هذه الآيات والسور بهذه الطريقة. وفي هذا المبحث سيتمُّ التَّعرف على التَّناسب، وأهمِّيته، ونبذة عن جهود العلماء في دراسة التَّناسب، ومستويات التَّناسب، وأخيراً لابد من بيان معنى التَّكامل، وأهمِّيته، وكيفية استخراجه.

المطلب الأوَّل: تعريف التناسب، وأهمِّيته، ومستوياته.

أوَّلاً– تعريف التناسب:

يبدأ البحث ببيان أصل التَّناسب باللغة –وذلك بالرجوع إلى معاجم اللغة– ليُبرِزَ معناه، وقيمته الجمالية والبيانية، ومدى استعمال العرب لتلك المفردة، ومواضع استعمالهم لها، وإلى أي مدى قد طابق معناه اللغوي معناه الاصطلاحي.

فالتَّناسب في اللغة:

"نَسَبَ: النون والسين والباء كلمةٌ واحدةٌ قياسها اتِّصال شيء بشيء، منه النَّسَبُ سُمِّيَ لِاتِّصَالِهِ وَلِلِاتِّصَالِ بِهِ"[(١)].

والمناسَبةُ: بمعنى المشَاكَلَةُ، يقال بين هذين الشيئين مُنَاسَبَةٌ وتَنَاسُبٌ: أَي مُشَاكَلَةٌ وتَشَاكُلٌ[(٢)]. والمشاكلة: بمعنى الموافقة[(٣)].

يَّتضح مما سبق أنَّ كلمة التَّناسب في اللغة قد جمعت معاني عدَّة: فهي تأتي بمعنى الاتِّصال والتَّشابك، ومعنى المشاكلة والموافقة.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس (٤٢٣/٥)، مادة (نَسَبَ).
(٢) انظر: تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (٢٦٥/٤)، مادة (نَسَبَ).
(٣) انظر: لسان العرب، ابن منظور، (٣٥٧/١١)، مادة (شَكَلَ).

التَّناسب في الاصطلاح:

سعى كثير من المفسرين والباحثين الذين التزموا ذكر التَّناسب في تفاسيرهم وكتبهم إلى توضيح معنى التَّناسب بين آيات القرآن الكريم وسوره، ومنهم:

١. عرَّف ابن العربي (ت: ٥٤٣هـ)[١] التَّناسب بأنَّه: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتَّى تكون كالكلمة الواحدة، متَّسقة المعاني منتظمة المباني"[٢].
٢. عرَّف مصطفى مسلم[٣] التَّناسب بأنَّه: "الرَّابطة بين شيئين بأيِّ وجه من الوجوه. وفي كتاب الله تعني ارتباط السورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كلِّ آية بما قبلها وما بعدها"[٤].
٣. عرَّف البِقَاعي (ت: ٨٨٥هـ)[٥] علم التَّناسب بأنَّه: "علم تُعرَف منه عِلَل ترتيب أجزائه، وهو سرُّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لما اقتضاه من الحال"[٦].

ونستنتج من التعاريف السابقة بأنَّ التَّناسب: هو الانسجام والتَّرابط والتَّآخي بين أجزاء السورة الواحدة، وبين السور حتَّى تكون كالكلمة الواحدة، وعلم التَّناسب: معرفة علل وأسباب هذا الانسجام والتَّرابط والتَّآخي.

---

(١) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله، أبو بكر ابن العربي الأندلسي، الإشبيلي، المالكي، ولد سنة (٤٦٨هـ)، الإمام، العلاَّمة، الحافظ، القاضي، كان من أهل التفنُّن في العلوم، له عدَّة تصانيف، منها: "أحكام القرآن"، "عارضة الأحوذي في شرح الترمذي". انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، (٢٩٦/٤-٢٩٧)، وتذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، (٦١/٤)، وسير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، (١٩٧/٢٠-١٩٨).

(٢) سراج المريدين، أبو بكر بن العربي، (١٣٩/١).

(٣) مصطفى مسلم ولد سنة (١٣٥٩هـ) في سوريا، عَلَمٌ من أعلام أهل الشام، متخصِّصٌ بعلم التفسير، ومدرِّسٌ له، وعمل في الاستشارات العلمية، كما أنَّه مؤلف وباحث في الدِّراسات الإسلاميَّة، وله عدَّة مؤلفات: "مباحث في التفسير الموضوعي"، و"مباحث في إعجاز القرآن الكريم"، (توفي سنة: ١٤٤٢هـ) متأثِّراً بإصابته بالكورونا. انظر: موقع أ.د. مصطفى مسلم، السيرة الذاتية، https://mustafamuslim.net/cv

(٤) مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، (ص: ٥٨).

(٥) إبراهيم بن عمر بن حسن الرُّباط ابن علي بن أبي بكر برهان الدِّين، كنَّى نفسه بأبي الحسن الخرباوي البقاعي، الشَّافعي، المحدِّث، المفسِّر، ولد سنة (٨٠٩هـ) في لبنان، برع في علم المناسبات، له تفسير "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور"، "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور"، (توفي سنة: ٨٨٥هـ). انظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، (ص:٣٤٧-٣٤٨)، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، (٥٠٩/٩)

(٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، البقاعي (٦/١).

وبعد عرض معنى التَّناسب في اللغة والاصطلاح نستطيع القول بأنَّ هناك توافقاً بين المعنيين، فكلاهما يدلُّ على أنَّ التناسب هو الرَّبط بين شيئين، فالتَّناسب في القرآن الكريم يعني أن ترتبط آيات وسور القرآن الكريم ببعضها البعض –كما يربط النَّسَب بين المتناسبين– سواء توصل إليها العلماء أم لا، لأنَّ المناسبة قد تظهر أحياناً، وقد تخفى أحياناً أخرى، وذلك بحسب ما يفتح الله به على المتدبِّر آياته.

ثانياً– أهمية التَّناسب:

يمكن لنا أن نتبين أهمِّية التَّناسب من خلال النقاط الآتية:

١. **التَّناسب يكشف عن وجه من وجوه الإعجاز القرآني مما يزيد الإيمان، ويشرح الصَّدر**: فالمتدبِّر لكتاب الله تعالى، والباحث عن التَّناسب والانسجام بين آياته سيظهر له من الأسرار ووجوه الإعجاز المتعلِّقة بتآلف ألفاظه، واتِّساق معانيه ما يقوي إيمانه، ويُبهِر عقله. يقول البقاعي: "وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللُّب؛ وذلك أنَّه يكشف أنَّ للإعجاز طريقين: أحدهما: نَظْمُ كلِّ جملة على حيالها بحسب التَّركيب، والثاني: نَظْمُهَا مع أختها بالنَّظر إلى التَّرتيب"(١)(٢). وكثيراً ما نجد أنَّ آيات السورة الواحدة قد نزلت على مدار سنوات، واشتملت على كثير من فنون العقائد، والأحكام، والأخلاق، والقصص، وغيرها، ولكنَّنا لا نستطيع إلا أن نلمس انسجام آيات السورة، وتناسبها فيما بينها، فهي في اِتّساق بديع، وإعجاز بليغ، مما يرسخ عندنا الإيمان بعظمة القرآن الكريم وبألوهيَّة مصدره. يقول الرَّازي(٣) في أثناء تفسيره لقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] "ومن تأمَّل في لطائف نَظْمِ هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أنَّ القرآن كما أنَّه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضاً معجز بحسب ترتيبه ونَظْمِ آياته"(٤).

---

(١) نظم الدرر، (٧/١).

(٢) وهو بذلك يريد أن يبيِّن أنَّ الإعجاز القرآني لا يقتصر على إبراز جمال اللفظ ودقَّة التركيب في الآية الواحدة، بل أيضاً في إبراز التَّناسب البديع بين الآيات والسور.

(٣) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي التَّيمي البكري الطبرستاني الأصل الرَّازي المولد، الملقَّب فخر الدِّين، المعروف بابن الخطيب، ولد سنة (٥٤٤هـ)، فقيه شافعي، ومفسر، برع في العلوم النَّقلية والعقلية حتَّى أصبح سلطان المتكلِّمين في زمانه، وإمام وقته في العلوم العقلية، وله مؤلَّفات عدَّة، منها: "التفسير الكبير أو ما يسمى بمفاتيح الغيب"، "المطالب العالية"، (توفي سنة: ٦٠٦هـ). انظر: وفيات الأعيان، (٢٤٨/٤-٢٤٩)، وطبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد شهبة، (٦٥/٢)، وطبقات المفسرين، الأدنه وي، (ص:٢١٣).

(٤) مفاتيح الغيب، الرازي، (١٠٦/٧).

٢. **إدراك اتِّساق المعاني بين الآيات، وترابط أفكارها، وتلاؤم ألفاظها:** إنَّ من يبحث في علم التَّناسب يدرك التَّماسك بين الآيات، والانسجام بين الأفكار والموضوعات، والتَّناغم بين الألفاظ، حتَّى تظهر السورة الواحدة كالبناء المحكم المتماسك، ويؤكِّد على ذلك الزركشي[١] عند حديثه عن أهمِّية التناسب بقوله: "وفائدته: جَعْلُ أجزاء الكلام بعضُها آخذٌ بأعناقِ بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حالهُ حالَ البناء المحكم، المتلائم الأجزاء"[٢].

٣. **التَّناسب طريق علميٌّ ضروريٌّ لفهم معاني القرآن الكريم، وتجنُّب وقوع الخطأ في تفسيره:** وقد ظهر ذلك جليَّاً عند الفَراهي[٣] حين بيَّن: أنَّ المقصد الأساسي من معرفة نَظْمِ آيات القرآن الكريم وسوره ليس بيان وجوه إعجاز القرآن فحسب، وإنَّما تدبُّر معانيه، واستنباط حكمه، فالمتدبِّر لكتاب الله تعالى عندما يبحث في نَظْمِ آيات القرآن الكريم وسوره، ويجتهد في استخراج وجوه التَّناسب بين الآيات، ويبيِّن مقصود السورة الرئيس يتوصل إلى الكثير من اللطائف القرآنية، وما اشتملت عليه من دلالات دقيقة وخفية فيه، والتي لم يكن ليصل إليها لولا ربطه بين آيات السورة. أمَّا قَصْرُ النَّظر في البحث عن مطالب الآيات على حدتها، وترك التَّدبر في مناسبة أجزاء السورة فإنَّه يُعمِي البصيرة عن فهم مراد الله تعالى من كتابه، وإدراك الحكمة المكنونة بين آياته؛ لأنَّ النَّظر إلى الجُمَلِ بمجموعها يعطي تأليفاً مختلفاً عن النَّظر في أجزائه، فالكلام إنَّما هو بنظامه، ولا يبلغ أقصى البلاغة بمحض أجزائه، وإنَّما بنِظْمِه وترتيبه على ما ينبغي[٤]، ويؤكِّد على ذلك بقوله أيضاً: "ولما كان أكثر الحِكَمِ ومعالي الأمور مخبوءة تحت دلالات النَظْمِ، فمن ترك النَّظر فيه ترك من معنى القرآن معظمه"[٥]. ومن تدبَّر كلام الله تعالى وجده قد سُبِك سبكاً محكماً، ورُتِّب من أوله إلى آخره ترتيباً

---

(١) محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي الموصلي الشَّافعي، بدر الدين أو عبد الله، تركي الأصل، مصري المولد، ولد سنة (٧٤٥هـ)، العلَّامة، الفقيه، الأصولي، الأديب، ألَّف تصانيف عدَّة، منها: "البرهان في علوم القرآن"، "البحر المحيط"، (توفي سنة: ٧٩٤هـ). انظر: طبقات الشافعية، (١٦٧/٣-١٦٨)، والدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، (١٣٤/٥-١٣٥)، والأعلام، خير الدين الزركلي، (٦٠/٦).

(٢) البرهان في علوم القرآن، الزركشي، (٣٦/١).

(٣) عبد الحميد بن عبد الكريم بن قربان قنبر بن تاج علي، الأنصاري الفراهي، المعروف بحميد الدين الفراهي، ولد سنة (١٢٨٠هـ) في الهند، نال شهرة بين علماء زمانه، متقنٌ لعلوم العربية والبلاغة، عاكف على تدبُّر القرآن الكريم معتقداً أنَّ القرآن مرتَّب البيان، منسَّق النِّظام، فأخذ يربط الآيات بعضها ببعض، وقد بنى تفسيره "نظام الفرقان وتأويل القرآن بالقرآن" على هذا الاعتقاد، وله العديد من المؤلفات منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط: "مفردات القرآن"، "أساليب القرآن"، (توفي سنة: ١٣٤٩هـ). انظر: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، عبد الحي الحسني الطالبي، (١٢٦٧/٨).

(٤) انظر: دلائل النظام، الفراهي، (ص: ١٧-١٩).

(٥) دلائل النظام، (ص: ٣٨).

منظماً دقيقاً، ولم يتخلله شيء من الاقتضاب لا في آياته ولا في معانيه، حتَّى لو وُضِعت آية في غير موضعها لبَطُلَ النظام ولَفَسَدَت بلاغة الكلام(١).

٤. **تعين على فهم أسباب النزول:** فعندما يدرك المفسر حُسْنَ الترتيب ودقَّة النَّظْمِ فإنَّه يضع أسباب النزول في موضعها المنسجم مع سياق الآيات، ومن غفل عن المناسبة احتار في فهم أسباب النزول المحتملة، وراح يضعها في غير مواضعها، مما يجعل تأويل الآيات وتفسيرها عسيراً عليه(٢).

٥. **التَّناسب سبيلٌ من سُبُل نقد الروايات:** فهي تسهم في التمييز بين المقبول والمردود من الروايات سواء على مستوى الآثار أو أقوال الصحابة أو الروايات التفسيرية أو أسباب النزول؛ لأنَّ الرَّبط بين الآيات قد يعطي دلالة تُرجِّح تفسيراً على غيره، وتَردُّ بعض التأويلات التي لا تنسجم مع نَظْمِ الآيات(٣).

٦. **تُعدُّ المناسبة نقطة الحسم التي تُرجِّح المعنى المقصود من الآية عند تعارض أقوال المفسرين:** لأنَّ المفسرين لو أمعنوا النَّظر في مناسبة الآية لما قبلها وما بعدها لما وقع الخلاف فيما بينهم أساساً، ولاتَّفقوا على رأي واحد، إذاً فالمناسبة هي الدَّليل على صحيح التَّأويل عند اشتباه الوجوه(٤). يقول الفراهي: "المعترفون بوجود التَّناسب جعلوا التَّناسب علماً شريفاً، ولكن لم يجعلوه جزءاً عظيماً من مفهوم القرآن، ولذلك بقي متروكاً لإشكاله. أما نحن فنقول: إنَّ فهم القرآن محوَّلٌ إليه، والوجوه الكثيرة في التَّأويل، وعدم الاعتماد على تأويل صحيح إنَّما نشأ من عدم المعرفة بالنظام، فإنَّه هو المعتمد في صحيح التَّأويل ورفع الشكوك والحيرة"(٥).

٧. **التَّوصل إلى بعض أسرار تكرار القصص في القرآن الكريم:** يظنُّ النَّاس أنَّ هناك تكراراً في القصص القرآني؛ نظراً لتكرر عرض بعض القصص في سور شتَّى، ولكنَّ المتدبِّر في هذه القصص يصل إلى أنَّه ما من قصة أو حلقة من قصة قد تكرَّرت في صورة واحدة، من ناحية القدر الذي سيقت به، وطريقة الأداء في هذا السياق، وأنَّه حيثما تكرَّرت حلقة ما فقد كانت لتخدم مقصود السورة التي وردت فيها، ولتسلط الضوء على جانب آخر مختلف عن سابقه، ولتقدم جديداً ينفي حقيقة هذا التكرار (٦). يقول البقاعي: "وبه يتبيَّن لك أسرار القصص المكرَّرات، وأنَّ كلَّ سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى ادُّعي في تلك السورة استدلَّ عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقت له في مواضع أخرى، أو سياقات، أو سور أخرى"(٧).

---

(١) انظر: دلائل النظام، (ص: ٢).

(٢) انظر: إمعان النظر في نظام الآي والسور، محمد عناية أسد الله سبحاني، (ص: ١١٩).

(٣) انظر: إمعان النظر في نظام الآي والسور، (ص: ١٢٠).

(٤) انظر: نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، الفراهي، (ص: ١٨)، وإمعان النظر في نظام الآي والسور، (ص: ١١٩).

(٥) دلائل النظام، (ص: ٣٨).

(٦) انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، (٦٤/١).

(٧) نظم الدرر، (٨/١).

ثالثاً– مستويات التَّناسب في القرآن الكريم:

إنَّ البحث في آيات وسور القرآن الكريم، ومحاولة استخراج التَّناسب والانسجام فيما بينها ما هو إلا منهج علمي يؤدي إلى استثمار أقصى ما يمكن استثماره من دلالات الآيات القرآنية، ويوصل إلى إثبات إعجاز القرآن الكريم.

وللتناسب مستويات، وهي:

١. التَّناسب في الآية الواحدة:

إنَّ كلَّ حرف في كتاب الله ﷻ إنَّما وضِع لغاية أرادها الله تعالى، وكلَّ كلمة وضعت في أنسب موضع لها، فلو تقدَّمت أو تأخَّرت عن موضعها لفقدت إعجازها، ولما تحقَّقت الغاية التي سيقت من أجلها؛ لذا كان كلُّ حرف وكلمة في كتاب الله تعالى موضوعين وضعاً دقيقاً ومناسباً للغرض الذي سيق له، وللتَّناسب في الآي أنواع:

أ- **المناسبة بين أجزاء الآية:** فالمتدبِّر في الآيات القرآنية يجد أنَّ كلَّ آية قد نُظِمَت في أحسن نَظْمٍ، ورُتِّبت ألفاظها على أحسن وجه، ووضعت في الموضع الملائم لها، ولو قُدِّم ما أُخِّر، أو أُخِّر ما قُدِّم لاختلت بلاغة القرآن الكريم، مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾ [النساء:٥٨]، الأمانة: أن يجب لغيرك عليك حقٌّ فتؤدي له ذلك الحقَّ، والحُكْمُ بالحقِّ: أن يجب لإنسان على غيره حقٌّ فتأمر من وجب عليه ذلك الحقَّ بأن يدفعه إلى صاحبه، ولما كان الأولى أن يبدأ الإنسان بنفسه فيحرص على جلب المنافع له، ودفع المضار عنه، ثمَّ ينصرف للاشتغال بغيره، ابتدأت الآية بذكر الأمر بالأمانة أولاً، ثمَّ ذكر الأمر بالحكم بالحقِّ[(١)].

ب- **المناسبة بين ختام الآية وصدرها:** اعتنى البقاعي بإبراز هذا النوع من التَّناسب في تفسيره ليُظْهِر إحكام آيات القرآن، وحُسْنَ سبكها، مثال ذلك: عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ [آل عمران:٩١]، قال البقاعي مبيناً وجه المناسبة بين ختام الآية وصدرها: "لما تشوَّف السامع إلى معرفة مصير الذين كفروا وماتوا على هذا الحال، صرَّح

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (١١٠/١٠).

بنفي قبول الفداء منهم كائناً ما كان، ولما تشوَّف السامع لمعرفة ما سوف يحلُّ بهم، أجيب بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [آل عمران:٩١] فنفى عنهم كلَّ وجه من وجوه الاستنقاذ"(١).

ت- **المناسبة بين الآية وفاصلتها**: إنَّ القرآن الكريم يراعي فواصل الآيات(٢) لما فيها من تأثير في النفوس، وبيان لوجه من وجوه التَّناسب في الآية الواحدة، فتأتي الفاصلة في نهاية الآية منسجمة مع المعنى الذي تقتضيه تلك الآية، لا لتحقِّق الانسجام الصوتي فقط، كتقديم بعض الأسماء الحسنى أو تأخيرها لجريان العادة القرآنية على ذلك. مثال ذلك: ما رواه الأصمعي(٣) قال: "كنت أقرأ سورة المائدة ومعي أعرابيٌّ، فقرأت هذه الآية: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨]، فقلت: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ سهواً، فقال الأعرابيُّ: كلام مَنْ هذا؟ فقلت: كلام الله، قال: أعد، فأعدتُ: ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ثمَّ تنبَّهت فقلت: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾، فقال: الآن أصبت، فقلت: كيف عرفت؟ قال: يا هذا عزيزٌ حكيمٌ فأمر بالقطع، فلو غفر ورحم لما أمر بالقطع"(٤).

٢. التناسب في السورة الواحدة:

تُمثِّل السورة القرآنية وحدة متكاملة ترتبط أجزاؤها في حلقات متماسكة تشدُّ بعضها بعضاً، وعلى الرُّغم من احتواء معظمها على عدَّة موضوعات، ووجود فارق زمني في نزول آياتها في بعض السور، إلا أنَّ المتأمِّل في السورة لا يستطيع إلا أن يلمس انسجاماً بين آياتها، وتماسكاً بين أجزائها فهي كالبنيان المرصوص.

والتَّناسب في السورة القرآنية على أنواع؛ لأنَّه قد يظهر الارتباط بين الآية والتي تليها لتعلُّق الكلام بعضه ببعض، وعدم تمامه بالأولى، وقد يظهر الارتباط بين الآية وما قبلها أو ما بعدها على بُعْدٍ منها:

أ- **المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمتها**: إنَّ حُسْنَ ابتداء الكلام من البلاغة؛ لأنَّه أوَّل ما يقرع الأسماع، فإن كان الكلام حَسَنُ الابتداء أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلَّا أعرض عنه ولو كان الباقي في نهاية الحُسْنِ، وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها كالتَّحميدات وحروف الهجاء

---

(١) نظم الدرر، (٤/٤٧٩-٤٨١).

(٢) الفاصلة القرآنية: "هي كلمة آخر الآية". البرهان، (١/٥٣).

(٣) عبد الملك بن قُرَيب بن أصمع الباهلي، كنيته: أبو سعيد، عُرِفَ بالأصمعي، ولد بالبصرة سنة (١٢٢هـ)، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان، كثير الطواف بالبوادي، يَقْتَبِسُ علومها ويتلقَّى أخبارها، من مصنَّفاته: "الإبل"، و"خلق الإنسان"، (توفي سنة: ٢١٦هـ). انظر: وفيات الأعيان، (٣/١٧٠)، والتاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، (٥/٤٢٨).

(٤) مفاتيح الغيب، (١١/٣٥٧).

والنداء وغير ذلك، ومن الابتداء الحسن نوع أخصّ منه يسمى براعة الاستهلال[١] كما في سورة الفاتحة التي هي مطلع القرآن فإنَّها مشتملة على جميع مقاصده. وكذلك خاتمة السور فإنَّها لا تقلُّ إعجازاً عن فاتحتها لأنَّها آخر ما يقرع الأسماع، لهذا جاءت متضمّنة للمعاني البديعة مع إيذان السامع بانتهاء الكلام[٢].

وجميع سور القرآن الكريم تبدأ بالحديث عن موضوع معين، ثمَّ تُختَتَم بالحديث عن الموضوع نفسه، أو ما يقابله، مثال ذلك: قوله تعالى: في ختام سورة الرُّوم ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠] فهو مناسب لما ابتدأت به السورة في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾ [الروم:١-٥]. فقد خُتِمت سورة الرُّوم التي ابتدأت بوعد الله في نصر الرُّوم في بضع سنين، ونصر المؤمنين، بالأمر بالصَّبر حتَّى يأتي وعد الله تعالى، والصَّبر على محاولات الاستخفاف والزعزعة من الذين لا يوقنون. قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم:٦٠]، فتناسق البدء والختام، وانتهت بتثبيت القلب بالوعد الصادق الذي لا يكذب، واليقين الثَّابت الذي لا يخون[٣].

وقوله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ٢﴾ [المؤمنون:١-٢]، افتتحت هذه السورة بالحديث عن فلاح المؤمنين المتَّصفين بهذه الصِّفات النبيلة، واختتمت السورة بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ١١٧ وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١١٨﴾ [المؤمنون:١١٧-١١٨] حيث بيَّنت عاقبة الكفر، وعدم فلاح الكافرين، فالفلاح لمن اتَّصف بصفات معينة، والهلاك وعدم الفلاح لمن لم يتَّصف بها[٤].

ب- **المناسبة بين اسم السورة ومقصدها:** إنَّ كلَّ سورة من سور القرآن لها اسم خاص اختصت به، وقد يكون هناك أكثر من اسم للسورة الواحدة، وغالباً ما يكون اسم السورة كاشفاً عن مقصدها، أو مبرزاً لمحور هام من محاورها، مثل سورة الفرقان، فإنَّ مقصد هذه السورة يدور حول إنذار عامة المكلَّفين بما له سبحانه من

---

(١) براعة الاستهلال: "أن يجعل مطلع الكلام من الشعر أو الرسائل دالاً على المعنى المقصود من هذا الكلام إن كان فتحاً ففتحاً، وإن كان هناء فهناء، أو كان عزاء فعزاء، وكذلك يجري الحكم في غير ذلك من المعاني". المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، (٩٦/٣).

(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، (٣٦٣/٣-٣٦٦).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، (٢٧٧٨/٥).

(٤) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، (ص: ٧٤).

القدرة الشاملة، المستدلِّ عليها بالقرآن المبين؛ واسمها متوافق مع مقصدها، فإنَّ هذا الكتاب المجيد ما نزل إلا للتفرقة بين الملتبسات، وتمييز الحقِّ من الباطل، وإنذار العالمين، فلا يكون لأحد على الله تعالى حجَّة[١].

ت- **مناسبة ارتباط مقاطع السورة بمقصدها الرئيس:** إنَّ السورة القرآنية تشبه الحلقات المترابطة فيما بينها، وتضمُّ هذه الحلقات حلقة أكبر منها وهي داخلة فيهم ومتعلِّقة بهم، ويشترط أن تكون كلُّ حلقة مرتبطة بالحلقة التي قبلها والتي بعدها، وقد تكون مرتبطة بالحلقة الكبرى مباشرة، أي بالمقصد الرئيس للسورة[٢]، كما أنَّ المناسبات بين مقاطع السورة ومقصدها الرئيس قد تكون ظاهرة جليَّة، وقد تكون دقيقة خافية، وكثيراً ما يكون التَّعرف على المناسبات بين المقاطع طريقاً لمعرفة المقصد الذي تدور حوله السورة، كما في سورة الكهف فعندما ندرك أنَّها سورة مكِّية نزلت في مرحلة متقدِّمة من مراحل الدَّعوة إلى الله تعالى، ومن ثمَّ ننظر إلى افتتاحية السورة وإلى قصصها الأربع وإلى خاتمتها نجد أنَّ قضية التَّوحيد لافتة للنظر فيها، ولا يخلو مقطع من هذه المقاطع من الدَّعوة الصَّريحة إلى توجيه العبادة لله سبحانه وتعالى والإخلاص له في القول والعمل وترك عبادة الطواغيت والآلهة المزعومة والشركاء، وكذلك الدَّعوة إلى الإيمان باليوم الآخر، وإثبات رسالة محمد ﷺ، وترسيخ القيم والأخلاق، وكلُّ هذه المعاني مرتبطة بالتَّوحيد، ومقتفية آثاره[٣].

ث- **مناسبة ارتباط مقاطع السورة الواحدة ببعضها:** والمقصود القول بوجود وحدة موضوعية للسورة، فبالرغم من نزول السورة الواحدة أحياناً مفرَّقة على سنوات، وبالرغم من اشتمال بعضها على آيات مكِّية وآيات مدنية، وتناولها لموضوعات متعددة، إلا أنَّنا لو تأمَّلنا هذا التَّنوع لوجدناه بُنْيِة متماسكة مكوَّنة من أصل وفروع يتمُّ الانتقال بينها بكلِّ سلالة وانسجام. مثال ذلك: ففي سورة مريم نجد أنَّ القصص أساس هذه السورة، فهي تبدأ بقصة زكريا ويحيى عليهما السلام، فقصة مريم ومولد عيسى عليهما السلام، ثمَّ حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه، ثمَّ تعقبها إشارات إلى بعض النبيِّين، والرَّابط الذي يجمع هذه القصص أنَّها جميعها تدور حول موضوع واحد وهو إثبات الوحدانية والبعث، وبيان منهج المهتدين ومنهج الضَّالين من أتباع النبيِّين[٤].

ج- **المناسبة بين الآيات المتجاورة:** وقد ظهر هذا النوع جليَّاً عند العلامة البقاعي، فقد كان يعرض الآيات القرآنية واحدة تلو الأخرى، ويُظهِر وجه الارتباط بينها بنوع من الرَّوابط البلاغية كالالتفات[٥]،

---

(١) انظر: نظم الدرر، (٣٢٩/١٢).

(٢) انظر: قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (ص: ١٧-١٨).

(٣) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، (ص: ٤٣-٤٥).

(٤) انظر: في ظلال القرآن، (٢٢٩٩/٤).

(٥) الالتفات: "التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة (التكلم والخطاب والغيبة) بعد التعبير عنه بآخر منها، بشرط أن يكون التعبير الثاني على خلاف ما يقتضيه الظاهر ويترقبه السامع". مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، (ص: ٧٧)، وعرَّفه يحيى العلوي:

والعطف[١]، مثال ذلك: بيَّن البقاعي مناسبة ذكر قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة:١٨] بعد قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة:١٧] حيث قال: "لما عمَّ سبحانه في ذكر فضائح بني إسرائيل تارة، وخصَّ أخرى، عمَّ بذكر طامة من طوامهم، حملهم عليها العُجْبُ والبَطَرُ بما أنعم الله به عليهم، فقال: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [المائدة:١٨]"[٢].

ح- **المناسبة بين الآيات المتباعدة:** يُعدُّ العلَّامة الفراهي الرَّائد في هذا المجال، فقد بيَّن أنَّ طالب التَّناسب ربما يطلب التَّناسب بين الآيات المتجاورة مع عدم اتِّصالها ببعضها، فقد تكون متَّصلة بالتي قبلها على بُعْدٍ منها[٣]. مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٧٥] فعند النَّظر في هذه الآية وفي قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٦٥] لابد أن يلحظ المفسر وجهاً من وجوه التَّناسب بينهم؛ لأنَّ إشارته إلى الرِّبا في هذه الآيات على اعتبار أنَّها ضدٌّ للصدقة، وأثره ضدَّاً لأثر الصدقة، فأكل الرِّبا يجعل النَّفس مضطربة، والصدقة تثبِّتها، وفي أكل الرِّبا أذان بحرب من الله تعالى ورسوله، وفي الصدقة مرضاته، وما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة:٢٧٦] فقد صرَّحت هذه الآية بكونهما ضدين متقابلين[٤].

"العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول". الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى العلوي، (٧١/٢).

(١) العطف: "هو التَّابع المتوسط بينه وبين متبوعه أحد حروف العطف". شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، (٢٢٤/٣).

(٢) نظم الدرر، (٦٦/٦).

(٣) انظر: دلائل النظام، (ص: ٧٤).

(٤) انظر: دلائل النظام، (ص: ٦٣).

٣. **التَّناسب بين السور**: على الرُّغم من وجود اختلاف في ترتيب سور القرآن الكريم هل هي توقيفيَّة أم لا[١]، إلا أنَّ هناك ما يوحي بوجود تناسب وارتباط فيما بين السورة ولاحقتها، قد يظهر أحياناً وقد يخفى أحياناً أخرى، ولا يشترط أن يكون التَّرابط بينهما لفظياً، أو أن يكون بين خاتمة السورة السابقة وافتتاحية اللاحقة، فقد تكون هناك خيوط دقيقة تربط بينهما، وللتناسب بين السور أنواع:

أ- **المناسبة بين فاتحة السورة وخاتمة ما قبلها**: إنَّ في ختام السورة القرآنية تمهيداً للسورة التي تليها، وفي أوائل سور القرآن الكريم بيان لمقصدها؛ لذا ناسب أن يكون هناك ترابطٌ وثيقٌ بينهما، بحيث تأخذ الأجزاء الأخيرة من السورة بيد الأجزاء الأولى من السورة التي تليها، فالقرآن حلقات تتَّصل أجزاؤه بعضها بعضٍ، وكلُّ جزء فيه يمهِّد للجزء الذي يليه.

وقد يكون التَّرابط بين بين أوَّل السورة وخاتمة ما قبلها رابطاً لفظياً وظاهراً، وذلك بتكرار اللفظ أو مرادفه، مثال ذلك: ختمت سورة الواقعة بقوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة:٩٦]، وابتدأت سورة الحديد بقوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحديد:١]، فكأنَّه أمرٌ بتسبيح الله سبحانه وتعالى الذي سبَّحت له كلُّ الكائنات[٢].

وهذا التَّرابط لا يكون بين السورتين المكِّيتين أو المدنيتين فحسب، بل يكون أيضاً بين السور المكِّية والمدنية، مثال ذلك: "في نهاية سورة التَّوبة وهي سورة مدنية يقول تعالى: ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ١٢٩﴾ [التوبة:١٢٨-١٢٩]، وبعدها سورة يونس وهي سورة مكِّية

---

(١) اختلف العلماء في ترتيب السور هل هو توقيفي أم اجتهادي؟ فالقول الأول: هو توقيفيٌّ، تولَّاه النَّبيَّ ﷺ كما أخبر به جبريل عن ربِّه، فالقرآن على عهد النَّبيِّ ﷺ قد رتِّبت سوره، كما كانت آياته مرتبة، وهو ترتيب مصحف عثمان الذي لم يتنازع فيه أحد من الصَّحابة، مما يدل على وقوع الإجماع على أنَّ ترتيبه توقيفي. والقول الثاني: فقد عدَّ ترتيب سور القرآن الكريم اجتهاد من الصَّحابة؛ لاختلاف مصاحفهم في التَّرتيب، كمصحف ابن مسعود، ومصحف أُبي. والقول الثالث: بعض السور ترتيبها توقيفي، وبعضها اجتهادي، لوجود أدلَّة على ترتيب بعض السور في عهد النبوَّة، فقد ورد ما يدل على ترتيب السبع الطوال والحواميم والمفصَّل في حياته ﷺ.

وقد نوقشت هذه الآراء الثلاثة، وتوصَّلوا إلى ما يلي: أنَّ الرأي الثاني الذي يرى أن ترتيب السور باجتهاد الصحابة لم يستند إلى دليل يُعتمد عليه؛ لأنَّ اجتهاد بعض الصَّحابة في ترتيب مصاحفهم الخاصة كان اختياراً منهم قبل أن يجمع القرآن جمعاً مرتَّباً، فلمَّا جُمِع في عهد عثمان، واجتمعت الأمة على ذلك، تركوا مصاحفهم، ولو كان التَّرتيب اجتهادياً لتمسَّكوا بها. أما الرأي الثالث: فإنَّ أدلَّته ارتكزت على وجود سور رُتِّبت في عهد النبوَّة، أمَّا حكمهم على أنَّ باقي السور ترتيبها اجتهادي من الصَّحابة فإنَّهم لم يقدموا أيَّ دليل على أنَّ ترتيبها اجتهادي، إذ أنَّ ثبوت التَّوقيفي بأدلَّته لا يعني أنَّ ما سواه اجتهادي، مع أنَّه قليل جداً. وبهذا يترجَّح أنَّ ترتيب السور توقيفي كترتيب الآيات. انظر: أسرار ترتيب القرآن، السيوطي، (٧/١).

(٢) انظر: البرهان، (٣٨/١)، ومباحث في التفسير الموضوعي، (ص: ٨٢).

وقد بُدِئت بقوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ۝٢﴾ [يونس:١-٢] فالحديث عن الرَّسول في الموضوعين"[١].

ويكون الرّبط بين أوَّل السورة وخاتمة ما قبلها بالمعنى المستفاد أو بعلاقة الإسناد[٢] والتَّعلق بالعامل[٣]. مثال ذلك: قوله تعالى في نهاية سورة العاديات ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾ [العاديات:١١] مع بداية القارعة ﴿ٱلۡقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلۡقَارِعَةُ ۝٢﴾ [القارعة:١-٢]، ووجه التَّناسب بينهما: أنَّه لما أخبر عن وجود يوم يكشف به ما في صدورهم، كان لابد من أن يُسأل متى ذلك اليوم؟ فقيل: القارعة، فكأنَّه عَيْنُ اليوم الذي يُكشف به ما في الصدور، وهو يوم القيامة[٤].

ب- **مناسبة مضمون السورة لمضمون ما قبلها:** تُعَدُّ سورة قريش امتداداً لسورة الفيل من ناحية موضوعها، ففي كلتا السورتين تذكير بنِعَمِ الله تعالى على أهل مكَّة، فمضمون سورة الفيل تذكيرهم بنعمة إهلاك عدوِّهم الذي جاء لهدم البيت الحرام، ومضمون سورة قريش تذكيرهم بنعمة أخرى اجتماعية واقتصادية، حيث حقَّق الله تعالى بينهم الألفة واجتماع الكلمة، وأكرمهم بنعمة الأمن والاستقرار، ونعمة الغنى واليسار، والإمساك بزمام الاقتصاد التجاري في الحجاز، بالقيام برحلتين صيفاً إلى الشام وشتاءً إلى اليمن.

ومما يدلُّ على شدَّة ارتباط هذه السورة بالسورة التي قبلها تعلق الجار والمجرور في أولها بآخر السورة المتقدمة، فقوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ [قريش:١]، أي أهلك الله تعالى أصحاب الفيل لتبقى قريش[٥].

فإذاً إنَّ دراسة المناسبات بين آيات وسور القرآن الكريم من الوسائل التي تعين على الفهم الصحيح لكتاب الله عزَّ وجلَّ، فلا غنى عنها لأيِّ مفسر؛ لأنَّها تساعد على بيان المعنى المراد، وبها يتوصَّل إلى انسجام القرآن الكريم وتماسكه.

---

(١) مباحث في التفسير الموضوعي، (ص: ٨٤).

(٢) الإسناد: نسبة أحد الجزأين إلى الآخر بحيث يفهم منه حصول معنى تام، كإسناد الفعل إلى الفاعل، أو المبتدأ إلى الخبر. انظر مغني اللبيب، ابن هشام، (١٠/١).

(٣) التعلق بالعامل: "افتقار المعمول إلى عامله ليتمَّ به معناه". شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، (١٧/١).

(٤) انظر: البرهان في تناسب سور القرآن، ابن الزبير الغرناطي، (ص: ٣٧٤).

(٥) انظر: معالم التنزيل، البغوي، (٣٠٩/٥).

المطلب الثاني: نبذة عن جهود العلماء في دراسة التناسب.

بعد التَّعرف على التَّناسب، وأهمِّيته، ومستوياته، كان لابد من أن نعرض نبذة عن جهود العلماء في دراسة التَّناسب، فقد تباينت آراء المفسرين بين مثبت للتناسب في آيات وسور القرآن الكريم، وبين من يَعَدُّه تكلُّفاً لا حاجة له.

أولاً– القائلون بالتناسب:

إنَّ معظم من صنَّف في التناسب –قديماً– ذكر قلة اعتناء المصنفين بالتَّأليف في هذا العلم لدقَّته(١)، رغم أنَّ بداياته كانت قديمة منذ عهد الصَّحابة والتَّابعين؛ لاهتمامهم بسياق ونَظْمِ الآيات واضحاً، وقد أكَّد على ذلك البقاعي بقوله: "وقد كان أفاضل السلف يعرفون هذا بما في سليقتهم من أفانين العربية، ودقيق مناهج الفكر البشريَّة، ولطيف أساليب النوازع العقليَّة، ثم تناقص العلم حتَّى انعجم على النَّاس، وصار إلى حد الغرابة كغيره من الفنون"(٢)

فمن الآثار التي تدلُّ على معرفة الصَّحابة والتَّابعين لهذا العلم وتطبيقهم له ما رواه ابن مسعود ﷺ(٣): «إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ كَيْفَ يَقْرَأُ آيَةَ كَذَا وَكَذَا، فَلْيَسْأَلْهُ عَنْ مَا قَبْلَهَا»(٤).
والحديث عن المناسبات تناثر في ثنايا كتب التفسير، ولم يدوَّن تدويناً مستقلاً، وإنَّما جاء على هيئة إشارات ضمَّنها بعض المفسرين في كتبهم كلمَّا دعت الضَّرورة إلى ذلك، ومن هؤلاء المفسرين:

١. **أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠ هـ)**(٥): في تفسيره (جامع البيان عن تأويل آي القرآن): أشار إلى المناسبة في مواضع كثيرة من تفسيره ولكن دون تصريح بلفظ التَّناسب، كما ربط بعض الآيات بواقع الدَّعوة، وكان

---

(١) انظر: البرهان، (٣٦/١).

(٢) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، البقاعي، (١٥٣/١).

(٣) عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، من السَّابقين الأوَّلين للإسلام، هاجر الهجرتين إلى الحبشة والمدينة، وشَهِدَ بدراً والمشاهد بعدها، ولازم النَّبيَّ ﷺ، وكان أوَّل من جهر بالقرآن بمكَّة، شَهِدَ له رسول الله ﷺ بالجنَّة، (توفي سنة: ٣٢هـ). انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير، (٣٩٤/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن حجر العسقلاني، (٢٣٣/٤).

(٤) المعجم الكبير، الطبراني، باب العين، (١٤٠/٩)، (٦٨٩٣).

(٥) محمد بن جرير بن يزيد بن خالد، الطَّبري، أبو جعفر، ولد في طبرستان سنة (٢٢٤هـ)، أتقن عدَّة علوم حتَّى صار إماماً في التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغيرها، ثقةً في النَّقْلِ، له مصنَّفات عديدة، منها: في التفسير كتابه: "جامع البيان عن تأويل آي القرآن"، ومن مؤلَّفاته أيضاً: "تاريخ الأمم والملوك"، (توفي سنة: ٣١٠هـ) في بغداد. انظر: وفيات الأعيان، (١٩١/٤)، والبداية والنهاية، ابن

يعتمد على المناسبة في الترجيح بين الأقوال، وفي بعض المواضع اعتمد على تفسير عدَّة آيات معاً؛ ليبرز العلاقةَ بينها، ويظهر الكلام المقدَّر المحذوف الذي تُرِك لدلالة ما ظهر من الكلام عليه، كما فعل في ربطه بين الآيتين الكريمتين ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران:٨٣-٨٤] فبيَّن أنَّ في الكلام مقدَّراً محذوفاً لدلالة ما ظهر من الكلام عليه، فيكون المعنى: "أفغير دين الله تبغون يا معشر اليهود، وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون، فإن ابتغوا غير دين الله يا محمد فقل لهم: آمنَّا بالله، فترك ذِكْرَ قوله: "فإن قالوا: نعم"، أو ذِكْرَ قوله: "فإن ابتغوا غير دين الله"، لدلالة ما ظهر من الكلام عليه"[(١)].

٢. **أبو بكر النَّيسابوري (ت: ٣٢٤ هـ)**[(٢)]: يُعَدُّ من أوائل من تنبَّه إلى وجود تناسب بين آيات السورة الواحدة، وبين السور، مما جعله يعطي هذا العلم اهتماماً كبيراً، فكان أوَّل من أظهر علم المناسبة ببغداد، وكان ينتقد علماءها لعدم علمهم بالمناسبة، "وكان يقول على الكرسي إذا قُرِئ عليه الآية: لم جُعِلَت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟"[(٣)]

٣. **عبد القاهر الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ)**[(٤)]: هو صاحب نظرية النَّظْمِ التي بسطها في كتابه (دلائل الإعجاز)، حيث يرى أنَّ النَّظْمَ ليس سوى "تعليق الكلم بعضها ببعض، وجَعْلُ بعضها بسببٍ من بعض"[(٥)]، وأنَّ الغرض من النَّظْمِ أن تتناسق الدَّلالات وتتلاقى المعاني على الوجه الذي يقتضيه العقل، مع مراعاة ما يقتضيه علم النحو، وعندما تكون المعاني مرتَّبة في النَّفس تترتب الألفاظ حسب ترتيب المعاني كونها تابعة لها، يقول مؤكداً ذلك: "وأنَّك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك، لم تحتج إلى أن تستأنف فكراً في ترتيب الألفاظ،

كثير، (١١/١٦٥-١٦٦).

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، (٦/٥٦٩).

(٢) عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل النَّيسابوري الفقيه الشَّافعي، أبو بكر، ولد سنة (٢٣٨هـ)، وسكن بغداد، كان حافظاً، متقناً، علَّامة، محدِّثاً، موثوق الرِّواية، من مؤلَّفاته: "الزيادات على كتاب المزني"، (توفي سنة: ٣٢٤هـ). انظر: تاريخ بغداد وذيوله، الخطيب البغدادي، (١٠/١١٩)، وتذكرة الحفاظ، (٣/٢٧).

(٣) البرهان، (١/٣٦).

عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجُرجاني الشَّافعي، أبو بكر، ولد سنة (٤٠٠هـ)، الفقيه، المفسِّر، من أئمة اللغة والبلاغة، له مؤلَّفات عديدة منها: "أسرار البلاغة"، "ودلائل الإعجاز"، (توفي سنة:٤٧١هـ، وقيل: ٤٧٤هـ). انظر: طبقات الشافعية، (١/٢٥٢)، والأعلام، (٤/٤٩).

(٤) دلائل الإعجاز، الجرجاني، (ص: ٧).

بل تجدها تترتب لك بحكم أنَّها خدم للمعاني، وتابعة لها، ولاحقة بها"[١]، فالعلم بمواقع المعاني في النَّفس علمٌ بمواقع الألفاظ الدَّالة عليها في النُّطق.

كما عدَّ الجرجاني النَّظْمَ جوهر إعجاز القرآن الكريم، واستدلَّ على ذلك بأنَّهم لما سمعوا القرآن الكريم أعجزهم نظمه، وانسجام ألفاظه التي أنزلت مواقعها، فلم يجدوا في طيَّاته كلمة في غير سياقها، أو مفردة يُرى أنَّ غيرها أصلح منها، بل وجدوا تآلفاً وانسجاماً حارت به العقول، وشُدَّت إليه الأسماع، وإتقاناً وإحكاماً، فلم يترك لأحد من بلغائهم موضع طمع أو حجَّة ليقيموها عليه[٢].

مثال ذلك: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر:٢٧] "جمع غربيب وهو شديد السواد وإنَّما تأخر ذكر السواد لبيان اللفظ الغريب أو لاعتبار نظم الآي"[٣]، "وذلك أنَّ العرب تقول: هو أسود غربيب، إذا وصفوه بشدة السواد، وجعل السواد ها هنا صفة للغرابيب"[٤].

٤. **الزمخشري (ت: ٥٣٨ هـ)**[٥]: جاء الزمخشري ليُتِمَّ ما بدأه الجرجاني، فأولى في تفسيره (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التَّأويل) اهتماماً كبيراً بالتناسب بين الآيات والسور، وصرَّح بذلك في كثير من مواضع تفسيره، وضمَّنها في تفسيره للآيات في مواضع أخرى، وأكَّد وحدة النَّص القرآني وتماسكه، فوصف نَظْمَ القرآن الكريم بالبناء المحكم المرصَّف، قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]، "نُظِّمَت نظماً رصيناً محكماً لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصَّف"[٦].

مثال ذلك: قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [آل عمران:٦٤-٦٥]. ففي أثناء تفسيره لهاتين الآيتين أظهر التَّناسب بينهما فقال: فإن تولَّيتم عن التَّوحيد فقد لزمتكم

---

(١) دلائل الإعجاز، (ص: ٥٤).

(٢) انظر: دلائل الإعجاز، (ص: ٣٩).

(٣) درج الدرر، الجرجاني، (١٤٤٤/٤).

(٤) جامع البيان، (٤٦١/٢٠).

(٥) محمود بن عمر بن محمد بن عمر العلَّامة أبو القاسم الزمخشري الخوارزمي، المعتزلي، ولد سنة (٤٦٧هـ) بزمخشر، كان إمام عصره بلا منازع لتمكُّنه من علوم اللغة، والنَّحو، والتفسير، والحديث، وعلم الكلام، أطلق عليه لقب (جار الله) لأنَّه جاور مكَّة زماناً، له عدَّة مؤلَّفات، منها: "الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"، و"أساس البلاغة"، (توفي سنة:٥٣٨هـ). انظر: وفيات الأعيان، (١٦٨/٥-١٦٩)، وطبقات المفسرين، السيوطي، (١٠٣/١-١٠٤).

(٦) الكشاف، الزمخشري، (٣٧٧/٢).

الحجَّة فعليكم أن تعترفوا وتسلموا بأنَّا مسلمون دونكم، ويجوز أن يكون من باب التعريض، ومعناه: اشهدوا واعترفوا بأنَّكم كافرون حين توليتم عن الحقِّ بعد ظهوره وزعم كلُّ فريق منكم أنَّ إبراهيم كان منهم، وجادلتم رسول الله ﷺ والمؤمنين فيه، وقل لهم: إنَّ اليهودية إنَّما حدثت بعد نزول التَّوراة، والنَّصرانية بعد نزول الإنجيل، فكيف يكون إبراهيم على دين لم يحدث إلا بعد عهده بأزمنة متطاولة؟[١].

٥. **أبو بكر بن العربي (ت: ٥٤٣هـ)**[٢]: فقد أوضح منزلة هذا العلم في كتابه (سراج المريدين) بقوله: "ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتَّى تكون كالكلمة الواحدة متَّسقة المعاني منتظمة المعاني علم عظيم، لم يتعَّرض له إلا عالم واحد[٣] عمل فيه بسورة البقرة، ثمَّ فتح الله عزَّ وجلَّ لنا فيه فلمَّا لم نجد له حَمَلَةً، ورأينا الخَلْقَ فيه بأوصاف البَطَلَة، ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه"[٤]، كما أنَّه أورد بعض المناسبات في تفسيره (أحكام القرآن)، خصوصاً بين الآيات التشريعية؛ ليبين كيف أنَّ الآيات المترابطة فيما بينها تكمِّل بعض الأحكام التشريعية، وتوضِّح ما قد يكون غامضاً فيها. مثال ذلك: في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرٗا ۝١ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٖ وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٖ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجٗا ۝٢﴾ [الطلاق: ١-٢]. بيَّن ابن العربي أنَّ معنى قوله تعالى ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾ أي فطلقوهن لعدتهنَّ التي تعتبر، فيكون مقصود الطلاق والاعتداد مآله الذي ينتهي إليه، واحفظوا الوقت الذي وقع فيه الطلاق؛ لأنَّ انقضاء وقت العدَّة يعني أنَّها حلَّت للأزواج، أمَّا في أثناء العدَّة وحتَّى عند اقتراب انقضائها يبقى للزوج حق الرُّجعة أو تركها على حكم الطلاق الأوَّل؛ فيقع الفراق عند انقضاء العدَّة بالطلاق الماضي[٥].

٦. **الفخر الرازي (ت: ٦٠٦هـ)**[٦]: يُعَدُّ من أبرز المفسرين التماساً للمناسبات في تفسيره (مفاتيح الغيب أو ما يسمى بالتفسير الكبير)؛ لاعتقاده أنَّ "أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[٧]، فأكثر في تفسيره من ذكر المناسبة بين آيات ومقاطع السورة، وأيضاً بين مطلع السورة وخاتمتها، مثال ذلك: في قوله

---

(١) انظر الكشاف، (٣٧١/١).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) لم يذكر اسم هذا العالم، أو ما يدل عليه.

(٤) سراج المريدين، (١٣٩/١).

(٥) أحكام القرآن، ابن العربي، (٢٧٠/٤-٢٨٠).

(٦) سبقت ترجمته.

(٧) مفاتيح الغيب، (١١٠/١٠).

تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [آل عمران:٦٩] بيَّن أنَّ هذه الآية متعلِّقة بما قبلها فبعد أن بيَّن سبحانه أنَّ من عادة أهل الكتاب العدول عن الحقِّ، والإعراض عن قبول الحجَّة بيَّن أنَّهم لم يتوقفوا عند هذا الحد، بل أخذوا في إضلال من آمن بالرَّسول ﷺ بإلقاء الشبهات كقولهم: إنَّ موسى عليه السلام أُخبِر في التَّوراة بأنَّ شرعه لا يزول، والغرض منه تنبيه المؤمنين على أن لا يغتروا بكلام اليهود(١).

٧. **ابن الزبير (ت: ٧٠٨هـ)**(٢): يُعَدُّ أوَّل من أفرد التَّناسب القرآني في كتابٍ سمَّاه: (البرهان في تناسب سور القرآن)، فقد خصَّصه لذكر مناسبة كلِّ سورة لما قبلها، وبيان مدى الارتباط بينهم، كما ألَّف كتاباً آخر سمَّاه (ملاك التَّأويل القاطع بذوي الإلحاد والتَّعطيل)، وخصَّصه لبيان التَّناسب بين الآيات، وتوجيه المتشابهات على أساس أنَّ كلَّ آية مناسبة للسياق الذي وردت فيه، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣﴾ [الانشقاق:٢٢-٢٣]، وفي سورة البروج: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكْذِيبٍ ۝١٩ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ ۝٢٠﴾ [البروج:١٩-٢٠]، للسائل أن يسأل عن اختصاص الأول بقوله: "يكذبون" بلفظ المضارع، والثانية بقوله: "في تكذيب" بلفظ المصدر مع اتِّحاد المعنى المقصود؟ والجواب: أنَّ آية الانشقاق تقدَّمها وعيد أخروي لم يقع بعد، وهم مكذِّبون بجميعه، فجيء هنا باللفظ المقول على الاستقبال – وإن كان يصلح للحال – ليطابق الإخبار، وأمَّا آية البروج فقد تقدِّمها قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ۝١٧ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ۝١٨﴾ [البروج:١٧-١٨]، وحديث هؤلاء وأخذهم بتكذيبهم قد تقدَّم ومضى زمانه، وهؤلاء مستمرِّون على تكذيبهم، لذا جيء بالمصدر لبيان تماديهم وأنَّ ذلك شأنهم أبداً فيما أخبرهم به وفيما يدعوهم إليه وينهاهم عنه، فجيء في كلٍّ من الآيتين بما يناسب(٣).

٨. **بدر الدين الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)**(٤): الذي فصَّل الحديث عن علم التَّناسب في كتابه (البرهان في علوم القرآن) باعتباره أحد أنواع علوم القرآن، وخصَّص له فصلاً كاملاً سمَّاه (معرفة المناسبات بين الآيات) بيَّن فيه معنى المناسبة، ونشأتها، وآراء العلماء في هذا العلم، وفائدته، وأوجه التناسب.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٨/٢٥٥).

(٢) أحمد بن إبراهيم بن الزبير، العلَّامة أبو جعفر الأندلسي، ولد سنة (٦٢٧هـ)، نزيل غرناطة، الحافظ، النَّحوي، له عدَّة تصانيف، منها: "ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل"، "تاريخ علماء الأندلس"، (توفي سنة: ٧٠٨هـ). انظر: الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، (١/٩٦-٩٧)، وطبقات المفسرين، الأدنه وي، (ص:٣٩٧).

(٣) انظر: ملاك التأويل، ابن الزبير الغرناطي، (٢/٥٠٥).

(٤) سبقت ترجمته.

٩. **برهان الدين البِقَاعي (ت: ٨٨٥هـ)**[١]: يعتبر البقاعي الرَّائد في هذا المجال، له التفسير المسمَّى (نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور) التزم فيه بإبراز وجوه التَّناسب بين الآيات والسور، وكان دأب البقاعي في نظم الدُّرر أن يذكر في بداية كلِّ سورة مقصدها، ثمَّ يورد جميع أوجه التَّناسب سواء في الآية الواحدة، أو بين الآيات والمقاطع، أو بين السور، كما يورد التَّناسب بين مطلع السورة وخاتمتها، لذا فإنَّ كتابه هذا يُعَدُّ من أوسع المصادر التي تناولت المناسبة، وله أيضاً (مصاعد النَّظر في الإشراف على مقاصد السور) أورد فيه تعريف علم المناسبات، وأصلها، والدَّاعي إليها، وغايته من هذا الكتاب معرفة مقاصد السور، وبيان أثر مقصد السورة في تحقيق وحدتها وانسجامها.

١٠. **جلال الدِّين السيوطي (ت: ٩١١هـ)**[٢]: بحث في كتابه (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) العلاقة بين افتتاحية كلِّ سورة وخاتمتها. مثال ذلك: أشار إلى أوجه التَّناسب بين فاتحة سورة الزمر وخاتمتها، فقال: "في أولها: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢]، وفي آخرها: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾ [الزمر:٦٦]. وفاتحتها بدء الخلق، وخاتمتها المعاد والبعث، وفي أولها بَدْءُ الخلق: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الزمر:٥]، وفي ختامها في نهاية المعاد: ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾ [الزمر:٧٥]"[٣].

١١. **الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)**[٤]: يعتبر الآلوسي من المكثرين في الحديث عن المناسبات في كتابه: (روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني)، فكثيراً ما يذكر المناسبة بين سورتين متتاليتين، وبين ختام السورة وبداية السورة التي تليها، وبين الآيات بعضها بعضاً. مثال ذلك: قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [البقرة:٢٤-٢٥]، بعد أن بيَّن سبحانه حال الكافرين في الآخرة – وكان في ذلك أبلغ التَّخويف والإنذار– أتبعها ببيان حال المؤمنين وما لهم جرياً على السُّنة الإلهية من شَفْعِ

---

(١) سبقت ترجمته.

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السيوطي، الإمام، الحافظ، المؤرخ، والأديب، ولد في القاهرة سنة (٨٤٩هـ)، وعاش يتيماً، وحفظ القرآن الكريم قبل أن يبلغ الثامنة من عمره، واعتزل في سن الأربعين فألف أكثر كتبه، له نحو ٦٠٠ مصنف، منها: "الإتقان في علوم القرآن"، و"الأشباه والنظائر"، وكان الأغنياء والأمراء يعرضون عليه الأموال والهدايا فيردَّها، (توفي سنة: ٩١١هـ). انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، السخاوي، (٦٥/٤)، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، (٣٢٨/١-٣٣٥).

(٣) مراصد المطالع، السيوطي، (ص: ٦٢).

(٤) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء، ولد ببغداد سنة (١٢١٧هـ)، مفسِّر، محدِّث، فقيه، أديب، لغوي، من المجدِّدين في زمانه، تقلَّد الإفتاء في بغداد وعُزِل، له عدَّة مصنَّفات، منها: "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني"، و"نشوة الشمول في السفر إلى اسلامبول"، وهو عن رحلته إلى الأستانة، (توفي سنة: ١٢٧٠هـ) في بغداد. انظر: الأعلام، (١٧٦/٧)، ومعجم المؤلفين، عمر بن رضا كحالة، (١٧٥/١٢).

التَّرغيب بالتَّرهيب والوعد بالوعيد لأنَّ من النَّاس من لا ينفعه التَّخويف ولا اللطف، ومنهم عكس ذلك، فكأنَّ هذه الآية عطْفٌ على سابقتها، والتَّناسب بينهما باعتبار أنَّه بيان لحال الفريقين المتباينين(١).

١٢. **عبد الحميد الفراهي (ت: ١٣٤٩هـ)**(٢): قدَّم في كتابه (دلائل النظام) توضيحاً كاملاً عن النَّظْمِ القرآني، وبيَّن أنَّ النَّظْمَ أعمُّ من المناسبة، والمناسبة جزء منه، لأنَّ التناسب بين الآيات لا يعني أن يكون الكلام شيئاً واحداً مستقلّاً بذاته، والباحث عن التَّناسب بين آيات القرآن الكريم ربما يدرك أو يستنبط وجهاً من وجوه التَّناسب، ويغفل عن المناسبة التي يُنتظم بها الكلام كلُّه ويستقيم، وربما يُلزِم نفسه بالبحث عن المناسبة بين الآيات المتجاورة ولا يجدها، فيتوقَّف عن البحث فيها، أو ينفي وجود تناسب وانسجام بينها، والحقيقة أنَّها متَّصلة بما قبلها على بُعْدٍ منها، أَما النَّظْمُ فيعني أن تكون السورة وَحْدَة متكاملة فيما بينها، ومتناسبة مع سابقتها ولاحقتها، أو بالتي قبلها أو بعدها على بُعْدٍ منها(٣)، يضاف إلى ذلك أنَّ لكلِّ سورة موضوعاً رئيساً يسمِّيه الفراهي: (عمود السورة)، وتكون آيات السورة ذات ارتباط متكامل مع موضوعها الرئيس، ولن يتمَّ الوصول إلى معناها الكامل إلا عندما يُعرَف عمودُها(٤).

١٣. **محمد عبد الله درَّاز (ت: ١٣٧٧هـ)**(٥): عَرَضَ في كتابه (النبأ العظيم) قضية التَّناسب، وحاول تطبيقها على سورة البقرة، يقول: "إنَّك لتقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضغاثًا من المعاني حشيت حشواً، وأوزاعاً من المباني جُمِعت عفواً؛ فإذا هي -لو تدبَّرت- بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلِّية على أسس وأصول، وأقيم على كلِّ أصل منها شُعَب وفصول، وامتدَّ من كلِّ شعبة منها فروع تقصر أو تطول؛ فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرَّة واحدة، لا تُحسُّ بشيء من تناكر الأوضاع في التَّقسيم والتَّنسيق، ولا بشيء من الانفصال في الخروج من طريق إلى طريق، بل ترى بين الأجناس المختلفة تمام الألفة، كما ترى بين آحاد الجنس الواحد نهاية التضامِّ والالتحاق. كلُّ ذلك بغير تكلفة ولا استعانة بأمر من خارج المعاني أنفسها، وإنَّما هو حُسْنُ السياقة ولطف التَّمهيد في مطلع كلِّ غرض ومقطعه وأثنائه، يُريك المنفصل متَّصلاً، والمختلف مؤتلفاً"(٦).

---

(١) انظر: روح المعاني، الآلوسي، (٢٠٢/١).

(٢) سبقت ترجمته.

(٣) انظر: دلائل النظام، (ص: ٧٤-٧٥).

(٤) انظر: «السورة وحدة نصية»، مستنصر مير، ترجمة: د.حازم محي الدين، ندوة علمية، (ص: ٩).

(٥) محمد بن عبد الله درَّاز، ولد سنة (١٨٩٤م) في مصر، من كبار فقهاء وعلماء الأزهر، نال عضوية جماعة كبار العلماء، له عدَّة مؤلفات، منها: "النبأ العظيم، و"دستور الأخلاق في القرآن"، (توفي سنة: ١٣٧٧هـ- ١٩٥٨م). انظر: الأعلام، (٢٤٦/٦)، ومعجم المؤلفين، (٢١٢/١٠).

(٦) النبأ العظيم، دراز، (ص: ١٨٨).

١٤. **محمد الطاهر ابن عاشور (ت:١٣٩٣هـ)**[١]: اعتنى في تفسيره (التحرير والتنوير) بإظهار المناسبات بين الآية والتي قبلها، وجعلها جزءاً أساسياً في تفسيره، واهتمَّ ببيان مناسبات الفواصل القرآنية، والتزم بذكر أغراض كلِّ سورة في مقدمة حديثه عنها. مثال ذلك: عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة:٥] سعى لإظهار المناسبة بين هذه الآية وسابقتها، وهي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الجمعة:٤]، فقال: "بعد أن تبيَّن أنَّه تعالى آتى فضله قوماً أميين أعقبه بأنَّه قد آتى فضله أهل الكتاب فلم ينتفع به هؤلاء الذين قد اقتنعوا من العلم بأن يحملوا التَّوراة دون فهم وهم يحسبون أنَّ ادِّخار أسفار التوراة وانتقالها من بيت إلى بيت كاف في التبجح بها وتحقير من لم تكن التَّوراة بأيديهم"[٢].

١٥. **حسين الطباطبائي (ت: ١٤٠٢هـ)**[٣]: سعى في تفسيره (الميزان في تفسير القرآن) إلى بيان الغرض والمقصد الذي ترمي إليه كلُّ سورة من خلال النَّظر في بدء السورة وخاتمتها وسياقها العام[٤]، فأثناء تفسيره لسورة نوح سعى لإبراز المقصد العام الذي تدور حوله السور، فقال: "تشير السورة إلى رسالة نوح عليه السلام إلى قومه، وإجمال دعوته، وعدم استجابتهم له، ثمَّ شكواه إلى ربِّه منهم ودعائه عليه، واستغفاره لنفسه ولوالدين ولمن دخل بيته مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات، ثمَّ حلول العذاب بهم وإهلاكهم بالإغراق"[٥].

---

(١) محمد الطَّاهر بن عاشور، ولد سنة (١٢٩٦هـ) في تونس، برع في عدَّة علوم فهو: مفسِّر، لغوي، نحوي، أديب، ومن دعاة الإصلاح الاجتماعي والدِّيني، تقلَّد عدَّة مناصب: فكان رئيس المفتين المالكيين بتونس، وأحد كبار علمائها، شيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، وأدخل إصلاحات مهمة على نظام التعليم، وعُيِّنَ شيخاً للإسلام، وكان أحد أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنَّفات عدَّة، منها: "التحرير والتنوير"، و"مقاصد الشريعة الإسلامية"، (توفي سنة: ١٣٩٣هـ). انظر: تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، (٣/٣٠٤-٣٠٧)، الأعلام، (١/١٧٤).

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور، (٢٨/٢١٢).

(٣) محمد حسين الطباطبائي، المعروف بالعلَّامة الطباطبائي، ولد سنة (١٣٢١هـ) في إيران، مجتهد، فقيه، برع في تفسير القرآن بالقرآن والآية بالآية، ومن أبرز فلاسفة ومفكري الشيعة في القرن العشرين، قضى معظم حياته في تعليم المعارف الإسلامية، له عدَّة مؤلَّفات، منها: "الميزان في تفسير القرآن"، و"القرآن في الإسلام"، (توفي سنة: ١٤٠٢هـ). انظر: تذكرة الأعيان، جعفر السبحاني، (١/٤٣٢-٤٣٣).

(٤) انظر: السورة وحدة نصية، (ص: ٨).

(٥) الميزان في تفسير القرآن، حسين الطباطبائي، (٢٠/٢٩).

١٦. **أمين أحسن إصلاحي (ت: ١٩٩٧م)**[١]: انطلق من فكرة عمود السورة التي قدَّمها أستاذه الفراهي، فأخذ يبيّن عمود كلِّ سورة من سور القرآن، ويؤوِّل كلَّ سورة في ضوء عمودها، وذلك في تفسيره (تدبُّر القرآن)[٢].

١٧. **عبد الرحمن حبنكة الميداني (ت: ١٤٢٥هـ)**[٣]: اعتمد في تفسيره (معارج التَّفكر ودقائق التَّدبُّر) على تفسير سور القرآن الكريم وفقاً لترتيب نزولها، وانتهى من تفسير السور المكِّية، وتوفي في بداية تفسيره لسورة البقرة، وبيَّن علَّة اختياره لهذا المنهج بأنَّ ما وصل إليه من أنَّ الترتيب النزولي حقٌّ؛ له دلالات بنائية تكامليَّة تربويَّة متسلسلة، ويتعلَّق بحركة البناء المعرفي لأمور الدِّين، والمعالجات التربويَّة الرَّبانية للرَّسول ﷺ ولمن بعده من المؤمنين والكافرين[٤]، وسعى في تفسيره لإثبات وحدة موضوع السورة القرآنية، وبيان ارتباط جميع آياتها بهذا الموضوع، واعتنى أيضاً بجمع آيات الموضوع الواحد المذكور في القرآن كلِّه، ودراستها دراسة تكامليَّة، كما أنَّ له إشارات إلى بعض القواعد المتعلِّقة بوحدة القرآن الكريم في كتابه (قواعد التدبُّر الأمثل في كتاب الله عزَّ وجلَّ) [٥].

وبعد هذا الاستعراض لنشأة علم المناسبة، ولأبرز من اهتمَّ به نلحظ أنَّ علم التناسب علم قديم ومستمرٌّ حتَّى اليوم، أدرجه كثير من المفسرين في كتبهم، مع اختلاف أساليب عرضهم له، فمنهم من صرَّح به، ومنهم من أشار إليه، ومنهم من ركَّز على المناسبات بين الآيات أو بين السور، ومنهم من جمع بين عدَّة أنواع من المناسبات كمناسبة الفاصلة القرآنية، أو المناسبة بين مقاطع السورة، أو بين مناسبة الآيات لمقصد السورة، ومنهم من ذهب

---

(١) أمين أحسن الإصلاحي، ولد في الهند سنة (١٩٠٤م)، تلميذ عبد الحميد الفراهي، انتسب لقادة الجماعة الإسلامية في باكستان، ثم اعتزلها لدخولها المعترك السياسي والانتخابات، من كبار العلماء، برع في التفسير، والحديث، والسياسة، والدَّعوة إلى الله تعالى، واعتنى باللغة العربية عناية خاصة؛ لأنها لغة القرآن، له مؤلَّفات عدَّة، منها: "تدبُّر القرآن"، و"حقيقة الشرك والتَّوحيد"، (توفي سنة: ١٩٩٧م). انظر: «منهج الشيخ أمين أحسن إصلاحي من الاتجاه اللغوي في تفسيره تدبر القرآن»، افتخار أحمد، (ص:١٠٢-١٠٣).

(٢) انظر: السورة وحدة نصية، (ص: ٩).

(٣) عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ولد في دمشق سنة (١٣٤٥هـ)، ونشأ في بيت علم، وعمل بعد تخرجه في مديرية التَّعليم الشرعي التَّابعة لوزارة الأوقاف السورية، ثم عضواً لهيئة البحوث في وزارة التَّربية والتَّعليم في سوريا، ثم انتقل إلى السعودية فعمل أستاذاً في عدَّة جامعات هناك، وألَّف كتباً في مجالات عدَّة أثْرَت الفكر الإسلامي، منها: "قواعد التدبُّر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ"، وتفسيره "معارج التفكر ودقائق التدبُّر"، (توفي سنة:١٤٢٥هـ). انظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر، عائدة راغب الجراح، (ص: ١١-٢٠).

(٤) انظر: معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن الميداني، (ص: ٦).

(٥) انظر: عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر، (ص: ١٠٩).

إلى إثبات وحدة السورة، وجَعَلَها المبدأ الأساسي لتفسيره. وفي الحقيقة فإنَّ جميع هذه الكتب قد حوت الفائدة والنَّفع، وساهمت في توضيح وفهم مراد الله تعالى من كتابه، وأسهمت في تطوير علم التَّناسب والنَّظم القرآني.

ثانياً– المنكرون للتناسب بوصفه مبدئاً تفسيرياً:

اعترض بعض العلماء على علم التَّناسب، وأشهر من نُقِل عنهم الاعتراض عليه هما الشيخ العزُّ بن عبد السلام(١)، والإمام الشوكاني(٢)، فأمَّا العزُّ بن عبد السلام فأكَّد أنَّ "المناسبة علم حسن ولكن يشترط في حُسْنِ ارتباط الكلام أن يقع في أمر متَّحد مرتبط أوَّله بآخره فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلِّف بما لا يقدر عليه إلا برباط ركيك يُصان عنه حَسَنُ الحديث فضلاً عن أحسنه، فإنَّ القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة وما كان كذلك لا يتأتَّى ربط بعضه ببعض"(٣). وهو بقوله هذا لم يعارض وجود تناسب وارتباط بين الكلام بالمطلق، ولكن اشترط أن يقع في أمر متَّحد، واعتبر ما سوى ذلك تكلُّفاً.

وأمَّا الشوكاني فقد ذهب إلى أنَّ البحث في التَّناسب هو استغراق الوقت في فن لا فائدة منه، ولم يقف عند هذا الحدِّ بل هاجم أئمة التفسير القائلين بالتَّناسب، وعدَّ الآخذين بهذا العلم بأنَّهم خاضوا في بحر لم يُكلَّفوا سباحته، وشغلوا أوقاتهم في علم لا فائدة منه، وأوقعوا أنفسهم في التَّكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلِّقة بكتاب الله سبحانه، وجاؤوا بتكلُّفات وتعسُّفات يتنزه عنها البلغاء فضلاً عن كلام الله تعالى(٤).

---

(١) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد بن مهذب السلمي، ولد سنة (٥٧٧هـ أو ٥٧٨هـ)، شيخ الإسلام، سلطان العلماء، إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المطَّلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها، لم يُرَ مثله علماً وورعاً وقياماً في الحقِّ، من أشهر مؤلَّفاته: "قواعد الأحكام في إصلاح الأنام"، و"الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز"، (توفي سنة: ٦٦٠هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، (٢٠٩/٨)، وطبقات المفسرين، الأدنه وي، (ص:٢٤٢).

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه، مجتهد، ولد بصنعاء سنة (١١٧٣هـ)، وتلقَّى العلم فيها حتَّى أصبح من كبار علماء اليمن، وولِّي قضاءها ومات حاكماً لها، من أشهر مؤلَّفاته: "فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدِّراية من علم التفسير"، و"نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار"، (توفي سنة: ١٢٥٠هـ). انظر: البدر الطالع، (٢١٥/٢)، والأعلام، (٢٩٨/٦).

(٣) البرهان (٣٧/١)، والإتقان (٣٧٠/٣).

(٤) انظر: فتح القدير، الشوكاني، (٧٢/١-٧٣).

ثالثاً– الرَّدُّ على المنكرين للتناسب بوصفه مبدئاً تفسيرياً:

١. إنَّ القرآن الكريم كلام الله تعالى المتَّصف بالكمال والمنزَّه عن النقص، وقد أجمع العلماء على أنَّ القرآن الكريم معجز في أسلوبه ومعانيه، مما يقتضي أن تكون آياته متآلفة، وأجزائه مترابطة، لأنَّ التفكُّك وعدم الارتباط يوجب ضعف الكلام، والقول بوجود تناسب بين آياته وسوره أمر يحتِّمه الاعتقاد بتنزيه كلام الله سبحانه وتعالى عن الفوضى والتَّناقض. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

٢. إنَّ هذين الشيخين لم ينكرا النِّظام في جميع القرآن الكريم، وإنَّما أنكرا تصوُّره الواسع الشامل الذي يتناول القرآن الكريم على أنَّه سلسلة متماسكة الحلقات، آخذ بعضها برقاب بعض، وذلك لأنَّ النِّظام لم يتضح لهما في كثير من المواطن، فأرادوا تبرئة كلام الله تعالى عن كلِّ عيب؛ لأنَّهم لو ادَّعوا النِّظام وخُفِي عليهم في بعض المواضع –لغموضه ودقَّته– لاضطروا للقول بعدمه، لذا وجدوا من الأسلم ترك هذا المسلك بدلاً من إحالته على قصر أفهامهم(١).

ولكنَّنا نجد أنَّ هذا الإنكار لا يقوى ليكون دليلاً وحجَّةً، ثمَّ إنَّ ظهور بعض الشيء دون بعض لا ينهض دليلاً على وجود بعضه دون بعض، كما أنَّه لا ينبغي لنا إنكارُ الشيء بحجَّة أننا لم نُحِط بجميع جوانبه، وطالما أنَّه قد ظهر لهم النِّظام في بعض المواطن فلابد من البحث عنه في المواطن الأخرى(٢).

٣. إنَّ الإمام الشوكاني له فضله ومكانته، وعبارته هذه لا تكفي للقطع بأنَّه من المعارضين للتناسب، لأنَّه قد اعتمده في تفسيره، بل لا يكاد يجد فرصة لإبراز النِّظام إلا وينتهزها ويقف عندها، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٣٣]، "لما فرغ سبحانه من بيان أنَّ الدِّين المرضي هو الإسلام، وأنَّ محمداً ﷺ هو الرَّسول الذي لا يصحُّ لأحد أن يحبَّ الله إلا باتباعه، وأنَّ اختلاف أهل الكتابين فيه إنَّما هو لمجرد البغي عليه والحسد له، شرع في تقرير رسالة النَّبيِّ ﷺ، وبيَّن أنَّه من أهل بيت النبوَّة ومعدن الرِّسالة"(٣).

وأيضاً في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨]، "لما ذكر سبحانه حكم من يأخذ المال جهاراً وهو المحارب، عَقِبه بذكر من يأخذ المال خفية وهو السارق"(٤).

---

(١) انظر: دلائل النظام، (ص: ٢٣).

(٢) انظر: إمعان النظر في نظام الآي والسور، (ص: ٤٣).

(٣) فتح القدير، (٣٨٢/١).

(٤) انظر: فتح القدير، (٤٦/٢).

٤. إنَّ اعتراضهم حول كيفية البحث عن التَّناسب بين الآيات وهي قد نزلت منجَّمة حسب الوقائع، بل حتَّى أنَّ هناك حوادث متخالفة باعتبار نفسها كتحريم أمر كان حلالاً، أو تحليل أمر كان حراماً، فهذا لا يُسلَّمُ به، إذ نقول: إنَّ القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، وهو قديم بقِدَمِه، وقد أُنزِل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزَّة في السماء الدُّنيا، ثمَّ نزل منجَّماً بحسب الوقائع والحوادث وفي أزمنة متباعدة، ثمَّ جمع في الصدور والسطور وفقاً لما هو عليه في اللوح المحفوظ حيث كان جبريل عليه السلام يخبر رسول الله ﷺ بموضع كلِّ آية في سورتها، مما يدلُّ على أنَّ ترتيب السور كان توقيفياً عن رسول الله ﷺ، ولا خلاف في هذا بين المسلمين. يقول الطِّيبي رحمه الله[١]: "أُنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثمَّ نزل مفرقاً على حسب المصالح ثمَّ أثبت في المصاحف على التَّأليف والنَّظم المثبت في اللوح المحفوظ"[٢]. وهذا يؤكِّد لنا أنَّ هذا الترتيب مبني على حِكَمٍ عظيمة تتمثَّل في هذا التَّناسب الكامن في آيات وسور القرآن الكريم. يقول الزركشي ذلك نقلاً عن بعض مشايخه المحقِّقين "قد وَهِمَ من قال: لا يُطلَب للآي الكريمة مناسبة لأنَّها على حسب الوقائع المتفرِّقة، وفَصْلُ الخطاب أنَّها على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً، فالمصحف كالصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتَّبة سوره كلُّها وآياته بالتَّوقيف، وحافظ القرآن العظيم لو استفتي في أحكام متعدِّدة أو ناظر فيها أو أملاها لذَكَرَ آيةَ كلِّ حُكم على ما سُئِل وإذا رجع إلى التَّلاوة لم يتل كما أفتى ولا كما نزل مفرَّقاً بل كما أنزل جملة إلى بيت العزَّة"[٣]. ويؤكِّد على ذلك الدكتور محمد عبد درَّاز حيث قال: "إن كانت بعد تنزيلها – أي الآيات والسور — قد جُمِعت عن تفريق، فلقد كانت في تنزيلها مُفرَّقة عن جمع"[٤].

٥. أمَّا ما دفعهم للقول بأنَّ البحث في المناسبة هو تكلُّف لا فائدة منه فهو أنَّ الذين تبنَّوا هذه الفكرة لم يتعاطوها على وجهها، ولم يراعوا طبيعتها، وإنَّما نهضوا لخدمة هذه الفكرة قبل أن يستعدِّوا لها، ويضعوا لها أُسسها، ويرسموا ملامحها التي تعصمهم من الحيرة، وتقيمهم على الجادة، مما جعل كثيراً من جهودهم تخطئ الهدف، ويغلب عليها التَّعسُّف والتَّكلُّف[٥].

---

(١) الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدِّين الطِّيبي، عالم في الحديث والتفسير والبيان، كان محبَّاً للخير، وأنفق جميع أمواله في وجوه الخير وعلى ذوي الحاجة من طلاب العلم، حتَّى افتقر في آخر عمره، عُرِفَ بشدة ردِّه على المبتدعة، وكان علامة فارقة في استخراج الدَّقائق من الكتاب والسُّنَّة، من مؤلَّفاته: "الخلاصة في معرفة الحديث"، و"حاشية الكشاف"، (توفي سنة: ٧٤٣هـ). انظر: طبقات المفسرين، للأدنه وي، (ص:٢٧٧)، والبدر الطالع، (٢٢٩/١).

(٢) الإتقان، (٢١٧/١).

(٣) البرهان، (٣٧/١).

(٤) النبأ العظيم، (ص: ١٨٨).

(٥) انظر: إمعان النظر في نظام الآي والسور، (ص: ٣٩).

إذاً: نحن نُسلِّم أنَّ بعض المفسرين قد تكلَّفوا أحياناً في البحث عن وجه المناسبة بين الآيات والسور، وخرجوا منها بتكلُّفات وتعسُّفات لا تنسجم مع طبيعة القرآن وجمال أسلوبه، ولكن تكلُّف فئة من المفسرين لا ينبغي أن يكون ذريعة لردِّ الوجوه المعقولة المقبولة التي ذكرها الآخرون(١).

٦. وقول الشوكاني بأنَّ الكلام عن علم المناسبة هو كلام بمحض الرأي المنهي عنه، فنقول: إنَّ إعمال الرأي في القرآن الكريم جاء ذمُّه، وجاء أيضاً ما يقتضي إعماله، فما كان موافقاً لكلام العرب وموافقاً للكتاب والسُّنَّة فهذا لا يمكن إهمال مثله، أمَّا الرأي غير الجاري على كلام العرب، أو غير الجاري على الأدلَّة الشرعية فهذا هو الرأي المذموم(٢).

إذاً: نحن نتفق مع الشوكاني في أنَّ التَّكلُّف منهي عنه في التفسير، وأنَّه لا يجوز التَّكلُّم بمحض الرأي المنهي عنه، ولكن الرأي المنهي عنه هو الرأي الذي ليس فيه التزام بضوابط التفسير –أي لا أصل له في الكتاب والسُّنَّة أو أساليب اللغة–، أو الذي فيه اتِّباع للهوى، مثل: أن تكون الآية محتملة لوجوه من التَّأويل فيحملها على ما يوافق هواه، ويهمل الوجوه الأخرى، وإن كانت تلك الوجوه أوفق لنظم الآية وسياقها، وكانت أوجه وأقوى حسب قواعد اللغة وأساليبها.

أمَّا الكلام في التَّناسب بين الآيات والسور فإن كان مستنداً إلى دلائل معتبرة بحيث يتَّفق مع سياق الآيات ولا يتعارض مع صحيح الرِّوايات، ويتماشى مع طبيعة اللغة، فلا يقال عنه إنَّه تفسير بالرأي، إذ لا حرج فيه، بل لا غنى عنه لأيِّ مفسر، لأنَّه يعين على فهم المعنى، والتَّرجيح بين الآراء، ومعرفة المقاصد العامة للآيات والسور.

والمناسبات التي ذكرها علماء التفسير في كتبهم تُعَدُّ من المناسبات المعتبرة التي يقبلها العقل، وإن وقع بعض المفسرين بأخطاء أو خفيت بعض المناسبات عليهم فلا ينبغي علينا إنكارها أو نفيها بالجملة، لأنَّ المناسبة قد تكون واضحة جليَّة، وقد تحتاج إلى تأمل وتدبُّر، وعلى الباحث أن يبذل قصارى جهده للتعرف على وجه المناسبة بين الآيات، فإن ظهر له شيء منها فذلك نعمة من الله تعالى، وله أن يصرّح بها، وإن خفي عليه وجه المناسبة فعليه أن يمسك ولا يتكلَّف، ويترك ما خفي عليه إلى مُنَزِّل الكتاب الذي أمر بترتيبه على هذا الشكل.

يقول الفراهي: "لما رأى أهل السُّنَّة أنَّ أهل البدعة والباطل جعلوا يؤوِّلون القرآن بالهوى ويحمِّلون النصوص على غير مرادها؛ تحرَّجوا الاشتغال بالأقاويل في التفسير؛ إلَّا ما روي عن الصَّحابة والتَّابعين، ولا شكَّ أنَّهم لم يريدوا بذلك إلا سدَّاً لأبواب الفتنة، وكان ذلك هو الطَّريق، فإنَّ التَّأويل إذا لم يؤسَّس على قواعده التي

---

(١) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، (ص: ٦٥).

(٢) انظر: الموافقات، الشاطبي، (٤/٢٧٦-٢٨٠).

تكون فارقة بين الحقِّ والباطل؛ لم يمنع عن القول بالرأي المحض. وأمَّا الصَّحابة والتَّابعون؛ فأوَّلوا القرآن بالعلم والنَّظر الصَّحيح، فإن تصفَّحنا الأصول التي جروا عليها كانت لنا أسوة حسنة في تدبُّر كتاب الله، وقد جَمَعَ أهل التَّأويل نُبَذاً من أقوالهم، ولكنهم لم يجمعوا أصول تدبُّرهم، والحاجة إلى ذلك شديدة؛ فإنَّ الله أوجب التَّفكر في كتابه بصريح القول في غير ما آية، وقد حثَّ النَّبيُّ ﷺ على ذلك، وعلَّمهم النَّظر والاستنباط، وكان ذلك مما فرض الله عليه. وإذ غلب على أكثر النَّاس أنَّ القول بما لم يُروَ عن السَّلف هو القول بالرأي؛ فصار ذلك مانعاً عن التَّفكر والتَّدبُّر، احتجنا إلى بيان الفرق بين القول بالرأي المنهي عنه وبين طريق السَّلف الذين تفكَّروا وتدبَّروا في القرآن الكريم، وإلى بيان الحاجة الشَّديدة إلى استعمال الفكر والتدبُّر في كتاب الله. من العجائب بل من المصائب أن يشتبه الحقُّ بالباطل عند أهل الحقِّ؛ فيتعصَّبون للباطل، ويعثرون في وضح النهار بعدما جاءتهم البينات ضمن ذلك، وهم بذلك قد حُرِموا الفكر والنَّظر في آيات الله المشهودة والمتلوَّة، وجعلوا السُّنَّة بدعة والبدعة سنَّة، وذلك بعد أن علموا أنَّ القرآن قد حثَّ على الفكر والتَّدبُّر في كليهما، وأنَّ الصحابة –رضي الله عنهم– كانوا يتدبَّرون القرآن، ويقولون بما فهموا منه وينقلون ذلك عنهم"[١].

ومن خلال ما سبق يتبيَّن لنا أنَّ مَنْ منع هذا العلم لم يمنعه بالكلِّية، بل أتوا به في كتبهم، ولعلَّ ما أظهروه من اعتراضات كانت بسبب ما وجدوه من تكلُّف في طلبه عند البعض، وعليه فإنَّ هذه الاعتراضات لا تلغي أهمِّية علم المناسبة مادام الرَّبط بين الآيات والسور بعيداً عن التَّكلُّف والتَّعسُّف.

(١) انظر: التكميل في أصول التأويل، الفراهي، (٨-٩).

المطلب الثالث: تعريف التكامل في القرآن الكريم، وأهمّيته.

إنَّ المتدبِّر للقرآن الكريم، والمتتبّع لموضوعاته لابد أن يلحظ تكاملاً بين الآيات القرآنية المتعلِّقة بذات الموضوع، ويستبعد التكرار، فكلُّ نصٍّ من النُّصوص الواردة حول موضوع واحد يُشكِّلُ حلقة من حلقات الموضوع، ويمتاز ببيان فكرة إذا انضمَّت إلى سائر الأفكار التي أبانتها النُّصوص الأخرى تكامل بيان الموضوع بكلِّ عناصره، ومن كلِّ جوانبه، وقد يهتدي المتدبِّر لكتاب الله تعالى إلى ملاحظة التَّكامل بين آيات الموضوع الواحد الموزَّعة في السور، وقد لا يهتدي لخفاء دلالاته، ولكنَّ خفاءه لا ينفي وجوده؛ لأنَّ كتاب الله منزَّهٌ عن كلِّ عيبٍ ونقص.

وكذلك الأمر بالنِّسبة للقصة القرآنية، فهي لم ترد متتالية الأحداث، كما هو حال القصة الفنِّية، وإنَّما جاءت موزَّعة على مقامات تناسبها، ومواطن تقتضيها، وهذه ميزة في القصة القرآنية امتازت بها عن غيرها من القصص الفنِّية، فالمصوِّر إذا أراد تقديم صورة كاملة حول شيء معين لابد أن يلتقط له صوراً في عدَّة أوضاع، وفي عدَّة اتِّجاهات حتَّى يستطيع إيصال الرِّسالة الصَّحيحة من الصورة الملتقطة، وكذلك حال القصة في القرآن الكريم، فالتكرار أمر لازم، ونزول حلقات القصة منجمة ومفرَّقة خلال سنوات الدَّعوة ألزم[١].

يقول ابن عاشور "لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفرَّقة موزَّعة على مقامات تناسبها، لأنَّ معظم الفوائد الحاصلة منها لها علاقة بذلك التَّوزيع، هو ذِكْرٌ وموعظة لأهل الدِّين فهو بالخطابة أشبه"[٢].

أولاً– تعريف التَّكامل الموضوعي:

التَّكامل لغة: الكمال: التَّمام، وقيل: التَّمام الذي تجزأ منه أجزاؤه، وتكامل الشيء وأكملته أنا أي أَجْمَلْتُهُ وأَتْمَمْتُهُ[٣]، و"كمال الشيء: حصول ما فيه الغرض منه، وقوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة:٢٣٣] تنبيهاً أنَّ ذلك غاية ما يتعلَّق به صلاح الولد"[٤].

---

(١) انظر: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، محمد محمود حجازي، (ص: ٨٩).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٦٤/١).

(٣) انظر: تهذيب اللغة، أبو منصور الهروي، (١٤٨/١٠)، ولسان العرب، (٥٩٨/١١)، مادة (كَمَلَ).

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، (ص: ٧٢٦)، مادة (كَمَلَ).

الموضوعي لغة: أصله من الوَضْعُ، وهو ضد الرفع، والمَوْضِعُ: المكان، وإِنَّه لحَسَنُ الوِضْعةِ أَي الوَضْعِ، ووضع عنه الدَّينَ والدم أسقطه عنه(١)، و"الموضوع: المادة التي يبنى عليها المتكلم أو الكاتب كلامه"(٢).

ومما تقدَّم يتبيَّن أنَّ التَّكامل الموضوعي هو: المادة أو الفكرة المتكاملة الأجزاء والمعاني.

التَّكامل الموضوعي في القرآن الكريم: تتبُّع الموضوعِ الواحدِ في كلِّ النُّصوص القرآنية المتعلِّقة به، واستخراج تكامل دلالاتها، واستبعاد التكرار ما أمكن، فالأصل التَّأسيس لا التَّأكيد(٣).

وبعد عرض مفهوم التَّكامل الموضوعي في اللغة والاصطلاح يمكن القول بأنَّ هناك توافقاً بين المعنيين، فكلاهما يدلُّ على أنَّ التَّكامل الموضوعي: هو تمام المعاني والتقاء جميع أركانها لتحقيق المقصد منها على أكمل وجه. أو: هو علم يقوم على تتبُّع قضية قرآنيَّة واحدة، أو أجزاء قصة واحدة في جميع السور القرآنية، وبيان مدى اكتمال هذه القضية أو القصة القرآنية بعد ضمِّ كلِّ أجزائها وتركيبها في نسيج واحد.

ثانياً– أهمية مبدأ تكامل النُّصوص القرآنية:

١. فهم كتاب الله تعالى على أساس أنَّه وحدة مجتمعة، وأنَّ كلَّ جزء من الموضوع يملأ فراغاً من الموضوع العام.
٢. تأكيد بعض المعاني القرآنية، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان:٣٢] "التَّرتيل: التَّفريق بين الشيء المتتابع"(٤)، و"التَّرتيل في الكلام: أن يأتي بعضه على أثر بعض على تؤدة وتمهَّل"(٥)، وعند جمع المتفرِّقات تكتمل المعاني القرآنية، وتترسَّخ في الذهن، وكذلك القصص القرآني، فإنَّ اتِّساع الأمر في تكرير هذه القصص والأنباء مع تغاير أنواع النَّظم وبيان وجوه التَّأليف، يُظهر الإعجاز في إخراج صور متباينة في النَّظم بمعنى واحد(٦).
٣. بيان الدلالات الخاصة التي انفرد به كلُّ نص، بدلاً من إحالته إلى التكرار بحجَّة أنَّه سيق للتأكيد، أو لأغراض تربويَّة، مع أنَّ التَّأكيد والأغراض التربويَّة لا تلغي فهم الفكرة المضافة من النَّص الجديد.
٤. التَّنبه للمعنى المضاف الذي اشتملت عليه النُّصوص الأخرى.

---

(١) انظر: لسان العرب، (٣٩٦/٨)، مادة (وَضَعَ).
(٢) المعجم الوسيط، (١٠٤٠/٢)، مادة (وَضَعَ).
(٣) انظر: قواعد التدبر الأمثل، (ص: ٣٨).
(٤) المحرر الوجيز، ابن عطية، (٢٠٩/٤).
(٥) مفاتيح الغيب، (٤٥٧/٢٤).
(٦) انظر: البرهان، (٢٨/٣).

ومما سبق نستنتج أنَّ التَّكامل في القرآن الكريم يقوم على جمع كلِّ النُّصوص المتعلقِّة بموضوع واحد، وتدبُّرها مجتمعة، حتَّى لا يطغى بعضها على بعض، ولا يتجاوز حدود مكانه الخاص ليأخذ مكان غيره(١).

المطلب الرابع: دراسة التَّكامل في القصة القرآنية، والفرق بينه وبين التناسب.

أوَّلاً– وجوه الحاجة إلى دراسة التَّكامل في القصة القرآنية.

قد يكون للجملة القرآنية ارتباط بما تفرَّق في القرآن الكريم من معان، هذه المعاني تصبُّ جميعها لتحقيق موضوع واحد، مما يحتِّم على المتدبر لكتاب الله عزَّ وجلَّ أن يتتبَّع النُّصوص التي تشترك ولو بوجه من الوجوه مع المعنى الذي يبحث عنه في موضوع واحد، ليكتشف موقع هذا المعنى من جملة الموضوع. فقد يظهر أنَّ هذا المعنى يشكِّل مع سائر المعاني الموزَّعة في القرآن الكريم حول ذلك الموضوع موضوعاً متكامل العناصر، وقد يكون المعنى مكرَّراً، ولكنَّه تكرر لكي يخدم الموضع الذي ذُكِر فيه، وليُظِهر ارتباطه مع موضوعات السورة ومقاصدها(٢)، ونحن عندما نقوم بدراسة القصة في السورة نجد أنَّ معناها منسجم مع بقية معاني السورة، وبضمِّ تلك المعاني إلى بعضها البعض يتمُّ تحقيق الغرض من ذكرهم، وفي نفس الوقت نجد أنَّ القصة في حد ذاتها غير مكتملة المعنى في السورة، بل تحتاج إلى إطلاق أو تخصيص، أو زيادة أو نقصان، أو إجمال أو تفصيل، مما يجعل البحث عمَّا يُكمِّلها في سور أخرى أمراً حتمياً، وإذا أمعنا النَّظر في نفس القصة ولكن في سورة ثانية نجد أنَّ الأمر كذلك، ولكنها قد ذُكرت بنظم وأسلوب وسرد مختلف(٣)، فالقصة الواحدة قد تذكر بعدَّة أساليب، إلا أنَّها في كلِّ سورة تكون موضوعة في مكانها الملائم لها، وفي كلِّ موضع تكون متناسبة مع جيرانها، ومَّتفقة مع الغرض الذي سيقت من أجله السورة(٤)، فالغاية من تكرار القصة الواحدة إبراز الموضوع من زوايا مختلفة، وبوجوه متعددة(٥)، وعند النَّظر لها من جميع زواياها، وجمع تلك الزوايا في إطار واحد نكون قد شكَّلنا رؤية تكامليَّة تساعدنا في فهم مراد الله تعالى من إيراد تلك القصة في كتابه الكريم.

---

(١) انظر: قواعد التدبر الأمثل، (ص: ٤١-٤٢).

(٢) انظر: قواعد التدبر الأمثل، (ص: ٩-١٠).

(٣) انظر: الوحدة الموضوعية، (ص: ١١٣-١١٤).

(٤) انظر: الوحدة الموضوعية، (ص: ٦٤).

(٥) انظر: الوحدة الموضوعية، (ص: ١١٣-١١٤).

ثانياً– الفرق بين التناسب والتكامل في القرآن الكريم.

	التَّناسب	التَّكامل
الأساس	دراسة ارتباط جزء من السورة، أو قضية من قضاياها ببقية أجزاء السورة نفسها.	دراسة ارتباط جزء من السورة ببقية الأجزاء المتعلِّقة به والواردة في جميع القرآن الكريم.
الحدود:	لا تتجاوز حدوده: ١. أجزاء الآية الواحدة. ٢. مقاطع أو موضوعات السورة الواحدة. ٣. السورة مع سابقتها أو لاحقتها.	التَّكامل أوسع نطاقاً من التَّناسب، فهو يمتدُّ ليشمل جميع أجزاء الموضوع الواحد الوارد ذِكْرُه في جميع سور القرآن الكريم.

المبحث الثاني: القصة في القرآن الكريم

وفيه عدَّة مطالب:

المطلب الأوَّل: مفهوم القصة القرآنية، وأهميتها، ومقاصدها.

المطلب الثاني: بنية القصة القرآنية، ومنهج القرآن الكريم في عرضها.

المطلب الثالث: نبذة عن جهود العلماء في دراسة القصة القرآنية.

المبحث الثاني: القصة في القرآن الكريم

لما كانت القصة القرآنية بوصفها جزءاً من بنية السورة تأتي شأنها شأن بقية أجزاء السورة منسجمة مع المقصود الرئيس للسورة، وبالقدر الذي يكفي لتحقيق هذا المقصد، وتتناول الحلقة التي تتَّفق معه، فلا عجب أن نجد السورة تعرض القصة كاملة، أو تعرض جزءاً منها، وذلك بما يتناسب مع المقصود الرئيسي الذي تدور حوله السورة، وهذا ما سنعرضه في هذا المبحث بعد التَّعرف عن مفهوم القصة.

المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية، وأهمِّيتها، ومقاصدها.

أولاً– تعريف القصة:

الْقِصَّة: هي الأمر والخبر، والْقَصُّ: تتبُّع الأثر، يقال: قَصَصْتُ أثره، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾ [القصص:١١]: أي تتبعي أثره، وقَصَّ عليه الخبر: أعلمه به وأخبره، وقَصَصتُ الحديث: رويته على وجهه(١)، والقَصُّ أيضاً: البيان، لذا كان معنى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [يوسف:٣]: أي نبيِّن لك أحسن البيان. والْقَصَصُ: الأخبار المتتبَّعة، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [آل عمران:٦٢](٢).

والقَاصُّ: الذي يأتي بالقصة على وجهها متتبِّعاً معانيها وألفاظها، ويقال أيضاً للقاصِّ أنَّه قاصٌّ لاتِّباعه خبراً بعد خبر، وسوقه الكلام سوقاً(٣). "ومن ذلك اشتقاق القِصَاصِ في الجِرَاحِ وذلك أنَّه يُفعَلُ به مثلُ فعله بالأوَّلِ فكأنَّه اقتص أثره"(٤).

وأشار محمد محمود حجازي(٥) إلى المعنى اللغوي للقصة بقوله: "إنَّ الاشتقاق اللغوي للقصة يفيد أنَّها كشفت

---

(١) انظر: الكليات، أبو البقاء الحنفي، (٧٣٤/١)، وتاج العروس، (٩٨/١٨-٩٩)، مادة (قَصَصَ).

(٢) انظر: المفردات في غريب القرآن، (ص: ٦٧١)، مادة (قَصَصَ).

(٣) انظر: لسان العرب، (٧٤/٧)، تاج العروس، (٩٩/١٨)، مادة (قَصَصَ).

(٤) معجم مقاييس اللغة، (١١/٥)، مادة (قصَّ).

(٥) محمد محمود يوسف حجازي، الشَّافعي، الأزهري، لُقِّب بمحمد الزَكي، أحد علماء الأزهر الشَّريف، ومن المفسرين المعاصرين، ولد بمصر سنة (١٣٣٢هـ-١٩١٤م)، نال درجة الدكتوراه في التفسير والدراسات القرآنية، وعَمِلَ مدرِّساً في قسم التفسير والدراسات القرآنية في جامعة الأزهر الشريف، ثمَّ انتقل إلى السودان، وقام بالتدريس في جامعة أم درمان الإسلامية، من مؤلفاته: "التفسير الواضح"، و"الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم"، القصص القرآني في القرآن الكريم، (توفي سنة: ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م). انظر: مناهج المفسرين، د. منيع عبد الحليم محمود، (ص: ٣٧٧-٣٧٨)، والعالم المفسر الدكتور محمد محمود حجازي، طارق طه مكرم الله، رابط

عن آثار مضت، ونقَّبت عن أحداث نسيها النَّاس، أو غفلوا عنها، وغاية ما يراد من ذلك، هو إعادة عرضها من جديد لتذكير النَّاس بها، ولفتهم إليها لتكون العبرة والعظة"(١).

ومما تقدم يتبيَّن لنا أنَّ:

١. القصة تقوم على التتبُّع، سواء كان مادياً كقصِّ الأثر، أو معنوياً كقصِّ الأخبار.
٢. القصة لابد أن تقوم على تتبُّع الأخبار وسرد الوقائع والأحداث على وجهها الصَّحيح الذي حدثت عليه.
٣. لابد من المساواة عند تتبُّع أخبار القصة، فلا يزيد القاصُّ شيئاً من الأحداث والإضافات على أصل القصة، ولا ينقص شيئاً من تفاصيلها.
٤. للقصة أهداف ومقاصد يسعى القاصُّ للوصول إليها من خلال عمله القصصي.

القصة القرآنية:

وردت عدَّة تعريفات للقصة القرآنية، منها:

"الخبر المشتمل على المعاني المتتابعة"، وهو: "مجموع الكلام المشتمل على ما يهدي إلى الدين، ويرشد إلى الحقِّ ويأمر بطلب النَّجاة"(٢).

"ما حدث من أخبار القرون الأولى في مجالات الرِّسالات السماوية، وما كان يقع في محطيها من صراع بين قوى الحق والضلال، وبين مواكب النور وجحافل الظلام"(٣).

هي إخبار عن أحوال الأمم الماضية، والنُّبوات السَّابقة، والحوادث الواقعة، وتاريخ الأمم، وذِكْرِ البلاد والديار، وتتبُّع آثار كلِّ قوم، ونقل ما كانوا عليه(٤).

وهي "ليست عملاً فنياً مستقلاً، أو تأريخياً لمجرد التأريخ، أو سرداً لمجرد التسلية والمتعة الفنية، وهي ذات خصائص فنية راقية وتأثير فذٍّ في المتلقي، فإنَّها صدق لا خيال فيها، وحق لا زيغ فيها"(٥).

المقال: https://islamsyria.com/ar

(١) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، (ص: ٢٨٩).
(٢) مفاتيح الغيب، (٢٥٠/٨).
(٣) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبد الكريم الخطيب، (ص: ٤٠)
(٤) انظر: مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، (٣١٦/١).
(٥) قصص القرآن الكريم صدق حدث، فضل عباس، (ص:٤٣).

ومن خلال التَّعريفات السابقة للقصة القرآنية يمكن القول بأنَّ القصة القرآنية: هي تتبُّع أخبار وأحوال الأمم الماضية للتوصل إلى الغايات الدِّينية التي سيقت من أجلها.

ثانياً– أهمِّية القصة القرآنية:

لم ترد القصة القرآنية للفت الأنظار، وتجديد النشاط فقط، بل تظهر أهمية القصة القرآنية في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [يوسف:٣] فعلمنا من قوله ﴿أَحْسَنَ﴾ أنَّ الغرض الأساسي من ذِكرِها ما حوته من عِبَر جمَّة وفوائد للأمَّة، وإلَّا لتساوت القصة القرآنية مع غيرها من القصص الحسنة الصادقة، وهذا ما يفسِّر أيضاً كون القرآن الكريم يأخذ من كلِّ قصة أشرف مواضيعها ويُعرِض عمَّا سواه؛ ليكون تَعرُّضُه للقصص منزَّهاً عن قصد التمتُّع بسماعها فحسب، ومن أجل ذلك كلِّه لم تأت القصص في القرآن متتالية متعاقبة في سورة أو سور كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفرَّقة موزَّعة على مقامات تناسبها، لأنَّ معظم الفوائد الحاصلة منها لها علاقة بذلك التَّوزيع، وسوق القصة في مناسبتها يكسبها صفتين: صفة البرهان(١)، وصفة التِّبيان(٢) (٣).

ويمكن تلخيص أبرز جوانب أهمِّية القصة القرآنية في العناصر الآتية:

١. توضيح أسس الدَّعوة إلى الله تعالى، وبيان أصول الشرائع التي بُعِثَ بها كلُّ نبيٍّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥].
٢. التَّصديق بما جاء به الأنبياء السابقون وتخليد آثارهم.
٣. جذب العقول، وتحريك الشعور، وترسيخ العِبَر في النُّفوس في سبيل تمتين ثوابت الإيمان والتَّوحيد والنُّبوَّة والبعث والنُّشور: ونجد ذلك من خلال تكرار بعض من جوانب القصة القرآنية في أكثر من موضع، أو عرضها من عدَّة زوايا، مما يسهم في ترسيخها في العقل والوجدان، والتَّوصل لدروس وعِبَرٍ جديدة في كلِّ عرض جديد لها، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [يوسف:١١١]، فالمتفكِّر في القصص القرآني يجد فيه كنوزاً من العِبَر والدلالات المختلفة، سواء أكانت دلالات عقلية أم عقدية أم علمية أم تاريخية أم أخلاقية، وليس مجرد سرد لتاريخ الأمم والأشخاص.

---

(١) فهي تبرهن على أنَّ القرآن الكريم إلهي المصدر، وكلامه معجز، وليس من صنيع البشر.
(٢) تُبيِّن العظات والعِبَرَ من سَوقِها.
(٣) انظر: التحرير والتنوير، (٦٤/١).

٤. إقامة الحجَّة على أهل الكتاب فيما كتموه من البيّنات والهدى، وتحدّيهم بالإخبار عمَّا كان في كتبهم قبل التَّحريف والتَّبديل، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:٩٣][(١)].

٥. تحذير المسلمين من الوقوع بما وقع به بنو إسرائيل، وهي من الفوائد العظمى من ذِكْرِ قصص القرآن [(٢)].

٦. بيان سنن الله تعالى في الاجتماع البشري، وتأثير أعمال الخير والشر في الحياة الإنسانية، للاعتبار بما جرى للهالكين، والاقتداء بالصَّالحين[(٣)].

٧. بيان سنَّة الله تعالى في الأمم الماضية، وعاقبة أمرهم مع الرُّسل[(٤)].

٨. بيان أسباب هلاك الأمم من ترف، وطغيان، وظلم، واستعباد فكري، وإلى غير ذلك من أسباب كثيرة تذكر في ثنايا القصة القرآنية.

٩. تربية الإنسان على سلوك خير المسالك للارتقاء بنفسه ومجتمعه إلى أعلى الدَّرجات في الدنيا والآخرة، والسمو في جميع مناحي الحياة روحياً، خُلقياً، اجتماعياً.

١٠. في القصص الكثير من الحقائق العلمية المتعلِّقة بالكون، والإنسان، والحياة، والسماوات، والأرض، والتي تكتشف يوماً بعد يوم مع ازدياد التطور العلمي[(٥)].

ثالثاً– مقاصد القصة القرآنية:

لم تذكر القصة القرآنية لزيادة جمالية النص القرآني، أو لغرض التأريخ، أو لمجرد المتعة الفنية، وإنَّما جاءت لتحقيق أهداف ومقاصد عديدة منها:

١. تثبيت العقيدة السليمة في النُّفوس: لذا كانت ترد كثيراً من قصص الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة، ومكرَّرٌ فيها العقيدة الأساسية؛ لترسخ الإيمان بالله تعالى في النُّفوس. قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف:٥٩].

﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:٦٥].

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ قَدۡ جَآءَتۡكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡۖ

---

(١) مباحث في علوم القرآن، (٣١٧/١-٣١٨).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٣٩/١٥).

(٣) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، (٧٤/١)، التحرير والتنوير، (٦٦/١).

(٤) انظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا (٢٩١/٧)، تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، (٩٩/٧).

(٥) انظر: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، فضل عباس، (ص١٠-١١).

هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٧٣].

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف:٨٥].

فهذا التَّوحيد الذي هو أساس العقيدة اشترك فيه جميع الأنبياء في جميع الرِّسالات الإلهية، لذا كانت تجيء قصصهم مجتمعة لتحقق هذا الغرض.

٢. بيان وحدة الوحي الإلهي من عهد نوح عليه السلام إلى عهد محمد ﷺ، وأنَّ المؤمنين كلَّهم أمَّة واحدة والله تعالى ربُّ الجميع، فكثيراً ما وردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة، ومعروضة بطريقة خاصة؛ لتؤكِّد على وحدة دعوة الأنبياء إلى عبادة الله تعالى، ونبذ ملَّة الكفر، وأنَّ جميع الشرائع المنزَّلة لا تعارض فيها ولا اختلاف. ولما كان هذا غرضاً أساسياً في الدَّعوة فقد تكرَّر مجيء هذه القصص على هذا النحو، مع اختلاف في التعبير، لتُثْبِتَ هذه الحقيقة، وترسِّخها في النُّفوس.

٣. تسلية النَّبيِّ ﷺ وتثبيت فؤاده وأصحابه وأمَّته على دين الله تعالى في كلِّ زمان ومكان، وترسيخ ثقة المؤمنين بأنَّ الله تعالى ناصر الحقِّ وجنده، ومهلك الباطل وأهله، من خلال عرض صور لما عاناه الأنبياء السابقون وأتباعهم من إيذاء وتعذيب في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى، وكيف كانت الغلبة والنَّصر لهم. ففي قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:١٢٠] تأكيد أنَّ ما "ذُكِر من قصص الأنبياء -عليهم السلام- كنوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، وهارون، فإنَّما ذلك تسلية لمحمد ﷺ وتثبيت لفؤاده لما كان يلقى من عناد الكفار وتكذيبهم له على أنواع مختلفة، فتذكر القصة على النحو الذي يقع له مثله، وبذلك اختلف مساق القصة الواحدة بحسب اختلاف الأحوال، والجميع حقٌّ واقع لا إشكال في صحته" (١).

٤. التَّرغيب للمؤمن، والتَّرهيب للكافر: من خلال عرض نماذج لتأييد الله تعالى لعباده المؤمنين ونصرتهم، وإنزال العقاب الشديد بالمكذِّبين والكافرين في الدُّنيا، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر:٤٩-٥٠]، وتصديقاً لمضمون هاتين الآيتين جاءت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام لتبرز جانب رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾﴾ [الحجر:٥١-٥٣]، ثمَّ تبعتها قصة لوط عليه السلام مع قومه لتبرز رحمة الله تعالى بلوط عليه السلام، وعذابه الأليم بقومه الضَّالين، قال تعالى:

---

(١) الموافقات، (ص: ٦٣).

﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَاكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الحجر:٦١-٦٦][(١)].

٥. إثبات الوحي والرِّسالة لسيدنا محمد ﷺ، وإظهار صدقه في دعوته، وبما أخبر به عن أحوال الأمم الماضين، فمن المعروف أنَّ النَّبيَّ ﷺ كان أميًّاً لا يعرف القراءة ولا الكتابة، ولم يُعرف عنه بأنَّه كان يجالس أحبار اليهود والنَّصارى ليتعلم منهم، ومع ذلك كان يتلو عليهم القصة القرآنية بدقة وإسهاب في بعضها، وكما ما هو معلوم عند أهل الكتاب، كقصة سيدنا يوسف وموسى عليهما السلام، مما برهن على صدق رسالته ﷺ بالدَّليل القاطع. قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩].

٦. بيان وحدة وسائل الأنبياء في الدَّعوة إلى الله تعالى، ووحدة استجابة أقوامهم لهم، لذا أيضاً وردت قصص كثير من الأنبياء مجتمعة لتعرض مدى التَّشابه في طريقة دعوتهم لأقوامهم، وموقف أقوامهم من تلك الدَّعوة[(٢)].

٧. تقديم الدروس العملية في فضائل الأخلاق من خلال عرض نماذج لشخصيات إيجابية في القصة القرآنية، والحثِّ على الاقتداء بهم، كأيوب عليه السلام في صبره، ويوسف عليه السلام في عفَّته، ومن خلال عرض نماذج لشخصيات سلبية للتحذير منهم ومن اتِّباع طريقهم، كقارون في اغتراره بالمال، وفرعون في غروره وتكبُّره وإصراره على الكفر[(٣)].

٨. تنبيه أبناء آدم إلى غواية الشيطان، وإبراز العداوة الخالدة بينه وبينهم منذ عهد أبيهم آدم عليه السلام، وكان إظهار هذه العداوة من خلال القصة أقوى وأرسخ في النُّفوس، وأدعى إلى الحذر الشَّديد من مسالك الشَّيطان، ولما كان هذا موضوعاً خالداً فقد تكرَّرت قصة آدم عليه السلام في مواضع شتَّى[(٤)].

نستنتج: أنَّ القصة القرآنية ما هي إلا وسيلة من وسائل القرآن لتحقيق أغراضه الدِّينية، وهذه الأغراض عديدة من الصعب استقصاؤها جميعها، لكنَّها تصب في قالب واحد يتمثل في إثبات وحدانية الله تعالى، ووحدة الرِّسالات السماوية، وتثبيت الإيمان في النُّفوس، ونقل الخبرات، واستخلاص العِبَر والدروس.

---

(١) انظر: التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، (ص: ١٤٦-١٥٤)، قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص:٤٤-٤٥).

(٢) انظر: التصوير الفني في القرآن، (ص: ١٤٥-١٥٠)، الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، ومحي الدين ديب مستو، (١/١٨٣-١٨٥).

(٣) انظر: قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص:٤٤-٤٥).

(٤) انظر: التصوير الفني في القرآن، (ص: ١٥٤).

المطلب الثاني: بنية القصة القرآنية، ومنهج القرآن الكريم في عرضها.

أولاً– بنية القصة القرآنية:

ينسج القصص القرآني لنا من خلال بنائه القصصي الغرض الدِّيني الذي يريد إيصاله إلينا مستخدماً عدَّة عناصر، وهي: الشخصيات، الأحداث، الحوار، الزمان والمكان، الأسلوب، وقد تجتمع هذه العناصر في القصة الواحدة، كقصة سيدنا يوسف عليه السلام، إلا أنَّ الغالب تسليط الضَّوء على العنصر المهم في القصة، والمؤثِّر على أحداثها ومجرياتها، وإهمال العناصر الأخرى، دون أن يؤدي ذلك إلى اختلال التَّوازن الفنِّي للبناء القصصي.

وتوزيع العناصر في القصة القرآنية كان يتطور بتطور الدَّعوة الإسلاميَّة، ويسير معها جنباً إلى جنب، فنلاحظ إبراز عنصر الأحداث في القصة التي يقصد منها التَّخويف والإنذار، وإبراز عنصر الأشخاص في القصة التي يقصد منها تثبيت فؤاد المصطفى ﷺ والمؤمنين، وإبراز عنصر الحوار في القصة التي يقصد منها الدِّفاع عن الدَّعوة الإسلاميَّة والتَّصدي للمعارضين لها[١].

ولنبدأ بتفصيل عناصر القصة القرآنية:

١. **الشخصيات:** لم تُقصد الشخصيات في القصة القرآنية لذاتها، ولا لإبراز معالمها، كما هو حال الشخصيات في القصة التاريخية، وإنَّما يعرض القرآن الشخصيات كنماذج بشرية تحمل في طياتها الخير أو الشر، وتعيش في صراع بين الخير والشر[٢]. وليس المراد بالشخصيات الواردة في القصة هي الشخصيات الإنسانيَّة فحسب، وإنَّما كلُّ شخصية جرى معها أحداث، وصدرت منها عبارات وأفكار، وشغلت دوراً في القصة، فقد يكون هناك شخصيات من الجن والملائكة والحيوانات فضلاً عن الإنسان[٣]، وتُعَدُّ الشخصيات من المحرِّكات البارزة للقصة القرآنية، وتتَّسم الشخصيات في القصة القرآنية بما يلي:

أ– لها وجود حيٌّ في أحداث ومجريات القصة، والقرآن يركز على الشخصيات في القصة للاقتداء بالشخصية الجيدة، والابتعاد عن الشخصية السيئة.

ب– لا يذكر القرآن الكريم أسماء الشخصيات الواردة في القصة، ولا يهتم برسم معالم وأشكال وصفات هذه الشخصيات، ووظائفهم الاجتماعية، إلا ما يكون له تأثير على مجريات القصة، لأنَّ مثل هذه التَّفاصيل

---

(١) انظر: الفن القصصي، محمد أحمد خلف الله، (ص: ٢٨٣-٢٨٤).

(٢) انظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، (ص: ٤٠).

(٣) انظر: الفن القصصي، (ص: ٢٨٧).

قد تصرف ذهن المتفكّر في كتاب الله تعالى عن الغرض الدّيني الذي سيقت من أجله القصة[١]. وإذا أردنا أن نفهم أسباب عرض الانفعالات النَّفسية لكلِّ شخصية لابد من فهم الظروف المحيطة برسول الله ﷺ، والعوامل المؤثرة في الدَّعوة الإسلاميَّة في تلك الفترة؛ لأنَّ الغاية من عرضها هي تخفيف الضَّغط النَّفسي، ولا يتحقق ذلك إلا عندما تتشابه المواقف، وتتماثل الظروف[٢].

ت- المرأة في القصص القرآني ليست مقصودة لذاتها، وإنَّما تُذكَر في القصة القرآنية عندما تكون محوراً تدور حولها أحداث القصة، وتظهر كإنسانة لها شخصيتها المتميزة وذاتها المستقلَّة، ولم يتمَّ ذكرها في القرآن الكريم بهدف إشباع الميول أو التَّرفيه، كما يحدث في القصص البشري. إذاً فهي لا توجد في القصة إلا إذا استدعى الحدث وجودها، وبالقدر الذي يخدم القصة.

من أمثلة ذلك: امرأة فرعون فقد صور القرآن الكريم رجاحة عقلها حينما اختارت اتِّباع طريق الهدى، وشجاعتها حيث لم تخف من بطش فرعون وسلطانه، فاستحقَّت أن يضرب بها المثل في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمۡرَأَتَ فِرۡعَوۡنَ إِذۡ قَالَتۡ رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التحريم:١١]. ومن الملاحظ أنَّ القرآن الكريم لم يذكر اسمها، لتكون علم جنس للمرأة، من حيث هي ذات مؤهَّلة بكلِّ ما هو مؤهَّل به الرجل من قوى عاقلة مريدة، فإن شاءت أن تهتدي كانت من المهتدين، وإن شاءت أن تضل كانت من الضَّالين[٣].

٢. **الأحداث في القصة القرآنية:** إنَّ الحدث القصصي هو أحد دعائم القصة القرآنية، إذ لا يمكن أن يكون هناك شخصيات دون وجود أحداث تحيط بهم، وتؤثِّر عليهم، وأحداث القصة القرآنية تأتي متسلسلة ومترابطة فيما بينها، وكلُّ جزء فيها يكمِّل الآخر، ولا غنى عن أيِّ حدث في القصة، فكلُّ حدث له دور في إبراز مقاصد القصة القرآنية.

وتسلسل هذه الأحداث في القصة يخضع للغرض الذي سيقت من أجله القصة القرآنية، فإن كان المقصود الإنذار والتَّخويف برز عنصر الحادثة، ورسم معالمها لتلقي الرعب في القلوب، كما في القصص القصيرة، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ ۝٧ فَهَلۡ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٖ ۝٨﴾ [الحاقة:٤-٨]. وإن كان المقصود تثبيت قلب النَّبيِّ ﷺ، جُعِل المحور الذي تدور حوله الأحداث وهو الشخص نفسه هو

---

(١) انظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، (ص: ١١٤).

(٢) انظر: الفن القصصي، (٣٠١).

(٣) انظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، (ص:١٠٥-١٠٦).

المحور البارز في القصة، فتعرض الأحداث التي ألمت به، إلا أنَّها لم تضعفه، ولم توهن عزمه، بل زادت من إيمانه بنصر الله[١]، كقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة هود، والتي سنعرض تفصيلاتها في الفصول القادمة.

٣. **الحوار في القصة القرآنية:** يُمثِّل الحوار أحد أعمدة القصة القرآنية، لأنَّه من أقصر السُّبل لتحقيق الغرض الذي سيقت من أجله القصة للوصول إلى الحقيقة، والدِّفاع عن الدَّعوة الإسلاميَّة، وردِّ شبهات المنكرين، وإقامة الحجج على المعاندين والمستكبرين، وإحقاق الحقِّ، كما أنَّ الحوار يضيف الحياة والحركة والتَّشويق على القصة القرآنية، ويجعلها أكثر تعبيراً عن المعنى المقصود، ويُترجم عن صاحبها، وما يظهر بداخله من انفعالات وأفكار، مما يجعل القارئ يعيش تجربة القصة، وينتقل إلى عالمها، كأنَّه حاضرٌ بينهم[٢].

كما في حوار سيدنا نوح عليه السلام مع قومه في سورة الأعراف، إذ كان الحوار عنصراً من عناصر التَّصوير للقصة، فقد ترك الكافرين يعبِّرون عن أنفسهم لفضحهم، وبيان مدى ضلالهم، ووقاحتهم في مخاطبة رسل الله تعالى، وبيان عاقبة تكذيبهم. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأعراف:٥٩-٦٤]

ولابد من التَّنبيه إلى أنَّ القرآن الكريم لم يلتزم نهجاً واحداً في إقامة البناء الحواري، بل نوَّع أساليبه الحواريَّة حسب مقتضى الحال، فيختصر أحياناً من القصة لدلالة الحال عليها، ويُفصِّل أحياناً أخرى. وقد يكون الحوار بين شخصين، كحوار سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون، وقد يكون بين واحد وجماعة، كحوار سيدنا نوح عليه السلام مع قومه[٣].

٤. **الزمان والمكان:** يُعَدُّ كلٌّ منهما عنصراً مهماً في بناء القصة، وتحريك أحداثها، ومع أهمِّيتهما إلا أنَّهما لا يذكران في القصص القرآني إلا إذا دعت الحاجة لذلك، وبالقدر الذي يتناسب مع الأحداث، وبما يخدم الهدف الأساسي للقصة[٤]، كما في قصة أهل الكهف، إذ ذُكِرَ الكهف كمكان، ولكن دون تحديد لموقعه، وفي قصة سيدنا يوسف عليه السلام قال تعالى: ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾ [يوسف:١٦] تمَّ تحديد زمن العشاء لِمَا له من مدلول عظيم في كشف زيف ادِّعائهم، فما الذي أخَّرهم حتَّى العشاء؟ "جاؤوا في ظلمة

---

(١) انظر: الفن القصصي، (ص: ٣١٤).

(٢) انظر: سيكولوجية القصة، التهامي نقرة، (ص: ٤١٤).

(٣) انظر: من روائع القرآن، البوطي، (٢٦٩/١-٢٧٠).

(٤) انظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، (ص: ٩٥).

العشاء ليكونوا أجرأ على الاعتذار بالكذب"[١]، لذا أكَّد القرآن الكريم على الزمن الذين عادوا فيه؛ لما كان له من تأثير على مجريات القصة، فظلام الليل الذين أرادوا به إخفاء معالم الكذب عن وجوههم هو نفسه الذي فضح كذبهم، وألقى في روع الأب أنَّ أبناءه لو كانوا صادقين لأسرعوا إليه ليخبروه بما جرى في وقته، فمثل هذا الحدث لا يمكن السكوت عنه أو تأخيره[٢].

٥. **الأسلوب**: "إنَّ نَظْمَ القرآن على تصرُّف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختصُّ به ويتميَّز في تصرُّفه عن أساليب الكلام المعتاد"[٣]. وهذا التَّفرد في أسلوب القرآن الكريم هو ما جعله مميَّزاً عن الأساليب العربيَّة، ومؤثِّراً في النُّفوس، وجاذباً للعقول، فالمتدبِّر لآياته لا يجد أفصح ولا أعذب من ألفاظه، ولا نَظْمَاً أحسن تأليفاً أو أشدَّ تلاؤماً من نَظْمِه[٤]، وهذا ما حيَّر أهل الفصاحة والبلاغة من العرب، حتَّى أقرُّوا بروعة أسلوبه –بالرُّغم من اشتماله على الموضوعات المختلفة، والقصص المتنوعة– ولم يشغلوا أنفسهم بمعارضته لعلمهم بالعجز عن بلوغ مداه[٥]. فقد سلك القصص القرآني أسلوباً متميِّزاً لا يشبه أيَّ أسلوب من أساليب القصص المعهودة، فهو أسلوب معجز كان له حظُّه في النُّفوس، لما اشتمل من جمال الألفاظ، وحُسْنِ النَّظْمِ، وسمو المعاني، فهو:

أ- يعتمد على تنويع ألفاظه، ففي بعض الأحيان يعتمد على الألفاظ الضَّخمة ذات الرَّنين القوي التي تؤثر بمبناها ومعناها، وأحياناً أخرى يعتمد على الجمل القصيرة المسجوعة ليزيد من قوة الرَّنين، فتملأ القلب خشية. مثال ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٨ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ۝١٩ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ۝٢٠ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝٢١ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝٢٢﴾ [القمر:١٨-٢٢].

وقد يعتمد على السرد السريع للحدث ليؤثر في النَّفس، من أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَـٰتٍ مُّفَصَّلَـٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ [الأعراف:١٣٣].

كما أنَّه كثيراً ما كان يصوِّر الحركات لتدل على الانفعالات قوَّة وضعفاً، عنفاً ولیناً، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات:٢٩]، إلى جانب استخدامه

---

(١) معالم التنزيل، (٢/٤٨٠).

(٢) انظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، (ص: ٨٤).

(٣) إعجاز القرآن، الباقلاني، (١/٣٥).

(٤) انظر: إعجاز القرآن، (١/١٥).

(٥) انظر: إعجاز القرآن، (١/٤٨).

الألفاظ السهلة اللينة التي تصدر عنه وكأنَّه يخاطب القوم بلغتهم المألوفة، مثال ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾ [البقرة:٢٥٨][(١)].

ب- يعتمد أيضاً على مزج القصة القرآنية مع باقي موضوعات السورة، مما يجعله مختلفاً عن الأساليب البشرية في الكتابة، والتي تعتمد على التَّبويب والتَّصنيف للموضوعات؛ لأنَّه ليس عملاً فنّياً مقصوداً لذاته، وإنَّما هو وسيلة من وسائل القرآن الكريم لتحقيق أغراضه الدِّينية، والتي تقوم على توحيد الله تعالى، وإدراك النَّاس أنَّ أمامهم حياة ثانية سيؤولون إليها، وأن يستيقنوا ضآلة هذه الحياة بالنسبة لتلك، في كلٍّ من خيرها وشرِّها وسعادتها وشقائها. فالقرآن الكريم يبثُّ هذه المعاني الكلِّية من خلال عرضه لمواضيع مختلفة من تشريع ووعد ووعيد وقصة وأمثلة، معتمداً هذا النسق من التَّداخل والتَّمازج في المعاني. فهو حينما يبدأ بعرض قصة، لا يدعك تنسى الغرض الأساسي الذي سيقت من أجله تلك القصة، فهو يمزجها بتهديد أو وعد ووعيد أو نصيحة ووعظ، تحقيقاً للغرض الذي من أجله تساق القصة[(٢)].

ت- يجري أسلوب القرآن الكريم في قصصه على مستوى رفيع واحد من جمال اللفظ، وروعة التَّعبير، رغم تنقُّله بين موضوعات مختلفة، من دعوة، وتبشير وإنذار، ووعد ووعيد. فالقصة القرآنية تعتمد على الفصاحة في اللغة دون تكلُّف أو إملال، شأنها شأن القرآن الكريم كلِّه، وأمَّا القصة الأدبية فنلحظ الأسلوب البشري، والحالة الانفعالية للكاتب، ومهما بلغ حرص الكاتب على التزامه البلاغة والبيان في أسلوبه، فإنَّه لا يمكن أن يتنقل بين موضوعات مختلفة ومعاني متنوعة، ملتزماً مستوى واحداً من البيان الرفيع، بل لابد أن يختلف كلامه حسب اختلاف الموضوعات التي يتطرَّق لها، والحالة الانفعالية التي يعيشها، فربما جاء بالغاية من البراعة في معنى من المعاني، فإذا انصرف إلى غيره فَقَدَ تلك البراعة. غير أنَّك لا تجد هذا التَّفاوت في كتاب الله تعالى، فأنت تقرأ آيات في القصة، وتقرأ بعد ذلك مقطعاً في التَّشريع وأحكام الحلال والحرام، ولا تستطيع إلا أن تلمس انسجام رفيع بينهما، وتجد المعاني كلَّها لاحقة بها شامخة إليها[(٣)].

ث- عرض القصة القرآنية بالقدر الذي يحقق الغرض الذي سيقت من أجله القصة، فلا يثقلها بتفصيلات وجزئيات تصرف الفكر عن التدبُّر، وتُضيعُ العِبَر، بل يروي منها ما يخدم الغاية من ذكرها، وبأسلوب يبعث فيها الحياة، فيتصورها المتدبِّر وكأنَّها ماثلة أمام عينيه.

---

(١) انظر: الفن القصصي، (٣١٦-٣٢٠).

(٢) انظر: من روائع القرآن، (١/١٢٠-١٢١).

(٣) انظر: من روائع القرآن، (١/١١٣-١١٤).

فنجد القرآن تارة يذكر القصة بكامل تفصيلاتها، وتارة يكتفي بذكر جزء أو إشارة إليها، وتارة يتوسط بين هذا وذاك، وربما اكتفى أحياناً بعرض مشهد من مشاهدها، كلُّ ذلك بما يتناسب مع الغرض الذي سيقت من أجله.

فالغاية من ذكر القصة توجيه القارئ لاستنباط العِبَرِ والعظات من ثنايا القصة القرآنية، وتحويل ذهنه عن الالتفات لجزئياتها وتفاصيلها؛ ليسمعها المسلمون ويلتزمون بتطبيقها في حياتهم، قال الله تعالى ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ﴾ [يوسف:١١١][(١)].

ج- الأسلوب القرآني في القصص يخاطب الإنسان بكامل عقله وقلبه، ويجمع بين الحقّ وجمال الأسلوب، قال تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف:٢٣]، "فتأمَّل في هذه الآية كيف قوبلت دواعي الغواية الثلاث بدواعي العفاف الثلاث مقابلة صوَّرت من القصص الممتع جدالاً عنيفا بين جند الرحمن وجند الشيطان ووضعتها أمام العقل المنصف في كفتي ميزان! وهكذا تجد القرآن كلَّه مزيجاً حلواً سائغاً يخفِّف على النُّفوس أن تَجْرَعَ الأدلَّة العقلية، ويرفِّه عن العقول باللفتات العاطفية، ويوجِّه العقول والعواطف معاً جنباً إلى جنب لهداية الإنسان وخير الإنسان"[(٢)].

ثانياً– منهج القرآن الكريم في عرض القصة القرآنية:

نزل القرآن الكريم على أهل الفصاحة والبلاغة بأسلوب معجز، ونظمٍ دقيق، وسبكٍ محكم، وتحدَّاهم على الإتيان بمثل روعة أدائه، وجمال نظمه، وقوَّة معانيه، فأثبتوا عجزهم عن المجيء بمثله، قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء:٨٨]، وسنعرض هنا جوانب من إعجاز القرآن الكريم في طريقة سرده للقصة القرآنية، فقد عرضها بأسلوب فريد لا يشبه أيَّ أسلوب من الأساليب المعهودة في سرد القصة، وبالقدر الذي يخدم الغرض الذي سيقت من أجله، وهي:

١. **تنوُّع طريقة العرض**: إنَّ ما يميز أسلوب القرآن الكريم في قصصه أنَّه لم يعتمد أسلوباً واحداً في عرضه لأحداث قصصه، بل نوَّع طرائقه بما يتناسب مع الغرض الذي سيقت القصة من أجله، فقد يتحدَّث بلسان الأشخاص المذكورين في قصته، ويروي أخبارهم، وقد سبقها بقوله: قال فلان، أو قالت فلانة، وقد يُقِيم الشخصيات الواردة في قصته مقام الحضور، فيدع لهم سرد حوادثهم، والحديث بلسان حالهم، وهنا يختفي من الحوار كلمة [قال] التي تُنبِّه إلى شخصية الكاتب، وتثبت وجوده. والذي غلب على القصص القرآني

(١) انظر: من روائع القرآن، (٩٥/١).

(٢) مناهل العرفان، الزرقاني، (٣١٤/٢).

هو الطريقة الأولى؛ لكيلا يغيب عن ذهن القارئ أنَّه يسمع أخباراً عن شخصيات مضت، بالرُّغم من استشعاره أنَّها حاضرة معه، تحُدِّثُه بلسانها، وتُسْمِعُه مقالها، مما يدلُّنا على التزام القرآن الحكيم بالصدق في عرضه للوقائع التَّاريخية، وتصفيته لها من كلِّ ما يشوبها أو يعرِّضها للشَّكِّ والارتياب؛ لأنَّ هذه الأخبار هي من عند الله تعالى، وتعالى الله عزَّ وجلَّ عن أيِّ شائبة تشوب صدقه، ولأنَّ أسلوب الرِّواية الذي التزمه القصص القرآني يُقِيم مشاعر الإنسان وأحاسيسه مع الأحداث التي تروى على مقام واحد منها، لأنَّ من يتدبَّر آياته يدرك أنَّه يسمع أخباراً من جهة عالمة، وَسِعَ عِلمها كلَّ زمان ومكان، أمَّا لو استخدم أسلوب الحضور فإنَّه قد يقع في النَّفس شعور الرِّيبة والشَّكِّ من وقوع تزيف للأحداث أو الشخصيات فيحرك الكاتب ألسنتها بما لم يجر على لسان تلك الشخصيات التَّاريخية ذاتها[١].

وقد يقتصر على التَّنبيه على عنوان أو موضوع المشهد بذكر ما ينبِّه على ابتداء العرض، ثمَّ تظهر أحداث القصة بصورة تمثيليَّة، فيتحدَّث أبطالها عن أحداثها، كقصة سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في مشهد بناء الكعبة، وقد يمهِّد للقصة بذكر ما يشوِّق لها، ويُنبِّه على ما تنطوي عليه من مقاصد قرآنية، ويعالج ما قد يثار حولها من تشكيك كقصة أصحاب الكهف، وقد يمهِّد للقصة بمقدمة توحي بخاتمتها، كما في قصة سيدنا يوسف عليه السلام، حيث تبدأ بالرؤية التي توحي بالخاتمة قبل عرض الأحداث، وقد يذكر القصة مباشرة وبلا مقدمات مكتفياً بالإيحاء إلى محور القصة كقصة سيدنا سليمان عليه السلام مع ملكة سبأ، وقد يذكر القصة بما يتَّفق مع ترتيبها الواقعي، كقصة السيدة مريم عليها السلام في سورة مريم، وقد يقدِّم أحداث القصة وفق ترتيب ما ليعجَّل لنا بالكشف عن مفاجآتها، كما في قصة أصحاب الجنَّة في سورة القلم[٢].

وقد يُجمِل في موضع من مواضع القصة، ويُفصِّل في آخر، إلا أنَّ الإجمال في القرآن الكريم مختلف عن الإجمال في كلام النَّاس، فقد يتَّصف الإجمال البشري بالإبهام والإلباس والغموض واللغو، بينما الإجمال الإلهي في القرآن الكريم يتنزَّه عن العيوب، ويؤدي إلى المقصود[٣]. إذاً فالإجمال في القرآن الكريم لغرض، والتَّفصيل لغرض، وكلٌّ مناسب لموقعه.

٢. **إقامة العرض على التَّصوير**: فالقرآن الكريم يعرض القصة القرآنية متخيِّراً لها أساليب التَّصوير التي تتناسب مع موضعها الذي ذكرت فيه، فقد يعكس هذا التَّصوير قوَّة العرض، كمشهد سيدنا نوح عليه السلام وابنه في الطوفان، فمن قوَّة عرض المشهد يظنُّ القارئ أنَّ المشهد حاضر يُحَسُّ ويُرَى، وقد يجسد العواطف والانفعالات، كقصة السيدة مريم عند مولد سيدنا عيسى عليه السلام، وقد يرسم معالم الشخصية ويُظهِر شيئاً من صفاتها، فإن كان للشخصية مثلاً دور رئيس في تحريك أحداث القصة نجده يبرز شيئاً من صفاتها العقلية

(١) انظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، (ص:٨٠-٨٢).

(٢) انظر: التصوير الفني، (ص: ١٨٠-١٨٣)، قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص:٤٧-٤٨).

(٣) انظر: النبأ العظيم، (ص: ١٥١).

أو النفسية أو العاطفية أو الجسمية، وبالقدر الذي يخدم القصة، كسيدنا إبراهيم عليه السلام فقد رسمت الآيات شخصيته الهادئة والمتسامحة والحليمة، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود:٧٥][(١)].

٣. **تنوُّع طريقة المفاجأة**: فالقصة القرآنية لا تسير على نظام واحد في تقديم الحدث المفاجئ الذي يحرّك القصة إلى حلِّ عقدتها الرئيسة، بل تراعي المكان والزمان المناسبين لإظهار المفاجأة.

فتارةً يُكتَمُ سرُّ المفاجأة عن البطل وعن القارئ، فتتوالى أحداث القصة كألغاز لا يُعرَف حلُّها، ثمَّ تتبدى المفاجأة، وتنكشف الحقائق لهما معاً في آنٍ واحد، وإنَّ هذا الأسلوب يهيّئ النَّفس لتلقي الحكمة من وراء القصة، كقصة سيدنا موسى عليه السلام مع العبد الصالح في سورة الكهف، فتكون القصة عبارة عن مفاجآت متوالية، لا نعلم أسرارها، وموقفنا فيها كموقف سيدنا موسى عليه السلام، بل ويزيد علينا عدم معرفتنا بمن يقوم بمثل هذه التَّصرفات العجيبة، ولا ينبئنا القرآن باسمه ليزيد الجو غموضاً، ولتترسخ الحكمة من القصة، وهي الحكمة الكونية العليا التي لا تترتب فيها النتائج القريبة على المقدمات المنظورة، بل تهدف إلى أغراض بعيدة لا تدركها العين المحدودة.

فتعرض القصة سيدنا موسى عليه السلام وقد استصحب فتاه معه، ورحل لطلب العلم فالتقيا بالرَّجل الصَّالح، وطلب منه سيدنا موسى أن يُعلِّمه مما عُلِّم رشداً، وأخبره الرجل بأنَّه لن يستطيع معه صبراً، إلا أنَّ سيدنا موسى أصرَّ على مصاحبته، ويظهر لنا هذا في قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾﴾ [الكهف:٦٦-٧٠]، وتبدأ الأمور تتأزم تدريجياً بارتكاب العبد الصَّالح أفعالاً غريبة واحدةً تلو الأخرى، مما يزيد التَّوتر عند البطل والقارئ على حد سواء، ودون الوصول إلى تفسيرات أو مبررات لأفعاله، وهي: مفاجأة السفينة يخرقها العبد الصَّالح، ومفاجأة قتله الغلام بدون مبرر لقتله إيَّاه، والمفاجأة الثالثة بناؤه للجدار، في مكان لم يحسن أهله ضيافتها وقد ظهر هذا في قوله تعالى: ﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا﴾ [الكهف:٧١].

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا﴾ [الكهف:٧٤].

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف:٧٧].

وبعد بلوغ هذا التوتر ذروته ينكشف السر أمام الجميع، قال تعالى: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ

---

(١) انظر: التصوير الفني، (ص: ١٩٠-٢٠٣)، قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص: ٤٨).

أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾ [الكهف:٧٩-٨٢].

وفي دهشة السِّر المكشوف يختفي الرجل كما بدا، فمهما راودتنا أسئلة لمعرفة من يكون هذا الشخص سنعجز عن الإجابة، فلقد مضى في المجهول كما خرج من المجهول.

وتارةً تُكشف المفاجأة للقارئ، ويُترَكُ أبطال القصة في غفلة عنه، فيتصرفون وهم جاهلون للسر، في حين يكون القارئ على دراية تامة بما يجري لهم، وغالباً ما يأتي القرآن الكريم بهذه الطريقة في معرض السُّخرية، ليتسنَّى للقارئ أن يسخر من أبطال القصة طيلة المشاهد المعروضة، ولأخذ العبرة من أخطاء الغير، كما في قصة أصحاب الجنَّة ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ [القلم:١٧-٢٠] فبينما نحن على علم بهذا كان أصحاب الجنَّة يجهلونه، ﴿فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [القلم:٢١-٢٥]، وفي هذا المشهد المليء بالحيرة نسخر منهم وهم يتنادون، ونحن نعلم أنَّ الجنَّة خاوية، حتَّى انكشف لهم السِّر، فما كان بالأمس جنَّة أصبح اليوم كالليل الأسود لاحتراقه، عندها قالوا: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [القلم:٢٦-٢٧] فاستحقُّوا الحرمان جزاء حرمانهم المساكين، وهذا لون من ألوان التناسق الفني.

وتارةً يُكشف بعض السر للقارئ، ويخفى عن البطل في موضع، ثمَّ يختفي عن البطل والقرَّاء معاً في مواضع أخرى في القصة الواحدة، كما في قصة ملكة سبأ عندما تمَّ نقل عرشها في غمضة عين كان القارئ للآيات يعرف أنَّه أصبح بين يدي سيدنا سليمان عليه السلام، فهو مدرك للمفاجأة منذ بداية الأمر، أمَّا ملكة سبأ فقد كانت جاهلة له، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ﴾ [النمل:٤٢]، وكان من شدَّة المفاجأة أن شكَّت في أن يكون هو؛ لبعد المسافة، ووجود الشَّبه القوي. أمَّا مفاجأة الصَّرح الممرد من قوارير فقد كانت الملكة والقارئ سواء في الجهل بها، إلى أن فوجئنا معاً بانكشافه لنا. قال تعالى: ﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ ۖ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ﴾ [النمل:٤٤].

وأخيراً تواجه المفاجأة البطل والقرَّاء في آن واحد، ويعلمان سرّها في الوقت ذاته، كما في قصة السيدة مريم حين انتبذت من أهلها مكاناً شرقيًّا، واتخذت من دونهم حجاباً لتكون في خلوة تامة، ففوجئت بالرُّوح الأمين في هيئة رجل، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم:١٨]، ولقد عرفنا أنَّه

الرُّوح من خلال صريح الآية ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم:١٧]، ولكن الموقف لم يطل، فقد أخبرها بذلك ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾ [مريم:١٩][(١)].

٤. **تنوع وسائل ربط المشاهد:** ففي بعض القصص نجد أنَّ المشاهد متتابعة، وفي بعضها الآخر نجد فيها فجوة تُترك لخيال القارئ ليملأها، ففي قصة أصحاب الكهف يتتابع المشهد الأول والثاني، إذ هما استمرار للحوار الدائر بينهم بشأن موقف قومهم من العقيدة، ثمَّ ما نلبث أن نلاحظ وجود فجوة بين المشهد الثاني والثالث، وهي الفاصل بين استقرار أمرهم على الإيواء إلى الكهف وبين وقوفنا أمام الكهف نرى الشمس تطلع عليهم وتغرب وهم في فجوة منه، وهذه الأحداث التي سقطت بين المشهدين لا ضرورة لها، ولا تؤثر في مجريات القصة[(٢)].

٥. **عدم التزام السَّرد القصصي:** لم تلتزم القصة القرآنية السرد القصصي إلا في المواضع التي يُحتاج إليها للتوصل إلى الغاية من القصة القرآنية، كما في قصة سيدنا يوسف عليه السلام حيث نجدها كاملة الأحداث والمواقف في معرض واحد، بينما نجد قصص أخرى قد تفرَّقت حلقاتها في عدة مواضع، حيث تُعرَض الحلقة في المعرض المناسب لها، والمتوافق مع مقصود السورة، وعندها لا مانع من تكرار موقف مشترك بين الحلقتين[(٣)].

٦. **التكرار:** فكثيراً ما نجد أنَّ القصة الواحدة في القرآن الكريم قد تكرَّرت في مواضع عدَّة، وسور مختلفة، كقصة سيدنا موسى وفرعون، إلا أنَّها في حقيقة الأمر ليست تكراراً للقصة، بل إنّ القرآن الكريم يتناول من القصة الواحدة في كلِّ مرة جانباً معيناً فيها، وهو الجانب الذي تستدعيه المناسبة. وقد يتكرَّر عرض الجانب الواحد منها، ولكن ذلك الجانب منها ينطوي على عِبَر وعظات متعدِّدة، فيقتضي الغرض الدِّيني أن يُعَاد ذكرها عند ما تأتي مناسبة كلِّ عبرة من عبرها، وفي كلِّ مرة يعرض القصة متخيِّراً لها الأسلوب والإخراج التَّصويري الذي يناسب المعنى الذي سيقت له، كالقصص الواردة في سورة هود، هي نفسها الواردة في القمر، ولكن عرضت في كلِّ مرَّة بألفاظ وأساليب مختلفة، فتشعر وكأنَّك تقرأ قصص جديدة، وتستنتج معاني وعظات لم تصل لها من قبل[(٤)].

٧. **إيراد النَّصائح والعظات في ثنايا القصة:** فالقرآن الكريم لا يدع القارئ يندمج مع موضوع من مواضيعه بالكليَّة، بل يفصِّل بين أجزائه بفواصل من العظات تنبِّهه إلى المقصود من كلِّ قصة، وتزيده خشية من الله عزَّ وجلَّ عند قراءتها والتَّأمُّل فيها. كقصة سيدنا موسى مع فرعون في سورة طه، قال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا

---

(١) انظر: التصوير الفني، (ص: ١٨٣-١٨٦)، قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص: ٤٨-٤٩).

(٢) انظر: التصوير الفني، (ص: ١٨٧)، قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص: ٤٩).

(٣) انظر: قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص: ٤٩).

(٤) انظر: من روائع القرآن، (١/١٩٥-١٩٦).

يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾ [طه:٤٩-٥٥]، فقد تحوَّل سياق الآيات من القصة إلى التَّذكير بعظمة الله تعالى ودلائل وجوده؛ حتَّى إنَّ ضمير الخطاب فيها تحوَّل عن خطاب سيدنا موسى لفرعون إلى خطاب الله تعالى للناس جميعاً(١).

المطلب الثالث: نبذة عن جهود العلماء في دراسة القصة القرآنية.

نظراً لأهمية القصة القرآنية، والأهداف السامية والمقاصد العليا من ذكرها، فقد شغلت مساحة واسعة من القرآن الكريم، وكانت أحد أهم موضوعاته، مما دفع فئات كثيرة من العلماء إلى تدبُّر آياتها وتحليل أحداثها، فلم يستطع المفسرون إلَّا أن يقفوا عند القصة القرآنية أثناء تفسيرهم لآياتها، وكذلك المؤرِّخون الذين وقفوا أمام قصص القرآن الكريم عند حديثهم عن حلقات التَّاريخ البشري الماضي، ومنهم من أفرد القصة القرآنية بالكتابة والتَّأليف والتَّحليل لأحداثها ووقائعها.

أمَّا المفسرون فلم يكونوا على حد سواء، فمنهم من أوجز في ذكر القصة كالزمخشري، والبيضاوي(٢)، والنَّسفي(٣)، وأبي السعود(٤)، ومنهم من أطنب في تفاصيل القصة القرآنية كالطبري، ومنهم من اقتصر على صحيح ما ورد

---

(١) انظر: من روائع القرآن، (١/١٩٨-١٩٩).

(٢) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، أبو الخير، القاضي ناصر الدِّين البيضاوي الشِّيرازي الشَّافعي، إمام بارع، ومصنِّف، وله عدَّة مؤلَّفات، منها: "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" و"منهاج الوصول إلى علم الأصول"، تولى القضاء والإفتاء عدَّة سنوات، (توفي سنة: ٦٨٥هـ). انظر: طبقات الشافعية الكبرى، (١٥٧/٨)، والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، جمال الدين الظاهري الحنفي، (١١٠/٧-١١)، وهدية العارفين، إسماعيل بن محمد الباباني، (٤٦٢/١)

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، أبو البركات النَّسفي، فقيه حنفي، مفسِّر، أحد الزُّهاد المتأخِّرين، صاحب التَّصانيف المفيدة في الفقه والأصول والعربية، وله عدَّة مؤلَّفات، منها: "مدارك التنزيل وحقائق التأويل"، و"عقائد النسفي"، تصدَّر الإفتاء والتدريس سنين عديدة، (توفي سنة:٧٠١هـ). انظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محي الدين الحنفي، (٢٧٠/١-٢٧١)، والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، (٧٢/٧)، وطبقات المفسرين، الأدنه وي، (ص:٢٦٣)

(٤) محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، أبو السعود، سلطان المفسِّرين، الشَّاعر، أحد علماء التُّرك المستعربين، ولد سنة (٨٩٦هـ) بقرب القسطنطينية، درس في بلاد متعدِّدة، تولَّى القضاء والإفتاء، أُخِذَ عليه ميله الزَّائد إلى أرباب الرِّئاسة، وله عدَّة مؤلَّفات، منها: "إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أو ما يسمَّى بتفسير أبي السعود"، و"حاشية على العناية"، (توفي سنة: ٩٨٢هـ). انظر: طبقات المفسرين، الأدنه وي، (ص:٣٩٨-٣٩٩)، وشذرات الذهب، (١٠/٥٨٤-٥٨٥).

من القصة القرآنية كابن كثير[١]، في حين نَقَلَ آخرون ما صح وما لم يصح، فأدخل في تفسيره بعضاً من الإسرائيليات كالثعلبي[٢].

أمَّا المؤرِّخون بالرغم من اهتمامهم بذكر القصة القرآنية في كتبهم أمثال ابن جرير الطبري في كتابه (تاريخ الطبري أو ما يسمَّى بتاريخ الرُّسل والملوك)، وابن الأثير[٣] في كتابه (الكامل في التاريخ)، وابن كثير في كتابه (البداية والنهاية)، إلا أنَ الفئة المطَّلعة على مثل هذه الكتب تُعَدُّ قليلة نوعاً ما، فكان لابد من إفراد القصص القرآني في مؤلفات خاصة، وبالفعل فقد أفردت مؤلفات قديمة وحديثة في هذا المجال، وكان أشهرها:

١. **(عرائس المجالس)** لأبي إسحاق الثعلبي، وفي مؤلفه هذا قد أكثر من ذكر الإسرائيليات، وبرغم ذلك فقد ظلَّ كتابه يقرأ لمدَّة طويلة دون أن يكون له منافس[٤].
٢. **(قصص الأنبياء)** للإمام ابن كثير، صدرت طبعته الأولى عام ١٣٨٨هـ – ١٩٦٨م، والحقيقة أنَّ ابن كثير لم يؤلِّف كتاباً خاصاً في قصص الأنبياء، وما ورد في هذا الكتاب هو مقتبس من كتابه (البداية والنهاية)، إلا أنَّ الدكتور مصطفى عبد الواحد[٥] قد أخذ كلامه من تاريخه، وأصدره في كتاب خاص سمَّاه قصص الأنبياء، دون أن يشير إلى أنَّ هذا الكلام مأخوذ من تاريخ ابن كثير (البداية والنهاية)، مما أوقع القرَّاء في إشكالات، فظنُّوا أنَّ مصطفى عبد الواحد قد حقَّق كتاباً خاصاً لابن كثير عن قصص الأنبياء، وكان عليه أن ينص على غلاف الكتاب أنَّه مأخوذ من تاريخ ابن كثير لئلا يوقع القراء في هذا اللبس[٦].

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصروي، عماد الدِّين، أبو الفداء، ولد سنة (٧٠٠هـ، وقيل ما بعدها) في دمشق، العلَّامة، الحافظ، المحدِّث، المفتي، المفسِّر، وله عدَّة مؤلَّفات، منها: "تفسير القرآن العظيم"، و"البداية والنهاية"، (توفي سنة: ٧٧٤هـ). انظر: تذكرة الحفاظ، (٢٠١/٤)، والدرر الكامنة، (٤٤٥/١-٤٤٦).

(٢) أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعَّلبي النَّيسابوري، أبو إسحاق: مفسِّر، حافظ للحديث، عالم بالعربية، كان أوحد زمانه في علم التفسير، له اشتغال بالتأريخ، وله عدَّة مؤلَّفات، منها: "الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أو ما يعرف بتفسير الثعلبي"، و"عرائس المجالس"، (توفي سنة: ٤٢٧هـ – ١٠٣٥م). انظر: وفيات الأعيان، (٧٩/١)، والبداية والنهاية، (٥٠/١٢)، ومعجم المفسرين، (٦٢/١-٦٣).

(٣) علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري الشَّيباني، أبو الحسن، عزُّ الدين، ولد بالجزيرة سنة (٥٥٥هـ)، ونشأ بها، علَّامة، محدِّث، أديب، إمام في الحديث، خبير بأنساب العرب وأخبارهم، له تصانيف عدَّة، منها: "الكامل في التاريخ"، و"أُسد الغابة في معرفة الصحابة"، (توفي سنة: ٦٣٠هـ). انظر: وفيات الأعيان، (٣٤٨/٣)، وشذرات الذهب، (٢٤١/٧).

(٤) انظر: قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص: ١٥).

(٥) مصطفى عبد الواحد، باحث مصري معاصر، وأستاذ بقسم الدراسات العربية بجامعة أم القرى، له عدَّة مؤلفات، منها: كيف ضاعت الأندلس، والتبصرة. انظر: موقع https://www.goodreads.com/author/show/5345879.

(٦) انظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، د. صلاح الخالدي، (٤٢/١).

٣. **(قصص الأنبياء)** للعلامة الشيخ عبد الوهاب النَّجار[١] الذي كتبه في مطلع الثلاثينيات، فقد كان يعرض من خلاله قصة كلِّ نبيٍّ -كما وردت في القرآن الكريم – ثمَّ يذكر ما جاء من خبر هذا النَّبيِّ في الكتب السابقة، ويردُّ الشُّبهات إن وجدت، كما ينقل آراء بعض المفسرين، وقد يستطرد في بعض القصص ليبرهن ما ذهب إليه، وقد كان هذا الكتاب لينتشر لولا ما أحيط به من اعتراضات وشبهات، جعلت كثيراً من الناس تتوارى عنه، حتَّى شكِّلت لجنة من علماء الأزهر دعت إلى عدم تداول هذا الكتاب، إلَّا أنَّ هذا لم يُلغِ أهمِّية كتابه، فعلى الرُّغم من الانتقادات التي طالت كتابه فلقد سدَّ هذا الكتاب فراغاً كبيراً[٢]، وربما يعود سبب رفض كتابه؛ لأنَّه كان متأثراً بشيخه محمد عبده[٣] الذي سمع منه شرح مقدمة ابن خلدون[٤]، فأُعجب بطريقة شرحه، وأخذ عنه حرِّية الرأي وأصالة النَّقد وعمق التَّحليل وعدم التَّسليم بالروايات التَّاريخية حتَّى يمحِّصها وينقدها وينظر إليها بعين العقل حتَّى يصل إلى الحقيقة، وهذا التَّأثر هو الذي دفعه لذكره في كتابه[٥].

٤. **(الفن القصصي في القرآن)** لمحمد أحمد خلف الله[٦]، وهي أطروحة دكتوراه ظهرت في أواخر الأربعينات، وأثارت هذه الرِّسالة ضجة كبيرة لما فيها من أخطاء، فقد زَعَمَ الكاتب أنَّ القصص القرآني لا ينبغي فهمه

---

(١) عبد الوهاب النَّجار، ولد سنة (١٢٧٨هـ-١٨٦٢م) في مصر، باحث، مؤرِّخ، أديب، من فقهاء الأزهر في مصر، مُلِمٌ ببعض اللغات السامية، له تصانيف عدَّة، منها: "قصص الأنبياء"، و"تاريخ الخلفاء الراشدين"، (توفي سنة: ١٣٦٠هـ-١٩٤١م). انظر: الأعلام، (١٨٢/٤-١٨٣)، ومعجم المؤلفين، (٢٢٠/٦).

(٢) انظر: قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص:١٦ -١٧).

(٣) محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركمان، أحد مؤسسي النَّهضة المصرية الحديثة، والدَّاعي إلى التَّجديد والإصلاح في العالم الإسلامي، ولد سنة (١٢٦٦هـ)، درس العلوم الإسلامية في الأزهر، كما درس العلوم الطبيعية والتاريخية والفلسفة والمنطق، وأخذ ينشر آراءه الحرَّة في الصُّحف، وأصدر مع جمال الدِّين الأفغاني مجلة "العروة الوثقى" لمحاربة الاستعمار في البلدان الإسلامَّية، وتقلَّد الإفتاء في مصر، له عدَّة مؤلفات: "رسالة التَّوحيد"، و"شرح نهج البلاغة". (توفي سنة: ١٣٢٣هـ). انظر: الأعلام، (٢٥٢/٦)، معجم المفسرين، (٥٦٦/٢-٥٦٧).

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرميّ، أبو زيد، ولد بتونس سنة (٧٣٢هـ)، فيلسوف، ومؤرخ، وعالم اجتماع، تلقَّى العلم على عدد كبير من علماء الأندلس الذين هاجروا لتونس، انغمس في حياة السياسة، ثمَّ اعتزلها بعد مقتل صديقه ابن الخطيب في السجن، واختلى بنفسه أربع سنوات، وفي تلك الخلوة كتب «مقدمة» اشتهرت بمقدمة ابن خلدون، ثمَّ ارتحل إلى الشام ومصر، وتولى منصب قاضي القضاة المالكية في مصر عدَّة مرات، له عدَّة مؤلفات، منها: "العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر"، و"شرح البردة"، (توفي سنة: ٨٠٨هـ). انظر: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ابن خلدون، (٣/١-٤)، الأعلام، (٣٣٠/٣).

(٥) انظر: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، محمد رجب بيومي، (٣٢٧/١).

(٦) محمد أحمد خلف الله، أديب مصري، ولد سنة (١٩١٦م)، درس في الأزهر، وتتلمذ على يد أمين الخولي الذي أخذ عنه المنهج البياني اللغوي في الدراسات القرآنية، مع الاستفادة من علمي الاجتماع والنفس، وتوصَّل إلى نتائج إشكالية تخُّص القصص القرآني وأهدافه وحقيقته، وقد أثارت مجموعة من الرُّدود والمناقشات العلمية، وله أيضاً رسالة ماجستير: "جدل القرآن الكريم"، (توفي سنة:

على أنَّ جميع ما فيه حقائق ثابتة أراد القرآن تقريرها وإثباتها، وإنَّما هو عمل أدبي يساق لأجل العبرة والموعظة، وتقرير الدُّروس المستفادة من تلك القصص، وهذا ما يفسِّر عدم تطابق تلك القصص عند تكرارها، واختلاف الألفاظ المعبِّرة عنها؛ وذلك لأنَّها في كلِّ مرة تأتي لتعزِّز العبرة التي سيقت من أجلها، ولتثير الانفعالات النفسية المناسبة للمقام الذي ذُكِرت فيه، وهذا الاختلاف هو الذي دفعه إلى القول بإمكانية وجود أساطير في القرآن الكريم، وأنَّ البيان القرآني لم يلتزم الصِّدق التَّاريخي في كلِّ قصصه، ولكنَّه التزم الصِّدق الفنِّي[١]، وهو يرى أنَّ هذا ليس مغمزاً في حقِّ القرآن الكريم؛ بل مفخرة له بأن يؤصل لفنِّ القصة الحديثة.

يقول في ذلك: "إنَّ هذه النَّظرة تفسِّر لنا جانباً من جوانب الإعجاز في القرآن الكريم، فقد وضع تقليداً جديداً في الحياة الأدبية العربية، وهو بناء القصص الدِّيني على بعض الأساطير، وهو بذلك قد جعل الأدب العربي يسبق غيره من الآداب العالمية في فتح هذا الباب، وجعل القصة الأسطورية لوناً من ألوان الأدب الدَّقيق الرَّفيع"[٢].

وقد تعرَّض بسبب آرائه تلك إلى انتقادات علميَّة كثيرة[٣]، ولكن وبالرغم من جميع تلك الانتقادات التي طالت كتابه إلا أنَّه أصاب حينما ربط القصة القرآنية مع أحوال تبليغ الدَّعوة، وبيَّن مدى تأثير الآيات على النَّبيِّ ﷺ والمسلمين.

٥. **(القصص القرآني في منطوقه ومفهومه)** لعبد الكريم الخطيب[٤]، صدرت طبعته الأولى عام ١٩٦٤م، من محاسن هذا الكتاب: عَرْضُ مؤلِّفه لمزايا القصة القرآنية بإسهاب، وحُسْنُ ردِّه على الشُّبهات التي طافت حولها، من هذه الشُّبهات: أنَّ القصة القرآنية بناء فنِّي دَخَلَهُ عنصر الخيال، ومنها شبهة التكرار في القصة القرآنية. ومن محاسنة أيضاً: توضيحه للخصائص الفنِّية للقصة القرآنية، وتأكيده أنَّ الزمان والمكان والصِّفات الجسدية والنَّفسية للشخصيات في القصة القرآنية لا تذكر إلا بالقدر الذي يخدم الهدف والمضمون.

١٩٩٧م). انظر: موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم، رؤوف سلامة موسى، (٢/٣٥١-٣٥٢).

(١) انظر: الفن القصصي، (ص: ٣٤-٣٥).

(٢) الفن القصصي، (ص: ٢٠٨).

(٣) لمعرفة تفاصيل الانتقادات التي تعرَّض لها انظر: «دعوى وجود القصة الأسطورية في القرآن الكريم ونسبتها للشيخين عبده ورضا»، غفران محمد زياد السلَّاخ، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، (١/٥)، (٢٠٢٥م)، (ص: ١٢-١٤).

(٤) عبد الكريم محمود يونس الخطيب، مفكِّر وباحث مصري، ولد سنة (١٣٢٨هـ — ١٩١٠م)، عمل بالتعليم، والتحق بدار العلوم فلمَّا تخرج منها عمل بالمدارس الثانوية، ثمَّ انتقل إلى وزارة الأوقاف، وشَغَلَ عدَّة مناصب حتَّى شَغَلَ منصب مدير مكتب وزير الأوقاف، ثمَّ أُخرِج منها واعتقل بسبب مواقفه المساندة للحقِّ، له مؤلفات عدَّة، منها: "التفسير القرآني للقرآن"، و"التعريف بالإسلام في مواجهة العصر الحديث وتحدياته"، (توفي سنة: ١٤٠٦هـ-١٩٨٥م). انظر: إتمام الأعلام، نزار أباظة ومحمد رياض المالح، (ص: ١٦٤).

وقد أُخِذَ عليه تضمينه أفكاراً مغلوطة مخالفة للنص القرآني نتيجة تأثر مؤلِّفه بآراء علماء الاجتماع، فكان لابد من الإشارة إليها والتَّنبيه عليها، منها أنَّ الإنسان في صراع دائم مع الطبيعة، ويخاف من مظاهرها، ومن هذا الخوف قد نشأ الدِّين، والصَّحيح أنَّ الإنسان مستخلف في الأرض، وليس في صراع معها، ومنها أنَّ الدِّين في بدايته كان قصة وحكاية وخرافة، وهذا الكلام غير صحيح لأنَّ آدم عليه السلام وهو أوَّل البشر كان نبيَّاً يوحى إليه.

ومناقضته أيضاً لنفسه في كتابه، إذ قال في موضع أنَّ الحوار والمرأة عنصران رئيسان في القصة القرآنية، ثمَّ قال في موضع آخر أنَّ المرأة في القصة القرآنية غير مقصودة لذاتها، وكلامه الأخير هو الصَّحيح؛ لأنَّ المعوَّل عليه في القصة القرآنية هو الشخصية الصانعة للأحداث بغض النَّظر عن كونها ذكراً أو أنثى(١).

٦. **(القصص القرآني من العالم المنظور وغير المنظور)** أيضاً لعبد الكريم الخطيب، صدرت طبعته الأولى في بيروت عام ١٩٨٤م، وأكَّد فيه المؤلِّف أنَّ القصص القرآني هو الحقُّ الذي لا يشوبه الوهم أو الخيال، وأنَّ القصة القرآنية تُذكَر في القرآن الكريم كما حدثت لحظة وقوعها، واختار المؤلِّف أمثلة من القصص القرآني لتأكيد ما ذهب إليه، منها ما تعلَّق بالعالم المنظور كعالم الحيوان كالهدهد ونملة سليمان، وعالم الإنسان كأهل الكهف، ومنها ما تعلَّق بالعالم غير المنظور كالجن والشياطين.

فالحيوان مثلاً في القصة البشرية قد يظهر في صورة البطل وهذا من محض الخيال، أو قد يكون رمزاً مستعاراً لإنسان فهو أيضاً ضرباً من الخيال، أمَّا في القصة القرآنية فكلُّ حيوان جاء ذكره فيها فهو حيوان حقيقي يمثِّل ذات الحيوان الذي ورد ذكره في القصة القرآنية(٢).

٧. **(سيكولوجية القصة في القرآن)** للدكتور التهامي نقرة(٣)، هذا الكتب في الأصل هو رسالة دكتوراه قُدِّمت في جامعة الجزائر عام ١٩٧١م، وقد حاول الباحث في رسالته دارسة القصة القرآنية، وتحليلها، وبيان عوامل التَّأثير فيها، ودورها في التَّوجيه والتَّربية وغرس الإيمان، مستعيناً ببعض القواعد والأصول المقرَّرة عند علماء

---

(١) انظر: قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص: ١٩-٢٠).

(٢) انظر: قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص: ٣٢).

(٣) التُّهامي نقرة، التونسي، ولد سنة (١٩٢٢م)، درس في فروع التَّعليم الزيتوني، ساهم في وضع كتب النحو والصرف للتعليم الثانوي، قام بتدريس مادتي علوم القرآن والحديث بالكلِّية الزيتونية للشريعة وأصول الدِّين، ثمَّ تولَّى عمادة جامعة الزيتونة، ثمَّ تولَّى رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى، وأخيراً أصبح مستشار للأمين العام في جامعة الدول العربية، له عدَّة أبحاث في قضايا الفكر الإسلامي والتفسير والحوار بين الأديان وعلوم القرآن والوحي والفرق الكلامية، (توفي سنة: ١٩٩٧م). انظر: الموسوعة التونسية المفتوحة، التهامي نقرة/http://www.mawsouaa.tn/wiki

النفس والتربية والاجتماع، وساعياً إلى ربط الجانب الفنّي للقصة القرآنية بالجانب النَّفسي لأنَّهما يلتقيان في الهدف وهو التَّأثير الدِّيني(١).

وقد أُخِذ عليه كثرة الاستطراد والعناوين الفرعية مما جعل القارئ مشتتاً عن الموضوع نوعاً ما، كما أنَّ موضوعات بحثه قد فاقت عنوانه، فعنوان بحثه قد اقتصر على الجانب النَّفسي المتعلِّق بالقصة القرآنية، لكن ما وجدناه أنَّه قد أدخل موضوعات أخرى كان من الممكن أن توجد في أيِّ كتاب آخر يتحدَّث عن جوانب أخرى في القصة القرآنية(٢).

٨. (**القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته**) للدكتور فضل عباس(٣)، صدرت طبعته الأولى عام ١٩٨٧م، وقد ركَّز في كتابه على موضوع نفي التكرار عن القرآن الكريم، وعلى ترتيب القصص القرآني في السور، حيث بين أنَّ القصص قد وزِّعت توزيعاً موضوعياً في السور القرآنية، وأنَّ مساحة القصة في الآيات التي نزلت في مكَّة أوسع، فعند استقراء القرآن نجد أنَّه قلَّما خلت سورة مكِّية من القصص، أمَّا السور المدنية فإنَّ بضع سور فقط التي ذكر فيها شيء من القصص وبإيجاز، باستثناء سورة البقرة المدنية وما فيها من أخبار بني إسرائيل، ثمَّ يعرض الجانب العملي في ترتيب قصص الأنبياء، ويختتم كتابه بعرض بعض الشُّبهات التي أُثِيرَت حول القصة القرآنية(٤).

٩. (**القصص القرآني صدق حدث وسمو هدف وإرهاف حس وتهذيب نفس**) للدكتور فضل عباس، ويمتاز هذا الكتاب عن كتبه السابقة بأمور عدَّة ذكرها المؤلِّف في مقدمة كتابه، وهي: تصحيح الأخطاء التي وردت في مؤلفاته السابقة، إلى جانب إضافات جديدة، وتحقيقيه لكثير من القضايا التي اختلفت فيها آراء الباحثين، منها بعض أخبار آدم، وطوفان نوح، والتَّوسع في رد بعض الشُّبهات والآراء، والتَّنبيه كلَّما سنحت له الفرصة على بعض قضايا الإعجاز في القصة، ليجمع القارئ بين متعة الرُّوح والفكر، وصدق الخبر، وجمال النَّظْمِ، وتفسير الكلمات، والعبارات التي تحتاج إلى تفسير، والتَّنبيه على الرَّبط بين القصة القرآنية، وواقعنا المعيش؛ لاستنباط الدروس العملية من القصص القرآني(٥).

---

(١) انظر: سيكولوجية القصة في القرآن، (ص: ٢٣).

(٢) انظر: قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص: ٤١).

(٣) فضل عباس، أبو محمد فضل حسن بن أحمد بن آل عباس من عائلة العباسي، أردني، من علماء التفسير وعلوم القرآن واللغة والبلاغة، ولد سنة (١٩٣٢م) في فلسطين، حفظ القرآن الكريم وهو ابن عشر سنين، وحفظ العديد من المتون العلمية، ودرس في كلِّية أصول الدِّين في الأزهر ونال درجة الدكتوراه في التفسير، له عدَّة مؤلفات، منها: "إتقان البرهان في علوم القرآن"، و"اتجاهات التفسير ومناهج المفسرين في العصر الحديث"، (توفي سنة: ٢٠١١م). انظر: العلَّامة المفسِّر الدكتور فضل حسن عباس في سطور، عبد الكريم علي الخلف، رابطة العلماء السوريين، ٢٠١٨م، رابط المقال: https://islamsyria.com/ar

(٤) انظر: القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، (ص: ٢٩-٤١).

(٥) انظر: قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص: ٧-٩).

واحتوى هذ الكتاب على بيان لبعض الكاتِبين في القصة القرآنية، كما أنَّه قد فصَّل حديثه عن أهداف القصة القرآنية، وخصائصها، وذكر بعض الشُّبهات التي أثيرت حول القصة القرآنية، ومنها شبهة التكرار، وناقش آراء العلماء فيها، ثمَّ عرض منهج القرآن في ترتيبه للقصص القرآني بالسور القرآنية، واختتم كتابه بالجانب التَّطبيقي.

ونستنتج أنَّ عدداً من العلماء القدامى والمعاصرين قد اعتنوا بالقصص القرآني، واشتغلوا به، وألَّفوا فيه المؤلَّفات، وقد حوت كتبهم مزايا أفادت طالبي العلم، ولم تخل كتبهم من بعض العيوب، فعلى طالب العلم أن يكون واعياً، وأن يتحرَّى الدِّقة، وأن يأخذ من هذه الكتب ما فيه النَّفع والخير فقط.

في ضوء ما سبق يمكن القول:

١. إنَّ كلمة التَّناسب في اللغة قد جمعت معاني عدَّة: فهي تأتي بمعنى الاتِّصال والتَّشابك، ومعنى المشاكلة والموافقة.
٢. التَّناسب: هو الانسجام والتَّرابط والتَّآخي بين أجزاء السورة الواحدة، وبين السور فيما بينها حتَّى تكون كالكلمة الواحدة، ومعرفة علل وأسباب هذا الانسجام والتَّرابط والتَّآخي.
٣. هناك توافق بين المعاني اللغوية والاصطلاحية لكلمة التَّناسب، فكلاهما يدلُّ على أنَّ التناسب هو الرَّبط بين شيئين، فالتَّناسب في القرآن الكريم يعني أن ترتبط آيات وسور القرآن الكريم ببعضها البعض –كما يربط النَّسَب بين المتناسبين– سواء توصل إليها العلماء أم لا، لأنَّ المناسبة قد تظهر أحياناً، وقد تخفى أحياناً أخرى، وذلك بحسب ما يفتح الله به على المتدبِّر آياته.
٤. هناك أهمِّية بالغة لعلم المناسبة، فهو يساعد على فهم مراد الله تعالى من كتابه، وعدم الوقوع في اللبس والخطأ أثناء تفسير آياته.
٥. التَّناسب علم قديم، أدرجه كثير من المفسرين في كتبهم، مع اختلاف أساليب عرضهم له، فمنهم من صرَّح به، ومنهم من أشار إليه، ومنهم من ركَّز على المناسبات بين الآيات أو بين السور، ومنهم من جمع بين عدَّة أنواع من المناسبات كمناسبة الفاصلة القرآنية، أو المناسبة بين مقاطع السورة، أو بين مناسبة الآيات لمقصد السورة، إلا أنَّ جميع هذه الكتب قد حوت الفائدة والنفع، وساهمت في توضيح وفهم مراد الله تعالى من كتابه، وأسهمت في تطوير علم التَّناسب.
٦. أكثر المفسرين قالوا بالتناسب، وألَّفوا فيه، وهناك من اعترض على القول بوجود تناسب في القرآن الكريم كالعزِّ بن عبد السلام والشوكاني، وقد رُدَّ عليهم، ودُفِع اعتراضهم.

٧. لم يرفض العزُّ بن عبد السلام التَّناسب مطلقاً، بل يشترط فيه أن يقع في أمر مرتبط أوَّله بآخره، ودون أن يقع على أسباب مختلفة.

٨. لا يكفي كلام الشوكاني للقطع بأنَّه من المعارضين للتناسب، لأنَّه قد ذكر كثير من المناسبات في تفسيره.

٩. تفسير كتاب الله تعالى وفقاً للهوى، أو بدون كفاءة علمية كافية هو التفسير بالرأي المنهي عنه.

١٠. محاولة التَّوصل إلى أسرار كلام الله تعالى وفق أصول محكمة وقواعد ثابتة لا يسمَّى تفسيراً بالرأي.

١١. من امتنعوا عن هذا العلم لم يمنعوه بالكلِّية، بل أتوا به في كتبهم، ولعلَّ ما أظهروه من اعتراضات كانت بسبب ما وجدوه من تكلُّف في طلبه عند البعض، وعليه فإنَّ هذه الاعتراضات لا تلغي أهمِّية علم المناسبة مادام الرَّبط بين الآيات والسور بعيداً عن التَّكلُّف والتَّعسُّف.

١٢. دراسة المناسبات بين آيات وسور القرآن الكريم من الوسائل التي تعين على الفهم الصحيح لكتاب الله عزَّ وجلَّ، فلا غنى عنها لأيِّ مفسر؛ لأنَّها تساعد على بيان المعنى المراد، وبها يتوصَّل إلى انسجام القرآن الكريم وتماسكه.

١٣. التَّناسب لا ينحصر بين الآيات المتجاورة، فقد يظهر التَّناسب بين الآية والتي قبلها على بُعْدٍ منها.

١٤. هناك ارتباط بين أواخر آيات السور وأوائل آيات السور التي بعدها، مما يجعل سور القرآن الكريم سلسلة مترابطة الحلقات.

١٥. التَّكامل الموضوعي: هو تمام المعاني والتقاء جميع أركانها لتحقيق المقصد منها على أكمل وجه. أو: هو علم يقوم على تتبُّع قضية قرآنية واحدة، أو أجزاء قصة واحدة في جميع السور القرآنية، وبيان مدى اكتمال هذه القضية أو القصة القرآنية بعد ضمِّ كلِّ أجزائها وتركيبها في نسيج واحد.

١٦. التَّكامل في القرآن الكريم يقوم على جمع كلِّ النصوص المتعلِّقة بموضوع واحد، وتدبُّرها مجتمعة، حتَّى لا يطغى بعضها على بعض، ولا يتجاوز حدود مكانه الخاص ليأخذ مكان غيره.

١٧. الفرق بيت التناسب والتكامل أنَّ التناسب: دراسة ارتباط جزء من السورة، أو قضية من قضاياها ببقية أجزاء السورة نفسها، والتكامل: دراسة ارتباط جزء من السورة ببقية الأجزاء المتعلِّقة به والواردة في جميع القرآن الكريم.

١٨. القصة تقوم على التتبُّع، سواء كان مادياً كقصِّ الأثر، أو معنوياً كقصِّ الأخبار.

١٩. للقصة أهداف ومقاصد يسعى القاصُّ للوصول إليها من خلال عمله القصصي.

٢٠. القصة القرآنية: هي تتبُّع أخبار الأمم الماضية للتوصل إلى الغايات الدِّينية التي سيقت من أجلها.

٢١. لم يلتفت القرآن الكريم للتعريف بالشخصيات المذكورة في القصة، إلَّا ما كان ضرورياً ومؤثِّراً في القصة.

٢٢. يجرِّد القرآن الكريم القصة من ذكر زمانها ومكانها إلَّا ما كان متعلِّقاً بسير أحداث القصة.

٢٣. لم تلتزم القصة القرآنية الترتيب الطَّبيعي لحلقاتها، فتارة تَعْرِضُ حلقة من أوَّل القصة، وتارة من وسطها، وتارة من آخرها، وتارة تُعْرَضُ بكمالها، كلُّ ذلك بحسب ما تقتضيه مقاصد السورة وموضوعاتها.

٢٤. القصة القرآنية ما هي إلا وسيلة من وسائل القرآن لتحقيق أغراضه الدِّينية، وهذه الأغراض عديدة من الصعب استقصاؤها جميعها، لكنَّها تصبُّ في قالب واحد يتمثَّل في إثبات وحدانية الله تعالى، ووحدة الرِّسالات السماوية، وتثبت الإيمان في النُّفوس، ونقل الخبرات، واستخلاص العِبَرِ والدُّروس.

٢٥. اشتغل عدد من العلماء القدامى والمعاصرين بالقصص القرآني، وألَّفوا فيه المؤلَّفات، وقد حوت كتبهم مزايا أفادت طالبي العلم، ولم تخل كتبهم من بعض العيوب، فعلى طالب العلم أن يكون واعياً، وأن يتحرَّى الدِّقة، وأن يأخذ من هذه الكتب ما فيه النَّفع والخير فقط.

الفصل الأول:

تناسب ما ورد من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات السور التي ورد فيها، ومع مقصدها الرئيس.

المبحث الأول: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في السور المكِّية.

المبحث الثاني: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في السور المدنية.

المبحث الأول: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في السور المكِّية.

تمهيد:

إنَّ المتدبِّر لكتاب الله تعالى، والباحث في مكنوناته يجد أنَّ آيات القرآن الكريم وموضوعاته تتكرَّر في كثير من المواضع، ولا عجب في هذا، لأنَّ ذلك من أعظم الأدلَّة المثبتة أنَّ جميع ما في القرآن يعود لمصدر إلهيٍّ واحد، فبالرغم من التَّشابه والتكرار في بعض المواضع إلا أنَّه يبقى لكلِّ سورة خصائصها التي تميزها عن غيرها، وذلك لأنَّ كلَّ سورة إنَّما جاءت لتحقيق مقصد معين تدور في فُلكِه آيات تلك السورة، وقد أطلق عليه الفراهي اسم: عمود السورة.

فعمود السورة: هو الموضوع الذي تدور عليه جميع أجزاء السورة المترابطة فيما بينها ترابطاً معنوياً[١].

و"هو جماع مطالب الخطاب، فإليه مجرى الكلام، وهو المحصول والمقصود منه، فليس من أجزائه الترتيبية، ولكنَّه يسري فيه كالرُّوح والسرِّ، والكلام شرحُه وتفصيلُه، وإنتاجُه وتعليلُه، وربما يحسُن إخفاؤه، فلا يُطَّلع عليه إلا بعد استيفاء الكلام والتَّدبر فيه"[٢]

والوصول لعمود السورة ليس بالأمر السهل كما يعتقد البعض، بل هو من الأمور الصَّعبة التي قد تواجه الباحث في بعض السور، لذا فإنَّ على طالبه أن يبذل غاية جهده في محاولة تحديده واستخراجه، يقول الفراهي: "اعلم أن تعيين عمود السورة هو إقليدٌ لمعرفة نظامها.. ولكنَّه أصعب المعارف، ويحتاج إلى شدَّة التَّأمُّل والتَّمحيص، وترداد النَّظر فِي مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح، فتضيء به السورة كلُّها، ويتبين نظامها، وتأخذ كلُّ آية محلَّهَا الخاص، ويتعيَّن من التأويلات المحتملة أرجحها"[٣]

ويمكن الوصول إلى عمود السورة من خلال خطوات عدَّة، وهي:

١. التعرف على اسم السورة، أو أسمائها التوقيفية، ودلالة تلك الأسماء على مقصد السورة.

---

(١) انظر: مفردات القرآن، عبد الحميد الفراهي، (ص: ٢٨).

(٢) دلائل النظام، (ص: ٧٣).

(٣) دلائل النظام، (ص: ٧٧).

٢. دراسة المرحلة الزمنية التي نزلت فيها السورة، فالسورة إن نزلت في العهد المكّي فهي لا تخرج عن تقرير معاني أو أهداف القرآن المكّي سواء كانت مجتمعة أم متفرّقة، وكذلك حال السورة التي نزلت في العهد المدني فهي تهدف إلى تقرير أهداف القرآن المدني.

٣. تتبُّع الموضوعات الأساسية، والقضايا الكبرى التي تعالجها السورة، ثمَّ تقسيم السورة حسب تلك الموضوعات إلى مقاطع.

٤. الكشف عن وجوه التناسب بين مقاطع السورة، وكيف ساهمت تلك المقاطع مجتمعة في الكشف عن عمود السورة.

٥. وعند التوصل إلى عمود السورة الذي تبلورت حوله مقاطع السورة، يظهر لمتدبر كتاب الله تعالى الحِكَمَ والأسرار القرآنية التي رُزق فهمها(١).

وإنَّ مما يعين المتدبر لكتاب الله على فهم القصة القرآنية فهماً دقيقاً:

١. معرفة السياق الذي عُرِضت فيه القصة، سواء في السورة ككل، أو في الآيات التي سبقت القصة ومهَّدت لها، أو الآيات اللاحقة التي تبعتها.

٢. معرفة المناسبة التي عُرِضت فيها القصة، وأحوال الدَّعوة أثناء نزولها، فهناك صلة وثيقة بين ما كانت عليه بيئة العرب وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم، وبين الوحي القرآني؛ لأنَّهم هم المخاطبون في تلك الآيات، فاشتملت على آيات وجوب وجود الله تعالى، واستحقاقه للعبودية، ونزاهته عن الشريك والولد، والتَّنديد والتَّقريع بعاداتهم وأفكارهم(٢).

٣. دراسة وجوه ارتباط القصة مع بقية أجزائها الواردة في السور الأخرى، وتحديد علاقتها بعمود السورة.

يقول محمد محمود حجازي: "إذا نظرنا إلى القصة في القرآن الكريم نجد أنَّ القصة الواحدة ذكرت في القرآن بعدَّة أساليب، وفي عدَّة صور، ولكنَّها في كلِّ سورة وفي كلِّ موضع ثابتة في مكانها متناسبة مع جيرانها مؤتلفة مع الغرض الذي سيقت من أجله السورة"(٣).

---

(١) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي، (ص: ٤١-٤٥)

(٢) انظر: التفسير الحديث، محمد عزت دروزة، (١/١٤٤)

(٣) الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، (ص: ٦٤)

ويمكن تقسيم القصص الواردة في القرآن الكريم إلى قسمين، وهما: المكّي والمدني، وذلك باعتبار أنَّ هذه القصص قد ورد جزء منها في السورة المكّية، والجزء الآخر في السورة المدنية، وإن كان النصيب الأكبر لهذه القصص قد ورد في السور المكّية، فالمتدبر لكتاب الله عزَّ وجلَّ يجد أنَّ:

١. معظم السور المكّية لم تخلُ من ذكر القصص فيها سواء على سبيل الإجمال أم التَّفصيل، وذلك لأنَّ السور المكّية جاءت لتعالج موضوعات إثبات الوحدانية والعبودية لله عزَّ وجلَّ وحده، وإثبات النبوة والرِّسالة، وإثبات البعث والجزاء؛ لذا ناسب الإكثار من ذِكْرِ القصص المؤيدة والمبرهنة لموضوعاتها، خصوصاً قصص الأنبياء مع أقوامهم، ودعوتهم لعبادة الله وحده، وترك دين آبائهم[١].
٢. آيات القرآن المكّي كانت تنزل بما يتَّفق مع طبيعة العهد الذي نزلت فيه، فعلى مدار ثلاث عشرة سنة كانت تنزل الآيات بحسب الظروف، فنجدها هادئة في مواقف وظروف وأحوال، وشديدة في أخرى، وتعرض مواقف مشركي مكَّة وأقوالهم وادِّعاءاتهم، وأسباب رفضهم اتِّباع دعوته ﷺ[٢].

فقد كان موقف زعماء مكَّة منذ بدء دعوة النبي عليه السلام سلبياً، مما أثر على انتشار الدَّعوة على نطاق واسع، وأبقى الإسلام ضعيفاً في العدد والقوَّة، ولاقى النَّبيُّ ﷺ والمسلمون صعوبات ومشاق شتَّى طيلة ذاك العهد[٣].

وربما تعود بعض أسباب رفض زعماء مكَّة لدعوة النَّبيِّ ﷺ وجود الزعامات، واقتران استحقاقها بالغنى، فالزعيم هو من يأمر فيُطاع، وهو صاحب الكلمة الأخيرة في أيِّ قضية، فلمَّا باشر النَّبيُّ ﷺ بدعوته، ولم يكن زعيماً ولا غنياً، بل كان شاباً، خافوا أن تنقلب الموازين، ويصبح لذاك الشاب جيش من المؤيدين، وشقَّ عليهم أن يندرجوا تحت لواء المدعوين الموحِّدين، فاستنكروا الأمر واستكبروا أنفسهم عليه، وقالوا: لو كان ما جاء حقَّاً لكنا نحن المنتدبين للدَّعوة. والسبب الآخر الذي دفعهم لرفض دعوة النَّبيِّ ﷺ ما كانوا عليه من قوَّة رسوخ عقيدة التقاليد في المجتمع العربي، وما سعت إليه الدَّعوة الإسلامية من هدم تلك التقاليد، يضاف لذلك ما كانت تخشاه قريش من أنَّ نجاح الدَّعوة قد يؤدي في نظرهم إلى انصراف النَّاس عن مكَّة والحجِّ، وبالتالي تضرر منافعها وعوائدها المادية، وأخيراً التَّعجب والاستغراب من إنذار النَّبيِّ ﷺ بالبعث والقيامة، وما يدخل فيها من إنذار وتبشير، ووعد ووعيد، فلم تخلو سورة مكّية من الحديث عنه، مما يدلُّ على أنَّه كان من أهم المواضيع في تلك الفترة[٤].

---

(١) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (١/١٥٢).
(٢) انظر: سيرة رسول الله ﷺ، محمد عزة دروزة، (ص: ١٤٢).
(٣) انظر: المرجع السابق، (ص: ١٧٥).
(٤) انظر: المرجع السابق، (ص: ١٧٨-١٨٢).

وقد وردت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في القرآن المكّي والمدني، وتناولت جوانب متعددة من حياته، وقد فُصِّل القول في معظمها في القرآن المكّي، كحوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه ودعوته لهم للتَّوحيد الخالص لله تعالى(١)، وقصة مجيء الملائكة إليه وتبشريه بالولد(٢)، وأُجمل القول في بعضها الآخر حسبما اقتضته موضوعات السورة التي نزل فيها.

والبحث يقوم على عرض السور التي ذكرت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مرتَّبة بحسب نزولها، ولكن لابد قبل عرضها أن نذكر الآيات المكّية والمدنية التي أشارت إليه، وعدَّدت شيئاً من مناقبه:

١. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥].
٢. ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤].
٣. ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف:٦].
٤. ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨].
٥. ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب:٧].
٦. ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص:٤٥-٤٧].
٧. ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى:١٣].
٨. ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٧].

---

(١) وذلك في سورة مريم، والشُّعراء، والأنعام، والصَّافات، والأنبياء، والعنكبوت.
(٢) وذلك في سورة هود، والحجر، والذَّاريات.

٩. ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:٢٦].

١٠. ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ﴾ [الممتحنة:٤].

١١. ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾ [الأعلى:١٨-١٩].

المبحث الأول: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في السور المكِّية.

وفيه عدَّة مطالب:

المطلب الأوَّل: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة مريم.

المطلب الثاني: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء.

المطلب الثالث: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة هود.

المطلب الرابع: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الحجر.

المطلب الخامس: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام.

المطلب السادس: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الصافات.

المطلب السابع: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الزخرف.

المطلب الثامن: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الذاريات.

المطلب التاسع: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة النحل.

المطلب العاشر: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة إبراهيم.

المطلب الحادي عشر: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء.

المطلب الثاني عشر: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة العنكبوت.

المطلب الأول: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة مريم.

أولاً– بين يدي السورة:

إنَّ القارئ لكتاب الله تعالى يلحظ أنَّ لكلِّ سورة من سور القرآن اسماً يميزها عن غيرها، وقد يكون للسورة اسم واحد، وقد تتعدد أسماؤها، ولسورة مريم اسمان: سورة كهيعص؛ لافتتاحها بها، وسورة مريم، لاشتمالها على قصَّتها مفصَّلة(١)، "وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول"(٢)، وهي مكِّية بإجماع المفسرين(٣)، وروي أنَّها مكِّية إلا آية السجدة(٤) فإنَّها مدنية، "ولا يستقيم هذا القول لاتِّصال تلك الآية بالآيات قبلها إلا أن تكون أُلحقت بها في النزول وهو بعيد"(٥)، وزاد السيوطي عليها أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١](٦)، لكن لا دليل يدعم قول من قال بمدنيَّة بعض آياتها، لذا فالرَّاجح مكِّية السورة على الإطلاق.

ثانياً– تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة مريم مع زمن نزولها:

ساير نزول القرآن الكريم أحداث الدعوة في العهدين المكِّي والمدني، فكانت الآيات تنزل لتبلغ وترشد وتنذر وتصحح وتنبأ وتكشف كثيراً من الأمور، وبالتالي لا يكتمل الفهم الصحيح لمراد الله تعالى من آياته إلا بعد معرفة البيئة التي نزلت فيها الآيات، والمفاهيم التي كانت سائدة في تلك الفترة، ودراسة واقع حال المسلمين عندما كانت تتنزل عليهم الآيات القرآنية، والحالة النفسية والفكرية والاجتماعية التي كانوا عليها حين نزول الآيات، وزمان ومكان نزول الآيات(٧)، ومع أنَّ أغلب سور القرآن لم يعرف وقت نزولها على وجه الدِّقة، إلا أنَّنا نستطيع من خلال تتبُّع أسباب النزول الواردة في السورة، أو الحوادث التي ارتبطت بنزولها أن نحدد على وجه التقريب الوقت الذي نزلت فيه السورة .

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، الفيروزآبادى، (٣٠٥/١).

(٢) التحرير والتنوير، (٥٨/١٦).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (٧٢/١١)، وتفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٢١١/٥).

(٤) قال تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم:٥٨]

(٥) التحرير والتنوير، (٥٧/١٦).

(٦) انظر: الإتقان، (٦١/١).

(٧) انظر: قواعد التدبر الأمثل، (ص: ٢٣).

وسورة مريم هي أول سورة سردت حديثاً مفصلاً عن سيدنا إبراهيم عليه السلام، وقد نزلت بعد سورة فاطر، وقد ورد في كتب السيرة أنَّ جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه[١] قرأ صدر هذه السورة على النجاشي[٢] وأصحابه عندما هاجروا من مكَّة إلى أرض الحبشة[٣] [٤]، وفي الفترة التي سبقت الهجرة ما بين أواخر السنة الرابعة إلى أواسط السنة الخامسة من البعثة حيث كان البلاء قد اشتدَّ على المسلمين، والفتن قد تعاظمت، والنَّبيُّ ﷺ عاجز عن دفع البلاء عنهم، فطلب منهم الهجرة إلى الحبشة إلى أن يجعل الله تعالى لهم مخرجاً مما هم فيه.

"فلمَّا رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، بمكانه من الله تعالى ومن عمِّه أبي طالب، وأنَّه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإنَّ بها مَلِكاً لا يُظلَم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه. فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أوَّل هجرة في الإسلام"[٥].

يضاف إلى ذلك أنَّ سورة مريم قد نزلت قبل سورة طه، وسورة طه كانت قد نزلت قبل إسلام سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وبناءً على ذلك يُمكن القول بأنَّ تاريخَ نزولِ سورة مريم كان ما بين السنة الرابعة والخامسة من بعثة رسول الله ﷺ[٦].

وفي تلك الفترة التي نزلت فيها سورة مريم ما كان أهل مكَّة مهتمين بالعلم ومطالعة الكتب، فَعُدَّ الإخبار عن قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كما هي إخبار عن الغيب ومعجزة قوية على نبوته ﷺ، وقد نزلت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في هذه الفترة لمناسبات عدَّة، وهي:

---

(١) جعفر بن أبي طالب، أبو عبد الله الهاشمي، لُقِّبَ بالطيار، هاجر إلى الحبشة واستقرَّ فيها حتَّى هاجر النَّبيُّ ﷺ إلى المدينة فلحق به، كان يشبه النَّبيَّ ﷺ في خَلْقِه وخُلُقِه، وكان خير النَّاس للمساكين، فيطعمهم ما كان في بيته، استشهد في غزوة مؤته، انظر: طبقات الكبرى، (٢٤/٤-٣١)، والتاريخ الكبير، (١٨٥/٢).

(٢) أصحمة بن أبحر، ملك الحبشة، لُقِّبَ بالنَّجاشي، أسلم وحَسُنَ إسلامه، توفي في حياة النَّبيّ ﷺ وصلَّى عليه صلاة الغائب؛ لأنَّه مات بين قوم نصارى، ولم يكن عنده من يصلي عليه. انظر: سير أعلام النبلاء، (٢٦٠/٣-٢٦١)، والإصابة في تمييز الصحابة، (٣٤٧/١).

(٣) تقع أرض الحبشة في القرن الإفريقي، وتشمل أجزاء من شمال إثيوبيا وجنوب إريتريا وشرق السودان، وهي منطقة تاريخية تتركز حول مملكة أكسوم القديمة. تعتبر أرض الحبشة إثيوبيا الحالية. انظر: الموسوعة العربية، مجموعة من الباحثين، (٣٥٤/١).

(٤) انظر: السير والمغازي، محمد ابن إسحاق، (ص: ٢١٥)، وسيرة ابن هشام، عبد الملك بن هشام، (٣٣٦/١).

(٥) سيرة ابن هشام، (٣٢١/١-٣٢٢).

(٦) انظر: التحرير والتنوير، (٥٨/١٦).

١. أنَّ إبراهيم عليه السلام كان أب العرب وكانوا معترفين بمكانته وعلو منزلته وتوحيده الخالص لله تعالى، قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج:٧٨]، فكأنَّ الله تعالى قال للعرب إن كنتم مقلدين آباءكم كما تزعمون فإنَّ أشرف آبائكم هو إبراهيم عليه السلام فقلدوه في التَّوحيد ونبذ عبادة الأوثان، وإن كنتم من المستدلِّين فتفكَّروا في تلك الدلائل التي ذكرها إبراهيم عليه السلام لأبيه لتتيقَّنوا فساد عقيدتكم وعبادتكم.

٢. كثيراً ما كان الكافرون في زمن الرَّسول ﷺ يرفضون اتِّباع النَّبيِّ ﷺ بسبب التقليد الأعمى لدين الآباء، ورفض الدلائل النَّيرة، فضرب الله تعالى لهم مثلاً بسيدنا إبراهيم عليه السلام، وبيَّن أنَّه استطاع أن يترك دين أبيه، وأقام عليه الدَّليل، وآثر متابعة الدَّليل على متابعة أبيه، فاستحقَّ أن يكون قدوة يحتذى به في التَّوحيد عن يقين(١).

٣. تسلية للنَّبيِّ ﷺ، وتخفيف عنه لشدَّة ما كان يلقاه من قومه من الأذى والعناء، وخصوصاً من عمِّه أبي لهب، وتذكيراً له بأنَّ أعظم آبائه قد عانى مثله(٢).

فإذاً سورة مريم بما تضمَّنته من آيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت متوافقة مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها.

ثالثاً- مقاطع سورة مريم، ومقصدها الرئيس:

شغلت القصص القسم الأكبر من سورة مريم، فكانت الافتتاحية بقصة زكريا ويحيى عليهما السلام، تبعها قصة السيدة مريم وولدها عيسى عليه السلام، ثمَّ حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه ودعوته للتوحيد الخالص لله تعالى، يعقبها إشارات إلى بعض النبيين، وتتوج هذه القصص بإعلان العبودية والوحدانية لله عزَّ وجلَّ، مما يدلُّنا أنَّ هذه القصص هدفت في مجملها إلى إثبات وحدانية الله تعالى، وإثبات النبوة ووحدة الرسالة، وبيَّنت منهج المهتدين، ومنهج الضالين من أتباع النبيين، ثمَّ انتقلت الآيات إلى عرض جدال المشركين حول قضية البعث، وتختتم بتصوير بعض من مشاهد يوم القيامة.

إذاً نستطيع من خلال العرض السريع للموضوعات التي تناولتها السورة أن نقسمها إلى مقطعين رئيسين، وهي:

المقطع الأول: القصص المعلنة للتوحيد، والمثبتة للنبوة. من قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ١-٦٥].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٢١/٥٤١-٥٤٢).

(٢) انظر: نظم الدرر، (١٢/٢٠٧).

المقطع الثاني: الجدل حول البعث، وعرض بعض مشاهد يوم القيامة. من قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم: ٦٦-٩٨][(١)].

ومن خلال دراسة مقاطع السورة يمكننا أن نحدد المقصد الرئيس لسورة مريم هو: توحيد الله عزَّ وجلَّ، ونفي الولد والشريك عنه، وإثبات النبوة والبعث.

رابعاً- التناسب بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة مريم:

قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم: ٤١-٥٠].

تمهّد الآيات انتقال الحديث من قصة مريم وعيسى إلى قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه من خلال توجيه الخطاب لسيدنا محمد ﷺ، وتذكيره بنِعَمِ الله على سيدنا إبراهيم عليه السلام، فقد وصفته بأنَّه كان ﴿صِدِّيقًا﴾ لفرط صدقه في امتثال أوامر الله تعالى، ﴿نَّبِيًّا﴾: مخبراً عن ربّه بالوحي، ثمَّ تكشف الآيات أنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام اتَّبع أسلوب النداء في حواره مع والده مع أنَّه حاضرٌ أمامه؛ لإحضار سمعه وذهنه، وتنبيهه إلى ما سيلقيه عليه[(٢)].

ثمَّ ناداه بقوله: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾ لعلمه أنَّ من طبع أهل الجهالة تحقيرهم للصغير مهما بلغ علمه، فخاطبه بوصف الأبوة ليؤكد له إخلاصه بالنَّصيحة، ويصوِّر له فساد عبادته في صورة الاستفهام عن سببها، ويدعوه إلى التَّأمل في عمله ليقف بنفسه على خطئه، فبمجرد سماعه للسؤال لن يجد لنفسه جواباً شافياً، فيتجلى له خطؤه بعبادته للأوثان[(٣)]؛ لأنَّ هذه الأوثان لا تسمع ولا تبصر ولا تدفع الضرَّ، فأيُّ فائدة من عبادتها: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٢٢٩٩/٤).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، (١١٢/١٦-١١٣).
(٣) انظر: التحرير والتنوير، (١١٣/١٦).

﴿وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم:٤٢] فإذا أردت أن تعبد "فاعبد الذي إذا دعوته سمع دعاءك، وإذا أُحِيط بك أبصرك فنصرك، وإذا نزل بك ضرٌّ دفع عنك" [١].

وبعد أن لفت انتباهه أنَّ ما يتوجه لعبادته لا يستحق العبادة، وعلم منه وقوعه في مقام الحيرة، نبَّهه على أنَّه أهل للهداية، فقال له: ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، فلمَّا علم منه إنكاره من أن يكون ابنه أعرف منه بشيء[٢] قال له: ﴿إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ﴾ على سبيل التبعيض، أي شيء من العلم ليس معك ﴿فَٱتَّبِعۡنِيٓ﴾ أي: اجتهد في اتباعي ﴿أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ وهو الإيمان بالله وإفراده بالعبادة[٣].

ولما بين له أنَّه لا نفع فيما يعبده، ونبَّهه على الوصف المقتضي لوجوب الاقتداء به، بيَّن له ما في عبادة معبوده من الضرّ[٤]، فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ﴾ أي لا تطعه فيما يأمرك به من عبادة هذه الأصنام ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾: مستكبراً عن طاعة ربه، فطرده من رحمته، فلا تتبعه حتَّى لا تصبح مثله[٥].

وبعد أن بيَّن له أنَّه باتباعه للشيطان يكون عاصياً للمنعم، خوَّفه من إزالة نعمته عليه[٦]، فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم:٤٥]، وأتى بلفظ المسّ الذي هو ألطف من المعاقبة، ورتَّب عليه ما هو أكبر منه وهو ولاية الشيطان، فيكونان معاً في الآخرة وإن تباغضا وتبرَّأ بعضهما من بعض، ويحتمل أن يكون في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: إني أخاف أن تكون وليّاً في الدُّنيا للشيطان فيمسُّك في الآخرة عذاب من الرحمن [٧].

وفي نهاية ذلك الحوار المليء باللطف واللين من إبراهيم عليه السلام لأبيه، نرى أنَّ الوالد قد قابل لطف ولده بالغلظة، ولينه بالقسوة النابعة من الجهل والسفاهة، وأنكر عليه تحقيره لآلهته، فقال: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾ [مريم:٤٦] ناداه باسمه، ولم يقابل ﴿يَٰٓأَبَتِ﴾، بـ يا بنيَّ، وأنكر عليه رغبته

---

(١) جامع البيان (٢٠٣/١٨).
(٢) انظر: نظم الدرر، (٢٠٥/١٢).
(٣) انظر: البحر المحيط، (٢٦٩/٧).
(٤) انظر: نظم الدرر، (٢٠٥/١٢).
(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٢٣٥/٥).
(٦) انظر: نظم الدرر، (٢٠٦/١٢).
(٧) انظر: البحر المحيط، (٢٦٩/٧).

عن آلهته التي لا ينبغي أن يرغب عنها أحد. ومعنى ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ لأشتمنَّك بلساني، أو لأقتلنَّك، أو لأطردنَّك رمياً بالحجارة، ﴿وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا﴾ فاحذر رجمي، وابتعد عني زمناً طويلاً[١].

وبعد أن استنفذ سيدنا إبراهيم عليه السلام جميع الوسائل في إقناع والده اتَّخذ قرار المفارقة فقال: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ﴾ أي: سَلِمْتَ منِّي لا أصيبك بمكروه ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ﴾ سأسأل الله لك توبة تنال بها المغفرة، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ في معناها وجوه: برَّاً لطيفاً، أو عالماً يستجيب لي إذا دعوته، أو عودني الإجابة لدعائي[٢].

وتقترب القصة من النهاية فيختار إبراهيم عليه السلام الحلَّ الوحيد المناسب لحاله مع والده وقومه وهو الاعتزال دون تهاون أو تباطؤ، ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فخرج من بلده حسب ما أمره الله تعالى، وتوجَّه إلى الله تعالى بالدُّعاء ﴿وَأَدْعُوا۟ رَبِّى﴾ لكيلا يظنُّوا أنَّه نوى مجرد اعتزال عبادة أصنامهم، فربَّما اقتنعوا بإمساكه عنهم، ولذا بيَّن لهم أنَّه بعكس ذلك يدعو الله الذي لا يعبدونه.

وعبَّر عن الله تعالى بوصف الربوبية المضاف إلى ضمير نفسه للإشارة إلى انفراده من بينهم بعبادة الله تعالى، إلى جانب ما تتضمَّنه الإضافة من الاعتزاز بربوبية الله إيَّاه والتشريف لنفسه بذلك[٣]، ﴿عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ الشقاء: ضد السعادة، أي: راجياً أن أكون سعيداً، أي: مستجاب الدَّعوة[٤].

وتُختتم القصة بالمواهب الإلهية التي تعقب الصبر والثبات على مراد الله تعالى، لذا كررت كلمة ﴿وَهَبْنَا﴾ لتدل على سعة رحمة الله تعالى بعبده إبراهيم عليه السلام جزاء هجرانه للشرك وأهله، والفرار بدينه، ومن أهم هذه الهبات: ﴿وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ أي جعلنا هذين الموهوبين له أهلاً وولداً بدل الأهل الذين فارقهم يأنس بهما، مما يدل أنه عاش حتَّى رأى حفيده يعقوب عليه السلام، وجعلنا كلاً منهما نبياً[٥]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا﴾ أي: ووهب لهم مع النُّبوة المال والجاه والأتباع والنسل الطاهر والذرِّيَّة الطَّيبة، ثمَّ قال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ أي: ثناء حسناً رفيعاً عند كلِّ أهل الأديان[٦].

---

(١) انظر: الكشاف، (٣/٢٠).

(٢) انظر: معالم التنزيل، (٣/٢٣٦).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (١٦/١٢٢-١٢٣).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، (١٦/٦٥).

(٥) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب البخاري صديق حسن خان القنوجي، (٨/١٦٧).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، (٢١/٥٤٧-٥٤٨).

خامساً– التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات سورة مريم:

الموضوع الأول: القصص المعلنة للتوحيد، والمثبتة للنبوة:

١. التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام وقصة سيدنا زكريا عليه السلام:

ابتدأت سورة مريم بذكر قصة سيدنا زكريا ويحيى، من قوله تعالى: ﴿كٓهيعٓصٓ﴾إلى قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾ [مريم: ١-١٥]، وهي متناسبة مع قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام حيث أرشدت الآيات إلى اشتراكهما بمعجزة هبة الولد لكلٍّ منهما بالرغم من كِبَرِ السِّن، وعقم الزوجة(١)، ومن المعلوم أنَّ الله تعالى قد أيَّد أنبياءه بالمعجزات؛ لتكون من أكبر الدلائل التي تثبت نبوتهم، وتعينهم على الدَّعوة إلى توحيد الله تعالى، فها هو سيدنا زكريا يدعو ربَّه أن يهبه ولداً صالحاً يقوم بأمر الدِّين، ويكمل دعوته من بعده، وها هو سيدنا إبراهيم عليه السلام يرزق بالولد جزاء له على اعتزاله ملَّة الكفر وأهله، وثباته على عقيدة التَّوحيد، وهجرته للدَّعوة إليها، فأكرمه الله تعالى بأن جعل من ذرِّيَّته موحدين لله تعالى.

٢. التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام وقصة سيدنا عيسى عليه السلام:

من قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾ [مريم: ١٦-٢٦] إنَّ كلتا القصتين اشتركتا في عرض نماذج لأقوام أنكروا وحدانية الله تعالى، وأشركوا معه معبوداً آخر، إلا أن المنكرين لوحدانية الله تعالى في قصة مريم وعيسى –وهم النَّصارى– أثبتوا معبوداً غير الله تعالى حيَّاً عاقلاً فاهماً –وهو سيدنا عيسى عليه السلام– أمَّا المنكرون لوحدانية الله تعالى في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام –وهم عَبَدَة الأوثان– فقد أثبتوا معبوداً غير الله تعالى جماداً ليس بحيٍّ ولا عاقل ولا فاهم، والفريقان وإن اشتركا في الضَّلال، فضلال الفريق الثاني أشد(٢).

٣. التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام وما تبعها من إشارات إلى بعض الأنبياء:

من قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ﴿٥٨﴾﴾ [مريم: ٥٥-٥٨] كانت تلك الإشارات بمثابة تأكيد لوحدة الرُّسل جميعاً، وإقرارهم

---

(١) انظر: نظم الدرر، (٢٠٣/١٢).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (٥٤١/٢١).

جميعاً بالعبودية لله وحده، فجميع القصص الواردة في السورة دارت في فلك إثبات الوحدانية لله تعالى ونفي الولد والشريك عنه سبحانه، وانتهت بإعلان الربوبية لله وحده، والتَّوجه لعبادته، والصَّبر عليها، قال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم:٦٥][(١)].

الموضوع الثاني: الجدل حول البعث، وعرض بعض مشاهد يوم القيامة:

إنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متناسبة مع موضوع السورة الأخير وهو الجدال مع منكري البعث، الذين قابلوا دعوة أنبيائهم المبنية على الحجج والبراهين بالكفر والمعارضة بدلاً من الإيمان بها، وأنكروا البعث بعد الموت، كما قابل والد سيدنا إبراهيم عليه السلام دعوة ولده بالكفر والمعارضة، ثمَّ تصوير بعض مشاهد يوم القيامة، وما أعدَّه الله للمؤمن والكافر، فينتقل السياق بمشاهد بين الدنيا والآخرة، إذ وجدت مقدِّمته في الأرض، وستعرض نتيجته يوم القيامة، مما يجعل العَامِلَين متَّصلين ومرتبطين[(٢)]، وذلك من قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزٗا﴾ [مريم: ٦٦-٩٨].

سادساً- التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع المقصد الرئيس لسورة مريم:

تدور موضوعات سورة مريم حول مقصد رئيس ألا وهو توحيد الله تعالى، ونفي الولد والشريك عنه، وإثبات النُّبوة، والبعث[(٣)]، وقد جاءت الحلقة الواردة من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة مريم متناسبة مع مقصد السورة نظراً لما تضمنته الآيات من إعلانه التَّوحيد الخالص لله تعالى الذي نادى به جميع الرُّسل، ودعوته أبيه لذلك، ثمَّ اعتزاله ملَّة الشرك بعد رفض أبيه وقومه الاستجابة لدعوته، وإنكارهم لعذاب الله تعالى يوم القيامة[(٤)].

ونستنتج أنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة مريم كانت متناسبة مع جميع مقاطع السورة، وساهمت هذه الحلقة مع بقية موضوعات السورة بالتوصل إلى مقصد السورة.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٤/٢٣١٥).
(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٤/٢٣١٧).
(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (٢١/٥٤١).
(٤) انظر: التحرير والتنوير، (١٦/١١١).

المطلب الثاني: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الشُّعراء.

أولاً– بين يدي السورة:

نزلت سورة الشُّعراء بعد سورة الواقعة وقبل سورة النمل(١)، وهي مكّية إلا آخر أربع آيات من قوله تعالى: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء:٢٢٤] إلى آخر السورة، فإنَّها مدنية(٢)، وهي السورة السابعة والأربعون في عداد نزول السور، وعُرِفت هذه السورة عند السلف بسورة الشُّعراء؛ لأنَّها السورة الوحيدة التي ذكرت فيها كلمة الشُّعراء، وسمِّيت بسورة طسم؛ لافتتاحها بهذه الأحرف(٣)، وفي تسميتها بهذا الاسم دليل على أنَّ القرآن الكريم بعيد كلَّ البعد عن مشابهته للشعر؛ لعلو مقامه، واستقامة مناهجه، وصدق وعده ووعيده(٤)، وسمِّيت أيضاً بسورة الجامعة؛ لأنَّها أول سورة جمعت قصص الرسل الذين نزلوا بشرائع سماوية وصولاً إلى الرِّسالة المحمَّدية(٥).

ثانياً– تناسب قصة نبي الله إبراهيم في سورة الشُّعراء مع زمن نزولها:

نزلت سورة الشُّعراء في زمن كان قد نال النَّبيَّ محمداً ﷺ من الحزن بسبب كفر قومه وتكذيبهم له ما نال، وخصوصاً بعد طلبهم منه أن يأتيهم بخوارق، فافتتحت السورة بوصف الضِّيق الذي نزل بالنَّبيِّ ﷺ بسبب تكذيب قومه، قال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾ [الشعراء:٣-٤]، وبَخْعُ النَّفس: قتلها، فبيَّنت له الآيات أنَّ إيمانهم ليس مما كُلِّف به، ولو شاء الله تعالى أن يلزمهم بالإيمان لألزمهم به، ولأنزل عليهم من السماء آية قاهرة تجعلهم يقيمون على الإيمان(٦)، وتبعها آيات تذكِّره بقصص الأنبياء السابقين؛ ليعلم أنَّ مثل تلك المحنة كانت حاصلة أيضاً لمن سبقه من الأنبياء، وأنَّ قومه ليسوا أوَّل الأمم عناداً واستكباراً، وخصَّ قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام بالذكر:

---

(١) انظر: البرهان، (١/١٩٣).
(٢) انظر: الإتقان، (١/٣٩)، ومعالم التنزيل، (٣/٤٦١).
(٣) انظر: التحرير والتنوير، (١٩/٨٩-٩٠).
(٤) انظر: نظم الدرر، (١٤/١).
(٥) انظر: الإتقان، (١/١٩٤).
(٦) انظر: في ظلال القرآن، (٥/٢٥٨٤).

١. ليعلم ﷺ أنَّ حزن سيدنا إبراهيم عليه السلام لمثل هذا السبب أشدُّ من حزنه، لأنَّ من أصعب المحن التي مرَّت على سيدنا إبراهيم عليه السلام رؤيته أباه وقومه في النَّار دون أن ينقذهم إلا بقدر من الدُّعاء والتَّنبيه، فكانت قصته عليه السلام مواساةً لقلبه ﷺ، وتسليةً له فيما يجده من تكذيب قومه(١).

٢. لشدَّة الشبه بين قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين مشركي العرب، فكلاهما اشتركا في عبادة أصنام لا تسمع ولا تبصر، وقلَّدا آبائهم في ضلالهم، ودعاهم أنبياؤهم إلى إعمال عقولهم والاستدلال على انحطاط أصنامهم عن مرتبة استحقاق العبادة، وأيضاً فإنَّ قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يُسلَّط عليهم من عذاب الدُّنيا مثل ما سُلِّط على غيرهم من الأقوام فأشبهوا قريشاً في إمهالهم(٢).

٣. لتكون حجة على قومه المشركين الذين يدَّعون اتِّباعهم لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وأنَّهم على ملَّته، وهم يعبدون أصنامهم في بيته الحرام الذي بناه سيدنا إبراهيم عليه السلام خالصاً لله تعالى(٣).

وبالوقوف على الأسلوب الذي اتَّبعه القرآن الكريم في عرض سورة الشُّعراء نجد أنَّه يقوم على اختيار عناصر متداولة في بيئة الكفار عن أحوال الأمم السابقة، وطرحها بطريقة أثارت القلق في قلوبهم، وردَّت الثقة والطمأنينة لنفوس المؤمنين، من خلال عبارات قصيرة، ذات رنين قوي، تُنذِرُ بالعذاب(٤).

وبالنظر إلى الآيات التي تختتم بها السورة نجد قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤]، وكان موقع هذه الآية من السورة بعد استعراض كامل لرحلة دعوة الأنبياء أقوامهم لتوحيد الله تعالى، وما نالوه من أقوامهم من أذى واضطهاد؛ لتكون هذه الآيات تمهيداً وتثبيتاً للنَّبيِّ ﷺ وللمؤمنين لما سيلقونه من تبعات الجهر بالدَّعوة، كما تضمنت تلك القصص مآل المكذبين بالرُّسل؛ لتكون هذه الآيات إنذاراً للمكذبين من قومه ﷺ وتهديداً لهم لما سوف يلقونه من مؤاخذة الله تعالى لهم إن استمروا في التكذيب والاستكبار عن الحقِّ. مما يرجِّح أنَّ الفترة التي نزلت فيها السورة كانت في نهاية الدَّعوة السِّريَّة والفرديَّة التي بدأها النَّبيُّ ﷺ مع أقرب النَّاس له من أهله وأصدقائه وممن يرجو منه خيراً، وبداية الأمر بالجهر بالدَّعوة لجميع قومه(٥).

فإذاً سورة الشُّعراء بما تضمَّنته من آيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت متوافقة مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٥٠٩/٢٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (١٣٧/١٩).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، (٢٦٠٠/٥).

(٤) انظر: الفن القصصي، (ص: ٤٣٩-٤٤٠).

(٥) انظر: السير والمغازي، (ص: ١٤٥)، والرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري، (ص: ٦٨).

ثالثاً– مقاطع سورة الشُّعراء، ومقصدها الرئيس:

افتتحت السورة ببيان فضل القرآن الكريم، وتسلية النَّبيّ ﷺ لما يلقاه من إعراض قومه عن الاستجابة لدعوة التَّوحيد، ثمَّ انتقلت إلى ضرب الأمثال لهم وتذكيرهم بما نزل بالأمم التي كذَّبت رسلها، ثمَّ عادت السورة في الختام لتؤكد فضل النبي ﷺ، وتنوّه بعظم القرآن، وتنزيهه عن مشابهته للشعر، أو أن يكون ضرباً من أقوال الشياطين.

إذاً نستطيع من خلال العرض السريع للموضوعات التي تناولتها السورة أن نقسمها إلى ثلاثة مقاطع، وهي:

المقطع الأوَّل: التَّنويه بشأن القرآن، وتصوير إعراض الكافرين عن الحقّ، وتأثُّر النَّبيّ ﷺ لأجل ذلك، من قوله تعالى: ﴿طسٓمٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١-٩].

المقطع الثاني: القصص التي حوت مبادئ الدَّعوة والإنذار والتَّبشير والتَّذكير باليوم الآخر. وذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ١٠-١٩١].

المقطع الثالث: إثبات النُّبوَّة، وبيان فضل القرآن الكريم. من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ١٩٢-٢٢٧][1].

ومن خلال دراسة مقاطع السورة يمكننا أن نحدد المقصد الرئيس لسورة الشُّعراء هو: توحيد الله تعالى، وإنذار الكافرين من عاقبة تكذيب الرسل، وإثبات النُّبوَّة.

رابعاً– التناسب بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الشُّعراء:

قال تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ٧٠ قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ٧١ قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣ قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ ٧٤ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧ ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠ وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١ وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ٨٢ رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤ وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ

(١) انظر: التحرير والتنوير، (١٩/٩٠-٩١).

ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء:٦٩-٨٩].

ابتدأت الحلقة الواردة من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة الشُّعراء بقوله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الشعراء:٦٩]، وهي عطفٌ على قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشعراء:١٠] أي واذكر لقومك ذاك الخبر عظيم الشأن ليتأكَّد لك عدم تأثُّرهم بما فيه العلم لشدَّة عنادهم، وتغيير الأسلوب لمزيد الاعتناء بأمر هذه القصة؛ لأنَّ عدم إيمان كفار قريش بعد وقوفهم على ما تضمَّنته هذه القصة أقوى دليل على عنادهم، ولأنَّ إبراهيم عليه السلام له من الخصوصية عندهم ما ليس لغيره من الرُّسل، فهو جدُّهم الذي يفتخرون بالانتساب إليه، فالأجدر بهم بعد سماع هذه القصة أن يتَّقوا الله ويؤمنوا به[١].

فافتتح سيدنا إبراهيم عليه السلام مجادلتهم بسؤالهم عن معبوداتهم ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الشعراء:٧٠]؛ ليكونوا هم المبتدئين بشرح حقيقة عبوديتهم لتلك الأصنام[٢]، ثمَّ يريهم أنَّ ما يعبدونه لا يستحق العبادة[٣]. فأجابوه: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ [الشعراء:٧١] نُقيم ونداوم على عبادتها؛ وذلك لأنَّهم كانوا يعبدونها بالنَّهار دون الليل[٤].

ثمَّ أخذ سيدنا إبراهيم عليه السلام ينبِّههم على أشياء يشهد العقل أنَّها بعيدة عن صفات المعبود الحقِّ، فقال: ﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الشعراء:٧٢-٧٣] فالعبد يلتجئ إلى معبوده بالدُّعاء ليستجيب له في بذل منفعة أو دفع مضرة، فإذا كان من تعبدونه لا يستطيع أن يسمع دعاءكم، ولو عرف ذلك لما استطاع أن ينفعكم أو يكشف الضرر عنكم، فما الغاية من عبادتكم له؟ فعند هذه الحجَّة الباهرة لم يجد أبوه وقومه ما يدفعون به هذه الحجَّة[٥]، فعدلوا إلى أن قالوا: ﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [الشعراء:٧٤] أي عبدناها اقتداءً بآبائنا[٦] فردَّ عليهم معلناً عداوته لتلك الأصنام؛ ليقينه بأنَّ الأصنام لا تضرُّ، وإلا لضرَّته لأنَّه عدُّوها ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾

---

(١) انظر: روح المعاني، (٩١/١٠).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، (١٣٨/١٩).
(٣) انظر: الكشاف، (٣١٧/٣).
(٤) انظر: معالم التنزيل، (٤٦٩/٣)، أنوار التنزيل، البيضاوي، (١٤٠/٤).
(٥) انظر: مفاتيح الغيب، (٥١٠/٢٤).
(٦) انظر: مدارك التنزيل، النسفي، (٥٦٧/٢)، لباب التأويل، الخازن، (٣٢٧/٣).

[الشعراء:٧٥-٧٧](١). واستثنى إبراهيم عليه السلام من عدائه ﴿رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ لأنَّه قد يكون من آبائهم السابقين من عَبَد الله تعالى قبل فساد عقيدتهم، وقد يكون منهم من عَبَد الله تعالى ولكن أشرك معه آلهة أخرى، فاستثناه من باب الاحتياط في القول، والدِّقة الواعية في التعبير، الجديرين بإبراهيم عليه السلام حين حديثه عن العقيدة(٢).

وبعد استثنائه لربِّ العالمين، ذكر أوصاف ربِّه المستحق العبادة، فقال: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾ [الشعراء:٧٨-٨٠] فذكر فعل الخَلْقِ بالماضي، وفعل الهداية بالحاضر، والسبب: أنَّ الخلق لا يتجدد في الدنيا، بل يكون دفعة واحدة بالماضي، أمَّا الهداية من الله تعالى إلى مصالح الدُّنيا والدِّين فهي متكررة في كلِّ وقت(٣). ولأنَّ الخَلْقَ لا يمكن أن يدَّعيه أحد لم يؤكِّد فيه بـ: ﴿هُوَ﴾، ولأنَّ الهداية والإطعام والسقي يمكن ادِّعاؤهم أكَّد بـ: ﴿هُوَ﴾، وأضاف إبراهيم عليه السلام المرض إلى نفسه، ولم ينسبه إلى الله تأدُّباً معه، ولأنَّ المقام هنا مقام تعداد لنِعَمِ الله تعالى عليه(٤).

﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ [الشعراء:٨١] لم تأت بما يفيد الحصر، لأنَّهم كانوا على يقين بأنَّ أصنامهم لا تستطيع القيام بتلك الأفعال، وأنَّ الفاعل الحقيقي لها هو الله عزَّ وجلَّ، لذا لم يحتج إلى توكيد.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٨٢] عبَّر عن رجائه لمغفرة الله له يوم القيامة بلفظ الطمع؛ تواضعاً لله تعالى وليبعد عن نفسه فكرة استحقاقه للمغفرة، وليبيّن أنَّ طمعه في ذلك لوعد الله بذلك. والمغفرة: العفو عن الخطايا، والخطيئة من الأنبياء هي مخالفة مقتضى المقام النَّبوي، وقُيِّدت المغفرة بيوم الدِّين؛ لأنَّه اليوم الذي يظهر فيه أثر العفو(٥).

ولما انتهى الخليل من الثَّناء على ربه، والاعتراف بنعمه، انتقل إلى مناجاته فالتجأ إليه بالدُّعاء ليقتدي به غيره(٦)، فقال: ﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ٨٣ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٨٤﴾ [الشعراء:٨٣-٨٤] دعا إبراهيم عليه السلام ربَّه أن يديم عليه الحكمة والنُّبوة، ودوام الأثر إلى يوم الدِّين، وقد أجاب الله دعوته، لذلك ما من أمَّة إلا وتتمسك به وتعظِّمه، أو قال: واجعل لي صادقاً من ذريتي يقوم بالحقِّ، ويدعو النَّاس إلى ما كنت أدعوهم

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (١٩/١٤٠).
(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٥/٢٦٠٢-٢٦٠٣).
(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٤/٥١١-٥١٢).
(٤) انظر: البحر المحيط، (٨/١٦٥).
(٥) انظر: التحرير والتنوير، (١٩/١٤٣).
(٦) انظر: فتح البيان، (٩/٣٩١).

إليه، فأجيبت دعوته بمحمد ﷺ[١]. ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشعراء:٨٥]: أي: أنعم عليَّ في الدنيا ببقاء الذِكْرِ الجميل بعدي، وفي الآخرة اجعلني من الباقين والخالدين في جنَّة النعيم[٢]. ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء:٨٦] دعا إبراهيم عليه السلام لأبيه بالمغفرة؛ لأنَّه وعده في الظاهر أن يؤمن به، فلمَّا اتَّضح عدم وفائه بما قال تبرَّأ منه[٣]. ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ ۝٨٧ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ۝٨٩﴾ [الشعراء:٨٧-٨٩] لا تفضحني يوم البعث، في هذا اليوم لا ينجو إلا صاحب القلب الخالص من الشرك والشَّك، وهو قلب المؤمن[٤].

خامساً- التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات سورة الشُّعراء:

الموضوع الأول: تصوير إعراض الكافرين عن الحق، وتأثر النبي ﷺ لأجل ذلك:

ابتدأت السورة بالتَّنويه بعظمة القرآن، ثمَّ ذكرت شدَّة حزن سيدنا محمد ﷺ وتسليته فيما يلقاه من كفر قومه وعدم استجابتهم لدعوته، قال تعالى: ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ۝٥ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٦﴾ [الشعراء:١-٦]، وما ورد من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام متناسب مع ما افتتحت به السور، فهي نزلت مواساة للنَّبيّ ﷺ، وتأكيداً له أنَّ أباه سيدنا إبراهيم عليه السلام كان قد حزن مثل حزنه لعلمه بما سيؤول إليه أبوه وقومه من الإلقاء في النَّار دون أن يتمكن من مساعدتهم إلا بالدعاء والموعظة[٥].

الموضوع الثاني: القصص التي حوت مبادئ الدعوة والإنذار والتبشير والتذكير باليوم الآخر:

عرضت السورة الكريمة حلقات من قصص سبعة أنبياء كرام، وقد فُصِّل القول في بعض منها، كما في قصة موسى عليه السلام مع فرعون، واختُصر في بقية القصص، كقصة إبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام،

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، (٢٣٥/٤)، وأنوار التنزيل، (١٤٢/٤).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، (١٤٧/٦).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١١٤/١٣).

(٤) انظر: معالم التنزيل، (٤٧١/٣).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، (٥٠٩/٢٤).

وذلك بما يتناسب مع الغرض الذي سيقت له، وهو تقرير العقيدة، وتصحيحها من شوائب الشرك، وإثبات النُّبوة والبعث.

١. التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام وقصة موسى مع فرعون:

إنَّ قصة سيدنا موسى عليه السلام مع فرعون هي أوَّل قصة افتتحت بها السورة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١﴾ [الشعراء:١٠-١١] إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝٦٥ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ۝٦٦ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةًۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ۝٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦٨﴾ [الشعراء:٦٥-٦٨]

وقد جاء هذا الترتيب للقصص القرآني في هذه السورة على خلاف الترتيب الزمني لهذه القصص؛ وذلك لأنَّ السورة نزلت للردِّ على المشركين بعد طلبهم بإلحاح أن يأتيهم النَّبيُّ ﷺ بمعجزات خارقة، مع إصرارهم على عدم الإيمان حتَّى تأتيهم الآيات كما أوتي موسى، إلا أنّ آيات نبي الله موسى عليه السلام -وهي أكثر آيات الرُّسل السابقين- لم تؤثِّر في فرعون وقومه؛ لأنَّهم كانوا رؤساء الكِبْرِ والعناد، لذا أتبعها بضرب المثل بدعوة سيدنا إبراهيم المماثلة لدعوة سيدنا محمد ﷺ في النداء على إعمال دليل النَّظر(١).

٢. التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع التذكير باليوم الآخر:

إنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متناسبة مع ما ورد بعدها من تذكير باليوم الآخر، فبعد دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام ربَّه بعدم ذُلِّه وخذلانه يوم القيامة حينما لا يمنع المرء من عذاب الله إلا مجيئه بقلب سليم من الكفر والنفاق، قال تعالى: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء:٨٧-٨٩]، انتقل السياق إلى عرض مشهد من مشاهد يوم القيامة حينما يُسأل المشركون عن الآلهة التي عبدوها في الدُّنيا، فلا يستطيعون ردَّاً، ويندمون على الشرك الذي انتهى بهم إلى ما هم فيه من العذاب؛ فيكون ذلك ادعى إلى الاعتبار لكيلا يؤولوا إلى هذا المآل. من قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩٠-١٠٤](٢).

٣. التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام وما تبعها من قصص الأنبياء:

إنَّ جميع القصص الواردة في سورة الشُّعراء متناسبة فيما بينهما، فهي تحمل رسالة واحدة مضمونها: "تسلية النَّبيِّ ﷺ، وتثبيت له، ورباطة لجأشه بأنَّ ما يلاقيه من قومه هو سنَّة الرُّسل من قبله مع أقوامهم مثل: موسى وإبراهيم

(١) انظر: التحرير والتنوير، (١٩/١٠٣+١٣٧).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٥/٢٦٠٠).

ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب، ولذلك خُتم كلُّ استدلال جيء به على المشركين المكذبين بتذييل واحد هو قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾﴾ [الشعراء:١٩٠-١٩١] تسجيلاً عليهم بأنَّ آيات الوحدانية وصدق الرُّسل عديدة كافية لمن يطلب الحقَّ ولكن أكثر المشركين لا يؤمنون، وأنَّ الله عزيز قادر على أن ينزل بهم العذاب وأنَّه رحيم برُسله فناصِرُهم على أعدائهم"[١].

ولتأكيد وحدة الرُّسل والرسالات جاء التعبير بصيغة الجمع مقام الإفراد في لفظ "المرسلين"[٢]؛ لكي يؤكِّد وحدة رسالة الأنبياء، وصدق ما جاؤوا به، "فدين الرُّسل واحد، وإن الآخر منهم جاء بما جاء به الأول، فمن كذَّب واحداً من الأنبياء، فقد كذَّب جميعهم"[٣].

الموضوع الثالث: إثبات النبوة، وبيان فضل القرآن الكريم:

إنَّ جميع القصص الواردة في سورة الشُّعراء بما فيها قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام تناولت دعوة الرُّسل إلى توحيد الله تعالى، وقرَّرت رسالة المرسلين، وحذَّرت من مخالفتهم، لتصبَّ كلُّها في الخاتمة التي تثبت نبوَّة محمد ﷺ من خلال: معجزته الخالدة وهي القرآن الكريم، وتحذِّر من الإعراض عنها، ومن عصيان الرَّسول الذي أُنزِلت عليه، وتؤكِّد نزاهته ﷺ من أن يكون كاذباً فيما يقول؛ لأنَّ القرآن الكريم كلام الله عزَّ وجلَّ، وهو كلام فصيح، وفصاحته تدلُّ على أنَّه من ربِّ العالمين، ولأنَّ فيه إخباراً عن القصص الماضية ولم يسبق للنَّبيِّ ﷺ أن تعلَّمها البتَّة، فلا يمكن أن يكون ذلك إلا بوحي من الله تعالى[٤]، فكانت جميع القصص الواردة في السورة حجَّة قطعية على نبوَّة سيدنا محمد ﷺ، وعلى أنَّ القرآن الكريم كلام الله تعالى، وليس كلام النَّبيِّ ﷺ، ولنتأمل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:١٩٢] جاءت في حال العطف على الآيات التي قبلها، فبعد أن أخبرت الآيات أحوال أقوام الرُّسل المشابهة لحال قوم سيدنا محمد ﷺ، وما أيَّدهم الله به من معجزات، أعلمهم أنَّ القرآن هو آية الله لهذه الأمة[٥].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء:١٩٧] تُعدُّ هذه الآية الحجَّة الثانية على نبوَّته ﷺ وصدقه، وذلك لأنَّ جماعة من علماء بني إسرائيل أسلموا وأشاروا إلى المواضع التي ذُكِر فيها الرَّسول

---

(١) التحرير والتنوير، (١٩/٩٠-٩١).

(٢) قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥]، ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢٣]، ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٤١]، ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٦٠].

(٣) لباب التأويل، (٣/٣٢٨).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٤/٥٣٠).

(٥) انظر: التحرير والتنوير، (١٩/١٨٨).

ﷺ في كتبهم بصفته ونَعْتِهِ، وقد كان مشركو قريش يذهبون إلى اليهود ليتعرفوا منهم هذا الخبر، مما يدلُّ دلالة قطعية على نبوَّته ﷺ؛ لأنَّ تطابق الكتب السماوية على نَعْتِهِ ووصفه يؤكِّد نبوَّته(١).

سادساً– التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع المقصد الرئيس لسورة الشُّعراء:

إنَّ مقصد سورة الشُّعراء يقوم على توحيد الله تعالى، وإنذار الكافرين من عاقبة تكذيب الرُّسل، وإثبات النُّبوَّة(٢)، والحلقة التي عرضت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام متناسبة مع مقصد السورة، فهي تدور حول تذكير العرب بجدِّهم إبراهيم عليه السلام والذين كانوا يدَّعون أنَّهم منتمون لعقيدة التَّوحيد التي جاء بها، وتصوِّر دعوته لهداية قومه، وإنكاره لآلهتهم، ومحاجاته لأبيه وقومه لعبادتهم أصنام لا تضرُّ ولا تنفع، وتبرهن لهم أنَّ ما جاء به نبيهم محمد ﷺ من الدَّعوة إلى التَّوحيد هو عين ما جاء به جدُّهم إبراهيم عليه السلام، وتحذِّرهم من عاقبة تكذيبهم برسولهم يوم القيامة(٣). يقول البيضاوي: "إنَّ فيما ذكر من قصة إبراهيم عليه السلام لحجَّة وعظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر، فإنَّها جاءت على أنظم ترتيب وأحسن تقرير، يتفطن المتأمل فيها لغزارة علمه لما فيها من الإشارة إلى أصول العلوم الدينية والتنبيه على دلائلها وحُسْنِ دعوته للقوم، وحُسْنِ مخالقته معهم، وكمال إشفاقه عليهم، وتصور الأمر في نفسه، وإطلاق الوعد والوعيد على سبيل الحكاية تعريضاً وإيقاظاً لهم ليكون أدعى لهم إلى الاستماع والقبول"(٤).

ونستنتج أنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الشُّعراء كانت متناسبة مع جميع مقاطع السورة، وساهمت هذه الحلقة مع بقية موضوعات السورة بالتوصل إلى مقصد السورة.

المطلب الثالث: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة هود.

أولاً– بين يدي السورة:

إنَّ من دواعي تسمية هذه السورة بسورة هود أمور عدَّة، جعلت اسمها هذا مناسب لها أكمل مناسبة، وربما يعود السبب في تسميتها بسورة هود؛ لتكرار اسم هود فيها خمس مرات، ولأنَّ الحديث عنه في هذه السورة كان أطول مما حُكِي عنه في بقيَّة السور، ولأنَّ عاداً وصِفُوا فيها بأنَّهم قوم هود، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٥٣٣/٢٤).
(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٢٥٨٣/٥).
(٣) انظر: التفسير الحديث، (٢٥١/٣).
(٤) أنوار التنزيل، (١٤٣/٤).

هُودٍ﴾ [هود:٦٠][١]، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما[٢] قال: قال أبو بَكْرٍ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ؟ قَالَ: شَيَّبَتْنِي هُودٌ، وَالْوَاقِعَةُ، وَالْمُرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»[٣]، وهي السورة الثانية والخمسين في ترتيب نزول سور القرآن الكريم[٤]، وهي مكّية بالكامل عند جمهور المفسرين، واستثنى بعضهم منها ثلاث آيات: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ﴾ [هود:١٢]، ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [هود:١٧]، ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ﴾ [هود:١١٤]، ودليلهم في الثالثة ما ورد من عدَّة طرق أنَّها نزلت بالمدينة في حق "أبو اليسر"[٥]. [٦]، "والأصح أنَّها كُلَّها مكّية، وأنَّ ما روي من أسباب النزول في بعض آيها تَوَهُّمٌ لاشتباه الاستدلال بها في قصة بأنَّها نزلت حينئذ"[٧]

ثانياً– تناسب قصة نبي الله إبراهيم في سورة هود مع زمن نزولها:

نزلت سورة هود بجملتها بعد يونس وقبل سورة يوسف[٨]، ونزلت يونس بعد الإسراء، وكلُّ هذا يوضِّح معالم الفترة التي نزلت فيها السورة، وهي من أحرج الفترات في تاريخ الدَّعوة بمكَّة، فقد سبقها موت أبي طالب، فتجرَّأ المشركون على النَّبيّ ﷺ وفعلوا ما لم يكونوا ليجرؤوا على فعله في حياة أبي طالب، بالإضافة لوفاة السيدة خديجة رضي الله عنها ووحشته ﷺ على فراقها. وقد "وقعت هاتان الحادثتان المؤلمتان خلال أيام معدودة، فاهتزَّت مشاعر الحزن والألم في قلب رسول الله ﷺ، ثمَّ لم تزل تتوالى عليه المصائب من قومه، فقد كانوا تجرَّأوا عليه، وكاشفوه بالنكال والأذى بعد موت أبي طالب، فازداد غمَّاً على غمٍّ، حتَّى يئس منهم وخرج إلى الطَّائف، رجاء

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٣١١/١١).

(٢) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، يكنَّى أبو العباس، القرشي الهاشمي، وهو ابن عمّ رسول الله ﷺ، وابن خالة خالد بن الوليد، ولد قبل الهجرة بثلاث سنوات، وحنَّكه النبي ﷺ بريقه، لُقِّب بحبر الأمة، وبالبحر؛ لسعة علمه، وكان الصحابة إذا تداءوا في شيء انتهوا إلى قوله؛ لعلمه بالتفسير والحديث والفقه والشعر والفرائض، عيَّنه سيدنا علي رضي الله عنه أميراً على البصرة، (توفي سنة: ٦٨) بالطائف. انظر: التاريخ الكبير، (٣/٥-٤)، وأسد الغابة، (٢٩١/٣).

(٣) سنن الترمذي، الترمذي، كتاب: أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الواقعة، (٢٥٥/٥)، (٣٢٩٧)، هذا حديث حسن غريب، لا يُعرف من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، (٣١٢/١١).

(٥) كعب بن عَمرو بن عباد بن سواد بن غنم الأنَّصاري الخزرجي السُّلمي، أبو اليُسْر، شهد بدراً وهو ابن عشرين سنة، وهو الذي أَسَر العباس بن عبد المطَّلب يوم بدر، وهو آخر من مات بالمدينة ممن شهد بدراً، (توفي سنة: ٥٥هـ)، ومات وله عشرون ومائة سنة. انظر: أسد الغابة، (٤٥٧/٤)، تهذيب التهذيب، أحمد ابن حجر العسقلاني، (٤٣٧/٨).

(٦) انظر: الإتقان، (٥٩/١).

(٧) التحرير والتنوير، (٣١٢/١١).

(٨) انظر: البرهان، (١٩٣/١).

أن يستجيبوا لدعوته أو يؤووه وينصروه على قومه، فلم ير من يؤوي، ولم ير ناصراً، وآذوه مع ذلك أشدَّ الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه"(١)

يقول ابن إسحاق(٢): "ثمَّ إنَّ خديجة بنت خويلد وأبا طالب ماتا في عام واحد فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلاك خديجة وأبي طالب، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام، كان يسكن إليها"(٣)

فكانت وفاتهما إيذاناً ببدء عهد جديد من البلاء، إضافة لحادثة الإسراء، واستهزاء المشركين بها، وارتداد بعض من كانوا أسلموا قبله، مما دفع قريش إلى إعلان الحرب عليه وعلى دعوته، كلُّ هذه الأحداث أدَّت إلى جمود في حركة الدَّعوة، والتَّوقف عن الدخول في الإسلام. لذا كان ﷺ أحوج ما يكون لآيات تثبت فؤاده على الحقِّ، وتربط على قلبه، وتخفف عنه مما يساور قلبه من الوحشة والضيق والغربة في المجتمع الجاهلي، وتُعينه على مواصلة الطريق(٤).

وبالرغم من حزن النَّبيِّ ﷺ على عمِّه وزوجه إلا أنَّ حزنه على دين الله الذي لم يُتَّبع كان أشدُّ، فنزلت آيات سورة هود تحمل طابع تلك الفترة، وتنقل لنا جانباً من رفض المشركين لدعوة النبي ﷺ، وإنكارهم البعث بعد الموت، وادِّعائهم أنَّ هذا مجرد سحر من النَّبيِّ ﷺ(٥)، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [هود:٧]، ثمَّ طلبهم منه أن يأتيهم بكنوز من ذهب أو ملائكة تشهد بأنَّه نبيٌّ مرسل، قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [هود:١٢](٦)، فضاق صدر النَّبيِّ ﷺ لما يلقاه من عناد ومكابرة قريش، وجرأتهم عليه في الفترة التي تلت وفاة عمِّه وزوجته.

---

(١) الرحيق المختوم، (ص: ١٠٤).

(٢) محمد بن إسحاق ابن يسار مولى قيس بن مخرمة بن المطلب بن قصي، العلَّامة، الحافظ، ولد سنة ثمَّانين، وهو أوَّل من جمع مغازي رسول الله ﷺ وألفها، قال عنه يحيى بن معين: كان ثقة حسن الحديث، (توفي سنة: ١٥٠هـ)، وقيل غير ذلك. انظر: الطبقات الكبرى، متمم التابعين، ابن سعد، (١/٤٠٠-٤٠٢).

(٣) السير والمغازي، (ص: ٢٤٣).

(٤) انظر: في ظلال القرآن، (٤/١٨٤٠-١٨٤١)، ومباحث في علوم القرآن، (١/٥٩).

(٥) انظر: التفسير الحديث، (٣/٥٠٥).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، (١٧/٣٢٣).

فجيء بقصص الأنبياء الذين سبقوه —ومنهم سيدنا إبراهيم عليه السلام– مواساة له، وتطميناً له أنَّ ما يعانيه هو سنَّة الأنبياء والرُّسل، فيثبت قلبه، ويستمر في دعوته، وردَّاً على مشركي العرب بأنَّ ما جاء به هو وحي من الله تعالى، وبشهادة الكتب السابقة، وتصديق أهل الكتاب. قال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [هود:١٧]

وختمت السورة بتسرية للنَّبيِّ ﷺ، وتوجيهه للاستقامة، وعدم الالتفات إلى المشركين، والاستعانة بالصَّبر والصَّلاة على مواجهة تلك الفترة الحرجة(١). قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [هود:١١٢-١١٥]

فإذاً سورة هود بما تضمَّنته من آيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت متوافقة مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها.

ثالثاً– مقاطع سورة هود، ومقصدها الرئيس:

افتتحت سورة هود بالتنويه بشأن القرآن، والدَّعوة إلى توحيد الله تعالى، والنهي عن عبادة غيره، وبيان حقيقة مهمَّة الرسول، وإثبات البعث والنشور إلى الله تعالى، ثمَّ انتقلت لعرض سلسلة من قصص الأنبياء تسلية للنَّبيِّ ﷺ، وإنذاراً للمشركين بما حلَّ بالأمم السابقة، ثمَّ تبيّن سنَّة الله تعالى في إهلاك الكافرين، وتختتم بالدَّعوة إلى الاستقامة والثبات في طريق الحقِّ، والصَّبر في الدعوة إلى الصلاح(٢).

إذاً نستطيع من خلال العرض السريع للموضوعات التي تناولتها السورة أن نقسمها إلى ثلاثة مقاطع، وهي:

المقطع الأول: الدَّعوة إلى توحيد الله، وإثبات البعث، وتصوير تعنُّت الكافرين. من قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [هود: ١-٢٤].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (١٨٣٩/٤-١٨٤٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٣١٢/١١-٣١٣).

المقطع الثاني: إثبات وحدة رسالة الرُّسل، وتثبيت قلب النَّبيّ ﷺ من خلال عرض قصص الأنبياء. من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ﴾ [هود: ٢٥-٩٩].

المقطع الثالث: بيان سنَّة الله في إهلاك الكافرين. من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَۖ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ ٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [هود: ١٠٠-١٢٣].

ومن خلال دراسة مقاطع السورة يمكننا أن نحدد المقصد الرئيس لسورة هود: توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبودية، وتلقي هذا التَّوحيد وهذه العبودية عن رُسل الله وحدهم، وأنَّ المفاصلة بين النَّاس والحساب والجزاء ستكون على أساس تلك الحقيقة.

رابعاً- التناسب بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة هود:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ ٦٩ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ٧٠ وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١ قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦﴾ [هود:٦٩-٧٦].

اختلف المدخل الذي افتُتحت به قصة نبيّ الله إبراهيم عليه السلام في سورة هود عن الأسلوب الذي سارت عليه قصص الأنبياء الآخرين فيها، فقد كانت كلُّ قصة تبتدأ بقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ﴾ [هود:٥٠]. ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ [هود:٦١]، بينما ابتدأت بذكر مجيء ملائكة إليه تحمل له البشارة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ [هود:٦٩]، وذلك لأنَّ الغرض من إيراد هذه القصص ذِكْرُ صنيع الأمم السالفة مع الرُّسل المرسلة إليهم، ولحوق العذاب بهم، ولم يكن جميع قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام ممن لحق بهم العذاب، بل إنَّما لحق العذاب بقوم لوط منهم

خاصة، فناسب أن يغيَّر الأسلوب في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ليتناسب مع ما جاءوا به من الإخبار بالبشرى، والتَّمهيد لقصة قوم سيدنا لوط عليه السلام الذين حلَّ العذاب بهم ولم تغن عنهم مجادلة سيدنا إبراهيم عليه السلام(١).

والرُّسل هنا الملائكة، والملائكة على ما ذُكِر أنَّهم سيدنا جبريل وميكائيل وإسرافيل، وبشَّروه بالولد، وبالخُلَّة، وبإنجاء سيدنا لوط عليه السلام ومن آمن معه(٢).

﴿قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ﴾ [هود:٦٩] جاء سلام الملائكة في حال النَّصب لأنَّه دعاء مرجو، بينما جاء سلام إبراهيم عليه السلام مرفوعاً مما يدل على أنَّه ردَّ التَّحية بأحسن منها(٣)، ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٖ حَنِيذٖ﴾ [هود:٦٩]، لم يتأخر إبراهيم عليه السلام في إحضاره، بل عجَّل فيه، أو ما لبث مجيئه، والعجل: هو ولد البقرة، والحنيذ: المشوي الذي يقطر دسمه(٤).

﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ﴾ [هود: ٧٠] فلمَّا رآهم ممتنعين عن الأكل أضمر خوفه منهم؛ لأنَّ من عاداتهم أنَّ الضيف إذا أكل من طعامهم أَمِنوه، وإلَّا خافوا منه أن يُلحِق بهم مكروهاً، والظَّاهر أنَّه أدرك أنَّهم ملائكة وخاف من أن يكون نزولهم لأمر أنكره الله تعالى عليه، أو خاف على قومه من نزول العذاب بهم، فلمَّا رأوا آثار الخوف على وجهه طمأنوه فقالوا: ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ﴾ [هود: ٧٠] إنَّا أُرسِلنا لإنزال العذاب بقوم لوط(٥).

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [هود: ٧١] وقد كانت امرأته قائمة وراء الستر تستمع لحوارهم، أو كانت قائمة على خدمتهم، ﴿فَضَحِكَتۡ﴾ وردت فيها عدَّة أقوال: سرَّت بذهاب الخوف، أو سرَّت بهلاك أهل الخبائث، أو كان ضحكها إنكاراً لغفلتهم وقد دنا منهم العذاب، أو لأنَّها كانت تطلب من سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يضم ابن أخيه لوطاً إليه ظنَّاً منها أنَّ الله تعالى سينزل بقومه العذاب، فلمَّا أتى الأمر بإهلاكهم ضحكت سروراً لما أصاب ظنُّها(٦).

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، (٢٢٤/٤)، وروح المعاني، (٢٩٠/٦)، والتحرير والتنوير، (١١٦/١٢).

(٢)انظر: جامع البيان، (٣٨١/١٥)، والبحر المحيط، (١٧٨/٦-١٧٩).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، (١٨٨/٣).

(٤) انظر: الكشاف، (٤١٠/٢).

(٥) انظر: مدارك التنزيل، (٧٢/٢).

(٦) انظر: الكشاف، (٤١١/٢).

ثمَّ عبَّرت عن تعجُّبها الشديد حين بشِّرت بالولد وولد الولد وهي عجوز عقيم، وزوجها شيخ كبير فقالت: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود:٧٢] والويل: كلمة تقولها العرب عند التَّعجُّب من الشيء أو استنكاره، وربما يعود سبب تعجُّبها أنَّها قد بلغت من السنِّ ما لا تلد في مثله النساء(١)، وإنكارها واستبعادها لحدوث مثل هذا الأمر إنَّما كان من حيث العادة، وليس إنكاراً لقدرة الله تعالى، لذا ردَّت عليها الملائكة منكرة تعجُّبها فقالوا لها: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود:٧٣] فهي قد عاشت في بيت النُّبوة، وعاينت المعجزات، فكيف لها أن تتعجب من حدوث هذه المعجزة العظيمة لها وهي من أهل بيت خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام الذين خصَّهم الله تعالى بالتَّكريم والإنعام، وورد أنَّ الرَّحمة: النُّبوة، والبركات: الأسباط من بني إسرائيل، لأنَّ الأنبياء منهم، وجميعهم من ولد إبراهيم عليه السلام، حميدٌ: فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده، مجيدٌ: كثير الإحسان إليهم(٢).

﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود:٧٤] فلمَّا زال خوفه بعد أن نَكِرَ أضيافه حين رأى أيديهم لا تصل إلى طعامهم، واطمأنَّ قلبه، وامتلأ سروراً ببشارته بالولد أخذ يجادل الملائكة في قوم لوط ليردَّ عنهم العذاب، فقال: أرأيتم لو كان فيها خمسون مؤمناً أتهلكونها؟ قالوا: لا، قال: فأربعون؟ قالوا: لا، قال: فثلاثون؟ قالوا: لا، حتَّى بلغ العشرة، قالوا: لا، قال أرأيتم إن كان فيها رجل واحد مسلم أتهلكونها؟ قالوا: لا، فقال: إنَّ فيها لوطاً (٣)، "والمجادلة هنا: دعاء ومناجاة سأل بها إبراهيم عليه السلام ربَّه العفو عن قوم لوط خشية إهلاك المؤمنين منهم، وقد تكون المجادلة مع الملائكة، وعُدِّيت إلى ضمير الجلالة لأنَّ المقصود من جدال الملائكة التَّعرض إلى أمر الله بصرف العذاب عن قوم لوط"(٤).

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود:٧٥] جاءت هذه الآية تُعلِّل وتوضِّح سبب مجادلة سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوم لوط، فالذي دفعه لذلك اتصافه بتلك الصفات، فالحليم: لا يعجِّل العقوبة أو الانتقام ممن أساء إليه، بل يتأنَّى فيؤخر ويعفو، وجداله مع الملائكة كان من أجل تأخير العقوبة عليهم، وأوَّاه: كثير التَّأوه من الذنوب والتَّأسف على النَّاس، والمنيب: كثير الرجوع إلى الله(٥)، وناسب ذِكْرُ هذه الخصال التي تحلَّى بها سيدنا إبراهيم

---

(١) انظر: جامع البيان، (٣٩٨/١٥).
(٢) انظر: الكشاف، (٤١١/٢).
(٣) انظر: مدارك التنزيل، (٧٤/٢).
(٤) التحرير والتنوير، (١٢٣/١٢).
(٥) انظر: روح المعاني، (٣٠١/٦).

عليه السلام عقيب القصة لأنَّ إبراهيم عليه السلام لما رأى مجيء الملائكة لأجل إهلاك قوم لوط عَظُمَ الحزن في قلبه وأخذ يتأوَّه عليه، ولأنَّ من ظهرت منه الشفقة على الغير كان لابد له أن ينيب ويرجع إلى الله في رفع العذاب عنه(١).

وبعد أن أكثر من المجادلة لوافر شفقته عليه السلام على عباد الله، أعلمه الله تعالى أنَّ الأمر قد قُضِي، ونادته الرُّسل بأداة النداء إعلاماً له بأنَّ ما بعدها عظيم الشأن(٢)، فقالوا: ﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾ [هود:٧٦] أي قلنا يا إبراهيم، أو قالت الملائكة يا إبراهيم، فلابد من تقدير القول حتَّى يرتبط الكلام بما قبله(٣)، والمعنى: اترك الجدال في أمرهم فإنَّ أمر الله تعالى قد جاء بإهلاكهم، وإنَّ العذاب واقع بقوم لوط لا محالة، ولن يقدروا على دفعه عنهم(٤).

خامساً– التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات سورة هود:

الموضوع الأول: الدعوة إلى توحيد الله، وإثبات البعث، وتصوير تعنت الكافرين:

ابتدأت السورة الكريمة بترسيخ أصول العقيدة من خلال بيان شرف القرآن العظيم، فافتتحت بوصفه بالإحكام والتَّفصيل، وبيان شرف مصدره وهو الله الحكيم الخبير، قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود:١]، ثمَّ الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده، وترك الإشراك به، وبيان وظيفة الرُّسل وهي التَّبشير والإنذار، ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ﴾ [هود:٢]، وبيان عناية الخالق العظيم بكلِّ دابة في الأرض، وإثبات قدرته على البعث وغيره، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٦ وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۗ وَلَئِن قُلۡتَ إِنَّكُم مَّبۡعُوثُونَ مِنۢ بَعۡدِ ٱلۡمَوۡتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝٧﴾ [هود:٦-٧]، والحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متناسبة مع الموضوعات التي افتتحت بها السورة، فقد كانت بشارته عليه السلام بالولد عطاء من الله تعالى له بعد أن فارق أباه وقومه لما وجد منهم إصراراً على الكفر، ورفضاً لدعوته لهم إلى توحيد الله تعالى، وكانت معجزة هبة الولد من أكبر دلائل قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت، فالذي قَدِرَ على إنشاء روحاً من العدم قادر على بعثه من جديد للحساب والجزاء.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٣٧٧/١٨).
(٢) انظر: نظم الدرر، (٣٣٣/٩-٣٣٤).
(٣) انظر: روح المعاني، (٣٠١/٦).
(٤) انظر: معالم التنزيل، (٤٥٨/٢).

وعندما تعنَّت الكافرون بطلب إنزال الملائكة على النَّبيّ ﷺ في قولهم: ﴿أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ﴾ [هود:١٢] جيء بقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام وحواره مع الملائكة؛ لتردَّ على هؤلاء المتعنتين، وتثبت قدرة الله تعالى على إنزال ملائكته على رُسله، بل وإكثاره من فعل ذلك[١].

الموضوع الثاني: قصص الأنبياء التي تهدف جميعها إلى إثبات وحدة رسالة الرسل، وتثبيت قلب النَّبيّ ﷺ:

إنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متناسبة مع جميع قصص الأنبياء الواردة في السورة، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ﴾ [هود: ٢٥-٩٩]، فجميعها أثبتت أنَّ النَّبيَّ ﷺ ليس بدعاً من الرُّسل، وإنَّما بُعِث بمثل ما بُعِث به مَنْ قبله من الرُّسل من الدَّعوة إلى توحيد الله تعالى، والإيمان بالبعث والجزاء[٢]، وأنَّ جميع الأنبياء قد طعن أقوامهم في نبوتهم، فصبروا على أذاهم، فعليك يا محمد أن تثبّت قلبك، وتصبر كما صبروا؛ لأنَّ الله تعالى ناصر أنبياءه، ومهلك أعداءه، كما فعل مع جميع الكافرين برسالة أنبيائهم، إلا أنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام لم تذكر هلاك قومه، وذلك لأنَّ المقصد من ذِكر هذه القصة التَّمهيد لذكر قصة هلاك قوم سيدنا لوط عليه السلام [٣].

وسنشير إلى وجوه خاصة من التناسب بين قصة سيدنا إبراهيم مع بعض الأنبياء المذكورين في السورة، وهم:

١. التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام وقصة نبي الله نوح عليه السلام:

لا يخفى على المتدبر لكتاب الله تعالى أنَّ هناك تناسباً بين جدالي نوح وإبراهيم عليهما السلام فكلٌّ منهما يطمع في هداية جميع قومه، ويشفق على الضَّالين منهم، ويرجو نجاتهم من العذاب، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢٥ أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ ٢٦﴾ [هود:٢٥-٢٦]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥﴾ [هود:٧٤-٧٥] ولعلَّ تكرار لفظ ﴿وَلَقَدۡ﴾ في بدايتها عطفاً على ما في قصة نوح للتَّنبيه على وحدة الغرض[٤].

---

(١) انظر: نظم الدرر، (٣٢٨/٩).
(٢) انظر: تفسير المراغي، (٢٤/١٢).
(٣) انظر: البحر المحيط، (١٧٨/٦).
(٤) انظر: نظم الدرر، (٣٢٨/٩).

٢. التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام وقصة نبي الله صالح عليه السلام:

إنَّ البشارة بالولد في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام متناسبة مع ما ورد قبلها من أمر الناقة، قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ﴾ [هود:٦٤] حيث يعدُّ كلٌّ منهما معجزة وأمراً خارقاً للعادة، مما يؤكِّد تمام القدرة وكمال العلم المبني عليه أمر السورة في إحكام الكتاب وتفصيله(١).

٣. التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام وقصة نبي الله لوط عليه السلام:

إنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام قد مهَّدت لقصة نبي الله لوط عليه السلام، وذلك بذكر صفات سيدنا إبراهيم عليه السلام الدَّالة على رقَّة قلبه ورحمته، وهي التي حملته على مجادلة الملائكة في قوم لوط، وطلبه تأخير إنزال العذاب بهم، وإمهالهم لعلَّهم يتوبوا، وردُّ الملائكة عليه بأنَّ عذاب الله نازل بهم لا محالة. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦﴾ [هود:٧٤-٧٦](٢).

الموضوع الثالث: بيان سنَّة الله في إهلاك الكافرين:

بعد أن ذكر تعالى قصص عَبَدَة الأوثان من الأمم السابقة، واتِّباعهم آباءهم في الضَّلال، وبيّن سوء عاقبتهم، ويدخل في تلك القصص قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام التي ذُكِرت تمهيداً لقصة قوم سيدنا لوط عليه السلام الذين حلَّ العذاب بهم، ولم تغن عنهم مجادلة سيدنا إبراهيم عليه السلام في شأنهم، فقد مضت سنَّة الله تعالى في إهلاكهم، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ﴾ [هود: ٢٥-٩٩]، أتبعها بذكر حال الكافرين في زمن النَّبيِّ ﷺ، وأنَّهم باتِّباع دين آبائهم سيصبح حالهم كحال من تقدَّمهم من تلك الأمم، وسيجري عليهم ما جرى على الأمم السالفة من سوء العاقبة إن لم يتَّبعوا النَّبيَّ ﷺ قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِۚ مَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبۡلُۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ غَيۡرَ مَنقُوصٖ﴾ [هود:١٠٩](٣).

---

(١) انظر: نظم الدرر، (٣٢٨/٩).

(٢) انظر: روح المعاني، (٣٠١/٦).

(٣) انظر: البحر المحيط، (٢١٥/٦).

سادساً– التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع المقصد الرئيس لسورة هود:

سورة هود سورة مكِّية حملت في ثناياها صفات ومقاصد القرآن المكي، وكان القصص هو جسم السورة، وقد جِيءَ بها تقريراً لحقيقة أساسية وهي: توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبودية، وتلقِّي هذا التَّوحيد وهذه العبودية عن رُسل الله وحدهم، وأنَّ المفاصلة بين النَّاس والحساب والجزاء ستكون على أساس تلك الحقيقة، وذلك من خلال استعراض لحركة العقيدة الإسلاميَّة في التاريخ البشري من لدن نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ، وكانت قصة سيدنا إبراهيم مع أضيافه من ضمنها(١).

ونستنتج أنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة هود كانت متناسبة مع جميع مقاطع السورة، وساهمت هذه الحلقة مع بقية موضوعات السورة بالتوصل إلى مقصد السورة.

المطلب الرابع: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الحجر.

أولاً– بين يدي السورة:

نزلت سورة الحجر بعد سورة يوسف، وقبل سورة الأنعام(٢)، وهي السورة الرابعة والخمسون في ترتيب نزول سور القرآن(٣)، وهي تسع وتسعون آية باتفاق العادِّين(٤)، ورجَّح العلماء مكِّيتها(٥)، وسمِّيت بسورة الحجر، لأنَّ لفظ الحجر قد تفرَّد ذِكْرُه في هذه السورة، ولم يذكر في أيِّ سورة أخرى في القرآن الكريم، وأصحاب الحِجْر هم قوم سيدنا صالح عليه السلام، وسُمُّوا بذلك لأنَّهم كانوا ينزلون الحِجْر، وهو المكان الذي يمنعون أحداً من سكنه غيرهم؛ لاختصاصهم به، كما أنَّه يجوز أن يكون لفظ الحِجْر مأخوذ من الحجارة؛ لأنَّ قوم صالح عليه السلام كانوا يبنون بيوتهم وينحتونها من أحجار الجبال وصخورها (٦).

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (١٨٤١/٤).

(٢) انظر: البرهان، (١٩٣/١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (٦/١٤).

(٤) انظر: فنون الأفنان، (ص:٢٨٩)، ولباب التأويل، (٤٧/٣).

(٥) انظر: الإتقان، (٤٦/١).

(٦) التفسير الوسيط، الطنطاوي، (٦/٨).

ثانياً– تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الحجر مع زمن نزولها:

نزلت سورة الحجر بعد سورة يوسف، في الفترة الحرجة ما بين عام الحزن وعام الهجرة، وكانت أحوال تبليغ الرِّسالة في هذه الفترة شبه متوقفة، بسبب عنادِ قريش وتجرُّئهم على النَّبيِّ ﷺ واستهزائهم بدعوته، وقد نقلت لنا سورة الحجر صوراً من إيذائهم للنَّبيِّ ﷺ في تلك الفترة:

١. كقولهم: إنَّك لمجنون في دعائك إيَّانا أن نتبعك ونترك آلهتنا، وإن كنت صادقاً في أنَّ الله تعالى بعثك رسولاً إلينا فاطلب منه أن يرسل معك ملائكة حجَّة لك علينا، وإثباتاً لنبوَّتك، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧﴾ [الحجر:٦-٧](١).

٢. وصفه بالشعر، والسحر والكهانة، قال تعالى: ﴿كَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَى ٱلۡمُقۡتَسِمِينَ ۝٩٠ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ ۝٩١ فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٩٢﴾ [الحجر:٩٠-٩٢] نزلت هذه الآيات في النَّفر الذين اقتسموا القرآن فجعلوه أصنافاً، فبعضهم وصفه بالسحر، وبعضهم بالشعر، وبعضهم بالكذب، وبعضهم بأساطير الأولين، وأيضاً في النَّفر الذين فرَّقوا القول في رسول الله ﷺ فأخذوا يقولون فيه لمن لقوا من النَّاس في موسم الحجِّ: ساحر، وكاهن، وشاعر، حتَّى انتشر ذِكْرُه في بلاد العرب(٢).

ثمَّ توجَّهت سورة الحجر إلى ذِكْرِ قصص الأنبياء –بما فيها قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام التي حوت التَّبشير والإنذار– ؛ تهديداً لمشركي العرب، وتذكيراً لهم بمصارع الأقوام المكذبين برسالة أنبيائهم ومصائرهم، وتسلية للرَّسول ﷺ ومواساة له، فجميع من سبقه من الأنبياء قد لاقوا من أقوامهم ما لقيه من أذى وسخرية وتكذيب من قومه، ثمَّ يوجِّهه الحقُّ سبحانه وتعالى إلى الثبات على الحقِّ، والصَّدع به بقوة في مواجهة الشرك وأهله، والصَّبر بعد ذلك على بطء الاستجابة وطول الطريق(٣)، قال تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤]، وأن يدعو إلى الله تعالى، وأن يصبر على أذى قومه فإنَّ الله تعالى كافيه أذاهم(٤)، قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ﴾ [الحجر:٩٥] فقد نزلت هذه الآية عندما كان النَّبيُّ ﷺ يدعو قومه بالرُّغم مما كان يلقاه منهم من الأذى والاستهزاء، فأتاه سيدنا جبريل عليه السلام فوقف عند الكعبة وهم يطوفون حولها، فمرَّ به الأسود ابن عبد يغوث فأشار جبريل إلى بطنه فمات حَبْنَاً(٥)، ومرَّ به الأسود ابن المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعُمي،

---

(١) انظر: جامع البيان، (٦٦/١٧).

(٢) انظر: معالم التنزيل، (٦٧/٣)، والسير والمغازي، (ص: ١٥١-١٥٢).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، (٢١٢١/٤).

(٤) انظر: السير والمغازي، (ص: ١٤٥)، والبداية والنهاية، (٥٠/٣).

(٥) الحَبْنُ: "داء يأخذ في البطن فيعظُم منه ويَرِمُ". لسان العرب، (١٠٤/١٣)، مادة (حبن).

ومرَّ به الوليد بن المغيرة فأشار إلى جرح في كعب رجله قد كان أصابه قبل ذلك بيسير، فانتقض به فقتله، ومرَّ به العاصي بن وائل فأشار إلى أخمص رجله، فركب إلى الطائف على حمار فربض به على شِبرِقة[١] فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته، ومرَّ به الحارث بن الطلاطلة فأشار إلى رأسه فامتخض قيحاً حتَّى قتله، ففيهم أنزل الله عزَّ وجلَّ هذه الآية[٢].

فإذاً سورة الحجر بما تضمَّنته من آيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت متوافقة مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها.

ثالثاً– مقاطع سورة الحجر، ومقصدها الرئيس:

افتتحت السورة الكريمة بالتَّحدي بإعجاز القرآن الكريم، وإنذار المشركين وتحذيرهم من سوء العاقبة والنَّدم على عدم إسلامهم، ثمَّ انتقلت إلى تسلية الرَّسول ﷺ على عدم إيمانهم، وبيان أنَّ ما يقولونه في حقِّه ﷺ هو من عادات المكذبين مع رُسلهم، فليس عليه أن يلتفت لهم، ثمَّ عرضت الآيات دلائل التَّوحيد، وأقامت الحجَّة على المشركين بتعداد نِعَمِ الله تعالى عليهم في السماوات والأرض، وتبعتها دلائل البعث، وعرضت خلق الإنسان وما أكرمه الله تعالى به، ومحاولات الشياطين لتضليل الإنسان، ووصفت أحوال المتَّقين والأشقياء، ثمَّ توجَّهت لعرض سلسلة من قصص الأنبياء مع أقوامهم وبيان مصيرهم الذي استحقوه بعدل الله تعالى جزَّاء ظُلمهم واستكبارهم، وختمت بتثبيت النَّبيِّ ﷺ، وأمره بانتظار الفرج ومسامحة من آذاه، فإنَّ الله كافيه أعداءه[٣].

إذاً نستطيع من خلال العرض السريع للموضوعات التي تناولتها السورة أن نقسمها إلى ثلاثة مقاطع، وهي:

المقطع الأول: شُبَه منكري نبوة سيدنا محمد ﷺ. من قوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ﴾ [الحجر: ١-١٥].

المقطع الثاني: دعوتهم للاعتبار والهداية قبل الهلاك. من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جَعَلۡنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ١٦-٥٠].

---

(١) الشِبْرِق: "بالكسر: نبات غض، وقيل: شجر منبته نجد وتهامة وثمرته شاكة صغيرة الجرم حمراء مثل الدم منبتها السباخ والقيعان". لسان العرب، (١٠/١٧٢)، مادة (شِبْرِق).

(٢) انظر: السير والمغازي، (ص: ٢٧٣).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (١٤/٧)، والتفسير الوسيط، الطنطاوي، (٨/٧-٨).

المقطع الثالث: تطمين النَّبيّ ﷺ وتثبيت فؤاده. من قوله تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٥١-٩٩].

ومن خلال دراسة مقاطع السورة يمكننا أن نحدد المقصد الرئيس لسورة الحجر هو: إبراز طبيعة المكذبين بدين الإسلام وبنبوَّة سيدنا محمد ﷺ، وبيان مصيرهم الذي سيؤولون إليه إن لم يعتبروا بدلائل التَّوحيد والنبوَّة والبعث.

رابعاً– التناسب بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الحجر:

قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ۝٥١ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝٥٢ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٥٣ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٧ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۝٥٨ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٩ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۝٦٠﴾ [الحجر:٥١-٦٠].

ابتدأت الحقلة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الحجر بالإخبار عن أضيافه، فقال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحجر:٥١] أي: أخبرهم يا محمد عن الملائكة الذين دخلوا على إبراهيم عليه السلام لتبشيره بالولد، وإخباره بأمر الله تعالى بإنزال العذاب بقوم لوط(١)، ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر:٥٢] أي: نُسلِّم عليك سلاماً، وقوله ﴿وَجِلُونَ﴾ أي: خائفون، وما دفعه للخوف منهم امتناعهم من أكل الطعام الذي قدَّموه لهم، أو لأنَّهم دخلوا بغير إذن وبغير وقت(٢).

وبعد إخبار إبراهيم عليه السلام بوَجَلِه منهم، تشوَّف السامع إلى معرفة جوابهم(٣) ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر:٥٣] إنَّك آمن ومبشر فلا تخاف، والبشارة كانت بأمرين: أحدهما أنَّ الولد سيكون ذكر، وثانيهما: أنَّه سيصبح عليماً، والعليم يعني: البشارة بنبوّة ولده من بعده، أو بشَّروه بأنَّه عليم بالدِّين(٤).

---

(١) انظر: جامع البيان، (١١٢/١٧)، ومعالم التنزيل، (٦١/٣).

(٢) انظر: الكشاف، (٥٨٠/٢).

(٣) انظر: نظم الدرر، (٦٦/١١).

(٤) انظر: مفاتح الغيب، (١٥٠/١٩)، ومدارك التنزيل، (١٩٢/٢).

فلمَّا بشَّروه بالولد تعجَّب إبراهيم عليه السلام من تلك البشارة؛ لكِبَرِه وكِبَرِ زوجه، فقال: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ [الحجر:٥٤] أتبشرونني بالولد وأنا على هذه الحالة من الكِبَرِ، ثمَّ قال متعجِّباً: ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ فبأيِّ شيء تبشِّرون، وهو استفهام بمعنى التعجُّب كأنَّه تعجَّب من حصول الولد على الكِبَرِ(١).

"ولما استبعد ذلك استبعاد المتعجِّب من حصوله كان ذلك أثراً من آثار رسوخ الأمور المعتادة في نفسه بحيث لم يقلعه منها الخبر الذي يعلم صدقه فبقي في نفسه بقيَّة من التَّردُّد في حصول ذلك فقاربت حاله تلك حال الذين ييأسون من أمر الله تعالى، ولما كان إبراهيم عليه السلام منزَّهاً عن القنوط من رحمة الله تعالى جاءوا في موعظته بطريقة الأدب المناسب فنهوه عن أن يكون من زمرة القانطين تحذيراً له مما يدخله في تلك الزمرة، ولم يفرضوا أن يكون هو قانطاً لرفعة مقام نبوءته عن ذلك"(٢)، ﴿قَالُواْ بَشَّرْنَاكَ بِٱلْحَقِّ﴾ باليقين الذي لا لَبْسَ فيه ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾ من الآيسين فالله تعالى قادرٌ على أن يخلق بشراً بغير أبوين، فكيف من شيخ كبير وامرأته العاقر، وكان استعجابه باعتبار العادة دون القدرة(٣)، ولذلك قال: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦] ومَنْ ييأس من رحمة الله تعالى إلا المكذبون، أو المخطئون الذاهبون عن طريق الصَّواب والمعرفة، الجاهلون بسعة رحمة الله تعالى وكمال علمه وقدرته، وفي كلامه هذا دليل على أنَّه استبعد الولد لكِبَرِ سنِّه لا لقنوطه من رحمة ربِّه(٤).

وبعد أن تحققت البشارة، وأدرك إبراهيم عليه السلام أنَّ مجيء الملائكة مجتمعين مخالف للصفة التي يأتي عليها الملَك للوحي، وأنَّ الملائكة لا ينزلون إلَّا لأمر عظيم، كان ذلك سبباً لأن يسألهم عن سبب مجيئهم لتزول جميع مخاوفه(٥)، فقال: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الحجر: ٥٧] الخَطْبُ: هو الحدث الجلل الذي ينتاب الإنسان، وهنا يسأل سيدنا إبراهيم عليه السلام الملائكة، أي: لأيِّ أمر جَلَلٍ أتيتم؟(٦)، فأجابوه: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الحجر: ٥٨] "وهم قوم لوط عليه السلام، وجيء بهم بطريق التنكير ووصفوا بالإجرام استهانة بهم وذماً لهم"(٧).

---

(١) انظر: لباب التأويل، (٥٨/٣).

(٢) التحرير والتنوير، (٦٠/١٤).

(٣) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود، (٨١/٥)، والبحر المديد، أبو العباس أحمد الأنجري، (٩٥/٣).

(٤) انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، (١٨٠/٧).

(٥) انظر: نظم الدرر، (٦٧/١١).

(٦) انظر: تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي، (٧٧٢٨/١٣).

(٧) روح المعاني، (٣٠٧/٧).

وبما أنَّ إرسالهم كان لإنزال العذاب بالقوم المجرمين استثنى أتباع لوط وأهله المؤمنين، فسينجون من ذلك العذاب(١)، ﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [الحجر:٥٩]، ثمَّ استثنى زوج سيدنا لوط عليه السلام أن تكون من الناجين، فرجعت في المآل إلى القوم المجرمين، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ﴾ [الحجر:٦٠](٢).

خامساً– التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات سورة الحجر:

الموضوع الأول: شُبَه منكري نبوة سيدنا محمد ﷺ:

افتتحت السورة بإنذار مشركي العرب، وتهديدهم بالمصير الرَّهيب الذي سيؤولون إليه إن استمروا في كفرهم وتكذيبهم برسالة النبي ﷺ، وتحذيرهم من إهلاك الله تعالى لهم كما أهلك القرى السابقة التي جاءها النَّذير فكذبوه ورفضوا اتِّباعه؛ لتكون هذه الآيات بمثابة تمهيد لما سيأتي بعدها من عرض لحكاية أقوالهم وشُبَهِهِم في إنكار نبوَّته ﷺ(٣). قال تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ وَقُرۡءَانٖ مُّبِينٖ ۝١ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٢ ذَرۡهُمۡ يَأۡكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلۡهِهِمُ ٱلۡأَمَلُۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ۝٣ وَمَآ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٞ مَّعۡلُومٞ ۝٤ مَّا تَسۡبِقُ مِنۡ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ ۝٥﴾ [الحجر:١-٥]، والحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متناسبة مع ما افتتحت به السورة، فقد مهَّدت لعرض نماذج لقرى أهلكها الله تعالى، ونالت جزاءها بعد انتهاء أجل النُّذُر(٤).

وبعد هذا التمهيد عرضت السورة بعضاً من شُبَه منكري نبوَّة سيدنا محمد ﷺ، فوصفوه بالجنون، وطلبوا منه أن يأتيهم بملائكة دليلاً على صدقه، فردَّت عليهم الآيات بأنَّ الله تعالى يُنزِل الملائكة حينما يأتي الموعد المعين في علمه بالحق، عندها تنتهي فُرص إمهال الكافرين، وتأجيل هلاكهم وعذابهم(٥)، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ۝٦ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٧ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ۝٨﴾ [الحجر:٦-٨]، ثمَّ جيء بقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام برهاناً على قدرة الله تعالى على إرسال

---

(١) انظر: صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، (١٠٥/٢).
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٣٧/١٠).
(٣) انظر: التفسير الحديث، (٣٥/٤).
(٤) انظر: في ظلال القرآن، (٢١٤٦/٤).
(٥) انظر: التفسير الحديث، (٣٦/٤).

ملائكة لرُسُلَه، ومن المعلوم أنَّ الملائكة حين ينزلون فإنَّما ينزلون للعذاب فلا يُنظر القوم ولا يمهلون، وهذا كان أحد الأسباب التي استدعت خوف سيدنا إبراهيم عليه السلام من قدومهم(١).

الموضوع الثاني: دعوة المنكرين لنبوة سيدنا محمد ﷺ للاعتبار والهداية قبل الهلاك:

بعد أن عرضت الآيات شُبَه منكري نبوة سيدنا محمد ﷺ انتقلت إلى دعوتهم للاهتداء بهدي سيدنا محمد ﷺ والاعتبار قبل أن ينزل بهم العذاب، وذلك من خلال:

١. عرض الدلائل المثبتة لوحدانية الله تعالى على تنوعها؛ فقد ذُكِرت تقريعاً للكافرين على هذه المواقف، وتذكيراً لهم بعظمة الله وحده واستحقاقه للعبادة، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ١٦-٤٢].
٢. ذِكْرُ أحوال القيامة، وإثبات قدرة الله تعالى على إحياء الموتى وبعثهم للحساب والجزاء، وما أعدَّه الله تعالى في الدار الآخرة للأشقياء من عباده والسعداء، من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٣-٤٨]
٣. ذِكْرُ قصص الأنبياء عليهم السلام لتكتمل الموعظة والعبرة، فيصبح سماعها مرغِّباً في الطاعة، ومحذِّراً عن المعصية(٢)، وتَصَدَّر هذه القصص قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾﴾ [الحجر:٤٩-٥٠] لتتحقق الغاية من ذكرها؛ وهي التَّذكير بما حلَّ بالأمم السابقة. وافتتحت القصص بقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام إكراماً من الله تعالى له، وتعريضاً بالمشركين الذين لم يتبعوه ويسيروا على نهجه في توحيد الله تعالى والإيمان بالبعث(٣)، ووردت قصته معطوفة على هذه الآيات، قال تعالى: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحجر:٥١] لأنَّ "هذا العطف مع اتِّحاد الفعل المعطوف بالفعل المعطوف عليه في الصيغة دليل على أنَّ المقصود الإنباء بكلا الأمرين لمناسبة ذِكْرِ القصة أنَّها من مظاهر رحمته تعالى وعذابه"(٤).

وقد ظهرت رحمة الله تعالى بسيدنا إبراهيم عليه السلام حينما حاورته الملائكة وبشَّرته بالولد، من قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر:٥٢-٥٦]، ثمَّ ظهر عذاب الله تعالى عندما أخبرته الملائكة عن أمرهم مع سيدنا لوط عليه السلام

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٤/٢١٤٦-٢١٤٧).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (١٩/١٥٠)، التفسير المنير، وهبة الزحيلي، (١٤/٤٩).
(٣) انظر: التحرير والتنوير، (١٤/٥٦).
(٤) التحرير والتنوير، (١٤/٥٧).

ومجيئهم لإنزال العذاب بقومه الطَّاغين، ثمَّ جاءت قصص أخرى صوَّرت أيضاً ألوان العذاب الذي نزل بالمكذبين بأنبيائهم في الدنيا، وبيَّنت أنَّ ما أصابهم قد استحقوه بعدل الله تعالى، من قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الحجر: ٥٧-٨٤][(١)].

ثمَّ انتقلت الآيات من تهديد مشركي العرب ووعيدهم بعذاب الدُّنيا كما حلَّ بالأمم السابقة إلى تهديدهم ووعيدهم بعذاب الآخرة، وأكَّدت للنَّبيّ الكريم أنَّ ساعة جزاء المكذبين به آتية لا محالة، والحكمة من عدم نزول العذاب بهم في الدُّنيا تحقق مراد الله من بقاء هذا الدِّين وانتشاره في جميع أنحاء العالم بتبليغ العرب إيَّاه، وحمله إلى الأمم[(٢)]، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر:٨٥-٨٦].

الموضوع الثالث: تطمين النبي ﷺ وتثبيت فؤاده:

بعد أن عرضت الآيات السابقة بعضاً من قصص الأنبياء مع أقوامهم -بما فيها قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام-، وكانت الغاية من عَرضها العظة والاعتبار بما حلَّ بالأمم السالفة، وتطمين قلب النَّبيّ ﷺ، فعندما يعلم النَّبيُّ ﷺ كيف عامل هؤلاء القوم أنبياءهم بالمعاملات السيئة يصبح من السهل عليه تحمُّل أذى قومه إلى أن ينتقم الله منهم يوم القيامة[(٣)]، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾﴾ [الحجر:٨٥-٨٦]، انتقلت الآيات لعرض وسيلة أخرى لتطمين النَّبيّ ﷺ وذلك بتعداد بعضاً من نِعَمِ الله تعالى عليه، فقد أكرمه الله تعالى بالسبع المثاني والقرآن العظيم، فعليه أن يقابل تلك النِعَمَ بالاستمرار بدعوته إلى الله تعالى، وأن يتعطَّف على المؤمنين، وينذر الكافرين، ولا يبالي بإعراضهم عن الحق، ولا بما يتمتعون به من مال وجاه، فهو زائل وما عند الله تعالى خير وأبقى، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٨٧-٩٩][(٤)].

سادساً- التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع المقصد الرئيس لسورة الحجر:

---

(١) انظر: نظم الدرر، (٦٩/١١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٧٤/١٤-٧٦).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (١٥٨/١٩).

(٤) انظر: التفسير الحديث، (٦٠/٤).

يدور مقصد السورة حول إبراز طبيعة المكذبين بدين الإسلام وبنبوَّة سيدنا محمد ﷺ، وبيان مصيرهم الذي

سيؤولون إليه إن لم يعتبروا بدلائل التَّوحيد والنبوَّة والبعث[١]، والحلقة الواردة من قصة سيدنا إبراهيم متناسبة مع مقصد السورة؛ لأنَّ قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت مدخلاً لعرض قصة هلاك قوم سيدنا لوط عليه السلام، وقد أمر الله تعالى نبيَّه الكريم أن يخبر أمته عن قوم سيدنا لوط عليه السلام الذين كذَّبوا به، ورفضوا الاستجابة لدعوته، وأن يبّين لهم مصائرهم؛ ليعتبروا ويخافوا غضب الله تعالى وانتقامه من المجرمين، ويتحقَّقوا عنده أنَّ عذابه هو العذاب الأليم[٢].

ونستنتج أنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الحجر كانت متناسبة مع جميع مقاطع السورة، وساهمت هذه الحلقة مع بقية موضوعات السورة بالتوصل إلى مقصد السورة.

المطلب الخامس: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام.

أولاً– بين يدي السورة:

تُعدُّ سورة الأنعام من السور التي حظيت باسم واحد توقيفي عن النَّبيّ ﷺ، ويعود سبب تسميتها بهذا الاسم لتكرار ذكر لفظ الأنعام فيها ست مرات، مع تفصيل لأحكامها[٣]، وإن كانت الأنعام قد ذُكِرت في عدَّة مواضع بالقرآن الكريم إلا أنَّها ذُكِرت بإجمال ودون تفصيل. وهي السورة الخامسة والخمسون في ترتيب نزول سور القرآن[٤]، نزلت بعد سورة الحجر، وقبل سورة الصافات[٥]، وقد رجَّح العلماء أنَّها مكّية، نزلت ليلاً، جُملةً واحدةً[٦]. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «نَزَلَتْ سُورَةُ الأنعام جُمْلَةً بِمكَّة لَيْلًا وَحَوْلَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجْرُونَ حَوْلَهَا بِالتَّسْبِيحِ»[٧]، و"هي أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذَّب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٢١٢٢/٤)، التفسير المنير، (٦/١٤).
(٢) انظر: مدارك التنزيل، (١٩٢/٢).
(٣) انظر: التحرير والتنوير، (١٢١/٧).
(٤) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (٥/٥).
(٥) انظر: البرهان، (١٩٣/١).
(٦) انظر: الإتقان، (٣٩/١).
(٧) المعجم الكبير، الطبراني، باب العين، (٢١٥/١٢)، (١٢٩٣٠).

إنزالها جُملة واحدة لأنَّها في معنى واحد من الحجَّة وإن تَصَرَّفَ ذلك بوجوه كثيرة، وعليها بنى المتكلمون أصول الدين"(١).

ثانياً– تناسب قصة نبي الله إبراهيم في سورة الأنعام مع زمن نزولها:

سورة الأنعام مكّية بالاتفاق(٢)، وقد نزلت بعد سورة الحجر، وقد تضمنت سورة الحجر أمر النَّبيّ ﷺ بالجهر بالدَّعوة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤] مما يرجّح أنَّ سورة الأنعام نزلت في السنة الرابعة من بعثة النبي ﷺ؛ لأنَّ دعوة النبي ﷺ استمرت قرابة الثلاث سنوات سرَّاً، ثمَّ بدأ الجهر بها في السنة الرابعة بعد نزول الآية(٣).

يقول ابن إسحاق: "ثمَّ دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء، حتى فشا ذكر الإسلام بمكَّة، وتُحدِّث به. ثمَّ إنَّ الله عزَّ وجلَّ أمر رسوله ﷺ أن يصدع بما جاءه منه، وأن يبادي الناس بأمره، وأن يدعو إليه، وكان بين ما أخفى رسول الله ﷺ أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين– فيما بلغني– من مبعثه، ثمَّ قال الله تعالى له: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤]، ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢١٥ فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٢١٦﴾ [الشعراء: ٢١٤-٢١٦]"(٤).

والفترة التي نزلت فيها سورة الأنعام كانت فترة صراع فكري بين الإسلام والشرك، وكان النَّبيُّ ﷺ يعلن دعوته، ويصدع برسالته، ويحاجج قومه، ويبيّن لهم باطل ما كانوا عليه من عبادة الأصنام، وصحة ما هو مقيم عليه من الدِّين بالدليل والبرهان، إلا أنَّ المشركين كانوا يختلقون الحيل، ويدَّعون كذب النَّبيّ ﷺ، حتَّى يمنعوه من نشر دعوته، ومارسوا التعذيب والاضطهاد للمسلمين.

والمتتبع لآيات سورة الأنعام يجد أنَّها متناسبة مع طبيعة تلك المرحلة الصعبة من الدَّعوة الإسلامية، فقد عرضت لنا جانباً من أقوال المشركين وأفعالهم بعد أن جهر النَّبيُّ ﷺ بالدَّعوة في مكَّة:

١. طَلَبهُم أن يكون مع الرسول مَلَك: فقد كان مشركو مكَّة يرفضون اتّباع النَّبيّ ﷺ حتَّى يأتيهم بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنَّه من عند الله وأنَّه رسوله، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، (٦/٣٨٣).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٧/١٢١).
(٣) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (٥/٥).
(٤) انظر: السير والمغازي، (ص: ٢٦٢).

كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام:٧-٨][١].

٢. سخريتُهُم من النَّبيّ ﷺ: قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنعام:١٠] نزلت هذه الآيات عندما مرَّ رسول الله ﷺ بنفر من قريش، فهمزوه واستهزؤوا به، فغاظه ذلك[٢]، فنزلت هذه الآية تسلّي الرسول ﷺ، وتبيّن سوء منقلب كلّ من آذى رُسُلَ الله من قبل، وتُحذِّر من سوء منقلب كلّ من يؤذي رَسَول الله ﷺ[٣].

٣. ادّعاؤهم أنَّ ما جاء به هو من أساطير الأولين: قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام:٢٥] يروي ابن عباس عليه السلام سبب نزول هذه الآية: "إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَالْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ وَالنَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ، وَعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ، وَأُمَيَّةَ وَأُبَيًّا ابْنَيْ خَلَفٍ، اسْتَمَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا لِلنَّضْرِ: يَا أَبَا قُتَيْلَةَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ؟ قَالَ: والذي جعلها بيته مَا أَدْرِي مَا يَقُولُ، إِلَّا أَنِّي أَرَى يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ يَتَكَلَّمُ بِشَيْءٍ وَمَا يَقُولُ إِلَّا أَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ مِثْلَ مَا كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنِ الْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ، وَكَانَ النَّضْرُ كَثِيرَ الْحَدِيثِ عَنِ الْقُرُونِ الْأُولَى، وَكَانَ يُحَدِّثُ قُرَيْشًا فَيَسْتَمْلِحُونَ حَدِيثَهُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ"[٤].

٤. تقديمهم الأعذار وطلبهم المعجزات: قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام:١٠٩] نزلت هذه الآية في الفترة التي كان فيها بعض الكافرين يحاجون المسلمين ويناظروهم في أمر الدعوة، والمسلمون يبذلون قصارى جهدهم لإقناعهم، ولكن في نهاية المناظرة كانوا يقدّمون الأعذار المتنوعة، ويحلفون أنَّهم سوف يؤمنوا إن رأوا معجزة دالة على نبوَّة سيدنا محمد ﷺ كما جرى مع باقي الأنبياء[٥].

ومع كلّ هذا الأذى النفسي الذي لقيه النَّبيُّ ﷺ من قومه في تلك الفترة كان لابد من نزول آيات تصبّر النَّبيَّ ﷺ، وتؤيده بدعواه، وتثبّت قلبه، قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنعام:٣٣-٣٥]،

---

(١) انظر: أسباب النزول، الواحدي، (ص: ٢١٤).

(١) انظر: السير والمغازي، (ص: ٢٩٥)، سيرة ابن هشام، (١/٣٩٥-٢٩٦).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٦/٣٩٤).

(٣) أسباب النزول، (ص: ٢١٤-٢١٥).

(٤) انظر: سيرة الرسول ﷺ، (ص: ٢١٧).

وتُذكِّره بحجاج سيدنا إبراهيم عليه السلام لقومه، لبيان بطلان ما عكف عليه قومك من عبادة الأوثان، وصحة ما أنت مقيم عليه من الدِّين، فقد حاجَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه، وبيَّن لهم بطلان ما أقاموا عليه من عبادة الأوثان، وتوجهه إلى الله تعالى، والرضا به وليًّا وناصراً، فاتَّخذه إماماً واقتدِ به[١]، وذكِّر قومك -الذين يعترفون بمكانته ويفتخرون بالانتساب إليه- أنَّه كان موحداً لله تعالى، وبما أنَّ جميع الملل تعظِّمه وترفع قدره، فلا عجب أنَّ الله تعالى جعل مناظرته مع قومه حجَّة على مشركي العرب[٢].

فإذاً سورة الأنعام بما تضمَّنته من آيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت متوافقة مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها.

ثالثاً- مقاطع سورة الأنعام، ومقصدها الرئيس:

افتتحت سورة الأنعام بحملة شديدة على المشركين الذين يشركون بالله تعالى آلهة أخرى بالرغم من تنبيههم إلى دلائل التَّوحيد التي تحيط بهم من كلِّ جانب، ثمَّ انتقلت الآيات لعرض مواقف المشركين ومصارع المنكرين للحقِّ، وتهديدهم بما حلَّ بالأمم المكذبة من قبلهم، وبما سيؤولون إليه عند البعث إن استمروا في ضلالهم، وتنبيههم إلى أنَّ هذه الآلهة التي عبدوها ستتبرأ منهم يوم القيامة، كما لم تنفعهم شيئاً في حياتهم الدُّنيا، ثمَّ جاءت الآيات تبيِّن وظيفة إرسال الرُّسُل، وهي التبشير والإنذار، وتضرب المثل بسيدنا إبراهيم عليه السلام لتذكير النَّبيِّ ﷺ بمشابهة حاله لحال من سبقه من الأنبياء، وأكَّدت الآيات أنَّ التفاضل بين الناس سيكون على أساس التَّقوى، وليست التَّقوى كما فَهِمومها من حرمان النَّفس من الطَّيبات، بل هي حرمان النَّفس من الشهوات التي تحول بين النَّفس والتَّزكية، لتُختَتَم السورة ببيان فضيلة القرآن، والجزم بأنَّ الدِّين الحقيقي هو دين الإسلام[٣].

إذاً نستطيع من خلال العرض السريع للموضوعات التي تناولتها السورة أن نقسمها إلى ستة مقاطع، وهي:

المقطع الأول: دلائل توحيد الله عزَّ وجلَّ، من قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١-٢٤].

المقطع الثاني: موقف المشركين من الدَّعوة إلى التَّوحيد، وإقامة الحجَّة عليهم، من قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ

(١) انظر: جامع البيان، (٤٦٥/١١).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٩/١٣).
(٣) انظر: التحرير والتنوير، (١٢٣/٧-١٢٤).

يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام: ٢٥-٨٣].

المقطع الثالث: إثبات النُّبوَّة، والدَّعوة إلى الاقتداء بهدي الأنبياء السابقين، ووعيد المكذِّبين بها، من قوله تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٨٤-٩٤]، ومن قوله تعالى: ﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰقَوۡمِ ٱعۡمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمۡ إِنِّي عَٰمِلٞۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٤-١٣٥].

المقطع الرابع: دلائل جديدة لإثبات وحدانية الله تعالى، وعرض مظاهر الصُّدود والإعراض عن الاستجابة لها، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٩٥-١٠٣].

المقطع الخامس: نِعَم الله تعالى، وموقف المشركين منها، من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦-١٥٠].

المقطع السادس: وحدة رسالة الأنبياء، وإعلان الدِّين الحقِّ، من قوله تعالى: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٦٥].

ومن خلال دراسة مقاطع السورة يمكننا أن نحدد المقصد الرئيس لسورة الأنعام هو: إثبات الوحدانية والنبوَّة، وإقامة الحجَّة على المكذِّبين بهم.

رابعاً– التناسب بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَٰفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمٗا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام:٧٤-٩٠].

افتتحت الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام بأمر النَّبيّ ﷺ براوية هذه القصة لقومه، وإقامة الحجَّة على بطلان ما هم مقيمون عليه لعلَّهم يعقلون، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ اذكر لهم يا محمد محاجاة إبراهيم عليه السلام لأبيه حين قال له منكراً عليه عبادته لأصنام لا تضرُّ ولا تنفع، ومنبهاً له على بطلان ما يؤمن به، وكاشفاً له فساد ما هو مرتكبه، ولما لم يكن والد أبينا إبراهيم عليه السلام هو الوحيد المتَّخذ الأصنام آلهة عمَّ بقية قومه فقال: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ إني أراكم قد اتفقتم واجتمعتم على البعد عن جادة الصواب والفطرة السليمة التي تُدرَك بداهة(١).

وبعد أن أراه الله تعالى البصيرة في دينه، والحقَّ في خلافه لقومه، أراه آيات السماوات والأرض ليكون من المصدِّقين عياناً(٢)، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:٧٥].

---

(١) انظر: نظم الدرر، (٧/١٥٦-١٥٧).

(٢) انظر: جامع البيان، (١/٤٧٠-٤٧١).

"ولما كانت الأمور السماوية مشاهدة لجميع الخلق: دانيهم وقاصيهم، وهي أشرف من الأرضية، فإذا بَطُلَت صلاحيتها للإلهية بَطُلَت الأرضية من باب الأولى؛ نَصَبَ لهم الحجاج في أمرها"[(١)]، فقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ [الأنعام:٧٦] أي أظلم رأى كوكباً، وخصَّ الكواكب بالذكر لأنَّه كان سائراً مع قوم يعبدون الكواكب، فأراد أن يكشف لهم خطأهم، ويُرشدَهم إلى المستحقِّ للعبادة عن طريق النَّظر والاستدلال، لأنَّ من نظر في هذه الكواكب تيقَّن أنَّها ليست بآلهة لقيام دليل الحدوث فيها، والحادث لابد له من مُحدِث ومُدبِّر له سائر أحواله، فأخذ يجاريهم بتبني رأيهم فيمن يزعمون أنَّهم آلهة، وهذا أسلوب من ينصف خصمة في البداية مع علمه أنَّ رأيه باطل؛ ثمَّ يورد عليه الدليل المبطل لقوله؛ ليكون قبوله لذلك الدليل أكمل، فقال: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي﴾ هذا ربي كما تزعمون، وقد يكون المراد من كلامه هذا الاستهزاء بهم والإنكار عليهم عبادتهم هذه الآلهة ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ﴾ فلمَّا غاب قال لا أحب عبادة الآلهة المتبدلة الأحوال[(٢)].

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام:٧٧] ثمَّ اختار لمحاجاة قومه الوقت الذي تغرب به الكواكب ويَتْبَعها بزوغ القمر، أي طلوعه؛ ليُريهم أنَّ ضوء القمر أكثر من ضوء الكواكب، وبالتالي فهو أكثر استحقاقاً للعبادة؛ لأنَّ نوره أشدُّ من الكواكب، وهو بهذه الطريقة يريد أن ينبِّههم ويدفعهم للوصول إلى الإله الواحد الحقِّ، وأنَّ الكواكب والقمر لا يستحقان ذلك، مع أنَّه صرَّح في كلامه أنَّ له إلهاً يهديه ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام:٧٧]، ولكنَّهم لم ينكروا عليه ذلك؛ لأنَّهم يعتقدون بتعدد الآلهة، وقد أراد بذلك تهيئة نفوس قومه لما سيصرّح به لاحقاً بأنَّ له ربَّاً واحداً، وأيضاً في قوله ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ تمهيداً لقومه أنَّه هم الضَّالون إن استمروا في عبادة هذه الآلهة التي تغيب، وبثَّاً للشكِّ في نفوسهم أنَّما يعتقدونه ممكن أن يكون ضلالاً، وهذا ما يُفسِّر قوله ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ فلم يقل لأكونن ضالاً؛ ليشير إلى أنَّ كلَّ من يتخذهم آلهة يدخل في دائرة الضَّلال تلك.

وقد ترقَّى سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى أفول القمر؛ ليستدل به على نفي ألوهيته، فهو لم ينفها عنهم بمجرد رؤيته بازغاً مع أنَّ أفوله محقق بحسب المعتاد؛ لأنَّه أراد أن يقيم الحجَّة والدليل على أساس المشاهدة لتكون أرسخ في النُّفوس[(٣)].

---

(١) نظم الدرر، (١٥٨/٧).

(٢) انظر: مدارك التنزيل، (٥١٦/١).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (٣٢١/٧-٣٢٢).

﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام:٧٨]، فلمَّا طَلُعت الشمس قال هذا ربي، فهو أكبر من الكواكب والقمر، وضوؤه أشدُّ من ضوء الكواكب والقمر، وعبَّر باسم الإشارة "هذا" مع أنَّ الشمس مؤنثة؛ لأنَّه أراد هذا الطَّالع، وأعاده إلى المعنى، وهو الضياء والنور(١)، فلمَّا غربت "وكانت القلوب قد فرغت بما أُلقِي من هذا الكلام المعجب للحجَّة، وتهيَّأت لقبول الحقِّ، ختم الآية بقوله: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾(٢)"

وبعد أن تبرَّأ من عبادة تلك الكواكب توجَّه إلى موجدها، معلناً توحيده لله تعالى، ومظهراً لهم الدِّين الحقَّ الذي يجب اتِّباعه(٣)، فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام:٧٩] إني توجَّهت بعبادتي وأفردت توحيدي للذي خلق السماوات والأرض وأبدعهما، ﴿حَنِيفٗاۖ﴾ مائلاً في عبادتي عن كلِّ شيء سوى الله تعالى، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ وما أنا متَّبعكم بالشرك الذي أنتم مقيمون عليه(٤).

فلمَّا أقام عليهم الحجج القاطعة بإبطال ما هم عليه من الضَّلال عَطَفَ عليها الإخبار بأنَّهم لم يستجيبوا لدعوته، بل أخذوا في حجاجه(٥)، قال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:٨٠] أي جادلوه وخاصموه في إعلانه للتَّوحيد وبراءته مما يعبدون، فردَّ عليهم: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ أتجادلونني في الله تعالى، وفي توحيده، وهو الذي هداني إلى الدِّين الحقِّ، والاستفهام للإنكار والتَّوبيخ وتيئيسهم من رجوعه إلى معتقداتهم. وجملة ﴿وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ﴾ حال مؤكِّدة للإنكار، أي لن تجدي مجادلتكم لي بعد أن هداني الله إلى الطريق المستقيم، ولن أخشى معبوداتكم التي لا تضرُّ ولا تنفع، فقال: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ﴾ إلا في حال واحدة وهي إرادة الله أن يصيبني من جهتها شيء من المكروه، ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ﴾ أي أنَّ علم ربي محيط بكلِّ شيء، وأسند الفعل إلى الله تعالى لا إلى علمه؛ ليكون الوسع والإحاطة والشمول لله تعالى وحده، وقوله ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ أفلا تتأمَّلون وتتذكَّرون بتلك الأدلة التي أوضحت لكم أنَّ الله تعالى وحده هو

---

(١) انظر: معالم التنزيل، (١٣٩/٢).
(٢) نظم الدرر، (١٦١/٧).
(٣) انظر: البحر المديد، (١٣٦/٢).
(٤) انظر: لباب التأويل، (١٢٩/٢).
(٥) انظر: نظم الدرر، (١٦٣/٧).

المستحقُّ للعبادة، وفي إيراد التَّذكُّر دون التَّفكر ونحوه إشارة إلى أن أمر آلهتهم مركوز في العقول ولا يتوقف إلا على التَّذكير(١).

ولما تعجَّب سيدنا إبراهيم عليه السلام من قومه حين خوَّفوه من أن تمسَّه معبوداتهم بسوء، قال لهم: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ﴾ وكيف لي أن أخاف أصنامكم التي أشركتموها في عبادتكم لله تعالى، وهي لا تضرُّ ولا تنفع، وأنتم لا تخافون الله تعالى خالقكم ورازقكم والقادر على نفعكم وضرِّكم، بل وتشركون معه الآلهة أخرى، ﴿مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ﴾ ما لم يعطكم الدليل على صحة عبوديتكم لها، ولم يأمركم بعبادتها، ولم يجعل لكم عذراً على عبادتها، ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ﴾ يقول سيدنا إبراهيم عليه السلام أنا الذي أفردت الله تعالى بالعبادة، وتبرَّأت من عبادة الأوثان أحقُّ بالأمن من عذاب الله تعالى أم أنتم الذين عبدتم من دون الله أوثاناً لم يجعل الله لكم بعبادتكم إيَّاها برهانًا ولا حجَّة ﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ صِدْقَ ما أقول، وحقيقة ما أحتجُّ به عليكم(٢).

ثمَّ انتقل سيدنا إبراهيم عليه السلام للإجابة عن سؤاله ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ﴾ ولم ينتظر منهم جواباً؛ لأنَّ الجواب مما لا يسع المسؤولَ إلا أن يجيب بمثله، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ الذين آمنوا ولم يشركوا مع الله تعالى آلهة أخرى في الاعتقاد أو في العبادة؛ لأنَّ الاعتراف بالرُّبوبيَّة لغير الله عزَّ وجلَّ ظلم، وبالتالي فإيمانهم بالله تعالى مخلوطٌ بظلم، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ فأولئك المؤمنون الذين آمنوا بالله تعالى ولم يشركوا به غيره في العبادة هم من ثبت لهم الأمن من عذاب الدنيا والآخرة، لأنَّهم الأجدر به، ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ أي: أنَّ الاهتداء مقصور على الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم دون غيرهم(٣).

﴿وَتِلۡكَ﴾ إشارة إلى ما احتجَّ به سيدنا إبراهيم عليه السلام على قومه، ﴿حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ﴾ أعطيناها لإبراهيم حجَّة على قومه ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ بالعلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ فيرفع من يشاء من عباده، ويخفض من يشاء، وعليم بحال من يرفعه واستعداده له(٤).

وبعد أن أقام سيدنا إبراهيم عليه السلام الحجَّة على وحدانية الله تعالى جاءت هذه الآية لتعدِّد بعضاً من نِعَمِ الله تعالى عليه، ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ﴾ إنَّ أعظم ما منَّ الله تعالى به على نبيه إبراهيم عليه السلام أن جعل

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (٥/١١٢-١١٣-١١٤).

(٢) انظر: جامع البيان، (١١/٤٩٠).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (٧/٣٣٢-٣٣٤).

(٤) انظر: أنوار التنزيل، (٢/١٧٠).

من نسله أنبياء، فوهبه إسحاق، وتفرَّعت منه أنبياء بني إسرائيل، ولم يُذكر إسماعيل؛ لأنَّ المقصود بالذِّكر هنا أنبياء بني إسرائيل، وسيدنا إسماعيل عليه السلام لم يخرج من صلبه إلا سيدنا محمد ﷺ، وكلٌّ من إسحاق ويعقوب هداهم الله تعالى، وبعد أن ذكر شرف أبناء سيدنا إبراهيم عليه السلام ذكر شرف آبائه ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ وقوم سيدنا نوح عليه السلام هم أوَّل قوم عبدوا الأصنام، فدعاهم رسولهم إلى توحيد الله تعالى، ورَفَضَ عبادة تلك الأصنام، وحالُ سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه مشابه لحال سيدنا نوح عليه السلام، فذكرت الآيات أن الله تعالى قد هدى نوحاً كما هدى إبراهيم(١)، ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ من ذرِّيَّة سيدنا نوح عليه السلام(٢) لأنَّ الضمير يعود على أقرب مذكور، ولأنَّ لوطاً من ذرِّيَّة سيدنا نوح عليه السلام، وفائدة ذكر هؤلاء الأنبياء التَّنويه بعِظَمِ شأنهم، وبيان شرف أصلهم، والتَّنويه بفضائل ذرِّيَّة سيدنا نوح وإبراهيم عليهما السلام(٣)، ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ "كما جزينا إبراهيم على توحيده بأن رفعنا درجته، ووهبنا له أولاداً أنبياء أتقياء كذلك نجزي المحسنين على إحسانهم"(٤).

﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا﴾ [الأنعام:٨٥-٨٦] ثمَّ خصَّ الله تعالى كلَّ طائفة من طوائف الأنبياء بنوع من الكرامة والفضل، فابتدأ بنوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام؛ لأنَّهم أصول الأنبياء، وجميع الأنبياء من نسلهم، وبعد مرتبة النبوَّة تأتي مرتبة المُلْكِ والقدرة والسلطان، وقد أعطاها الله تعالى لداود وسليمان عليهما السلام، ثمَّ مرتبة الصَّبر عند نزول البلاء والمحن، وامتاز بها سيدنا أيوب عليه السلام، ثمَّ عطف على هاتين المرتبتين من جَمَعَ بينهما، وهو يوسف عليه السلام، فإنَّه قد صبر على البلاء فآتاه الله تعالى مُلْكَ مصر مع النبوَّة، ثمَّ مرتبة المعجزات، فأيَّد الله تعالى موسى وهارون عليهما السلام بمعجزات كثيرة، ثمَّ مرتبة الزهد في الدُّنيا، والإعراض عنها، وقد خصَّ الله تعالى بها زكريا ويحيى وعيسى وإلياس عليهم السلام، ولهذا وصفهم بأنَّهم من الصَّالحين.

ثمَّ ذكر الله تعالى من بعد هؤلاء الأنبياء من لم يبق له أتباع ولا شريعة، وهم إسماعيل واليسع ويونس ولوط عليهم السلام(٥)، ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: فضَّلناهم على أهل زمانهم بالنبوَّة والرِّسالة.

---

(١) انظر: البحر المحيط، (٥٧٣/٤).

(٢) رأى بعض المفسرين كالزمخشري في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ﴾ جواز عَودِ الضمير على سيدنا إبراهيم عليه السلام، إلا أنَّ هذا الرأي ضعيف. انظر: الكشاف، (٤٣/٢).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (٣٣٨/٧).

(٤) معالم التنزيل، (٥٠٨/١١).

(٥) انظر: مفاتيح الغيب، (٥٢/١٣).

﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام:٨٧] وكذلك فضَّلنا بعضاً من آبائهم؛ لأنَّ البعض الآخر كانوا مشركين، وفضلنا بعضاً من أبنائهم؛ لأنَّ بعض الأنبياء لم يكن لهم ذرِّيَّة، وبعضهم كان من ذرِّيَّته كافرين، وفضَّلنا بعضاً من إخوانهم بالهداية، واجتبيناهم وأرشدناهم إلى صراطنا المستقيم.

﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨] ذلك دين الله يرشد إليه من اصطفاه من عباده، ولو أشرك هؤلاء الذين ذكرناهم لحَبِطَ ما كانوا يصنعون من طاعات وعبادات.

وبعد أن ذكر الله تعالى فضائل الأنبياء المذكورين وما هداهم إليه ذَكَرَ ما فُضِّلوا به(١)، فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الكتب السماوية ﴿وَٱلْحُكْمَ﴾ الحكمة، أو الحُكْمُ بين الخصوم، أو فهم الكتاب أو الفقه في دين الله، ﴿وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ وهي العطية الثالثة(٢)، ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا﴾ [سورة الأنعام:٨٩] بالنُّبوَّة، ويحتمل أن يكون الضمير عائداً على العطايا الثلاث، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أهل مكَّة، وغيرهم من سائر أهل الأرض، ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [سورة الأنعام:٨٩] وهم المهاجرون والأنصار وأتباعهم الذين آمنوا بجميع ما جاء فيها.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ الأنبياء المذكورون مع أصولهم وفروعهم وإخوانهم، ﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ هم أهل الهداية ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ يأمر الله تعالى رسوله الكريم أن يقتدي بهم، وإذا كان الرَّسول ﷺ مأمور باتِّباعهم فأمَّته من باب أولى، ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ﴾ لا أطلب منكم على تبليغي إيَّاكم هذا القرآن أيَّ أجر أو جزاء، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ يتذكرون به فيهتدون من الغيِّ للرُّشد، ومن الكفر للإيمان(٣).

خامساً– التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات سورة الأنعام:

الموضوع الأول: دلائل توحيد الله عزَّ وجلَّ:

إنَّ آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متناسبة مع ما افتتحت به السورة، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾

---

(١) انظر: البحر المحيط، (٥٧٧/٤).

(٢) انظر: معالم التنزيل، (١٤١/٢-١٤٢).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٢٩٩/٣).

[الأنعام: ١-٣]، فقد بدأت السورة بإبطال مذهب الثنوية[١]، وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام معروف بفضله بين جميع الطَّوائف، بما فيهم العرب، لذا أتبعها بمحاجته لهم بما يبطل مذهبهم، ويدحض حجَّتهم، فقال ﴿وَإِذْ﴾ أي اذكر ما سبق من دلائل على عظيم ما اختصصنا به من الخلق وتمام القدرة، وتفكَّر في عجائبه لتوقن أنَّه لا يقدر على مثل هذا إلا الله تعالى، فكان في هذه المحاجة التَّصريح بما أشار إليه سبحانه في أوَّل السورة من دحض مذهبهم، فكأنه قال: "ثمَّ الذين كفروا بربهم يعدلون الأصنام والنجوم والنور والظلمة، فنبِّههم يا رسول الله على ذلك بأنَّه لا متصرف غيرنا، اذكر لهم أنِّي أنا الذي خلقتهم وخلقت جميع ما يشاهدون من الجواهر والأعراض، فإن تنبَّهوا فهو حظُّهم، وإلا فاذكر لهم محاجة خليلنا إبراهيم عليه السلام"[٢].

الموضوع الثاني: موقف المشركين من الدعوة إلى التوحيد، وإقامة الحجة عليهم:

جاءت هذه الحلقة من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد حلقات الحجاج والنقاش مع الكافرين، وإقامة الحجَّة عليهم، وبعد عرض المواقف التي حصلت بين النَّبيِّ ﷺ والكفار جرياً على الأسلوب القرآني، وبسبيل التَّمثيل والتَّذكير والتَّثبيت[٣]، فبعد أن ورد قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١] جاءت قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام إيقاظاً للمشركين من غفوتهم، وتذكيراً لهم بأنَّ ما ينكره النَّبيُّ محمد ﷺ من عبادتكم للأصنام أشبه بإنكار أبيكم إبراهيم عليه السلام عبادة أبيه وقومه[٤].

الموضوع الثالث: إثبات النبوة، والدعوة إلى الاقتداء بهدي الأنبياء السابقين، ووعيد المكذبين بها:

بعد أن ذكر الله تعالى عن سيدنا إبراهيم عليه السلام توحيده، وتسفيه رأي أهل الشرك، وإبطاله بالحجَّة الدَّامغة، ذكر تعالى ما منَّ به عليه من جعل النبوَّة في بنيه، وأشار إلى أن نوحاً عليه السلام جدَّه الأعلى قد هداه الله تعالى، وأرسله إلى أوَّل قوم عبدوا الأصنام، والرَّسول ﷺ هو من ذرِّيَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام الذين نالوا شرف النبوَّة، فلا عجب أن دعاه الله تعالى للاقتداء بهدي آبائه المرسلين، ودعا العرب إلى اتِّباعه؛ لأنَّه على ملَّة آبائه، وحذَّرهم من إنكار الوحي، أو ادِّعاء النبوَّة والرِّسالة على سبيل الافتراء[٥]. من قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى

(١) الثَّنَويَّة: "هم أصحاب الاثنين الأزليين، يزعمون أنَّ النُّور والظلمة أزليان قديمان". الملل والنحل، أبو الفتح الشهرستاني، (٤٩/٢).
(٢) نظم الدرر، (١٥٦/٧).
(٣) انظر: التفسير الحديث، (١١٧/٤).
(٤) انظر: البحر المحيط، (٥٦١/٤).
(٥) انظر: البحر المحيط، (٥٧٣/٤-٥٨٥).

ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٨٤-٩٤].

ثمَّ عرضت بعضاً من شُبَهِ منكري نبوَّته ﷺ، وصوراً من مكرهم وحسدهم في كلّ مرة تظهر للنَّبيّ ﷺ معجزة تدلُّ على نبوَّته، فتقوم الحجج عليهم، ويعجزون عن ردِّها، وحذَّرتهم سوء العاقبة، ودعت المسلمين إلى مخالفتهم في بعض عاداتهم الذميمة، ورغَّبتهم بحسن العاقبة[١]. من قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٤-١٣٥]

الموضوع الرابع: دلائل جديدة لإثبات وحدانية الله تعالى، وعرض مظاهر الصدود والإعراض عن الاستجابة لها:

بعد أن أثبتت الآيات دلائل الوحدانية والنبوَّة والرِّسالة، وعرضت محاجة سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه في سبيل إثبات وحدانية الله تعالى، جاءت هذه الآيات لتقدم نماذج جديدة من دلائل الوحدانية؛ إعلاماً أنَّ دلائل الجلال تفوق عدد الرِّمال، وأنَّ الغاية من هذه الآيات التَّعرف على الله تعالى بذاته وصفاته، ومع ذلك هناك أقوام قد أعموا بصائرهم عن رؤية الحقِّ واتِّباعه، وجعلوا لله أنداداً وشركاء[٢]. من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ ۖ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٩٥-١٠٣].

الموضوع الخامس: نِعَم الله تعالى وموقف المشركين منها:

بعد عرض دلائل عديدة تؤكد استحقاق الله تعالى للوحدانية والعبودية، ومن ضمنها الدَّلائل التي قدَّمها سيدنا إبراهيم عليه السلام عند قيامه بمحاجاة أبيه وقومه، جاءت هذه الآيات تسلك سبيلاً جديداً في إثبات وحدانية الله تعالى، ومحاربة أهل الشرك والباطل، وهذا الأسلوب هو التَّذكير بنِعَمِ الله تعالى على عباده، ومنها إنشاء الزروع والأنعام لهم، ووصفت هذه الآيات كيف قابل المشركون هذه النِعَمِ بجعل جزءاً منها لأصنامهم، وجزءاً منها لله سبحانه وتعالى ثمَّ يجورون في الجزء الذي جعلوه لله تعالى[٣]. من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (١٣/١٠٤+١٣٥).

(٢) انظر: نظم الدرر، (٧/١٩٤).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، (٣/١٢١٧).

وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَـٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٦-١٥٠].

الموضوع السادس: وحدة رسالة الأنبياء، وإعلان الدِّين الحقّ:

بعد أن ذُكرت دلائل التَّوحيد، ومجادلة أهل الشرك، وإقامة الحجَّة عليهم، وإبطال دينهم أصولا وفروعاً، كما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام في حجاجه مع أبيه وقومه، ختمت السورة بإعلان الدِّين الذي جاء به كلُّ الرسل، وأَمْرُ النَّبيّ ﷺ بإنهاء الجدال مع المشركين، وإعلانه هداية الله تعالى له للدِّين القويم -وهو الدِّين الذي جاء به إبراهيم عليه السلام- وثباته على ما جاءهم به حتَّى وإن استمروا في إعراضهم(١). من قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَـٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٥١-١٦٥].

سادساً- التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع المقصد الرئيس لسورة الأنعام:

يدور مقصد السورة حول إقامة الحجَّة على المشركين للوصول إلى إثبات عقيدة التَّوحيد الصَّحيحة، وإثبات النبوَّة والوحي(٢)، فلا عجب أنَّ الله تعالى ذكر قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في هذه السورة دون غيرها؛ لأنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام رجل يعترف بفضله جميع الطوائف، بما فيهم العرب، ويدَّعون أنَّهم على دينه، وهم مع ذلك كانوا يعبدون الأصنام، فأقامت الآيات الحجَّة عليهم بذكر حجاجه لأبيه وقومه حول عبادتهم الأوثان، وإثباته وحدانية الله تعالى في هذه السورة(٣). ونستنتج أنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام كانت متناسبة مع جميع مقاطع السورة، وساهمت هذه الحلقة مع بقية موضوعات السورة بالتوصل إلى مقصد السورة.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (١٤/١٩٠).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (١٢/٤٧١)، والجامع لأحكام القرآن، (٦/٣٨٣).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (١٣/٢٩).

المطلب السادس: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الصَّافات.

أولاً– بين يدي السورة:

سورة الصَّافات من السور المكِّية بالإجماع(١)، نزلت بعد سورة الأنعام وقبل سورة لقمان(٢)، اتُّفق على تسميتها بالصَّافات؛ لوقوع هذا اللفظ فيها بالمعنى الذي أُرِيد به وصف الملائكة، أمَّا ما ورد في سورة الملك فأُرِيد به معنى آخر وهو بيان صفة الطِّير، كما أنَّ سورة الملك نزلت بعد الصَّافات. وورد تسمية سورة الصَّافات بسورة الذَّبيح؛ لأنَّ قصة الذَّبيح لم تأت في سور أخرى سواها، إلا أنَّه لم يرد أثرٌ في ذلك، وهي السورة السادسة والخمسون في تريب نزول السور(٣).

ثانياً– تناسب قصة نبي الله إبراهيم في سورة الصَّافات مع زمن نزولها:

نزلت سورة الصَّافات في الفترة ما بين السنة الرابعة والخامسة من البعثة؛ لأنها نزلت بعد سورة الأنعام، وسورة الأنعام يغلب على الظَّنِّ أنَّها نزلت في السنة الرابعة من البعثة(٤)، وفي هذا الوقت كان يسود شبه الجزيرة العربية الشرك، وكانت عبادة الأوثان من أكبر مظاهر دين أهل الجاهلية الذين كانوا يزعمون أنهم على دين أبيهم إبراهيم عليه السلام(٥)، فقابلوا دعوة النَّبيِّ ﷺ بالتَّكذيب، ووصفوه بأوصاف كثيرة حتى يجدوا لأنفسهم مخرجاً من رفضهم اتِّباع الحقِّ، وهو الذي عبَّرت عنه سورة الصَّافات، فصوَّرت المرحلة التي كانت تمرُّ بها الدَّعوة الإسلامية، ونقلت بعضاً من أفكار المشركين كجعلهم بين الله تعالى وبين الجنِّ نسباً، وجعلهم الملائكة إناثاً –تعالى الله عن ذلك علوَّاً كبيراً– ووصفت جحود الكافرين وتكذيبهم وسخريتهم واستكبارهم، واتِّهامهم النَّبيَّ ﷺ بالشعر والسحر والجنون، وإنكارهم للبعث، فكان نزول آيات سورة الصَّافات يحمل طابع تلك الفترة، وينذر المشركين بإنذارات عنيفة، ويهدِّدهم من خلال عرض حوارات عن لسان حالهم في الآخرة، ومدى تحسُّرهم على ما قدمت أيديهم في الدنيا، من قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الصافات:١-٣٩](٦).

---

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٦١/١٥).
(٢) انظر: البرهان، (١٩٣/١).
(٣) انظر: التحرير والتنوير، (٨١/٢٣).
(٤) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (٦٣/١٢).
(٥) انظر: الرحيق المختوم، (ص: ٢٧).
(٦) انظر: سيرة الرسول ﷺ، (ص: ١٩١).

يقول ابن هشام: "ثمَّ إنَّ قريشاً اشتدَّ أمرهم للشقاء الذي أصابهم في عداوة رسول الله ﷺ ومن أسلم معه منهم، فأَغْرَوا برسول الله ﷺ سفهاءهم فكذَّبوه وآذوه، ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، ورسول الله ﷺ مُظهِر لأمر الله عزَّ وجلَّ لا يَستَخفِي به، مُبَادٍ لهم بما يكرهون من عيب دينهم، واعتزال أوثانهم، وفراقه إيَّاهم على كفرهم"(١).

ولشدَّة ما رمى المشركون نبينا الكريم من الأذى والتَّكذيب والسخرية والاستهزاء نزلت آيات سورة الصَّافات تروي قصص الأنبياء حتَّى تثبِّت قلبه وتطمئنه أنَّ حاله كحال بقية أنبياء الله، فما من نبيٍّ إلا وعودي من قومه، ولَقِيَ منهم ألواناً شتَّى من الكفر والسخرية والعذاب، وفي سيدنا إبراهيم عليه السلام أسوة حسنة في الدَّعوة إلى توحيد الله تعالى، ومحاربة الكفر والوثنية، والصَّبر على أذى قومه الذي وصل بهم الحال إلى أن ألقوه في نيران طغيانهم، فأنجاه الله تعالى منهم، ونصره عليهم، وأعلى قدره، فكانت قصته تبشيراً من الله تعالى لنبيِّه ﷺ وللمؤمنين بأنَّ الله تعالى ناصرهم ومؤيدهم ومُعلِي كلمتهم.

ومن رحلة الأمم الغابرة تعود آيات سورة الصَّافات في ختامها إلى حاضر الدَّعوة؛ لتخاطب النَّبيّ ﷺ وتأمره بتبكيت المشركين بأسلوب لاذع لإصرارهم على الكفر، وتبنِّيهم معتقدات فاسدة. من قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الصافات: ١٤٩-١٥٧](٢) وتحمل البشارة بالنَّصر للمؤمنين، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات: ١٧١- ١٧٧](٣).

فإذاً سورة الصافات بما تضمَّنته من آيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت متوافقة مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها.

ثالثاً- مقاطع سورة الصَّافات، ومقصدها الرئيس:

افتتحت سورة الصَّافات بالقَسَمِ بالملائكة، وفي هذا القَسَمِ إثبات لوحدانية الله تعالى؛ لأنَّ الملائكة تخدم الإله الحقَّ، أمَّا أصنامهم فلم يكن لها ملائكة تخدمها، ولأنَّ الملائكة من جُملة المخلوقات الدَّالة على عِظَمِ خالقها، ثمَّ ساقت الآيات كثيراً من الدَّلائل السماوية المؤكِّدة أنَّ هناك صانعاً عظيماً لها، ثمَّ انتقلت إلى إثبات البعث وما يَتبَعُه من حشر وجزاء، ووصف حال المشركين والمؤمنين يوم الجزاء، ثمَّ عرضت الآيات تذكيراً للنَّبيّ ﷺ بدعوة

(١) سيرة ابن هشام، (٢٨٩/١).
(٢) انظر: روح المعاني، (١٤٢/١٢)، وسيرة الرسول ﷺ، (ص: ٢٢٤).
(٣) انظر: الرحيق المختوم، (ص: ١١٠).

الرُّسل من قبله، ومشابهة حاله ﷺ لحالهم، وكيف نصرهم الله تعالى، ورفع من شأنهم، ونجَّاهم من الكروب، خاصة قصة الذَّبيح سيدنا إسماعيل عليه السلام، ووصفت الآيات ما حلَّ بالأمم الذين كذَّبوهم، ثمَّ عادت الآيات لإنذار المشركين وتوبيخهم بفساد عقائدهم، ونسبتهم الشركاء لله تعالى، ودعوتهم للنَّظر والاعتبار، وختمت الآيات بتثبيت المؤمنين بأنَّ الله تعالى ناصر لأوليائه في الدُّنيا والآخرة(١).

إذاً نستطيع من خلال العرض السريع للموضوعات التي تناولتها السورة أن نقسمها إلى أربعة مقاطع، وهي:

المقطع الأول: الدَّعوة إلى توحيد الله، وإثبات البعث والجزاء، من قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفّٗا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَهُمۡ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ يُهۡرَعُونَ﴾ [الصافات: ١-٧٠].

المقطع الثاني: إثبات الوحي والرِّسالة، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾ [الصافات: ٧١-١٣٦].

المقطع الثالث: إنذار المشركين، ودعوتهم للنَّظر والاعتبار، من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمۡ لَتَمُرُّونَ عَلَيۡهِم مُّصۡبِحِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الصافات: ١٣٧-١٧٠].

المقطع الرابع: نصرة الله لأوليائه في الدُّنيا والآخرة: من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٨٢].

ومن خلال دراسة مقاطع السورة يمكننا أن نحدد المقصد الرئيس لسورة الصافات هو: إثبات الوحدانية لله تعالى، والنبوَّة والبعث، وبيان عواقبهم في الدنيا والآخرة.

رابعاً- التناسب بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الصَّافات:

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ٨٤ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ ٨٥ أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧ فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ٩٠ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ٩٣ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ٩٤ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ٩٥ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٢٣/٨١-٨٢).

ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحۡسِنٞ وَظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ مُبِينٞ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات:٨٣-١١٣].

الضمير في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الصافات:٨٣] يعود على نوح عليه السلام، أي من أنصاره وأعوانه وممن سار على منهجه، فالمعنى: وإنَّ من شيعة نوح لإبراهيم عليه السلام؛ لأنَّه تابعه في الدَّعوة إلى توحيد الله تعالى، والصَّبر على أذى أعداء هذا الدِّين، وكلُّ نبي يؤيِّد من سبقه من الأنبياء، ويناصره في دعوته، وإن اختلفت شرائعهم في التَّفاصيل والجزئيات، فهي متَّحدة في الأصول والأركان(١).

﴿إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الصافات:٨٤] من الشرك، مليءٍ بالتَّوحيد، "لما ذَكَرَ أنَّ إبراهيم جاء ربَّه بقلب سليم ذَكَرَ أنَّ من جملة آثار تلك السلامة أن دعا أباه وقومه إلى التَّوحيد"(٢)، فقال: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الصافات:٨٥] اذكر حين سأل أباه وقومه، فقال لهم: أيُّ شيء تعبدون.

﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [الصافات:٨٦] أتكذِّبون وتتَّخذون آلهة غير الله تعالى(٣)، ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات:٨٧] فيها وجهان: الأول: أتظنُّون بالله تعالى وهو ربُّ العالمين أن يرضى بجعلكم هذه الجمادات مشاركة له في المعبودية، والثاني: أتظنُّون بربِّ العالمين أنَّه من جنس هذه الأصنام حتَّى ساويتموه في المعبودية، فنبِّههم أنَّه ليس كمثله شيء(٤).

﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾﴾ [الصافات:٨٨-٨٩] كان قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام يتعاطون علم النجوم، فأراد أن يلزمهم الحجَّة على مقتضى عاداتهم، ويبرهن لهم أنَّ أصنامهم غير مستحقة للعبادة، وكان لهم يوم عيد يخرجون إليه، وكانوا قبل أن يخرجوا يدخلون إلى أصنامهم ويقرِّبون لهم القرابين، ويضعون بين أيديهم الطَّعام للتَّبرك بهم، وعندما طلبوا من سيدنا إبراهيم عليه السلام الخروج معهم رفض(٥)، وقال: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ﴿٨٩﴾﴾

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (٩٤/١٢).

(٢) مفاتيح الغيب، (٣٤١/٢٦).

(٣) انظر: جامع البيان، (٦٢/٢١).

(٤) انظر: مفاتيح الغيب، (٣٤١/٢٦).

(٥) انظر: معالم التنزيل، (٣٤/٤).

[الصافات:٨٩] أراد سُقْمَ القلب، وشغلَه بما لا يستطيع الإنسان تحمُّلَه من إنكار القلب لعبودية غيره، فهذه القضية تتعبه وتؤلم قلبه، أي كأنَّه أراد أن يقول: قلبي قد مرض وتألَّم من عبادتكم غير الله تعالى، فظنَّ قومه أنَّه مريض حقاً بمرض بدني، ﴿فَتَوَلَّوْاْ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ [الصافات:٩٠] فتركوه وانصرفوا عنه متوجهين إلى عيدهم(١).

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٩١ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ۝٩٢ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ۝٩٣﴾ [الصافات:٩١-٩٣] فذهب إلى أصنامهم التي يزعمون أنَّها آلهة في خفية، وقال لها: ألا تأكلون، ما لكم لا تنطقون، وذلك استهزاء بها، وبانحطاطها عن استحقاق العبادة، ثمَّ أقبل إليهم مستخفياً فضربهم بيمينه ضرباً شديداً؛ لأنَّ اليمين أقوى الجارحتين، ويجوز أن يكون اليمين: الحلف، وهو قوله تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء:٥٧](٢).

﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾ [الصافات:٩٤] وبعدما رجعوا من عيدهم ورأوا أصنامهم قد كُسِّرت علموا أنَّ إبراهيم هو من فعل ذلك فأقبلوا إليه مسرعين لتأنيبه على فعله، وكأنَّهم يزفُّون بعضهم بعضاً(٣)، فقال لهم: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ [الصافات:٩٥] استفهام توبيخي، وأراد منه أن ينكر عليهم عبادتهم لأصنام صوَّروها بأيديهم.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٩٦] والله أنشأ ذواتكم وذوات ما تشكِّلون من الأصنام، فأنتم وأصنامكم مخلوقات لله تعالى فكيف يعبد مخلوق مخلوقاً، وكلاهما خلق الله تعالى.

ولما رأوا أنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام قد غلبهم بالحجّة، مالوا إلى غلبته بقوَّة الشوكة(٤)، فقالوا: ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٩٧] بنوا له بنياناً يشبه التنُّور، ثمَّ نقلوا إليه الحطب، وأوقدوا عليه الجمر، ثمَّ قذفوه فيه، وأرادوا بذلك كيده أي: إحراقه، ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [الصافات:٩٨] فجعلهم أذلاء حينما غلبهم بالحجَّة أولاً، وثانياً حينما أبطل الله تعالى مكرهم وأنقذه من النَّار(٥).

فلمَّا حماه الله تعالى من قومه، ومن النَّار التي ألقوه فيها عزم على مفارقتهم، هاجر إلى الأرض المباركة ليتمكَّن من عبادة الله تعالى، ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:٩٩] أي: سيوفِّقني إلى ما فيه الخير والصلاح لي(٦)، ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:١٠٠] ودعا ربه أن يهبه ولداً يكون من الصالحين؛ لأنَّ الصَّلاح

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، مصطفى مسلم، (١٥٦/٧).
(٢) انظر: الكشاف، (٥٠/٤).
(٣) انظر: أنوار التنزيل، (١٤/٥).
(٤) انظر: البحر المحيط، (١١٢/٩).
(٥) انظر: جامع البيان، (٧٠/٢١-٧١).
(٦) انظر: البحر المحيط، (١١٥/٩).

أشرف مقامات العبد، ﴿فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١] فجاءته البشرى بثلاث أمور: أنَّ الولد غلام ذكر، وأنَّه سيبلغ سنَّ الحلم، وأنَّه سيكون حليماً، وقد ظهر ذلك جلياً في قصة ذبحه(١).

﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢] وبعد أن ولد لسيدنا إبراهيم عليه السلام ولد، وبلغ سن ثلاث عشرة سنة، وهي السِّن التي أصبح فيها سيدنا إسماعيل عليه السلام قادراً على أن يمشي مع أبيه في شؤونه، عندها رأى سيدنا إبراهيم عليه السلام في منامه أنَّ الله تعالى أمره بذبح ولده، وكانت الغاية من هذا البلاء إظهار عزمه عليه السلام، وإثبات علو مرتبته في الاستجابة لأمر ربه، فإنَّ الولد عزيز على نفس الوالد، فكيف إن كان ولده الوحيد، وأمله في أن يرث نسله! ومع ذلك فقد اختار سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يكون صابراً ممتثلاً لأمر الله تعالى، فحدَّث ابنه عن تلك الرؤيا؛ ليعرف كيف سيقابل هذا الأمر، فكون الأمر متعلِّق به يعني أنَّه مشترك في البلاء معه، وعليه أن ينجح في الاختبار ويمتثل أمر الله تعالى، فما كان من سيدنا إسماعيل عليه السلام إلا أن قال لأبيه: يا أبت أذنت لك أن تذبحني استجابة لأمر الله تعالى، ووعده ألا يجزع أو يهلع، بل يكون في عداد الذين اشتهروا بالصَّبر بإذن الله تعالى(٢).

﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ [الصافات:١٠٣] فلمَّا فوضا أمرهما لله تعالى، واتَّفقا على التَّسليم، ورضيا بقضائه، طلب سيدنا إسماعيل عليه السلام من أبيه أن يقذفه على وجهه لكيلا يرى الشفرة فيجزع، ولكيلا يراه والده أثناء ذبحه فيشفق عليه(٣)، وفي لحظة التَّسليم جاءت البشرى ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا﴾ [الصافات:١٠٤-١٠٥] قد نفَّذت الرؤيا بإضجاعك ولدك للذبح، ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات:١٠٥] كذلك نصرف السوء عمَّن أطاعنا، ونجعل لهم مخرجاً من كلِّ ضيق(٤).

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ ما أُمر به سيدنا إبراهيم عليه السلام من ذبح ابنه ﴿لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ [الصافات:١٠٦] لهو الاختبار الذي يُعرَف به المخلصون من غيرهم(٥)، عندها نظر سيدنا إبراهيم عليه السلام فإذا بجبريل ومعه كبش أملح أقرن، وقال له: هذا فداء ابنك فاذبحه عوضاً عنه، فأخذ إبراهيم الكبش فأتى به المنحر من منى فذبحه، فذلك قوله: ﴿وَفَدَيْنَاهُ

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٣٤٥/٢٦).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، (١٤٩/٢٣-١٥٢).
(٣) انظر: جامع البيان، (٧٢/٢١).
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٣٠/٧).
(٥) انظر: البحر المحيط، (١١٨/٩).

بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ [الصافات:١٠٧-١٠٨] وأبقينا له فيمن بعده ثناءً حسناً[١]، قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ [الصافات:١٠٩-١١١] أعطى الله تعالى نبيه الكريم أَمَنَة في الأرض فلا يذكر فيمن بعده إلا بجميل الذكر، وهذا العطاء جزاء له على طاعته واستسلامه لأمر الله تعالى، فهو من عباد الله المخلصين، ثمَّ توالت عليه العطايا جزاء له على صبره، فقال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات:١١٢] بشَّره الله تعالى بولدٍ يكون نبياً إكراماً له على طاعته، ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصافات:١١٣] وباركنا على إبراهيم وعلى إسحاق عليهما السلام، وكان من ذرِّيَّتهما المؤمن الطَّائع لله تعالى، والكافر الظَّالم لنفسه بكفره بالله تعالى[٢].

خامساً- التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات سورة الصَّافات:

الموضوع الأول: الدَّعوة إلى توحيد الله، وإثبات البعث والجزاء:

بعد أن افتتحت السورة بالقَسَمِ الدَّال على وحدانية الله تعالى، وتبعها ذكر الآيات التي توضِّح لنا عناد الجاحدين، وإصرارهم على اتِّباع وتقليد دين الآباء، وإنكارهم للبعث والجزاء، والردِّ عليهم، من قوله تعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات: ١-٧٠]، انتقلت للحديث عن حال الرُّسل مع أقوامهم، وجريهم في العناد والتَّكذيب لهم، وعدم الاستجابة لدعوتهم لتوحيد الله تعالى، وإنذارهم من يوم البعث والحساب، ومن هؤلاء الرُّسل سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي دعا قومه إلى توحيد الله تعالى، وترك اتِّباع الآباء في عبادتهم للأصنام، فقابلوا دعوته بالجحود والعناد والتَّكذيب[٣].

الموضوع الثاني: إثبات الوحي والرِّسالة:

بعد أن أثبتت السورة في مطلعها قضية التَّوحيد والمعاد أخذت في تقرير قضية الوحي والرِّسالة، وعرضت سلسلة من قصص الرُّسل، ومنها قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ للدَّلالة على أنَّ الرُّسل جميعاً أسرة واحدة، وأنَّ طريقهم في الدعوة إلى توحيد الله تعالى واحد، وأنَّ سيدنا محمداً ﷺ مصدِّقٌ لهم في ذلك، وأنَّ الله تعالى ناصر لرُسُلِه، رحيم بعباده المؤمنين، شديد البطش بالكافرين والمكذبين بالعذاب[٤].

---

(١) انظر: معالم التنزيل، (٤/٣٩).

(٢) انظر: جامع البيان، (٢١/٩١-٩٢).

(٣) انظر: نظم الدرر، (١٦/١٩١-١٩٢).

(٤) انظر: في ظلال القرآن، (٥/٢٩٨٠-٢٩٨١).

١. التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام وقصة نبي الله نوح عليه السلام:

إنَّ الحلقة الواردة من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مرتبطة ارتباط وثيق بالحلقة الواردة من قصة سيدنا نوح عليه السلام، فقد افتتحت قصة سيدنا إبراهيم بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات:٨٣]، فسيدنا إبراهيم عليه السلام من أهل بيت سيدنا نوح عليه السلام وبمنزلة ولده، وعلى دينه ومنهجه، فناسب مجيء قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء، والذي نجَّاه الله من النَّار بعد قصة سيدنا نوح عليه السلام أبي البشر الثاني، والذي نجَّاه الله من الغرق(١).

٢. التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام وقصة نبي الله موسى وهارون عليهما السلام:

إنَّ قصتا سيدنا نوح وإبراهيم عليهما السلام متناسبتان مع ما ورد من قصة سيدنا موسى وهارون عليهما السلام، فبعد أن ذكر الله تعالى منَّته على سيدنا إسماعيل عليه السلام بإنجائه من الذبح، قال تعالى: ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات:١٠٧]، ومنَّته على سيدنا إبراهيم عليه السلام بإنجائه من النَّار، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الصافات:٩٧-٩٨]، أتبعها بذكر ما امتنَّ به على سيدنا موسى وهارون عليهما السلام من إنعامه عليهم بالمنافع الدينية كالنبوَّة، والدُّنيوية كالصحة والعقل، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الصافات:١١٤]، وإنعامه عليهم بدفع المضار عنهما في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الصافات:١١٥](٢).

٣. التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام وقصة نبي الله إلياس عليه السلام:

إنَّ ما ورد من استنكار سيدنا إبراهيم عليه السلام عبادة أبيه وقومه للأصنام في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الصافات:٨٥-٨٦] متناسب مع الآيات التي أظهرت استنكار سيدنا إلياس عليه السلام على قومه عبادتهم لبعل، وتركهم عبادة الله تعالى. قال تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الصافات:١٢٥-١٢٦](٣).

٤. التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام وقصة نبي الله لوط عليه السلام:

"لما أتمَّ ما أراد سبحانه من أمور المحسنين من ذرِّيَّة إبراهيم عليه السلام المرسلين إلى ذرِّيَّته في التَّسلية والترجية، وقدَّمهم لأنَّ المنَّة عليهم منَّة عليه، والإنسان بابنه أسرُّ منه بقريبه، وهم الذين أظهر الله بهم، وما ترك عليه من لسان

---

(١) انظر: روح المعاني، (٩٧/١٢).
(٢) انظر: التفسير المنير، (١٢٩/٢٣).
(٣) انظر: في ظلال القرآن، (٢٩٩٨/٥).

الصّدق في الآخرين، قال تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات:١٠٨-١١٣]، أتبعهم بقصة ابن أخيه مع أهل بلاد الأردن من غير قومهم، فقال مؤكداً للتنبيه على نصر المؤمنين وإن كانوا في القلّة والذّلة على حال لا يُظنُّ انجباره، وتكذيباً لليهود المكذّبين برسالته أو الشّاكين فيها"[(١)]، من قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الصافات: ١٣٣-١٣٦]

الموضوع الثالث: إنذار المشركين، ودعوتهم للنّظر والاعتبار:

عُرضت حلقات من قصص الأنبياء مع أقوامهم في سورة الصّافات لتكون تمهيداً لمناقشة المشركين المكّيين في عقائدهم، وداعية لهم إلى التّفكر والتّأمل حتّى لا يكون مصير كفّار مكّة كمصير من سبقهم من الأمم التي كذبت رُسُلَها فحقّ عليها العذاب والهلاك، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الصافات:١٣٧-١٣٨] وإنّكم لتمرون عليهم حين سفركم صباحاً أو ليلاً، فترون آثار ديارهم التي أصبحت خراباً لا يسكنها ولا يدخلها أحد، ألا تكفيكم تلك المشاهدات حتّى تعتبروا وتخافوا أن يحلّ بكم ما حلّ بهم، فما أصابهم إنّما كان لمخالفة رسولهم كما تفعلون[(٢)]، فلمّا لم يستجيبوا ولم يعتبروا بما حلّ بالأمم السالفة أتبعها الله تعالى بإنذار المشركين إنذاراً يتضمن التّوبيخ والتّقريع لهم على فساد عقائدهم، وإنكارهم البعث، وكذبهم على الله تعالى[(٣)]، من قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصافات: ١٤٩-١٥٩].

الموضوع الرابع: نصرة الله لأوليائه في الدُّنيا والآخرة:

بعد أن عرضت سورة الصّافات حلقات من قصص الأنبياء مع أقوامهم، وما حلّ بتلك الأقوام المكذّبة لرُسُلها، وكيف تجلّى نصر الله تعالى لأنبيائه، جاءت هذه الآيات تخاطب جميع الرُّسل، وخصوصاً سيدنا محمد ﷺ؛ لتؤكد لهم أنّ وعد الله بنصرتهم وغلبتهم قاطع، وكلمته قائمة، على الرغم من تكذيب المكذبين، فإنّ عقائدهم زائلة لا محالة، وعقيدة التّوحيد التي جاء بها رُسُل الله باقية لا محالة[(٤)]، من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾

---

(١) نظم الدرر، (٢٨٨/١٦).

(٢) انظر: تفسير المراغي، (٨٢/٢٣).

(٣) انظر: التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، (٢١٨٨/٣).

(٤) انظر: في ظلال القرآن، (٣٠٠١/٥).

إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٨٢]، والحلقة الواردة من قصة سيدنا إبراهيم متناسبة مع هذا الموضوع، فقد عرضت جانباً من نصرة الله تعالى لسيدنا إبراهيم عليه السلام حينما ألقاه قومه في النَّار، فأنجاه الله تعالى منها، ونصره على قومه الطاغين. قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ٩٧ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨﴾ [الصافات:٩٧-٩٨].

سادساً- التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع المقصد الرئيس لسورة الصَّافات:

إنَّ مقصد السورة الرئيس لسورة الصَّافات لم يخرج عن مقاصد السور المكِّية، فهو يهدف إلى بناء العقيدة في النفوس، وتخليصها من شوائب الشرك في كل صوره وأشكاله، وإثبات الوحي والنبوَّة، وإثبات البعث والجزاء، لذا كانت الحلقة الواردة من دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه إلى توحيد الله تعالى، ثمَّ انتقال القصة إلى عرض نموذج واقعي لتوحيد الله تعالى، وإظهار الاستسلام والطَّاعة الكاملة له عندما أمره بذبح ولده متناسبة مع مقصد السورة[١].

ونستنتج أنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الصَّافات كانت متناسبة مع جميع مقاطع السورة، وساهمت هذه الحلقة مع بقية موضوعات السورة بالتوصل إلى مقصد السورة.

المطلب السابع: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الزُّخرف.

أولاً- بين يدي السورة:

سورة الزُّخرف من السور المكِّية، باستثناء قوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾ [الزخرف:٤٥][٢]، وقد نزلت بعد سورة الشورى وقبل سورة الدخان[٣]، وهي السورة الثانية والستون في ترتيب نزول سور القرآن الكريم، وسمِّيت بسورة الزُّخرف، لورود كلمة ﴿وَزُخۡرُفٗاۚ﴾ [الزخرف:٣٥]، ولم ترد في غيرها من سور القرآن.

ثانياً- تناسب قصة نبي الله إبراهيم في سورة الزُّخرف مع زمن نزولها:

نزلت سورة الزُّخرف في الفترة التي كانت فيها الدعوة الإسلامية تواجه الكثير من المصاعب والجدال حولها نتيجة

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٢٩٨١/٥).
(٢) انظر: الكشاف، (٢٣٥/٤).
(٣) انظر: البرهان، (١٩٣/١).

التَّحجر العقلي، والتَّقليد المذموم، والتَّكبر والتَّعالي عن اتِّباع الرَّسول ﷺ، فناسب أن تصف الآيات ملامح تلك الفترة من خلال بيان كثير من الخرافات التي كانوا يتبنونها، والتَّنديد بعقائد المشركين، وتصحيح تلك الانحرافات، وردِّ النفوس إلى الفطرة السليمة التي جبلت عليها.

وكان من جملة الانحرافات التي جاؤوا بها:

١. زعمهم تمسُّكهم بتقليد دين الآباء بدلاً من إعمال عقولهم، فضُرِب المثل بتخلي سيدنا إبراهيم عليه السلام عن دين أبيه وقومه، وتبرّيه من عبادتهم للأصنام(١). قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:٢٢].
٢. زعمهم أنَّهم على ملَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وأنَّ عقيدتهم أفضل من عقيدة أهل الكتاب، فجاءت آيات هذه السورة لتزيل عنهم القناع الذي تعمَّدوا لباسه ليعموا أبصارهم عن اتِّباع الحقِّ، وتعلن أنَّ ملَّة سيدنا إبراهيم هي التَّوحيد الخالص لله تعالى، وهذه الملَّة هي التي هجر أباه وقومه من أجلها، وهي التي وصَّى بها ذرِّيَّته، وأنَّ الرسول ﷺ متَّبع لملَّة أبيه سيدنا إبراهيم عليه السلام(٢).
٣. رفضهم اتباع ملَّة سيدنا محمد ﷺ؛ لأنَّ النبوة لم تكن من نصيبهم، بل كانت من نصيب سيدنا محمد ﷺ، والتي نالها برحمة من الله تعالى، وليس بمقاييس التَّفاضل الدنيوي الذي يعتمدوه. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٣٠ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [الزخرف:٣٠-٣٢](٣).

فإذاً سورة الزُّخرف بما تضمَّنته من آيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت متوافقة مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها.

ثالثاً- مقاطع سورة الزُّخرف، ومقصدها الرئيس:

قامت سورة الزُّخرف على تقرير وحدانية الله عزَّ وجلَّ، ونفي الولد والشريك عنه، وفصَّلت الحديث عن شُبَه المعاندين للحقِّ من كفار قريش، وأكَّدت هذه السورة أنَّ هذا دأب الكافرين في كلِّ زمان، وضربت المثَلَ ببراءة سيدنا إبراهيم عليه السلام مما يعبد قومه، ثمَّ عرضت قصتي سيدنا موسى وعيسى اللتين ذُكِرتا لتأكيد المقصد ذاته، ثمَّ عرضت بعضاً من أحوال يوم القيامة، وبيَّنت لهم عاقبة المعرضين عن اتِّباع طريق الهدى، وعاقبة المتَّقين السائرين

(١) انظر: التفسير الحديث، (٤/٤٩٩-٥٠٠).
(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٥/٣١٧٤-٣١٧٥).
(٣) انظر: سيرة الرسول ﷺ، (ص: ١٩٦).

في طريق الله تعالى، لتعود السورة في ختامها لتقرر ما بدأت به، وتثبت ما عرضته من حقائق، فتُنزِّه الله تعالى عن الشُبَهِ التي نسبوها إليه، وتؤكد وحدانيته عزَّ وجلَّ، وتثبت أنَّ المصير والمآل إلى الله تعالى(١).

إذاً نستطيع من خلال العرض السريع للموضوعات التي تناولتها السورة أن نقسمها إلى ثلاثة مقاطع، وهي:

المقطع الأول: دلائل الهداية. من قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١-١٤].

المقطع الثاني: شُبَه المشركين، وإقامة الحجَّة عليهم، من قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ١٥-٥٦].

المقطع الثالث: أحوال القيامة، ووصف نعيم أهل الجنَّة، وعذاب أهل النَّار، من قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٧-٨٩].

ومن خلال دراسة مقاطع السورة يمكننا أن نحدد المقصد الرئيس لسورة الزُّخرف هو: إثبات الوحدانية لله تعالى، وإثبات وحدة الرِّسالة، وإثبات البعث والجزاء.

رابعاً- التناسب بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الزُّخرف:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨].

ذكِّر يا محمد قومك بجدهم الأعلى، حينما أعلن لأبيه وقومه براءته مما يعبدون من الأصنام، واستثنى خالقه من هذه البراءة، ويجوز أن تكون [إلا] بمعنى [لكن]، أي: لكن الذي خلقني سيرشدني لدينه ويوفِّقني لطاعته(٢)،

(١) انظر: التفسير الحديث، (٤/٤٨٨).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٧/٦٢٩).

وكانت ثمرة توحيده ما أكرمه الله تعالى به بأن جعل كلمة التَّوحيد وهي لا إله إلا الله في ذرِّيَّته، فلا يزال فيهم من يوحِّد الله تعالى ويدعو إلى توحيده، لعلَّ من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحَّد منهم(١).

خامساً– التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات سورة الزُّخرف:

الموضوع الأول: دلائل الهداية:

افتتحت السورة الكريمة بعرض دلائل التَّوحيد، وابتدأت بأعظمها وهي القرآن الكريم، فعلى الرغم من كون العرب منهمكين في الكفر والضلالة لم يتركهم الله سبحانه وتعالى، بل دعاهم إلى الهداية بإرسال الرَّسول الأمين، وإنزال القرآن الكريم، من قوله تعالى: ﴿حمٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف: ١-١٤]، والحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متناسبة مع هذه الآيات، فبعد أن ذكرت الآيات دلائل وحدانية الله تعالى، وإرساله الرُّسل إلى الأمم الماضية، ومشابهة حال العرب لحال تلك الأمم، جاءت الآيات تخصُّ رسول الله إبراهيم عليه السلام بالذكر؛ لكونه إماماً للموحدين، ولعِظَمِ منزلته عند الله تعالى، ولدعوة سيدنا محمد عليه السلام للاقتداء به، ومنابذة قومه كما فعل عليه السلام(٢).

الموضوع الثاني: شُبَه المشركين، وإقامة الحجَّة عليهم:

١. شُبهَة التقليد:

عرضت الآيات شُبَه المشركين كنسبة الولد إلى الله تعالى، وجعل الملائكة إناثاً، وادِّعائهم أنَّه لم توجد مشيئة الله تعالى لعدم عبادتهم –تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً–، وأقامت الحجَّة عليهم، وأبطلت شبههم بالدليل العقلي والنقلي، وبيَّنت أنَّ السبب الحقيقي الذي دفعهم للإعراض عن اتِّباع الحقِّ، والإصرار على الكفر، وقول تلك الأقاويل الباطلة ما هو إلا تقليدهم لآبائهم وأجدادهم، وأنَّ طريقهم باطل ومنهجهم فاسد، وأنَّه كان الأجدر بهم الرجوع إلى الدليل بدلاً من الاعتماد على التَّقليد(٣)، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾

(١) انظر: الكشاف، (٢٤٦/٤).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، (٥١/٥).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (٦٢٧/٢٧).

فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥﴾ [الزخرف:٢٢-٢٥]، وخصَّ المترفين بالذكر لأنَّ الترف والتَّنعم هو سبب اغترارهم واغترار آبائهم بالدُّنيا وانصرافهم عن النَّظر إلى التَّقليد(١).

ثمَّ تبعتها آيات نبي الله إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾ [الزخرف:٢٦] وهي عطف على عموم ما سبق(٢)؛ لتبرهن على فساد القول بالتَّقليد، وتقرره من وجهين:

الوجه الأوَّل: أنَّه تعالى حكى عن إبراهيم عليه السلام أنه تبرَّأ من دين آبائه معتمداً على الدليل، فنقول: إمَّا أن يكون تقليد الآباء في الأديان محرَّماً أو جائزاً، فإن كان محرَّماً فقد بطل القول بالتَّقليد، وإن كان جائزاً فمعلوم أن إبراهيم عليه السلام أشرف آباء العرب، وهم يفتخرون أنَّهم من أولاده، وبالتالي فإنَّ تقليد إبراهيم عليه السلام الذي هو أشرف الآباء أولى من تقليد سائر الآباء، ومن المعلوم أنَّ إبراهيم عليه السلام قد ترك دين آبائه، وحكم بأنَّ اتِّباع الدليل أولى من متابعة الآباء، فكان لزاماً عليهم تقليده في ترك تقليد الآباء، وفي ترجيح الدليل على التَّقليد، وإذا ثبت هذا فنقول: فقد ظهر أنَّ القول بوجوب التَّقليد يوجب المنع من التَّقليد، وما أفضى ثبوته إلى نفيه كان باطلاً، فوجب أن يكون القول بالتَّقليد باطلاً.

الوجه الثاني: أنَّ أشرف آبائهم وهو إبراهيم عليه السلام ترك دين أبيه وتوجه إلى متابعة الدليل، بدلاً من الاكتفاء بالتَّقليد، لذا لا جرم أنَّ الله تعالى جعل دينه ومذهبه باقياً إلى يوم القيامة، وأمَّا أديان آبائه فقد اندثرت وبطلت، فثبت أنَّ متابعة الدليل يبقى محمود الأثر إلى قيام الساعة، وأنَّ تقليد الأديان الباطلة ينقطع أثرها(٣).

٢. شُبهَة الاغترار بالنِعَم، وادِّعاء استحقاق النبوَّة لأصحاب المكانة الرفيعة:

بعد عرض حلقة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام يعود السياق للحديث عن كفار قريش بكلِّ سلاسة من خلال حرف الإضراب (بل)، فبعد أن ضرب الله عزَّ وجلَّ لهم المَثَلَ بأبيهم إبراهيم عليه السلام الذي كان يطمع برجوع عقبه إلى الحقِّ واستقامتهم من بعده، قال تعالى: ﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ﴾ [الزخرف:٢٩] أي: بل متَّعت أهل مكَّة بالمدِّ في العمر، وأغرقتهم في النِعَم، فاغتروا بطول الإمهال، وخيَّبوا رجاء

(١) انظر: أنوار التنزيل، (٨٩/٥).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، (١٩٢/٢٥).
(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (٦٢٨/٢٧-٦٢٩).

أبيهم إبراهيم عليه السلام، وعبدوا الأصنام مدَّعين تقليد الآباء، وانشغلوا عن التَّوحيد بالتَّرف، وألهاهم التَّمتع عن التَّفكر حتَّى جاءهم القرآن الكريم والرَّسول المبين(١).

يقول ابن عطية(٢) في تفسير هذه الآية: "كلامٌ متصل بما قبله، لأنَّه لما قال في عَقِبِه، وكانت قريش من عَقِبِه، اقتضى الكلام أن يُقدَّر فيه، لكن هؤلاء ليسوا ممن بقيت الكلمة فيهم، بل متَّعتهم"(٣).

ولما جاءهم الحقُّ لم يستجيبوا له، بل جاءوا بما هو شرٌّ منه، فوقعوا في غفلة فوق غفلتهم التي كانوا عليها بسبب طول التَّمتع بالنِعَم، فعاندوا الحقَّ، وسخروا من الرَّسول، وأخذوا يجادلونه ويحاجُّونه، وادَّعوا أنَّ صاحب الرِّسالة لابد أن يكون من أصحاب الرياسة والمناصب العلية في الدُّنيا، ونسوا أنَّ مقسم الأرزاق، ومُدبِّر الأمور هو الله تعالى، ولو وكَّلهم إلى أنفسهم لهلكوا(٤)، ومواقفهم تلك أشبه بمواقف الأقوام السابقين الذين تحدَّوا أنبياءهم، وعاندوا الحقَّ، فحلَّ بهم عذاب الله تعالى(٥). من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣٠-٥٦].

الموضوع الثالث: أحوال القيامة، ووصف نعيم أهل الجنَّة، وعذاب أهل النَّار:

بعد أن عرضت السورة نماذج للمنحرفين عن اتِّباع طريق الحقِّ بالرُّغم من إنزال الكتب وإرسال الرُّسل إليهم، وأبطلت مزاعمهم، وردَّت شُبَهَهم، بما فيها شُبهَة تقليدهم ملَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وهو منهم بريء، جاءت هذه الآيات لتنذرهم بعذاب شديد سينزل بهم في يوم من الأيام، ولتطرح عليهم تساؤل المنكر المندِّد عمَّا إذا كانوا ينتظرون حلول آجالهم حتَّى يتبعوا الحقَّ المبين، مع أنَّ آجالهم لن تأتيهم إلا بغتة، فيكونوا قد أضاعوا فرصتهم من النَّجاة من العذاب، وصاروا إلى اليوم الموعود الذي ينقلب فيه الأصدقاء إلى أعداء، وينشغل كلُّ امرئ بنفسه ولن ينجو من هذا المآل المؤسف ويحظى بالمصير السعيد إلَّا الذين اتَّقوا الله تعالى واتَّبعوا طريقه، فاستحقوا جنانه،

---

(١) انظر: روح المعاني، (٦٢٩/٢٧).

(٢) عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، أبو محمد، ولد سنة (٤٨١هـ)، المفسر، القاضي، العالم بالأحكام والأحاديث، الأديب، الشَّاعر، النَّحوي، اللغوي، من فقهاء المالكية، من مؤلفاته: "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" و"فهرس ابن عطية"، (توفي سنة: ٥٤٢هـ). انظر: بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أبو جعفر الضبي، (ص: ٣٨٩)، ومعجم المفسرين، (٢٥٧/١).

(٣) المحرر الوجيز، (٥٢/٥).

(٤) انظر: الكشاف، (٢٤٧/٤-٢٤٨).

(٥) انظر: التفسير الحديث، (٥١٣/٤).

ونالوا النَّعيم المقيم[١]. من قوله تعالى: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٧-٨٩].

سادساً- التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع المقصد الرئيس لسورة الزُّخرف:

تؤكِّد سورة الزُّخرف الثوابت التي جاءت بها جميع السور المكِّية، وهي توحيد الله تعالى، وإثبات النبوَّة والرِّسالة، والبعث والجزاء، والحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متناسبة مع مقصد السورة الرئيس، فقد قدَّم سيدنا إبراهيم عليه السلام نموذجاً قوياً للتَّوحيد الخالص لله تعالى بعيداً عن الانخداع بزخارف الدُّنيا ومتاعها، ومعلناً براءته مما وجد عليه أباه وقومه، فكان جزاؤه أن جعل الله تعالى كلمة التَّوحيد باقية في عَقِبِهِ، فجميع الأنبياء من ذرِّيَّته، وجميعهم قد نادوا بمثل ما نادى به من الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر[٢]. ونستنتج أنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الزُّخرف كانت متناسبة مع جميع مقاطع السورة، وساهمت هذه الحلقة مع بقية موضوعات السورة بالتوصل إلى مقصد السورة.

المطلب الثامن: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الذَّاريات.

أولاً- بين يدي السورة:

نزلت سورة الذَّاريات بعد سورة الأحقاف وقبل سورة الغاشية[٣]، وهي السورة السادسة والستون في ترتيب النزول، ولهذه السورة اسم خاص، فقد سميت بـ (والذَّاريات) بإثبات الواو، وبـ (الذَّاريات) بدون واو؛ لأنَّ هذه الكلمة لم ترد بهذه الصِّيغة في موضع آخر من سور القرآن[٤]، واتَّفق الجميع على أنَّها مكِّية، وعدد آياتها ستون آية دون أيِّ خلاف[٥].

ثانياً- تناسب قصة نبي الله إبراهيم في سورة الذَّاريات مع زمن نزولها:

نزلت سورة الذَّاريات في الفترة التي برز واشتدَّ إنكار المشركين للبعث والجزاء، وتكذيب النَّبيِّ ﷺ، فجاءت آيات

---

(١) انظر: التفسير الحديث، (٤/٥٢٣-٥٢٤).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٢٥/١٥٨).
(٣) انظر: البرهان، (١/١٩٣)، وبصائر ذوي التمييز، (١/٩٩).
(٤) انظر: التحرير والتنوير، (٢٦/٣٣٥).
(٥) انظر: فنون الأفنان، (ص: ٣٠٩).

سورة الذَّاريات تحمل طابع تلك الفترة، وتنذر المكذِّبين بالبعث والنُّشور وتهزُّهم هزَّات عنيفة من خلال الإقسَامِ بأنَّ وعد الله تعالى بالبعث والجزاء واقع، وأنَّ إمهالهم وتأخير العذاب عنهم في الدُّنيا لا يعني تفويت حسابهم ومجازاتهم على أعمالهم في الآخرة، فالوعد صادق، والحساب محقَّق لا محالة(١)، ثمَّ تعرض لهم قصصاً لأقوام كذَّبوا رُسُلَهم، وأنكروا تحقُّق البعث ولحوق العذاب بهم فاستحقوا الهلاك، ومنها قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام التي افتُتِحت بها سلسلة القصص في سورة الذَّاريات بالرُّغم من أنَّها كانت تأتي متأخرة عن قصة عاد عادةً لسببين:

١. تنبيهاً للعرب، لأنَّهم كانوا ينسبون أنفسهم لسيدنا إبراهيم عليه السلام، ويدَّعون أنَّه أبوهم، وأنَّهم متَّبعون لدينه، وتحذيراً لهم إن تمادوا في غيِّهم، وأصرُّوا على كفرهم من أن يحلَّ بهم مثل ما حلَّ بمن قبلهم من الأمم الخالية(٢)، فالرُّسل الذين قَدِمُوا إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام جاءوا لإهلاك قوم لوط الذين كذَّبوا رَسولهم، فكان فيها وعيدٌ للعرب(٣)؛ لاشتراكهم مع قوم لوط في الغلفة، فالآية وصفت المشركين بأنَّهم ﴿فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ [الذاريات:١١]، فأشبهوا قوم لوط في تلك الغمرة، قال تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر:٧٢](٤).
٢. تطميناً لقلب النَّبيِّ ﷺ أنَّ ما يجري معه من تكذيب قومه قد جرى مع غيره من الأنبياء، وأنَّ الفرج في حقِّ الأنبياء قريب لا محالة، فليس عليك إلا الإنذار والتَّبليغ، ولن يضرك إعراض وتولِّي الكافرين عن اتِّباع الحقِّ، وخصَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام بالذِّكر لكونه شيخ المرسلين، ولكون النَّبيِّ ﷺ على سنته في بعض الأشياء(٥).

فإذاً سورة الذَّاريات بما تضمَّنته من آيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت متوافقة مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها.

ثالثاً– مقاطع سورة الذَّاريات، ومقصدها الرئيس:

افتتحت السورة الكريمة بعدَّة أَقسَام أنَّ البعث آت لا محالة، وشنَّت حملة شديدة على المكذِّبين برسالة سيدنا محمد ﷺ، ونوَّهت بالمتَّقين ومصائرهم يوم القيامة، ثمَّ عرضت دلائل كونية تثبت وحدانية الله تعالى وقدرته على البعث، وكان النَّصيب الأكبر في هذه السورة لقصص الأنبياء مع أقوامهم، وتصوير مصير المكذِّبين منهم؛ وذلك

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٦/٣٣٧٥).
(٢) انظر: جامع البيان، (٢٢/٤٢٤).
(٣) انظر: البحر المحيط، (٩/٥٥٤).
(٤) انظر: التحرير والتنوير، (٢٦/٣٥٧).
(٥) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٨/١٧٣).

تنديداً للمشركين، وتطميناً لفؤاد النَّبيّ ﷺ بأنَّ ما يلقاه من قومه من كفر وتكذيب هو حال من سبقه من الأنبياء مع أقوامهم، فلا تأس عليهم واستمر في دعوتك، فإنَّ هذه الدعوة لابد أن تجد قلوباً نقية لتستوطن بها[١].

إذاً نستطيع من خلال العرض السريع للموضوعات التي تناولتها السورة أن نقسمها إلى مقاطعين رئيسين، وهي:

المقطع الأول: الإنذار بالبعث، من قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ١-٢٣].

المقطع الثاني: تسلية النَّبيّ ﷺ بذكر قصص نجاة وهلاك أقوام الأنبياء السابقين. من قوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤-٦٠].

ومن خلال دراسة مقاطع السورة يمكننا أن نحدد المقصد الرئيس لسورة الذَّاريات هو: إثبات البعث والجزاء.

رابعاً- التناسب بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الذَّاريات:

قال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٠ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣١ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ٣٢ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ٣٤﴾ [الذاريات:٢٤-٣٤].

"لما وجَّه الخطاب للنَّبيّ ﷺ بقوله: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ﴾ عُرِف أنَّ المقصود الأصلي تسليته على ما لقيه من تكذيب قومه، ويَتْبَعُ ذلك تعريض بالسامعين حين يقرأ عليهم القرآن أو يبلِّغهم بأنَّهم صائرون إلى مثل ذلك العذاب لاتِّحاد الأسباب"[٢]. ﴿حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [الذاريات:٢٤] تعظيم للحديث، وتأكيد على أنَّه وحي من الله تعالى إليه، ولفظ الضَّيف يطلق على الفرد والجماعة، واختلف في عدد الملائكة على أقوال: الأول: كانوا اثني عشر ملكاً، والثاني: ثلاثة جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، وسمَّاهم ضيفاً لأنَّهم كانوا في صورة الضَّيف حيث أضافهم إبراهيم عليه السلام، أو لأنَّه حسبهم كذلك[٣]، والْمُكْرَمِينَ: أي مكرمين عند الله تعالى بالعصمة والتَّأييد

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٢٦/٣٣٥-٣٣٦).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٢٦/٣٧٥).
(٣) انظر: أنوار التنزيل، (٥/١٤٨).

والاصطفاء، أو عند إبراهيم عليه السلام بالخدمة، فقد خَدَمَهُم بنفسه، وبزوجه، وبطلاقة وجهه، وتعجيل الطَّعام لهم، ولأنَّهم ضيف إبراهيم عليه السلام أكرم الخليقة، وضيف الكريم لا يكون إلا كريماً مثله(١).

﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات:٢٥] أي: اذكر لقومك قصة أضياف سيدنا إبراهيم عليه السلام حين دخلوا عليه فقالوا: نسلِّم عليك سلاماً، فردَّ عليهم التَّحية بأحسن منها؛ لأنَّ السلام الذي صدر من الملائكة لإبراهيم عليه السلام هو سلام متجدِّد ومتحدِّد بمقتضى الحال، بينما السلام الذي صدر منه عليه السلام جاء في صيغة جملة اسمية مثبتة مما يدل على الثبوت والاستمرار، فردَّ التَّحية بأحسن منها(٢)، ومع ذلك فقد نَكِرَهم ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ ربَّما لأنَّهم غرباء فلم يعرفهم، أو لأنَّه رآهم على صورة مخالفة لصورة البشر ولصورة الملائكة الذين كان يعرفهم، أو لأنَّهم دخلوا عليه من غير استئذان، أو أنكر سلامهم في ذلك الزمان والمكان(٣).

وعلى الرُّغم من خوفه منهم إلا أنَّ عادة إبراهيم في إكرام ضيفه دفعته إلى المسارعة لتحضير الطَّعام لهم، ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات:٢٦] مال إبراهيم عليه السلام وابتعد عن المكان الذي نزل فيه الضُّيوف وذهب مسرعاً إلى بيته الذي فيه أهله، وهذا من حُسْنِ الضِّيافة؛ لأنَّ المضيف إذا أراد أن يحضِّر شيئاً عليه أن يخفيه عن ضيفه حتَّى لا يمنعه من إحضاره بنفسه، ثمَّ إنَّ في قوله ﴿سَمِينٍ﴾ دلالة على اختياره أجود الطَّعام لهم، والمقصود به عجل سمين شواه وقرَّبه إليهم ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات:٢٧] أي: قدَّم لهم الطَّعام وجعله قريباً منهم، ولم ينقلهم إليه، وهذا من تمام إكرام الضَّيف.

وتكرار مجيء الفاء في أفعال القصة للدلالة على أنَّ هذه الأفعال حصلت بسرعة، والإسراع من آداب إكرام الضَّيف، كما أنَّ العرض على الضَّيف عَقِبَ وضع الطَّعام بين يديه هو زيادة في إكرامه(٤).

فلمَّا لم يأكلوا من الطَّعام خاف سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يكون امتناعهم من أكل الطَّعام إنَّما لشرٍّ يريدونه، وربَّما حدَّثته نفسه أنَّهم ملائكة أُرسِلوا للعذاب، فطمأنوه أنَّهم ملائكة مرسلون من الله تعالى، وبشَّروه بغلام وهو سيدنا إسحاق عليه السلام، وبشَّروه بأنَّه عليم يَكْمُلُ علمه إذا بلغ(٥). قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُواْ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:٢٨].

---

(١) انظر: روح البيان، إسماعيل حقي، (١٦١/٩).
(٢) انظر: تفسير الشعراوي، (٧٧٢١/١٣).
(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٤٥/١٧).
(٤) انظر: التحرير والتنوير، (٣٥٩/٢٦-٣٦٠).
(٥) انظر: أنوار التنزيل، (١٤٨/٥).

وحين سمعت سارة البشارة أقبلت نحوهم وهي تصيح وتلطم وجهها تعجُّباً، كما تتعجب معظم النِّساء عندما ينكرن شيئاً، وتقول: أتلد عجوز عقيم[١]، ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات:٢٩] فردُّوا عليها: ﴿قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الذاريات:٣٠] أي هذا الذي أخبرناك به هو من عند الله البالغ الحكمة العليم بمصالح عباده فلا تشكّي فيه[٢]

ولما علم أنَّهم ملائكة، ومن تمام علم إبراهيم عليه السلام أنَّ الملائكة لا تنزل إلا لتنفيذ أمر الله تعالى في الأرض قال لهم: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [الذاريات: ٣١] أي: ما شأنكم[٣] ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٢] أُرسِلنا لإهلاك قوم لوط عليه السلام، وإنَّما جاؤوا إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام لأنَّه كان "شيخ المرسلين وكان لوط عليه السلام من قومه، ومن إكرام المِلكِ لِلَّذي في عهدته وتحت طاعته إذا كان يرسل رسولاً إلى غيره يقول له اعبر على فلان المِلك وأخبره برسالتك وخذ فيها رأيه. وثانيهما: هو أنَّ الله تعالى لما قدَّر أن يهلك قوماً كثيراً وجمعاً غفيراً، وكان ذلك مما يحزن إبراهيم عليه السلام شفقة منه على عباده قال لهم بشِّروه بغلام يخرج من صلبه أضعاف ما يهلك، ويكون من صلبه خروج الأنبياء عليهم السلام"[٤]

﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الذاريات:٣٣-٣٤] "طين يطبخ كما طبخ الآجرُ حتَّى يصير في صلابة كالحجارة، مُسَوَّمَةً: مُعلَّمة، على كلِّ واحد منها اسم صاحبه، أو مُعلَّمة أنَّها من حجارة العذاب، أو مُعلَّمة أنَّها ليست من حجارة الدُّنيا، للمسرفين: وهم المجاوزون الحدَّ في الكفر"[٥].

خامساً- التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات سورة الذَّاريات:

الموضوع الأول: الإنذار بالبعث:

افتتحت السورة بآيات مليئة بالإنذار والتَّهديد بالبعث، وإثارة الخوف في قلوب المشركين علَّهم يرتدعون عن كفرهم، من قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ ۚ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات: ١-١٤]، ثمَّ عرضت دلائل التَّوحيد الدَّالة على عِظَمِ الصانع، وكمال ملكه وقدرته وعلمه ورحمته بعباده، وإذا

(١) انظر: معالم التنزيل، (٤/٢٨٥).
(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٧/٤٧).
(٣) انظر: الكشاف، (٤/٤٠٢).
(٤) مفاتيح الغيب، (٢٨/١٧٤).
(٥) البحر المحيط، (٩/٥٥٧).

وجدت الدلائل على الصَّانع ثبتت الدَّينونة له وحده[١]، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾ [الذاريات: ٢٠-٢٣]، "فكأنَّه قيل: كما أنَّكم تنطقون، فكذلك هذه تنطق بأنَّ المعاد إلى الربِّ تعالى حقٌّ لا شكَّ فيه"[٢].

وبعد أن بيَّنت الآيات أنَّه لم ينفع مع المشركين الإنذار بالبعث والموعظة والاستدلال انتقلت الآيات إلى نوع آخر من الإنذار من خلال دعوتهم للاعتبار بأحوال الأمم التي سبقتهم وشابهت حالهم في الكفر وتكذيب الرُّسول، وانتقل الأسلوب من خطاب المشركين إلى التَّعريض بذكر قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام؛ لتكون هذه القصة تمهيداً لذكر قصة هلاك قوم لوط حين كذَّبوا رَسُلَهم، فيدرك المشركون أنَّ مصيرهم سيؤول إلى ما آل إليه قوم لوط لاتِّحاد الأسباب، ولتحمل في طياتها تسلية للرَّسول ﷺ لما يلقاه من تكذيب قومه[٣].

وذكر الفراهي وجهاً آخر للتناسب بينهما، فبعد أن دلَّ قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠] على أنَّ في الأرض آثار لرحمة الله تعالى بعباده بما يبسطه لهم من رزق، وبالمقابل هناك آثار على نقمة الله تعالى على عباده بما وجِدَ في الأرض من دلائل على هلاك القوم المجرمين، جيء بقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام المشتملة على قصة سيدنا لوط عليه السلام؛ لتكون مثالاً على الرَّحمة والبشارة بالولد، والنَّقمة والإنذار بهلاك بقوم لوط، فيصلوا من خلالها إلى قدرة الله تعالى على الإماتة والإحياء للبعث والحساب، ويؤكد ذلك ما خُتِمت به القصة من قوله تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [الذاريات:٣٧][٤].

الموضوع الثاني: تسلية النَّبيّ ﷺ بذكر قصص نجاة وهلاك أقوام الأنبياء السابقين:

إنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متناسبة مع ما ورد بعدها من قصص غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأنَّ جميع القصص قد جيء بها لغرض واحد وهو: تسلية النبي ﷺ لما يلقاه من تكذيب قومه، إلا أنَّ القصص الثلاث الأولى قد ذُكِر فيها الأنبياء والمؤمنون؛ لأنَّ الغاية من ذكرها التَّسلية بالنَّجاة، أمَّا القصص الثلاث المتأخرة فقد ذُكِرت للتَّسلية بإهلاك العدو، وكشفت أنَّ عدد المهلكين بالعذاب من هؤلاء الأقوام يفوق عدد المهلكين من قوم سيدنا لوط عليه السلام، وما يؤكد هذا الغرض هو الآيات التي تبعت تلك القصص، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٥٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ

---

(١) انظر: نظام القرآن، (ص: ٤٥٦).

(٢) نظام القرآن، (ص: ٤٦٠).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (٢٦/٣٥٦-٣٥٧).

(٤) انظر: نظام القرآن، (ص: ٤٦٨).

بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات:٥٢-٥٥][١] فكانت هذه الآيات مطمئنة للنَّبيّ ﷺ وللمؤمنين، وباعثة الأمل في نفوسهم للاستمرار في الدَّعوة، وعدم اليأس من بطء استجابة النَّاس لدعوتهم، وإنَّ هذه الدَّعوة لابد أن تؤثر بمن يحمل في قلبه بذور الخير والنوايا السليمة، أمَّا الكافرون فسوف ينالهم نصيبهم من عذاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الذاريات:٥٩-٦٠][٢].

سادساً- التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع المقصد الرئيس لسورة الذَّاريات:

إنَّ المقصد الرئيس لسورة الذاريات يدور حول إثبات البعث والجزاء، وما يلحق به من رحمة وعذاب، فقد افتتحت السورة بالإقسَامِ على أنَّ وعد الله بالبعث صادق، وأنَّ الجزاء واقع، قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات:١-٦]، وتبعها القصص التي عرضت صوراً من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين، وبعذابه بالكافرين، وختمت السورة بإنذار الكافرين من تحقُّق وقوع يوم البعث والعذاب بعد محاسبتهم على ذنوبهم، كما حلَّ بالذين ظلموا أنفسهم بتكذيبهم للرُّسل، قال تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الذاريات:٥٩-٦٠][٣].

والحلقة الواردة من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام متناسبة مع مقصد السورة؛ لأنَّ في حضور الملائكة لإبراهيم عليه السلام وزوجه، وبشارتهم بالولد بعد اليأس من الولادة إثباتاً لقدرة الله تعالى على الإحياء بعد الممات[٤]، وفي إخباره بإهلاك قوم لوط عليه السلام إثباتاً لقدرة الله تعالى على الإماتة بعد الحياة، فكان في قصته إثباتاً للبعث بإحياء قوم برحمته تعالى، وإماتة قوم بعذابه جلَّ وعلا[٥].

ونستنتج أنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الذَّاريات كانت متناسبة مع جميع مقاطع السورة، وساهمت هذه الحلقة مع بقية موضوعات السورة بالتوصل إلى مقصد السورة.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (١٨٣/٢٨).

(٢) انظر: التفسير الحديث، (٤٢/٥).

(٣) انظر: نظم الدرر، (٤٨٣/١٨).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، (٣٥٧/٢٦).

(٥) انظر: نظام القرآن، (ص: ٤٤٠).

المطلب التاسع: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة النَّحل.

أولاً– بين يدي السورة:

نزلت سورة النَّحل بعد سورة الكهف وقبل سورة نوح(١)، وهي السورة الثانية والسبعون في ترتيب نزول السور، واشتهرت بسورة النَّحل؛ لورود لفظ النَّحل، وعدم ذكره في سورة أخرى(٢)، كما سميت بسورة النِعَم؛ لما ذُكر فيها من نعم الله تعالى على عباده(٣)، وعدد آياتها مئة وثمان وعشرون آية، وهي مكّية باستثناء الثلاث آيات الأخيرة منها فمدنية، قال تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ ١٢٦ وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ وَلَا تَحۡزَنۡ عَلَيۡهِمۡ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ١٢٧ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل:١٢٦-١٢٨](٤).

ثانياً– تناسب قصة نبي الله إبراهيم في سورة النَّحل مع زمن نزولها:

يغلب على هذه السورة أنَّها مكّية، ويغلب على الظَّنّ أنَّ الفترة التي نزلت فيها كانت قريبة من السنة الخامسة من بعثة رسول الله ﷺ، وذلك لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَكۡبَرُۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [النحل:٤١] نزلت في أصحاب النَّبيّ ﷺ حينما آذاهم مشركو مكَّة وعذَّبوهم وظلموهم، فبُشّروا بأنَّ النَّصر سيكون من نصيبهم، وهاجروا من مكَّة إلى الحبشة، ثمَّ بوَّأهم الله تعالى بعد ذلك المدينة(٥). وكانت معالم تلك المرحلة من الدعوة تظلّل جوَّ السورة فقد:

١. عرضت ما كان يقوم به مشركو مكَّة من السخرية بالنَّبيّ ﷺ، وطلبهم منه تعجيل نزول العذاب بهم حتَّى يؤمنوا به ويتَّبعوه، فردَّت عليهم الآيات بأنَّ الآيات والدلائل الباعثة على الإيمان قد خاطبت أصحاب العقول، ودعتهم إلى التَّفكر بالأكوان، بدلاً من أن تخاطبهم بلغة العذاب، وهذا هو الأليق بالإنسان الذي أكرمه الله تعالى بالعقل والشعور، وحرّية الإرادة والتَّفكير(٦). قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [النحل:١].

---

(١) انظر: البرهان، (١٩٣/١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٩٣/١٤).

(٣) انظر: المحرر الوجيز، (٣٧٧/٣)، والجامع لأحكام القرآن، (٦٥/١٠).

(٤) انظر: الكشاف، (٥٩٢/٢)، ومفاتيح الغيب، (١٦٧/١٩).

(٥) انظر: جامع البيان، (٢٠٥/١٧-٢٠٦)، تفسير ابن أبي حاتم، ابن أبي حاتم، (٢٢٨٣/٧)، الرحيق المختوم، (ص: ١١٠).

(٦) انظر: في ظلال القرآن، (٢١٥٩/٤).

٢. عرضت مواقف زعماء قريش من القرآن الكريم، وزعمهم بأنَّه من أساطير الأولين وقصصهم، وأشارت إلى تأثيرهم بالآخرين، وسعيهم لإضلالهم وإبعادهم عن اتِّباع الحقِّ. قال تعالى: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النحل:٢٢-٢٥][(١)].

وقد ورد في تفسير الطبري للآية الرابعة والعشرين من سورة النَّحل: كان هناك قوم من مشركي العرب يعترضون طريق المؤمنين الذي جاؤوا يريدون النَّبيَّ ﷺ، ويقولون لهم: إنَّ ما يقوله محمد ﷺ ما هو إلَّا أحاديث الأولين وأباطلهم[(٢)].

٣. وعرضت السورة موقفاً ثانياً للمشركين وهو ادِّعاؤهم أنَّ هذا القرآن قد تعلَّمه الرَّسول ﷺ من بشر مثله، وليس من عند الله تعالى، وتردُّ عليهم الآيات بأنَّ هؤلاء القوم مائلون عن الحقِّ، فلم يُصدِّقوا أنَّ هذا القرآن كلام الله تعالى، بل مالوا إلى القول بأنَّ الذي يعلِّمه بشر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل:١٠٣][(٣)].

٤. وأخيراً ضَرَبت فيهم المثل: قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [النحل:١١٢-١١٣] فقد اتَّفق المفسِّرون على أنَّ القرية هي مكَّة، وأنَّ في الآيتين تذكيراً بما أصاب أهلها من جوع وقحط بسبب ظلمهم وتكذيبهم لرَسولهم[(٤)].

ختاماً نستطيع القول بأنَّ الفترة التي نزلت فيها سورة النَّحل كانت فترة شديدة على النَّبيِّ ﷺ لما يلقاه من تكذيب قومه له، ورفضهم الاستجابة لدعوته، والإيمان بأنَّ القرآن الكريم وحي من الله تعالى إليه، كما أنَّ تلك الفترة كانت شديدة أيضاً على المؤمنين لما لاقوه من تعذيب واضطهاد من قبل المشركين، فناسب أن تنزل آيات سورة النحل تنقل لنا ملامح تلك الفترة، وتنذر المكذبين برسالة سيدنا محمد ﷺ، وتعلِّمهم بأنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام

---

(١) انظر: سيرة الرسول ﷺ، (ص: ١٩٧-١٩٨).

(٢) انظر: جامع البيان، (١٨٩/١٧-١٩٠).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (٢٨٧/١٤).

(٤) انظر: التفسير الحديث، (١٩١/٥).

بريء منهم ومن شركهم، ومخلص في شكر الله تعالى على عظيم نعمه، ولا يجعل معه في شكره على نعمه شريكاً من الآلهة والأنداد كما فعلوا حينما رفضوا الاستجابة لدعوة النَّبيِّ ﷺ، وأشركوا مع الله تعالى آلهة أخرى(١).

فإذاً سورة النَّحل بما تضمَّنته من آيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت متوافقة مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها.

ثالثاً– مقاطع سورة النَّحل، ومقصدها الرئيس:

افتتحت سورة النَّحل بإثبات الحشر والبعث، ثمَّ انتقلت الآيات إلى إثبات الوحي، والحديث عن المشركين الذين كانوا يستعجلون الرَّسول ﷺ أن يأتيهم بالعذاب، ثمَّ عرضت الآيات دلائل جليلة تبرهن بالدليل القاطع على وحدانية الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ فصَّلت السورة الحديث عن نِعَمِ الله تعالى على الإنسان والتي لا تعُّد ولا تحصى، وكيف قابل كثير من النَّاس تلك النِعَمِ بالجحود والنُّكران، بدلاً من شكر المنعِم عليها، وركَّزت على نعمة إرسال الرُّسل للأمم ليهتدوا بها إلى خالقهم، وأنَّ هؤلاء الرُّسل سوف يشهدوا على أممهم بتبليغهم دعوة التَّوحيد لله عزَّ وجلَّ، وضربت الأمثال المثبتة للتَّوحيد، والدَّاحضة للشرك، ثمَّ انتقلت للحديث عن الأنعام وما يحلُّ منها وما يحرم، وختمت السورة بالثَّناء على سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي ظلَّ ثابتاً في دعوته لتوحيد الله تعالى، وأمر النَّبيِّ ﷺ باتِّباع طريقته في التَّوحيد؛ لأنَّه النموذج الأسمى للموحِّدين(٢).

إذاً نستطيع من خلال العرض السريع للموضوعات التي تناولتها السورة أن نقسمها إلى ثلاثة مقاطع، وهي:

المقطع الأول: تقرير أصول العقائد، والمعاملات القائمة على تلك الأصول. من قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَأۡتِي كُلُّ نَفۡسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفۡسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [النحل: ١-١١١].

المقطع الثاني: تعداد نِعَمِ الله تعالى، وعاقبة الكفر بها، وتفصيل الحديث عن نعمة الأنعام، وما يحلُّ منها، وما يحرم. من قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١١٢-١١٩].

---

(١) انظر: جامع البيان، (٣١٦/١٧).

(٢) انظر: التفسير المنير، (٨٠/١٤-٨١).

المقطع الثالث: منهج الدَّعوة إلى التَّوحيد. من قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٨].

ومن خلال دراسة مقاطع السورة يمكننا أن نحدد المقصد الرئيس لسورة النَّحل وهو: توحيد الله ودلالات ذلك، وإثبات وحدة رسالات الرُّسل، وإثبات البعث والجزاء.

رابعاً- التناسب بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة النَّحل:

قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل: ١٢٠-١٢٣].

جاءت آيات سورة النَّحل تثني على سيدنا إبراهيم عليه السلام الثَّناء الحَسَن، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ﴾ معلِّماً للخير، وفي وصفه بالأُمَّة وجوه: الأوَّل: لأنَّه قد اجتمع فيه من الخصال الحميدة ما يجتمع في أُمَّة، والثاني: لأنَّه كان مؤمناً والنَّاس كلُّهم كفَّار، والثالث: أنَّه إمام يقتدي به أهل الهدى، والرَّابع: لأنَّه هو السبب الذي لأجله جُعِلت أُمَّته ممتازة عمَّن سواهم بالتَّوحيد[١]، ﴿قَانِتٗا لِّلَّهِ﴾ مطيعاً له، ﴿حَنِيفٗا﴾ مستقيماً على دين الإسلام، ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ بعيداً عن أن يشرك بالله تعالى، أو أن يكون من أولياء أهل الشرك به.

﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ﴾ ومن جمال صفاته دوام شكره لله فيما أنعم عليه، ﴿ٱجۡتَبَىٰهُ﴾ اصطفاه الله تعالى واختاره لخُلَّته، ﴿وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ أرشده إلى دين الإسلام[٢].

﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ﴾ يحتمل أن يكون المراد بالحسنة الولد الطَّيب، أو الثناء الحسن، أو النبوَّة، أو الصَّلاة عليه مقرونة بالصَّلاة على محمد ﷺ في التَّشهد، أو أنَّ جميع الأديان يتولَّونه، أو بقاء ضيافته وزيارة قبره، ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ من بمعنى مع، أي مع الصَّالحين، لأنَّه كان في الدُّنيا أيضاً مع الصَّالحين[٣].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٠/٢٨٣-٢٨٤).

(٢) انظر: جامع البيان، (١٧/٣١٦).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٠/١٩٨).

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ في هذه الآية دلالة على عِظَمِ منزلة النَّبيّ ﷺ، وإيذاناً بأنَّ أعظم نعمة قد نالها سيدنا إبراهيم عليه السلام هي اتِّباع سيدنا محمد ﷺ لملَّته[١]، ﴿حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ مسلماً متَّبعاً للدِّين الذي كان عليه إبراهيم عليه السلام، ومتبرِّئاً من الأوثان التي يعبدها قومه كما تبرَّأ منها إبراهيم عليه السلام[٢]

خامساً– التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات سورة النَّحل:

الموضوع الأول: تقرير أصول العقائد، والمعاملات القائمة على تلك الأصول:

بعد أن افتتحت السورة بأمر الله تعالى خَلْقَه بإفراده بالعبودية، وأقامت عليهم الحجج الدَّامغة الدَّالة على وحدانيته، وهي أنَّ المصنوع لابد له من صانع، والنِعَمَ لابد لها من مُنعِم، وأنَّ هذه الحجج كفيلة بصرف المشركين عن شركهم، ومع ذلك فهم لم يستجيبوا وكفروا نعمة الهداية، ثمَّ عرضت دلائل البعث، وحذَّرت المشركين من عذاب الدُّنيا والآخرة، وبشَّرت المؤمنين الذين صبروا على أذى المشركين بالثَّواب العظيم في الدُّنيا والآخرة، ثمَّ عرضت بعضاً من شُبَه المنكرين لنبوَّة سيدنا محمد ﷺ، وكشفت زيف وبطلان ادِّعاءاتهم، وبيَّنت أنَّ مهمة الرُّسل واحدة، وهي الدَّعوة إلى توحيد الله تعالى، ونبذ الشركاء والأنداد، وأنَّ الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ مثل ما جاء به سيدنا إبراهيم عليه السلام، من قوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١-١١١]، ناسب أن تُختَتَم بضرب المثل بسيدنا إبراهيم عليه السلام إمام الموحِّدين، وتوضِّح منهجه في الدَّعوة إلى توحيد الله تعالى ورَفْضِ عبادة الأصنام، فالمشركون كانوا مفتخرين به، مدَّعين الاقتداء به، فكان في ذكره دافع للمشركين للرُّجوع عن كفرهم، والاقتداء به والإقرار بالتَّوحيد[٣].

الموضوع الثاني: تعداد نِعَمِ الله تعالى، وعاقبة الكفر بها:

بعد أن بيَّن الله تعالى في هذه السورة نعمه الكثيرة على عباده، وما أحلَّ للمسلمين من الطَّيبات، وما حرَّم عليهم من الخبائث، وذَكَرَ أنَّ ما حرَّمه على اليهود من الطَّيبات كان بسبب ظلمهم لأنفسهم، من قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟

---

(١) انظر: الكشاف، (٦٤٣/٢).

(٢) انظر: جامع البيان، (٣٢٠/١٧).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٨٣/٢٠)، والبحر المحيط، (٦٠٩/٦)، والتحرير والتنوير، (٩٥/١٤-٩٦).

مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١١٢-١١٩] أتبعها بذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام، وأنَّ هذه الطَّيبات لم تكن محرَّمة على آبائهم في عهده؛ لأنَّه كان موحِّداً لله عزَّ وجلَّ، وشاكراً له نعمه، فأباح الطَّيبات له ولبنيه من بعده، إلى أن حرَّم الله تعالى بعضاً منها عليهم عقوبة لهم على عصيانهم، ثمَّ جاء سيدنا محمداً ﷺ ليكمل دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام في التَّوحيد، فعادت الطَّيبات حلالاً كما كانت على عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وكشفت هذه الآيات زيف ادِّعاء مشركي قريش أنَّهم على ملَّة أبيهم إبراهيم عليه السلام فيما يحرِّمونه على أنفسهم ويجعلونه للآلهة(١).

الموضوع الثالث: منهج الدَّعوة إلى التَّوحيد:

بعد أن بيَّنت الآيات أنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام كان داعياً إلى طريق الحقِّ، أمر الله تعالى نبيه الكريم باتِّباع طريقته في الدَّعوة؛ لأنَّ أصحاب القلوب السليمة لابد أن يبصروا الحقَّ فيتَّبعوه، أمَّا المعاندون فلن يبصروا الحقَّ مهما ظهر لهم لأنَّهم قد أعموا أعينهم عنه، فليس على النَّبيِّ الكريم إلا أن يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالحسنى، واللين، والصَّبر، وعدم الحزن على كفر قومه، لأنَّ الله تعالى ناصر رُسُله، من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٣-١٢٨](٢).

سادساً- التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع المقصد الرئيس لسورة النَّحل:

إنَّ مقصد السورة الرئيس يدور حول موضوعات السور المكِّية، وهي: توحيد الله ودلالات ذلك، وإثبات وحدة رسالات الرُّسل، وإثبات البعث والجزاء، والحلقة الواردة من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام متناسبة مع مقصد السورة الرئيس، لأنَّ في هذه الحلقة إثبات لحقيقة الوحدانية الكبرى التي تصل بين دين إبراهيم عليه السلام ودين محمد ﷺ(٣).

ونستنتج أنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة النَّحل كانت متناسبة مع جميع مقاطع السورة، وساهمت هذه الحلقة مع بقية موضوعات السورة بالتوصل إلى مقصد السورة.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٤/٢١٩٩-٢٢٠٠).

(٢) انظر: التفسير الحديث، (٥/٢٠٢).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، (٤/٢١٥٨).

المطلب العاشر: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة إبراهيم.

أولاً– بين يدي السورة:

نزلت سورة إبراهيم بعد سورة نوح وقبل سورة الأنبياء(١)، وسمّيت بسورة إبراهيم؛ لاشتمالها على الدَّعوات التي تضرَّع بها سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى ربّه(٢)، ولأنَّها من السور ذوات ﴿الٓر﴾، وقد مُيِّزت هذه السور عن بعضها البعض بالإضافة إلى أسماء الأنبياء عليهم السلام التي جاءت قصصهم فيها، وهي السورة السبعون في ترتيب نزول السور، كما أنَّها مكّية عند الجمهور، واستثنى قتادة(٣) قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩﴾ [إبراهيم:٢٨-٢٩] فإنَّهما مدنيتان، وقيل إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم:٣٠] نزلتا في قتلى بدر من المشركين، والرَّاجح قول الجمهور(٤).

ثانياً– تناسب قصة نبي الله إبراهيم في سورة إبراهيم مع زمن نزولها:

سورة إبراهيم مكّية، وقد نزلت في الفترة التي كان زعماء قريش منغمسين في الدُّنيا، مترفين بنعيمها، قال تعالى: ﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ مِنۡ عَذَابٖ شَدِيدٍ ٢ ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٣﴾ [إبراهيم:٢-٣]، فرفضوا اتّباع دعوة النَّبيّ ﷺ زاعمين اتَّباع دين إبراهيم عليه السلام، وسَعَوا للصدِّ عن سبيل الله تعالى بشتَّى الطُّرق، وأخذوا يضيّقون على النَّبيّ ﷺ، ويمارسون أشدَّ العذاب والإيذاء بالمؤمنين، ويهدّدونهم بالإخراج من أرضهم، أو العدول عن دينهم، ويمنعونهم من الدَّعوة إلى الله تعالى، مما جعل دعوتهم تبقى في نطاق ضيّق لفترة طويلة، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٣ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ١٤﴾ [إبراهيم:١٣-١٤]. فنزلت آيات سورة إبراهيم تنعي أهل مكَّة والعرب الذين يستمرّون في عبادة الأصنام، بدلاً

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز، (٩٩/١).

(٢) انظر: التفسير الوسيط، الطنطاوي، (٥٠٥/٧).

(٣) قتادة بن دعامة السَّدُوسي، يكنَّى أبا الخطاب، البصري، التَّابعي، الثقة، ضرير البصر، المفسِّر، الحجَّة في الحديث، وان يقول بشيء من القدر، وكان لا يدعو إليه، ولا يتكلَّم فيه، (توفي سنة: ١١٨هـ، وقيل: ١١٧هـ). انظر: الطبقات الكبرى، (١٧١/٧-١٧٣)، تاريخ الثقات، (ص: ٣٨٩).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، (١٧٧/١٣).

من التَّوجه لعبادة الله تعالى الذي منَّ عليهم بنعمة الأمن لبلادهم، والتي نالوها بفضل أبيهم إبراهيم عليه السلام، حينما دعا ربه أن يجعل مكَّة بلداً آمناً، وأن يبعد عنه وعن ذرِّيَّته عبادة الأصنام التي أضلَّت كثيراً من النَّاس، وتبيّن أنَّ الرَّابطة الحقيقة والوحيدة بينه وبين بنيه هي رابطة العقيدة، قال تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ [إبراهيم:٣٦][(١)]، وتكشف مكائد المشركين ومكرهم بالمسلمين، وتنذرهم بيوم يُؤخذون فيه بجريرة أعمالهم السيئة، وتطمئن النَّبيَّ ﷺ والمسلمين، وتحمل البشارة لهم بالنَّصر بعد الصَّبر والثبات على الحقِّ، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ ٤٤ وَسَكَنتُمۡ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَتَبَيَّنَ لَكُمۡ كَيۡفَ فَعَلۡنَا بِهِمۡ وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ٤٥ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ٤٦ فَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخۡلِفَ وَعۡدِهِۦ رُسُلَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ ٤٧﴾ [إبراهيم:٤٤-٤٧][(٢)].

فإذاً سورة إبراهيم بما تضمَّنته من آيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت متوافقة مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها.

ثالثاً- مقاطع سورة إبراهيم، ومقصدها الرئيس:

افتتحت سورة إبراهيم ببيان الغاية من إنزال القرآن الكريم، وأكَّدت الآيات وحدة رسالة الأنبياء، وأقامت الدَّلائل على تفرُّد الله تعالى بالعبودية، ثمَّ ذكرت البعث، وحذَّرت الكافرين من اتِّباع قادة الكفر الذين سوف يتبرَّؤون منهم يوم الحشر، وبيَّنت مصيرهم ومصير المؤمنين في ذلك اليوم، ثمَّ أشارت إلى فضل كلمة الإسلام وخبث كلمة الكفر، وعدَّدت نِعَمَ الله تعالى على عباده، وصوَّرت كيف قوبلت هذه النِعَمُ بالجحود من الكافرين، وبالشُّكر من المؤمنين، وضربت المثل بسيدنا إبراهيم عليه السلام ليعلم الفريقان من هو متَّبع طريق سيدنا إبراهيم عليه السلام، ومن هو خارج عنه من ساكني البلد الحرام، وحذَّرتهم من أن يحلَّ بهم ما حلَّ بمن سبقهم ممَّن طغى واستكبر، وثبَّتت قلب النَّبيِّ ﷺ بأنَّ وعد الله بنصره متحقِّق لا محالة، لتعود وتُختَتَم بأنَّ هذا القرآن إنَّما نزل تبليغاً للنَّاس، وإنذارهم، وإعلامهم بتوحيد الله تعالى والإيمان به، وليتَّعظ أصحاب العقول السليمة[(٣)].

إذاً نستطيع من خلال العرض السريع للموضوعات التي تناولتها السورة أن نقسمها إلى مقطعين رئيسين، وهي:

المقطع الأول: ترسيخ أصول العقيدة الكبرى، وهي: الإيمان بوحدانية الله تعالى، ووحدة الرُّسل والرِّسالة، والبعث

---

(١) انظر: قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص: ٣٠٥).

(٢) انظر: الرحيق المختوم، (ص: ١١٠)، وسيرة الرسول ﷺ، (ص: ١٩٨).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (٢٣٨/١٣).

والجزاء. من قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ١-٢٧].

المقطع الثاني: تصوير نِعَمِ الله تعالى على عباده، وكيف قوبلت تلك النِعَمُ، ومصير الجاحدين بها يوم القيامة. من قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٢٨-٥٢]

ومن خلال دراسة مقاطع السورة يمكننا أن نحدد المقصد الرئيس لسورة إبراهيم وهو: توحيد الله عزَّ وجلَّ، وإثبات الوحي والرِّسالة، وإثبات البعث والحساب والجزاء[١].

رابعاً- التناسب بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة إبراهيم:

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [إبراهيم:٣٥-٤١].

إنَّ الآيات التي تحدَّثت عن نبيّ الله إبراهيم عليه السلام في سورة إبراهيم كانت مشتملة على دعواته الممزوجة بالحمد والثَّناء على الله تعالى في أوَّلها وأسطها وآخرها، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥] يدعو سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يجعل حرمه آمناً ذا أمن يؤمن فيه، وأن يبعد عنه وعن ذرِّيَّته عبادة الأصنام، ومن المعلوم أنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام كان معصوماً من عبادة الأصنام، وأنَّ دعائه لنفسه كان زيادة في العصمة والتَّثبيت، وقد دعا بذلك لعلمه ومشاهدته من ضَلُّوا بهذه الأصنام من قومه، ومن الأقوام السابقة، ومن فُتِنوا بها، وهم خلق كثر[٢]. قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم:٣٦] ومع أنَّ الأصنام جمادات لا تفعل إلا أنَّ الفعل

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٢٠٨٢/٤).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٢١٠٩/٤).

أضيف إليها مجازاً لأنَّها سبب إضلال كثير من النَّاس وإبعادهم عن طريق الهدى، فمن اتَّبع ملَّة التَّوحيد فهو من أهل ديني، ومن أصرَّ على الشرك فإنَّ الله غفور رحيم لمن تاب من المعاصي وأحدث الطَّاعات، أو غفور رحيم لمن عصى الله تعالى فيما دون الشرك(١).

ويتابع سيدنا إبراهيم عليه السلام دعاءه: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٖ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم:٣٧] ربنا إنِّي أسكنت بعض أولادي وهم إسماعيل وذرِّيَّته بواد بمكَّة لا زرع فيه عند بيتك المحرم، وسمِّي بذلك؛ لأنَّ الله تعالى حرَّم التَّعرض له، أو لأنَّه لم يزل حصناً عزيزاً يهابه النَّاس، أو لأنَّه محترم عظيم الحرمة لا يحلُّ انتهاكه، أو لأنَّه حَرُمَ على الطُّوفان أي امتنع منه، أو أمر الوافدين عليه أن يحرِّموا على أنفسهم أشياء كانت تحل لهم من قبل، أو لأنَّه حَرَّمَ موضع البيت حين خلق السموات والأرض وحفه بسبعة من الملائكة، أو لأنَّه حَرَّمَ على عباده أن يدنسوه بالدِّماء والأقذار(٢). وسبب إسكاني لهم في هذا المكان هو إقامة الصَّلاة والعبادة والذكر عند بيت الله المحرم، ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧] من للتبعيض، أي فاجعل قلوب بعض المؤمنين تميل وتسرع إليهم، وارزقهم بعض الثَّمرات، ويمكن أن يكون المراد إيصال الثَّمرات إليهم على سبيل التِّجارات، فيكون المراد عمارة القرى القريبة منهم لتحصيل الثِّمار منها، لعلَّهم يشكرون على منافع الدُّنيا ويتفرغون للعبادات والطَّاعات.

وبعد أن طلب سيدنا إبراهيم عليه السلام من الله تعالى تيسير المنافع لأولاده وتسهيلها عليهم، ذكر أنَّه لا يعلم عواقب الأحوال ونهايات الأمور في المستقبل إلا هو، فقال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾ أنت أعلم بأحوالنا ومصالحنا ومفاسدنا منَّا، وتعلم ما نخفي من الوجد بسبب الفرقة الواقعة بيني وبين ابني إسماعيل، وما نعلن من البكاء، أو ما نخفي من الحزن في القلب وما نعلن عندما قالت هاجر له عند فراقهم: إلى من تكلنا؟ فقال إلى الله، فقالت آلله أمرك بهذا؟ قال نعم: قالت إذن لا نخشى. ﴿وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ يمكن أن تكون هذه الآية كلام الله عزَّ وجلَّ تصديقاً لإبراهيم عليه السلام، ويمكن أن تكون من كلام إبراهيم عليه السلام، أي: وما يخفى على علَّام الغيوب شيء في أيِّ مكان(٣).

فلمَّا دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه أن يجعل من ذرِّيَّته موحِّدين، تذكَّر نعمة الله عليه وهي هبته الولد بعد الكِبَرِ واليأس من الولادة فحمد الله عزَّ وجلَّ وأثنى عليه بأنَّه سميع مجيب الدُّعاء، وسيجيب دعوته هذه كما أجاب

---

(١) انظر: معالم التنزيل، (٣/٤٢).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (١٩/١٠٤).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (١٩/١٠٤-١٠٥).

دعوته السابقة(١). قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٩].

ولما فرغ سيدنا إبراهيم عليه السلام من حمد الله عزَّ وجلَّ على نعمه، وعلى استجابته لدعواته، انتهز الفرصة في اتباعه الدعاء بالتحلّي بحلية العبادة التي أسكن ذرّيَّته من أجلها(٢)، فقال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ﴾ سأل سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه أن يجعله محافظاً على الصَّلاة، ومقيماً لحدوها، وكذلك ذرّيَّته، ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾ وأجب دعائي فيما سألتك إياه.

وكما دعا لذرّيَّته فلم ينس أبويه، فعندما توجَّه إلى الله تعالى بالدُّعاء وطلب المغفرة ابتدأ بنفسه أولاً، ثمَّ لوالديه، ثمَّ لجميع المؤمنين(٣)، فقال: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم:٤١] وقد سأل الله عزَّ وجلَّ المغفرة لوالده قبل أن يتبَّين أنَّه عدُّو لله عزَّ وجلَّ، وختم دعائه بطلب المغفرة للمؤمنين أجمعين يوم الحساب والجزاء على الأعمال(٤).

خامساً– التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات سورة إبراهيم:

الموضوع الأول: ترسيخ أصول العقيدة الكبرى:

لما افتتحت سورة إبراهيم ببيان أنَّ سيدنا محمد ﷺ ليس بدعاً من الرُّسل، وإنَّما بُعِث لتحقيق الغاية التي من أجلها بُعِث جميع الرُّسل –وهي إخراج النَّاس من ظلمات الأوثان إلى أنوار التَّوحيد– وأنَّ طريقتهم في الدَّعوة واحدة، وأنَّ ما لقيه جميع الرُّسل من أقوامهم واحد(٥)، فالغاية واحدة، والدَّعوة واحدة، والمواقف التي تعرَّضوا لها من الجاحدين واحدة، وحقيقة مآل النَّصر والنَّجاة للمؤمنين واحدة، وحقيقة مآل الهزيمة والعذاب للمتجبّرين واحدة(٦). من قوله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٢٤٣/١٣).
(٢) انظر: نظم الدرر، (٤٣١/١٠).
(٣) انظر: زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، (٤٠٤٥/٨).
(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٥١٤/٤).
(٥) انظر: المحرر الوجيز، (٣٢٨/٣).
(٦) انظر: في ظلال القرآن، (٢٠٧٩/٤).

ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ١-٢٧].

ثمَّ عرضت جانباً من دلائل وحدانية الله تعالى، وبيَّنت عدم جواز عبادة غيره البتَّة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ٣٤﴾ [إبراهيم:٣٢-٣٤]

ناسب أن يذكِّر العرب بأبيهم إبراهيم عليه السلام الذي كان موحداً لله تعالى، ومنكراً على قومه عبادة الأوثان أشدَّ النكران[1]؛ لعلَّهم يدركوا وحدة الرِّسالة التي جاء بها جميع الأنبياء، فيتَّبعوا سيدنا محمد ﷺ، ويؤمنوا بوحدانية الله تعالى، ويتركوا عبادة الأصنام التي أنكرها أبوهم إبراهيم عليه السلام، فإن لم يستجيبوا ويؤمنوا، فالمعركة بين الإيمان والكفر التي بدأت في الدُّنيا فستحسم نتيجتها يوم القيامة.

والحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متناسبة مع تقرير البعث، فما ورد من دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام ربَّه أن يحميه من الشرك، وأن يوفقه للأعمال الصَّالحة، وأن يخصَّه بالمغفرة والرَّحمة يوم القيامة في قوله: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم:٤١] دليل على أنَّ إبراهيم عليه السلام كان مؤمناً بالبعث والحساب، لذا ناسب أن يُعطف عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ٤٣﴾ [إبراهيم:٤٢-٤٣] الذي دلَّ وأكَّد على وجود يوم يحاسب فيه العباد، فلو لم ينتقم الله تعالى للمظلومين من الظَّالم للزم أن يكون الله تعالى غافلاً عن الظَّالم، أو عاجزاً عن الانتقام، أو كان راضياً بالظُّلم، ولما كانت الغفلة والعجز والرضا بالظُّلم محالاً على الله تعالى امتنع ألا ينتقم للمظلوم من الظَّالم[2].

الموضوع الثاني: نِعَمُ الله تعالى على عباده:

بعد أن ذكرت الآيات نِعَم الله تعالى الشاملة جميع عباده، من قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [إبراهيم: ٢٨-٣٤]، انتقلت الآيات لتخص نِعَم الله تعالى على أهل

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (١٠٠/١٩).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (١٠٧/١٩).

مكَّة[١]، وكان من عظيم تلك النِعَمِ أن أسكنهم بيته الحرام الذي بناه أبوهم إبراهيم عليه السلام، فجحدوا تلك النِعَمَ، وقابلوها بجعلهم لله أنداداً، فناسب أن تذكِّرهم الآيات بأبيهم إبراهيم عليه السلام، وبدعائه الله تعالى أن يجعل مكَّة آمنة، وأن يجنّبه وبنيه عبادة الأصنام، وأنَّ الغاية العظمى من إسكانه وذرِّيَّته في البيت الحرام هي إفرادهم لله تعالى بالعبودية، لعلَّهم ينظروا في دين أبيهم كم هو مخالف لما ارتكبوه من عبادة الأصنام، فيزدجروا عنها، ويعودوا للاقتداء بأبيهم إبراهيم بعدما اقتدوا بأسلافهم من أهل الضَّلالة[٢].

سادساً– التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع المقصد الرئيس لسورة إبراهيم:

بعد دراسة مقطعي السورة يمكننا التوصل إلى أنَّ مقصد هذه السورة يدور حول نعمة توحيد الله تعالى، وإفراده بالعبودية، ونعمة إرسال الرُّسل، وبيان وحدة رسالتهم، واتِّحادهم في مواجهة المكذِّبين بدين الله تعالى له على اختلاف الأمكنة والأزمان، ونعمة البعث والجزاء[٣] والحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متناسبة مع مقصد السورة، فقد كان عليه عليه السلام النموذج الأمثل لشكر المنعِم على نعمه التي لا تعدُّ ولا تحصى، ومن عظيم هذه النعم: نعمة إخراج القلب من ظلمات الشرك وجهالاته إلى نور الإيمان بالله تعالى وتوحيده[٤]. ونستنتج أنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة إبراهيم كانت متناسبة مع جميع مقاطع السورة، وساهمت هذه الحلقة مع بقية موضوعات السورة بالتوصل إلى مقصد السورة.

المطلب الحادي عشر: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء.

أولاً– بين يدي السورة:

سورة الأنبياء مكّية، سمَّاها السلف بسورة الأنبياء، يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: «إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ[٥]، وَهُنَّ مِنْ تِلاَدِي[٦]»[٧]، ولاشتمالها على أسماء ستَّة عشر نبياً

---

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (٢٣٨/١٣).

(١) انظر: البحر المحيط، (٤٤٤/٦).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٢٠٧٧/٤).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، (٢١٠٨/٤-٢١٠٩).

(٤) العتاق: كلُّ شيء بلغ إماه فقد عتق، والعتيق: القديم، والمراد بها في هذا الحديث: السور التي أنزلت بمكَّة، وأنَّها أوَل ما تعلَّمه من القرآن. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير، حرف العين، باب العين مع التاء، (١٧٨/٣)، مادة (عَتَقَ).

(٥) تلادي: التالد: المال قديم، والمراد بها في هذا الحديث: من أوائل السور التي أخذتها وتعلَّمتها بمكَّة، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، حرق التاء، باب التاء مع اللام، (١٩٤/١)، مادة (تَلِدَ).

(٦) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، (١٨٥/٦)، (٤٩٩٤).

والسيدة مريم، ولم يرد في جميع سور القرآن مثل هذا العدد من أسماء الأنبياء إلَّا في سورة الأنعام، فقد ذكر فيها أسماء ثمانية عشر نبيَّاً، وبالرُّغم من أنَّ سورة الأنعام قد ذُكر فيها عدد لا بأس به من الأنبياء إلا أنَّ ذكرهم لم يكن غرضاً أساسياً في السورة؛ لأنَّها اختصت بذكر أحكام الأنعام فكان الأجدر تسميتها بذلك. وسورة الأنبياء هي السورة الحادية والسبعون في ترتيب النزول(١).

ثانياً– تناسب قصة نبي الله إبراهيم في سورة الأنبياء مع زمن نزولها:

إنَّ سورة الأنبياء من السور المكِّية، فلابد أن يكون نزولها خلال العهد المكِّي وقبل الهجرة، وبحسب الروايات فإنَّ سورة الأنبياء قد نزلت بعد سورة إبراهيم وقبل سورة المؤمنون(٢)، وفي تلك الفترة كان المشركون مستمرِّين في عبادتهم للأصنام والتَّماثيل كما كان يعبدها قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام، ويضعونها في الكعبة التي بناها سيدنا إبراهيم عليه السلام لأجل توحيد الله تعالى وإقامة شعائره، ويرفضون دعوة النَّبيّ ﷺ لزعمهم اتِّباع ملَّة إبراهيم عليه السلام، فجاءت آيات سورة الأنبياء لتردَّ مزاعم المشركين، وتبيِّن أنَّ دين إبراهيم عليه السلام هو التَّوحيد الخالص لله تعالى، وأنَّ الأصنام التي عَكَفُوا على عبادتها قد حطَّم إبراهيم عليه السلام أمثالها في عهده، فالحجَّة عليهم واحدة، وكلُّ ما ذُكِر من آيات حجاج سيدنا إبراهيم عليه السلام على قومه فهو حجَّة على أهل مكَّة(٣).

وعلى الرُّغم من قيام الحجَّة عليهم إلا أنَّ كِبْرَهم وعنادهم جعلهم يصرِّون على رفض دعوة النَّبيّ ﷺ، ويقيمون اجتماعات سرِّية لرسم خطط الكيد بالدَّعوة، وقد نقلت لنا سورة الأنبياء بعضاً من نتائج تلك الخطط، كادِّعاءاتهم عدم مطابقة بشرية سيدنا محمد ﷺ لصفة النبوَّة، وتكذيبهم بالقرآن، ورفضهم الاعتراف بأنَّه موحى به من عند الله تعالى، حتَّى أنَّ البعض منهم وصفه بأنَّه لا يعدو أن يكون أهاويل رآها في المنام، وقال بعضهم: هو مجرد افتراء واختلاق من نفسه، وقال بعضهم: هو مجرد شعر، وطلبوا الخوارق والمعجزات لتكون حجَّة ودليل على حقيقة دعواه كما قدَّم الرُّسل الأولون من قبله(٤)، فردَّت عليهم الآيات بإنذارهم بالهلاك، وبتذكيرهم بأنَّ الأنبياء السابقين كانوا رجالاً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق كالنَّبيّ ﷺ. من قوله تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١–٨] إلا أنَّ الإنذار لم ينفع معهم، بل تحدوا النَّبيَّ ﷺ، وسألوه على سبيل السخرية عن موعد تحقُّق ما ينذرهم به؛ فردَّت عليهم الآيات بإنذار شديد بالعذاب الدُّنيوي والأخروي جزاء لهم على جحودهم وسخريَّتهم.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (١٧/٥–٦).

(٢) انظر: البرهان، (١/١٩٣).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (١٧/٩٢).

(٤) انظر: جامع البيان، (١٨/٤١٢).

من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٦-٤١][(١)].

فإذاً سورة الأنبياء بما تضمَّنته من آيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت متوافقة مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها.

ثالثاً- مقاطع سورة الأنبياء، ومقصدها الرئيس:

افتتحت السورة الكريمة بحملة شديدة على الكافرين المعاندين لنبوَّة النَّبيّ ﷺ فأنذرتهم بالبعث، وتحقُّق وقوعه قريباً، وعرضت أقوالهم، وقدَّمت دلائل توحيد الله تعالى، وتنزيهه عن الولد والشريك، ثمَّ أخبرت عن طبيعة إرسال الرُّسل من البشر، وأثنت على الملائكة، ثمَّ عرضت آيات الله الدَّالة على استحقاقه العبادة، ثمَّ قدَّمت سلسلة من أنبياء الله، وأثنت على إخلاصهم وثباتهم على الحقِّ تطميناً للنَّبيّ ﷺ وللمؤمنين، ولما أخبرت السورة في فاتحتها عن اقتراب الحساب ناسب أن تُختَتَم بتفصيل يوم الحساب، وببيان عاقبة الكافرين والمؤمنين يوم القيامة[(٢)].

إذاً نستطيع من خلال العرض السريع للموضوعات التي تناولتها السورة أن نقسمها إلى ثلاثة مقاطع، وهي:

المقطع الأول: تقرير البعث ووحدانية الله تعالى. من قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١-٤٧].

المقطع الثاني: وحدة الرِّسالة والرُّسل. من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٤٨-٩٢].

المقطع الثالث: عاقبة المؤمنين والكافرين. من قوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٣-١١٢].

ومن خلال دراسة مقاطع السورة يمكننا أن نحدد المقصد الرئيس لسورة الأنبياء وهو: تقرير أصول العقائد من خلال إثبات وحدانية الله تعالى، وإثبات وحدة الرِّسالة والرُّسل، والإنذار بالبعث.

---

(١) انظر: سيرة الرسول ﷺ، (ص: ١٩٩-٢٠٠).

(٢) انظر: التفسير الحديث، (٢٥٣/٥).

رابعاً– التناسب بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ٥١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣ قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٥٤ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ٥٥ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٥٦ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧ فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ ٥٨ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠ قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ٦١ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٦٨ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ٦٩ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠ وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ ٧١ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ ٧٢ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾ [الأنبياء: ٥١-٧٣].

تُفتَتَح قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء بذكر ما امتنَّ الله تعالى على نبيه الكريم من إيتائه الرُّشد ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥١] والرُّشد: الاهتداء لوجوه الصَّلاح، فالله تعالى أعطى سيدنا إبراهيم عليه السلام رشده من قبل سيدنا موسى وهارون عليهما السلام؛ لعلمه بأحواله البديعة وصفاته الحميدة ما جعله أهلاً لمخالَّته(١).

ثمَّ استطرد في تفسير الرُّشد وهو دعوته إلى توحيد الله تعالى ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢] أي: اذكر من أوقات رشده هذا الوقت، وبدأ عليه السلام بمحاجاة أبيه لوفور شفقته به، ورغبته بإنقاذه من الضَّلال، ثمَّ عطف عليه قومه، فسألهم عن معبوداتهم بما يحقِّر شأنها، ومتجاهلاً حقيقتها، مع علمه بتعظيمهم وإجلالهم لها ليبطل شُبَهَهم، وقوله ﴿أَنتُمۡ﴾ تقليل من شأنهم وبيان سوء صنعهم بعبادتهم لها، ﴿عَٰكِفُونَ﴾ مقيمون على عبادتها.

---

(١) انظر: الكشاف، (١٢١/٣).

فما كان منهم إلا أن أجابوه بما يكشف مزيد جهلهم، فقالوا: ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٥٣] أي: فعلنا ذلك تقليداً لآبائنا من غير دليل أو برهان. فلمَّا أجابوه بما لا شبهة فيه، وظهر ضلالهم قال لهم: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء:٥٤] أي: حيرة واضحة.

وبعد هذا السؤال والجواب تعجَّبوا من تضليله إيَّاهم لنشأته بينهم، وحسبوا أنَّه قال ذلك على سبيل المزاح، فأرادوا الاستفهام منهم[١]، فسألوه: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء:٥٥] أي: هذا الذي تقوله جدٌّ أم لعب؟

ولما ظنُّوا أنَّه يمازحهم أظهر لهم عليه السلام أنَّه جاد في إظهار الحقِّ وهو توحيد الله تعالى، وذلك بالقول أوَّلاً ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ يجوز إرجاع الضمير إلى السَّماوات والأرض، ويجوز إلى التَّماثيل، وهذا أبلغ في الاحتجاج، ﴿وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾، أي: قادر على إثبات صحَّة ما أقول بالحجَّة.

فلمَّا وجدهم لم ينتفعوا بالدَّلالة العقلية انتقل إلى الفعلية فأراهم عدم الفائدة في عبادتها[٢]، ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ﴾ [الأنبياء:٥٧] فأقسم قسماً أسمعه لبعض قومه أنَّه سيمكر بأصنامهم ويحطِّمها بعد أن يذهبوا إلى عيدهم، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ كسَّر جميع أصنامهم حتَّى جعلها فتاتاً[٣]، ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ إلَّا أعظم آلهتهم فلم يكسِّره ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ لعلَّهم يعودون إلى دين إبراهيم عليه السلام بعد أن قامت عليهم الحجَّة، أو لعلَّهم يرجعون إلى الصنم الأكبر فيسألونه عن كاسرها[٤].

وبعد أن رجعوا من عيدهم لرؤية أصنامهم ووجودها على تلك الحال علموا أنَّ هناك أمراً عظيماً[٥] فقالوا على سبيل الإنكار والتَّوبيخ: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥٩] ووصفوا فاعله بالظَّالم لما رأوا من جرأته على إهانتهم، أو لإفراطه في تحطيمها، أو لما عرَّض نفسه للهلاك جرَّاء هذه الفعلة[٦]، فقال الذين سمعوا سيدنا إبراهيم عليه السلام يتوعَّد بكيد آلهتهم ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي: يتوعدهم ﴿يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ إمَّا لأنَّهم لم يعرفوه، أو لأنَّهم سمعوا قَسَمَه فأرادوا تحقيره بجعله مجهولاً، وإنَّما يدعى أو يسمَّى بإبراهيم،

---

(١) انظر: البحر المحيط، (٤٤٢/٧-٤٤٣).

(٢) انظر: الكشاف، (١٢٢/٣)، ومفاتيح الغيب، (١٥٢/٢٢-١٥٣).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٣٤٨/٥-٣٤٩).

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (٢٩٨/١١).

(٥) انظر: نظم الدرر، (٤٣٨/١٢).

(٦) انظر: إرشاد العقل السليم، (٧٤/٦).

فطلبوا إحضاره لمحاكمته على مرأى أعين النَّاس ﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ﴾ [الأنبياء:٦١] لعلَّهم يعلمون أنَّه هو الذي توعَّد أصنامهم بالكيد.

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ٦٢ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ٦٣﴾ [الأنبياء:٦٢-٦٣] فلمَّا أحضروه للمحاكمة سألوه إن كان هو الفاعل والمحطِّم لأصنامهم أجابهم: بل فعَلَه كبيرهم؛ وذلك لإبطال أن يكون هو الفاعل، ونَسْبِ الفعل لكبيرهم للتَّشكيك، أي: لعلَّه فعله كبيرهم، فلم يدَّع أنَّه شاهد على تحطيم الأصنام، ولكن جاء بكلام يفيد ظنَّه بذلك؛ لأنَّه لم يبق صحيحاً من الأصنام إلَّا كبيرهم، وفي تجويز أن يكون كبيرهم هو الذي حطَّمهم دليل على انتفاء تعدُّد الآلهة؛ لأنَّه أوهمهم أنَّ كبيرهم غضب من مشاركة باقي الأصنام له في المعبودية، وبذلك يكون قد تدرج معهم ليوصلهم إلى الوحدانية، فإبراهيم عليه السلام في إنكاره أن يكون هو الفاعل أراد إقامة الحجَّة عليهم على انتفاء ألوهية الصنم الأكبر، وانتفاء ألوهية الأصنام المحطَّمة بطريق الأولى، فلو كانت آلهة لدفعت الضَّرر عن أنفسها، ولو كان كبيرهم هو الإله لدفع الضَّرر عن حاشيته، ﴿فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ تهكماً وتعريضاً بأنَّ العاجز عن النُّطق وعن التَّعبير عن نفسه غير صالح لأنَّ يكون إلهاً[١].

فلمَّا أقام الحجَّة عليهم رجعوا إلى أنفسهم واعترفوا أنَّهم هم الظَّالمون في الحقيقة حينما عبدوا تلك الأصنام ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنبياء:٦٤].

وبعد أن عرفوا الحقَّ انتكسوا ورجعوا إلى الباطل وأخذوا بالمجادلة والمكابرة فنفوا عنها قدرتها على النُّطق، أو قلبوا الحقيقة على رؤوسهم لفرط خجلهم مما بهتهم به سيدنا إبراهيم عليه السلام[٢]، ﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٥].

"ولما تسبب عن قولهم هذا إقرارهم بأنَّه لا فائدة فيهم، فاتَّجهت لإبراهيم عليه السلام الحجَّة عليهم، استأنف سبحانه الإخبار عنها بقوله"[٣]: ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ﴾ [الأنبياء:٦٦] أخذ سيدنا إبراهيم عليه السلام يوبِّخهم على اختيارهم عبادة أصنام لا تضرُّ ولا تنفع، ثمَّ أظهر لهم التَّضجُّر منهم ومن معبوداتهم، ثمَّ نبَّههم على إعمال عقولهم الذي تدرك به حقائق الأشياء، فقال لهم: ﴿أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنبياء:٦٧].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (١٧/٩٩-١٠١).

(٢) انظر: الكشاف، (٣/١٢٥).

(٣) نظم الدرر، (١٢/٤٤٢).

وبعد أن بيَّن لهم سوء ما ارتكبوه وغلبهم بحجَّته لم يجدوا سبيلاً للفرار منه إلَّا الإيذاء بأشدِّ العذاب وهو إحراقه بالنَّار[١]، فقالوا: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٦٨] أرادوا إحراق سيدنا إبراهيم عليه السلام لنصرة آلهتهم التي لا تملك لأنفسها ولا لغيرها نفعاً ولا ضرَّاً، ولكن إرادة أخرى تدخَّلت، وكلمة أخرى قد قيلت، فأبطلت كلَّ قول، وأحبطت كلَّ كيد[٢]، ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩] فقال الله تعالى بإرادته العظمى للنَّار أن تكون برداً، وبما أنَّ البرد قد يكون ضاراً أضاف ﴿وَسَلَٰمًا﴾ فكانت كذلك، ولم تحرق إلا وثاقه[٣].

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا﴾ أرادوا أن يمكروا به مكراً عظيماً ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾ أي: أخسر من كلِّ خاسر، حيث انقلب سعيهم في إطفاء نور الحقِّ قولاً وفعلاً دليلاً قاطعاً على أنَّ ما جاء به سيدنا إبراهيم عليه السلام هو الحقُّ، وما هم مقيمون عليه هو الباطل[٤].

﴿وَنَجَّيۡنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:٧١] ولما نجَّاه الله تعالى من ضرِّ النَّار ذكرت الآيات نجاته من البقاء بين القوم الكافرين، فصرفه الله تعالى عن دار الشرك، وأذن له بالهجرة إلى الأرض المباركة، وهو أوَّل من هاجر لأجل الدِّين، وصحب معه ابن أخيه لوطاً، ووصفها بالمباركة؛ لأنَّ الله خلقها أرض خصب ورخاء عيش وأرض أمن.

﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ نَافِلَةٗۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء:٧٢] وزاد الله تعالى في عطائه فوهبه الولد بعد الكِبَرِ في السن واليأس من الولد، ثمَّ أكرمه برؤية ولد الولد وهو سيدنا يعقوب عليه السلام، فقوله ﴿نَافِلَةٗ﴾ زيادة غير موعودة، فسيدنا إبراهيم عليه السلام سأل ربه هبة الولد فوهب له سيدنا إسماعيل عليه السلام، ثمَّ وهبه سيدنا إسحاق ويعقوب عليهما السلام عن غير مسألة، وجعلهم صالحين، ثمَّ أعاد العطف بفعل جعل اهتماماً بهذا الجعل الشريف، فبعد أن جعلهم الله تعالى صالحين في أنفسهم جعلهم هادين للنَّاس ودعاة للخير بأمره، وأرشدهم إلى إقامة شرائع الدِّين بين النَّاس، وخصَّ إقامة الصَّلاة وإيتاء الزكاة بالذكر لبيان عِظَمِ شأنها، فبالصَّلاة صلاح النفس، وبالزكاة صلاح المجتمع، ثمَّ خصَّهم بذكر ما كانوا متميِّزين به على بقية الناس من ملازمة العبادة لله تعالى. قال تعالى:

---

(١) انظر: البحر المحيط، (٤٤٩/٧-٤٥٠).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (/٢٣٨٧).

(٣) انظر: نظم الدرر، (٤٤٥/١٢).

(٤) انظر: روح المعاني، (٦٧/٩).

﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٣][(١)].

خامساً– التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات سورة الأنبياء:

الموضوع الأول: تقرير البعث ووحدانية الله تعالى:

جاءت قصص الأنبياء ومن بينها قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد عرض دلائل البعث والتَّوحيد، من قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ١-٤٧]؛ لإقامة الحجَّة على المشركين من خلال ذكر شواهد التَّاريخ وأحوال الأمم الماضية بعد ذكر الدَّلائل العقلية على وحدانية الله تعالى وعلى البعث[(٢)].

الموضوع الثاني: تقرير وحدة الرسالة والرسل:

جاءت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام ضمن سلسلة طويلة من قصص الأنبياء؛ لتؤكِّد وحدة العقيدة التي جاء بها الأنبياء على مرِّ الأزمان، ووحدة الإرادة التي دبَّرتهم ووجَّهتهم لمعبود واحد، حتَّى كأنَّهم أُمَّة واحدة بالرُّغم من تباعد الأماكن والأزمان، وما يؤكد ذلك الآية التي ختمت به قصص الأنبياء، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء ٩٢][(٣)].

الموضوع الثالث: عاقبة المؤمنين والكافرين:

بعد أن بينت الآيات السابقة وحدة العقيدة التي جاء بها الأنبياء، وعلى رأسهم إمام الموحِّدين سيدنا إبراهيم عليه السلام، انتقلت الآيات إلى تصوير عِظَمِ ما ارتكبه المشركون، حيث تفرَّقوا في دين الله الذي أجمع عليه كافة الأنبياء عليهم السلام، ودَعَوا إليه، فذمَّ اختلافهم في الأصول، وذكَّرهم بأنَّ مرجعهم إلى الله سبحانه وتعالى حين البعث –من خلال ذكر مقدِّماته–، لينال المؤمنون والكافرون جزاءهم العادل يوم القيامة[(٤)]. قال تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (١٧/١٠٨-١١١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (١٧/٨٧).

(٣) في ظلال القرآن، (٤/٢٣٨٤).

(٤) انظر: روح المعاني، (٩/٨٦).

بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ احْكُمْ بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَٰنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٣-١١٢].

سادساً- التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع المقصد الرئيس لسورة الأنبياء:

إن مقصد السورة الرئيس يدور حول تقرير أصول العقائد، وهي: توحيد الله تعالى، وتنزيهه عن الشركاء والأولاد، وإثبات وحدة الرِّسالة والرُّسل، والإنذار بالبعث[١]، والحلقة الواردة من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام متناسبة مع مقصد السورة، فقد بيَّنت موقف إبراهيم من وثنية قومه الذي تمثَّل بمقاومته لها بالقول والفعل، وبالحجَّة والقوَّة، ثمَّ بإعلانه التَّوحيد الخالص لله تعالى[٢].

ونستنتج أنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء كانت متناسبة مع جميع مقاطع السورة، وساهمت هذه الحلقة مع بقية موضوعات السورة بالتوصل إلى مقصد السورة.

المطلب الثاني عشر: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة العنكبوت.

أولاً- بين يدي السورة:

سورة العنكبوت هي آخر ما نزل بمكَّة على قول ابن عباس، نزلت بعد سورة الروم[٣]، وهي السورة الخامسة والثامنون في ترتيب نزول، وسمِّيت بسورة العنكبوت منذ عهد النَّبيِّ ﷺ لاختصاصها بذكر مَثَل العنكبوت في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت:٤١][٤].

ثانياً- تناسب قصة نبي الله إبراهيم في سورة العنكبوت مع زمن نزولها:

إنَّ سورة العنكبوت مكِّية، وقد ورد أن الإحدى عشرة آية الأولى مدنيَّة لما فيها من ذكر الجهاد والمنافقين، إلَّا أنَّ الراجح مكِّيتها؛ لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت:٨] نزل في إسلام سعد بن أبي وقاص[٥]، وإسلام

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٦/١٧-٧).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٩٢/١٧)، والتفسير الحديث، (٢٧٦/٥).

(٣) انظر: البرهان، (١٩٤/١).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، (١٩٩/٢٠-٢٠٠).

(٥) انظر: أسباب النزول، (ص: ٣٤٠-٣٤١).

سعد كان بمكَّة بلا خلاف، فالرَّاجح مكِّية جميع الآيات[١]. وسورة العنكبوت من أواخر ما نزل في العهد المكِّي، وقد نزلت في الوقت الذي كان زعماء قريش يتآمرون على قتل النَّبيّ ﷺ أو حبسه أو نفيه حينما عَلِموا بإيمان زعماء الأوس والخزرج، واتِّفاقهم مع النَّبيّ ﷺ في المدينة، مما يعني أنَّ الإسلام بدأ ينتشر في المدينة، وأنَّ أعداد المؤمنين المهاجرين من مكَّة إليها في تزايد، والنَّبيُّ ﷺ مهاجر لا محالة، فشعر زعماء قريش بالخطر يقترب منهم شيئاً فشيئاً؛ لأنَّ المدينة هي طريق قوافلهم وستصبح تحت سلطانه، يضاف إلى ذلك اتِّساع نطاق دعوته ﷺ، واشتداد قوته، مما ينذر بعاقبة غير محمودة، فأرادوا أن يحولوا دونه[٢]، وأجمعوا على اختيار شاب جليد من كلَّ قبيلة، وإعطائه سيفاً صارماً، ثمَّ قرَّروا أن يعمدوا إليه ويضربوه ضربة رجل واحد، حتَّى يتفرَّق دمه بين القبائل[٣]. فناسب أن تنزل آيات سورة العنكبوت تصف الفتن والمكائد التي تحيط بالدَّعوة الإسلامية، وتذكِّر النَّبيَّ ﷺ بقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام تسلية وتطميناً له بأنَّ الله سيحفظه من أذاهم، وسينصره عليهم، كما حفظ أباه إبراهيم من قبل، وبأنَّ عاقبة صبره ستكون خيراً جزيلاً، وسينال التَّمكين في الأرض، وسيظهر الله تعالى دينه الحقَّ مهما عاداه قومه، كما مكَّن لأبيه إبراهيم عليه السلام وذرِّيَّته من قبل[٤]. قال تعالى: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت:٢٧].

فإذاً سورة العنكبوت بما تضمَّنته من آيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت متوافقة مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها.

ثالثاً– مقاطع سورة العنكبوت، ومقصدها الرئيس:

افتتحت سورة العنكبوت بالحديث عن حقيقة الإيمان وتكاليفه، وبيان أنَّ المؤمنين معرَّضون للفتن التي تكشف صدق إيمانهم، ثمَّ عرضت قصصاً لبعض الأنبياء مع أقوامهم، وصوَّرت العذاب الذي نزل بهم، ثمَّ ضربت لهم المثل بأنَّ الحال التي هم عليها من الكفر كحال العنكبوت في ضعفه وهوانه، ثمَّ حكت مواقف جدل بين النَّبيّ ﷺ والكفَّار وأهل الكتاب، وردَّت عليهم بما يبطل أقوالهم، وأكَّدت أنَّ هذا القرآن من عند الله تعالى، وأمرت المؤمنين بالصَّبر والثبات على الحقِّ، والهجرة إلى مكان لائق بعبادتهم، وبيَّنت عاقبة الأخيار والأشرار[٥].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٢٧١٨/٥).

(٢) انظر: التفسير الحديث، (٤٧٧/٥).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام، (٤٨٢/١).

(٤) انظر: إبراهيم خليل الله، د. علي محمد محمد الصَّلَّابي، (ص: ١٨٢).

(٥) انظر: التفسير الحديث، (٤٦٥/٥).

إذاً نستطيع من خلال العرض السريع للموضوعات التي تناولتها السورة أن نقسمها إلى ثلاثة مقاطع، وهي:

المقطع الأول: حقيقة الإيمان، وسنَّة الابتلاء والفتن، من قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١-١٣].

المقطع الثاني: فتن الأنبياء في طريق دعوتهم لله تعالى، والتَّهوين من شأنها حين تقاس أمام قوة الله تعالى. من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَالُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤-٤٣].

المقطع الثالث: الفتن التي تعرَّض لها النَّبيُّ ﷺ والمؤمنون، ودعوتهم للصَّبر عليها. من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٤-٦٩].

ومن خلال دراسة مقاطع السورة يمكننا أن نحدد المقصد الرئيس لسورة العنكبوت وهو: تقرير أصول العقائد، والدَّعوة إلى الثبات عليها خصوصاً عند الفتن والابتلاءات.

رابعاً- التناسب بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة العنكبوت:

إنَّ جميع السور المكّية التي ورد فيها تفصيل لقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت تذكر جانباً من قصته عليه السلام، إلا أنَّ اللافت في سورة العنكبوت أنَّها تناولت جانبين اثنين من جوانب العبرة في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، أمَّا الجانب الأول: فكان عمَّا دار بينه وبين قومه، وأمَّا الجانب الثاني: فكان عن مجيء الرُّسل من الملائكة، وهذا يتناسب مع شخصية السورة وموضوعها الأساسي، فهي تصوَّر الفتن التي تعرَّض لها الأنبياء في سبيل الدَّعوة إلى الله تعالى، وما بذلوه وتحمَّلوه من أجلها، وما ينبغي أن يتحمَّلهَ الدعاة من بعدهم، وتكشف ما أكرم الله به هؤلاء الأنبياء، وما سيكرم به الدَّعاة[1].

قال تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٦ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٨ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ

(١) انظر: قصص القرآن الكريم صدق حدس، (ص:٣١١).

فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ ٢١ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ٢٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٣ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٢٤ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٢٥ * فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٞۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٦ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٩ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٣٠ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٣١ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٣٢﴾ [العنكبوت:١٦-٣٢].

افتتحت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة العنكبوت بأمر من الله تعالى لنبيه الكريم أن يذكر لقومه قصة أبيهم إبراهيم عليه السلام، فقال: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [العنكبوت:١٦] اذكر يا محمد حين قال أبوك إبراهيم لقومه: يا قوم اعبدوا الله، وكفُّوا عمَّا أنتم عليه من عبادة الأوثان، واتَّقوا سخطه، فهذا هو الخير لكم من الشرِّ المقيمين عليه من عبادتكم أصناماً تنحتونها بأيديكم كذباً، وهذه الأصنام عاجزة عن رزقكم، فاطلبوا الرِّزق من الرَّزاق تنالوه، وأخلصوا له العبادة، واشكروه على ما رزقكم، وتذكَّروا أنَّكم سترُدُّون إليه فيسألكم عمَّا أنتم عليه من عبادة غيره، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧][1].

وبعد بيان التَّوحيد جاء التَّهديد والإنذار، فقال: ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ﴾ يجوز أن يكون المخاطب قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ لأنَّ الآيات حكاية عن قوم إبراهيم، فكأنَّه قال لهم: وإن تكذِّبوا فقد كذَّب أمم من قبلكم، وأنا أتيت بما عليَّ من التَّبليغ، ويجوز أن يكون المخاطب قوم محمد ﷺ، لأنَّ القصص القرآني كان ينزل لتحقيق مقاصد مرتبطة بدعوة النَّبيِّ ﷺ، وكان مقصود النَّبيِّ ﷺ هنا تذكير قومه بحال الأمم الماضية

(١) انظر: جامع البيان، (٢٠/١٨-٢٠).

حتَّى يمتنعوا من التَّكذيب، فقال في أثناء حكايته لهم عن قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام: يا قوم إن تُكذِّبوا فقد كذَّب قبلكم أقوام وأُهلِكوا فإن كذَّبتم أخاف عليكم ما جاء على غيركم، ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وليس على الرَّسول إلا إقامة البرهان عليه.

فلمَّا بيَّن الأصل الأول وهو التَّوحيد، أشار إلى الأصل الثاني وهو الرِّسالة بقوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ شرع في بيان الأصل الثالث وهو الحشر[١]، فقال مخاطباً لمنكري البعث بعد الموت: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾﴾ [العنكبوت:١٩-٢٠] أولم تتفكَّروا كيف ابتدأ الله تعالى خلقكم من العدم، فإعادتكم للحياة في الآخرة أمر يسير على الله تعالى، فسيروا في الأرض وأنتم تنظرون إلى آثار خلقه تعالى من حيوانات ونباتات وزروع وثمار، فالذي لم يعجز عن خلقها أوَّل مرة لن يتعذَّر عليه إنشاؤها مرة أخرى بعد الموت، فهو القادر على كلِّ شيء[٢].

وبعد أن أثبت البعث هدَّد المعاندين، فقال: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ يعذِّب من يشاء منكم ومن غيركم في الدُّنيا والآخرة بعدله، ﴿وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ بفضله ﴿وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ﴾ وإليه تردُّون بعد موتكم[٣]، ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ وما أنتم بمفلتين من عذاب الله تعالى مهما سعيتم لإيجاد مأوى لكم في مكان ما من الأرض لتنجوا به من قدرتنا عليكم، وعطف ﴿وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ لتيأسهم من الطَّمع في النَّجاة، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ولما آيسهم من الفرار بأنفسهم في جميع الأماكن أتبعه بتأييسهم من الفرار من الوعيد النَّازل بهم مهما لجأوا إلى أولياء يتوسطون لهم في دفع العذاب عنهم، ويشفعون لهم عند خالقهم، أو نصراء يدافعون عنهم بالمغالبة والقوة[٤]؛ لأنَّ هؤلاء الذين كفروا بدلائل وحدانية الله تعالى، والدَّلائل المنزلة على رُسُلِه، وجحدوا لقاءه يوم القيامة أولئك لا أمل لهم في أن ينالوا رحمته؛ لأنَّهم لم يخافوا عقابه، ولم يرجوا ثوابه، ولهم عذاب موجع في الدُّنيا والآخرة[٥].

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [العنكبوت:٢٣] ولما قام سيدنا إبراهيم عليه السلام ببيان الأصول الثلاثة، وأثبتها بالدَّلائل والبراهين، وعجز قومه عن الرَّدِّ عليه، عادوا إلى

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٣٩/٢٥).

(٢) انظر: معالم التنزيل، (٥٥٣/٣).

(٣) انظر: نظم الدرر، (٤١٨/١٤).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، (٢٣٢/٢٠-٢٣٣).

(٥) انظر: تفسير المراغي، (١٢٨/٢٠).

الغلبة والقهر، وقرروا قتله أو حرقه، فحروقه إلَّا أنَّ الله تعالى قد نجَّاه من نارهم، ولم تحرق إلا قيوده، فكان ذلك معجزة ودليلاً على وحدانية الله تعالى لمن شرح الله تعالى صدره للإيمان، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٢٤ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت:٢٤-٢٥] ثمَّ أخبرهم سيدنا إبراهيم عليه السلام أنَّ الذي دفعهم لعبادة الأصنام هو اتِّباعهم لبعضها بعضاً، وحفظاً للمودة فيما بينهم، ولكنَّهم يوم القيامة سيجحد بعضهم بعضاً، ويلعن بعضهم بعضاً؛ لأنَّ مودَّتهم كانت على غير الحقِّ[١] ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾، ولما تجمَّع قومه لنصرة أصنامهم كان جزاؤهم النَّار والحرمان من النصراء مطابقة بين الجزاء[٢].

ثمَّ أخبرت الآيات أنَّ سيدنا لوط عليه السلام -وهو ابن أخيه سيدنا إبراهيم عليه السلام- كان أوَّل من آمن به حينما رأى النَّار لم تحرقه، وقال سيدنا إبراهيم عليه السلام: إنِّي مهاجر إلى حيث أمرني ربي بالهجرة إليه، إنَّه هو العزيز الذي يمنعني من أعدائي، والحكيم الذي لا يأمرني إلا بما هو في مصلحتي، فهاجر سيدنا إبراهيم عليه السلام ومعه ابن أخيه وامرأته، قال تعالى: ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت:٢٦][٣].

وبعد أن أتى سيدنا إبراهيم عليه السلام بدلائل التَّوحيد، وقابله قومه بالتَّكذيب، أعطاه الله الثَّواب العاجل، وبدَّل جميع أحواله في الدُّنيا بأضدادها، فبعد أن أراد القوم تعذيبه بالنَّار وكان وحيداً بدَّل الله تعالى وحدته بالكثرة حتَّى ملأ الدُّنيا من ذرِّيَّته ، وبعد أن كان أقاربه وقومه ضالين، أبدله الله تعالى ذرِّيَّة صالحة، وجعل في ذرِّيَّته النبوَّة والكتاب، وكان فقيراً لا مال له فكثَّر الله تعالى رزقه، وأعطاه من المواشي ما لا حصر لعدده، وقرن الله تعالى الصَّلاة عليه بالصَّلاة على خاتم النبيين، وصار معروفاً بشيخ المرسلين، والعطاء الإلهي لم يقف عند حدِّ الدنيا، بل أعطاه الله تعالى في الآخرة أجر الدَّلالة والرِّسالة فضمَّه إلى زمرة الصَّالحين، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت:٢٧].

ثمَّ جاءت قصة سيدنا لوط عليه السلام مختصرة في هذه السورة، ولم تذكر دعوته قومه للتَّوحيد مع أنَّها وردت بصورة أخرى؛ لأنَّ سيدنا لوط عليه السلام كان في زمن سيدنا إبراهيم عليه السلام، وسيدنا إبراهيم عليه السلام كان قد دعا قومه إلى التَّوحيد، فصار كالمختصِّ به، واقتصر ذِكْرُ سيدنا لوط عليه السلام على ما قام به من الدَّعوة إلى منع الفاحشة،

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، (٣١٢/٤-٣١٣).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٢٣٧/٢٠).

(٣) انظر: الكشاف، (٤٥١/٣).

فاختصَّ بها[١]، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت:٢٨-٢٩] كان سيدنا لوط عليه السلام ينكر على قومه سوء فعلهم، وهو إتيانهم الذكران من العالمين، ولم يسبقهم لهذه الفعلة الشنيعة أحد، ولم يكتفوا بهذه الفعلة بل كانوا يكفرون بالله تعالى، ويكذِّبون رَسُولَه، ويقفون في طريق النَّاس ويقتِّلونهم ويأخذون أموالهم، ويفعلون ما لا يليق من الأقوال والأفعال في اجتماعاتهم دون أن ينكر بعضهم على بعض شيئاً، وكانوا يقولون لسيدنا لوط عليه السلام الذي بذل جهده لنصحهم وردعهم عن أفعالهم الشنيعة: ابعث لنا عذاب الله إن كنت من الصَّادقين، وهنا لم يجد سيدنا لوط عليه السلام لنفسه سبيلاً إلا طلب النُّصرة من الله تعالى على قومه الضَّالين، فقال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت:٣٠][٢]، فاستجاب الله تعالى دعاءه، وأمر ملائكته بإهلاكهم، فقَدِموا إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام يزفُّون إليه البشرى بالذرِّيَّة الطَّيبة، وينذرون بهلاك قوم لوط، وقُدِّمت البشارة على النذارة؛ لأنَّ رحمة الله تعالى سبقت غضبه، وحينما ذكروا البشرى لم يعلِّلوا السَّبب، وحينما ذكروا الإهلاك ذكروا السَّبب أنَّ أهلها كانوا ظالمين؛ لأنَّ ذا الفضل لا يكون فضله بعوض، والعادل لا يكون عذابه إلا عن جُرم. قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [العنكبوت:٣١].

فلمَّا سمع قولهم ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ إشفاقاً عليه لعلمه بحاله، أو لأنَّ الملائكة لما قالوا: إنَّا مهلكوا أهل هذه القرية وكان إبراهيم يعلم أنَّ الله تعالى لا يهلك قوماً وفيهم رَسُوله، فقال تعجُّباً: إنَّ فيهم لوطاً فكيف يَهلِكون، فقالت الملائكة: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت:٣٢] أي: نعلم أنَّ فيهم لوطاً وسننجِّيه وأهله من العذاب ونهلك الباقين[٣].

خامساً- التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات سورة العنكبوت:

الموضوع الأول: حقيقة الإيمان، وسنَّة الابتلاء والفتن:

بعد أن بينت الآيات حقيقة الإيمان، وسنَّة الابتلاء والفتن في الحياة، وضرورة الصَّبر عليها وعدم الهوان، ومصير المؤمنين والمنافقين والكافرين، من قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٤٨/٢٥).
(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٢٧٦/٦).
(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (٥١/٢٥).

يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١-١٣]، أتبعتها بقصص الأنبياء -بما فيها قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام- الذين طال صبرهم على البلاء والفتن التي كانت في طريق دعوتهم إلى الله تعالى، ولم يكن لهم ناصر سوى الله تعالى، ولم يفتر عزمهم عن نصح أقوامهم برغم أذاهم(١).

الموضوع الثاني: فتن الأنبياء في طريق دعوتهم لله تعالى، والتَّهوين من شأنها حين تقاس أمام قوة الله تعالى:

إنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متناسبة مع قصص الأنبياء الذين تعرضوا للفتن في طريق دعوتهم لله تعالى، فاتَّخذ أقوامهم أولياء من دون الله تعالى ليحتموا بها، وعندما احتاجوا إليها لم يستطيعوا الاعتماد عليها، فكان حالهم كحال العنكبوت التي اتَّخذت لنفسها بيتاً ظنَّاً منها أنَّه سيحميها، فإذا هو لا يصمد أمام أضعف حركة فيسقط ويتمزَّق(٢). قال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٤١].

وقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام قد مثَّلت حال قومه الذين اتَّخذوا الأصنام آلهة فعبدوها من دون الله ظنَّاً منهم أنَّها ستحميهم، فاكتشفوا عجزها عن حمايتهم من نزول عذاب الله تعالى بهم، فأعطت هذه الأمثلة القوة والصَّبر للأنبياء والمؤمنين من بعدهم في طريق دعوتهم لله تعالى، وأثناء تعرضهم للفتن والأذى والإغواء في سبيل تلك الدَّعوة بأنَّ تلك الفتن مهما بلغت ما هي إلا خيوط عنكبوت أمام قوَّة الله تعالى، فالقوَّة والولاية لله وحده، وما سواها فهو هزيل مهما علا وتطاول(٣).

الموضوع الثالث: الفتن التي تعرَّض لها النَّبيُّ ﷺ والمؤمنون، ودعوتهم للصبر عليها:

بعد أن عرضت الآيات الفتن التي تعرَّض لها الأنبياء -بمن فيهم سيدنا إبراهيم عليه السلام- في طريق دعوتهم لله تعالى، واتِّخاذ أقوامهم أولياء لهم من دون الله تعالى، انتقلت الآيات إلى بيان الفتن التي تعرَّض لها النَّبيُّ ﷺ، وهي: جحودهم بوحدانية الله تعالى، وبالقرآن الكريم، وبنبوَّة النَّبيِّ ﷺ، وطلبهم أن يأتيهم بخوارق حتَّى يؤمنوا به ويصدِّقوه، مع أنَّ كلَّ آية في القرآن تدلُّ على صدقه ﷺ(٤)، أو أن يعجِّلَ لهم العذاب، مع أنَّهم يعتقدون أنَّ الله تعالى هو الخالق والرَّازق، ومنزِّل الماء من السَّماء، ومحيي الأرض بعد موتها، والمنجِّي من البلاء(٥)، فالله سبحانه قادر على

---

(١) انظر: نظم الدرر، (١٤/٤٠٣).

(٢) انظر: البحر المحيط، (٨/٣٥٨)، والتحرير والتنوير، (٢٠/٢٥٢).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، (٥/٢٧٣٧).

(٤) انظر: التحرير والتنوير، (٢١/١٣).

(٥) انظر: التفسير الحديث، (٥/٥٠٣).

إنزال العذاب بهم في كلِّ وقت، وقادر على إنجاء النَّبيِّ ﷺ والمؤمنين من مكرهم ومكائدهم وتعذيبهم، ولكن عليهم أن يصبروا على الفتن، ويهاجروا من ديارها، ويجاهدوا في سبيل إعلاء دين الله عزَّ وجلَّ حتَّى ينالوا نصر الله سبحانه وتعالى الذي وعد به عباده المحسنين(١). من قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٤٤-٦٩].

سادساً– التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع المقصد الرئيس لسورة العنكبوت:

إن المقصد الرئيس لسورة العنكبوت يدور حول تقرير أصول العقائد، والدَّعوة إلى الثَّبات عليها خصوصاً عند الفتن والابتلاءات، والحلقة الواردة من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام متناسبة مع مقصد السورة لأسباب:

١. لأنَّها تثبت وحدانية الله تعالى، وتنفي الشركاء عنه، وتقيم الحجَّة على المشركين من خلال بيان أنَّ ما يعبدونه من الأصنام ما هو إلا آلهة صنعوها بأنفسهم، ومهما أطلقوا عليها تسميات فهي لن تضرُّهم ولن تنفعهم، ولن تجلب الرِّزق لهم.
٢. وتثبت رسالته عليه السلام، فقد أوضح لهم أنَّ مهمته تبليغ ما أمره الله تعالى به، وأنَّ استمرارهم بتكذيب رسالته يوجب نزول العذاب بهم.
٣. وتثبت البعث والجزاء، فقد دعاهم إلى النَّظر كيف بدأ الله تعالى خلق الأشياء والإنسان قبل أن تكن، والذي ابتدأ إيجاد الخلق قادر على إعادته من جديد بكلِّ يسر وسهولة، فَمِنَ الله البدء وإليه العودة للحساب والجزاء(٢).
٤. وتكشف عن ثبات سيدنا إبراهيم عليه السلام أمام فتنة الإحراق التي أرادها له قومه بعدما أقام عليهم الحجج على صدق الأصول التي جاء بها، ولم يجدوا لأنفسهم مخرجاً إلا الاعتماد على القوَّة والغلبة وإحراقه، ثمَّ تكشف عن نصرة الله تعالى لأوليائه الذين ثبتوا على الحقِّ وجاهدوا في سبيله وصبروا على الفتن، كما حصل مع سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي نجَّاه الله تعالى من كيدهم ومن نيرانهم جزاء له على ثباته بوجه تلك الفتن(٣).

ونستنتج أنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة العنكبوت كانت متناسبة مع جميع مقاطع السورة، وساهمت هذه الحلقة مع بقية موضوعات السورة بالتوصل إلى مقصد السورة.

---

(١) انظر: التفسير الحديث، (٥٠٦/٥).
(٢) انظر: التفسير الوسيط، وهبة الزحيلي، (١٩٥٥/٣-١٩٥٦).
(٣) انظر: البحر المحيط، (٣٥١/٨)، وتفسير المراغي، (١٢٩/٢٠).

المبحث الثاني: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في السور المدنية.

وفيه عدَّة مطالب:

المطلب الأول: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة.

المطلب الثاني: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة آل عمران.

المطلب الثالث: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الحجِّ.

المبحث الثاني: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في السور المدنية.

تمهيد

يبدأ العهد المدني بهجرة النَّبيّ ﷺ إلى المدينة، وكانت آيات القرآن المدني تمثل طبيعة العهد الجديد الذي يعيشه النبي ﷺ والمسلمون آنذاك، وتنقل لنا أحداث تلك الفترة ولو لم تقع في المدينة، وتعرض لنا الحملات الشَّديدة التي شنَّتها على أهل الكتاب، ومواقفهم، وحجاجهم، وتفضح المنافقين الذين برزوا في ذاك العهد بعد أن قَوِيت شوكة الإسلام، وتحكي فصولاً من التَّشريعات والأحكام، أمَّا القصص والأخبار عن الأمم السالفة في العهد المدني:

١. فقد كان نصيبها أقلَّ من العهد المكي، وما ذُكِرَ فيها كان مختصراً وبعيداً عن الإسهاب[١]، فقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام قد ورد ذِكرُها مفصلاً في اثنتي عشرة سورة مكّية، أمَّا في السور المدنية فقد ذُكِرَ سيدنا إبراهيم عليه السلام في ثمانية سور من خلال إشارات متعدِّدة طالت أم قصرت، إلا أنَّها في مجملها تعتبر أقلَّ عدداً من السور المكّية، لأنَّ الغاية من ذكرها تثبيت قلب ﷺ والمؤمنين، والتَّسرية عنهم فيما يلاقونه من أذى المشركين، وهذا الأذى إنَّما اشتدَّ أوجه في العهد المكي، حينما كان المسلمون ضعافاً، والإسلام غير منتشر، والدولة الإسلامية لم تؤسس بعد.

وقد كانت الآيات التي تحدَّثت عنه في العهد المدني تدور حول: بنائه للكعبة ودعواته لأمَّته، والأمر باتباع ملَّته مع إعلان براءته عليه السلام من أن يكون يهودياً أو نصرانياً، وبراءته من أبيه بعدما تيقن من شركه، وهذه الموضوعات اقتضتها طبيعة العهد المدني؛ لأنَّها مرتبطة بعلاقة المسلمين مع أهل الكتاب، ومع ذويهم الذين لم يكونوا مؤمنين، فمن المعلوم أنَّ أهداف السور المدنية مع التأكيد على الأهداف الكبرى للسور المكّية هي بناء المجتمع الإسلامي على أساس الإيمان والطاعة والتشريعات التي تُعنَى بالمسلمين وتضمن لهم سعادتهم، ومجادلة أهل الكتاب، وتذكيرهم بماضيهم مع أنبيائهم[٢].

٢. كانت تنزل متناسبة مع مقاصد السور المدنية وموضوعاتها، فلأجل اختلاف مقاصد السور تُساق القصص، وتتنوع ألفاظها وقضاياها لتدلَّ على مقصد تلك السورة[٣].

---

(١) انظر: سيرة الرسول ﷺ، (ص: ٧).

(٢) انظر: الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، (ص: ٩٤).

(٣) انظر: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (١٥٢/١).

٣. فلم تكن غريبة عن المخاطبين إجمالاً؛ لأنَّ بعضها كان متداولاً في بيئة العرب، وبعضها كان متواجداً في أسفار اليهود، وبعضها لم يكن معروفاً، ولم ترد القصص لذاتها وإنَّما للعظة والتَّذكير، والتَّنديد والوعيد والإفحام، والتَّسلية والتَّطمين، وقد تتكرر لتنوع المواقف النَّبويَّة دعوة وحجاجاً وتنديداً[١].

وقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت من القصص اللافتة للنَّظر عند العرب؛ لأنَّ معظم ما ورد فيها لم يكن مذكوراً في التَّوراة، وقد ورد ذِكْرُهُ في القرآن؛ لاتِّصاله ببيئة العرب وتقاليدهم وعقائدهم، ومشابهة حال كفَّار العرب وعبادتهم للأصنام لحال قوم سيدنا إبراهيم عليه السلام وعبادتهم، ولبناء سيدنا إبراهيم عليه السلام للكعبة، وإسكان ذرِّيَّته في مكَّة، وكلُّ ذلك تعلمه العرب دون الحاجة للرجوع إلى التَّوراة، فكانت قصته إلزاماً للعرب[٢].

إذاً "فالقرآن الكريم سلسلة تامة للسيرة النبوية وتطورها منذ البدء إلى النهاية متَّصل بعضها ببعض، ومفسِّر بعضها لبعض، ففي كلِّ سورة من سوره ومجموعة من مجموعاته، أو فصل من فصوله صورة لموقف من مواقف النَّبيِّ ﷺ من سكَّان بيئته من العرب وغير العرب ومن المشركين والكتابيين، أو صورة لموقف من مواقفهم منه ومن دعوته، أو صورة من صور مواقف النَّبيِّ من الذين استجابوا للدَّعوة أو من مواقفهم منه، أو من مواقف الكفَّار منهم أو مواقفهم من الكفَّار أو صورة لتطورات جميع هذه المواقف، دعوة وتبياناً وبرهنة وتدليلاً وعظة وتنبيهاً وتبشيراً وإنذاراً، ووضعاً وتشبيهاً وقصصاً وأمثالاً وترغيباً وترهيباً ووعداً ووعيداً، وجدالاً وتحدياً وعناداً ومكابرة واستكباراً وأذى، وتنديداً وتنويهاً وتسلية وتثبيتاً وتطميناً وتعبيراً، وسؤالاً وجواباً وجهاداً وتشريعاً إلخ وكلُّ صورة معطوفة على صورة سابقة، أو مرتبطة بصور لاحقة، في اتِّساق وانسجام تامين وضمن نطاق واحد مما يتضح لكلِّ من ينعم النَّظر في القرآن ويقرأ سوره خاصة وفق تتابع النزول بقدر الإمكان، وملاحظة ذلك مهمة جداً في فهم مواضيع القرآن وتقريراته ومداها وروحه وفي جعل النَّاظر فيه لا يبتعد عن حقيقة الواقع والباعث ويعصمه من التَّورط، ولا يتورط في التخمينات والتزيدات والجدليات وتحميل العبارات القرآنية ما لا تتحمله"[٣].

---

(١) انظر: التفسير الحديث، (١/١٦٢-١٦٣).

(٢) انظر: التفسير الحديث، (١/١٧٠).

(٣) التفسير الحديث، (١/١٤٢).

المطلب الأول: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة.

أولاً– بين يدي السورة:

تُعدُّ سورة البقرة أوَّل ما نزل بالمدينة بعد الهجرة، ونزلت قبل سورة الأنفال(١)، وهي السابعة والثمانون في ترتيب نزول السور، وقد ورد لسورة البقرة عدَّة تسميات:

١. البقرة: وذلك لذكر قصة البقرة التي أمر الله تعالى بني إسرائيل بذبحها، وهذه القصة انفردت بها هذه السورة، ولم تذكر بغيرها، وأيضاً تمييزاً لها عن بقية السور المفتتحة بـ ﴿الٓمٓ﴾، لأنَّ بعض السور تسمَّى بما افتتحت به، كسورة ﴿طه﴾، ﴿صٓ﴾(٢).

٢. الزَّهراء، عن أَبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ رضي الله عنه(٣)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ(٤) الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ(٥)، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ(٦)، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ(٧)»(٨).

---

(١) انظر: البرهان، (١/١٩٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (١/٢٠١-٢٠٢).

(٣) صديّ بن عجلان بن وهب الباهلي، (ت ٨١هـ، وقيل ٨٦هـ)، صحابي شهد مع الرسول جميع الغزوات سوى بدر، آخر من مات من الصحابة بالشام، من المكثرين في رواية أحاديث النبي ﷺ. انظر: أسد الغابة، (٦/١٤).

(٤) الزهراوان: المنيرتان المضيئتانِ. وللعلماء أقوال في معناها: النيّرتان، إمَّا لهداية قارئهما بما يظهر له من معانيها، وإمَّا لما يترتب على قراءتهما من النور التَّام يوم القيامة، وإمَّا لأنَّهما اشتركتا فيما تضمَّنه اسم الله الأعظم. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف الزاي، باب الزاي مع الهاء، (٢/٣٢١)، مادة (زَهَرَ)، ولسان العرب، (٤/٣٣٢)، مادة (زَهَرَ)، والجامع لأحكام القرآن، (٤/٣).

(٥) "الغمَامَة والغيَايَة: كلُّ شيء أظلَّ الإنسان فوق رأسه سحابة وغيرها" النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف الغين المعجمة، باب الغين مع الياء، (٣/٤٠٣) مادة (غَيَا).

(٦) فرقان من طير صواف: قطيعان أو جماعتان من الطيور الباسطة أجنحتها في الهواء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف الصاد، باب الصاد مع الفاء، (٣/٣٧)، مادة (صَفَفَ).

(٧) البَطَلَة: "السحرة، يقال: أبطل إذا جاء بالباطل". النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف الباء، باب الباء مع الطاء، (١/١٣٦)، مادة (بَطَلَ).

(٨) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، (١/٥٥٣)، (٨٠٤).

٣. سِنَام القرآن: وسنام الشيء أعلاه[١]، عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا وَسَنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ تُقْرَأُ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي يُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ»[٢]

٤. فُسْطَاط القرآن: والفُسْطَاط: البيت من الشّعْر[٣]، وسمّيت بذلك "لِعِظَمِها، ولما جُمِعَ فيها من أحكام لم تُذكر في غيرها"[٤].

ثانياً– تناسب قصة نبي الله إبراهيم في سورة البقرة مع زمن نزولها:

بعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها، وعمّ النبي ﷺ توقفت حركة الدعوة في مكّة، وكانت العرب تقف منتظرة نتيجة المعركة بين الرسول ﷺ وعشيرته، فكان لابد من إنشاء دولة تحمي عقيدة المسلمين، وتساعد على توسعة نطاق الدعوة، مما جعل الهجرة أمراً لازماً[٥].

وبعد هجرة النبي ﷺ إلى المدينة بدأت آيات سورة البقرة تتنزل على النبي ﷺ باستثناء خواتيمها، فقد نزلت بمكّة ليلة الإسراء والمعراج[٦]، حيث روى ابن مسعود رضي الله عنه: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا»، قَالَ: "﴿إِذْ يَغْشَى﴾ [النجم:١٦] السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى"، قَالَ: «فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ»، قَالَ: "فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا، الْمُقْحِمَاتُ[٧]"[٨]. وورد في فضل هذه الآيات: عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ» [٩].

---

(١) انظر: لسان العرب، (٣٠٦/١٢)، مادة (سَنَمَ).

(٢) المستدرك على الصحيحين، الحاكم، كتاب فضائل القرآن، باب أخبار في فضل سورة البقرة، (٧٤٨/١)، (٢٠٦٠)، وقال عنه: حديث صحيح.

(٣) انظر: مختار الصحاح، (٢٣٩/١)، مادة (فَسَطَ).

(٤) الإتقان، (١٩١/١).

(٥) انظر: في ظلال القرآن، (٢٨/١-٢٩).

(٦) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، أكرم العمري، (١٨٨/١-١٨٩).

(٧) المقْحِمَات: "الذنوب العظام التي تقحم أصحابها في النار؛ أي: تُلقِيهم فيها". النهاية في غريب الحديث والأثر، حرف القاف، باب القاف مع الحاء، (١٨/٤)، مادة (قَحَمَ).

(٨) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، (١٥٧/١)، (١٧٣).

(٩) صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، (١٨٨/٦)، (٥٠٠٩)، وصحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة، وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة، (٥٥٥/١)، (٨٠٨).

واستمر نزول هذه السورة الكريمة حتى نهاية العهد المدني، وكانت آخر آية نزلت من القرآن الكريم من سورة البقرة، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٨١].

وبما أنَّ نزولها استمر طوال فترة العهد المدني فهذا يعني أنَّ آياتها تضمَّنت كثيراً من الأحوال والظروف التي مرَّت فيها الدَّعوة الإسلامية، وتضمنت خطاباً للرسول ﷺ، وللمؤمنين، ولأهل الكتاب، ولكافة النَّاس:

١. خطاباً للرسول ﷺ؛ لمواساته وتسليته على تركه لقومه الذين أصرُّوا على الكفر وهجره لهم، وأمراً له بتعليم من آمن بالله تعالى واتبع رَسُله.
٢. خطاباً للمؤمنين؛ لأنَّ الله تعالى أقام للمؤمنين أمَّة جديدة ليكونوا شهداء لله على النَّاس، ويحملوا أمانة شريعته، ويكونوا قدوة لمن بعدهم.
٣. خطاباً لأهل الكتاب يتضمَّن دعوتهم للوفاء بالعهد الثاني، وهو الإيمان بنبوة سيدنا محمد ﷺ حتَّى تنالهم رحمة الله تعالى، وذلك بعدما نقضوا عهدهم الأوَّل وتخلَّوا عن حمل أمانة الشريعة.
٤. خطاباً لكافة النَّاس، لدعوتهم للتَّوحيد الخالص لله تعالى، وإلى السِّلم والتَّقوى والطَّاعة لله تعالى(١).

ومن الملاحظ أنَّ الخطاب في العهد المدني كثيراً ما كان يتوجه إلى أهل الكتاب؛ لأنَّ اليهود كانوا أوَّل من وقف بوجه الدَّعوة في المدينة للأسباب التَّالية:

١. لقوَّة مركزهم في المدينة، فقد كانوا يَعدُّون أنفسهم أعلم من العرب الأميِّين، لأنَّهم أهل كتاب، ويزعمون أنَّهم شعب الله المختار، وأنَّ الرِّسالة والكتاب سيبقون لهم، وأنَّ الرَّسول الأخير سيكون منهم، فلمَّا جاء من العرب، ودعاهم إلى كتاب الله تعالى عَدُّوا دعوته إهانة لهم ورفضوا الاستجابة له.
٢. ولأنَّهم كانوا يستغلون الخلاف بين الأوس والخزرج، ويسخِّرونه لصالحهم، فلمَّا جاء الإسلام، وأزال الفرقة التي كانت بينهم، وسمَّاهم الأنصار، ثمَّ آخى بين المهاجرين والأنصار، أدَّى ذلك لوحدة الصفوف، وتعطَّلت كثير من مكاسب اليهود التي كانوا يحققونها من جرَّاء هذا الخلاف.
٣. ولشعورهم باستحكام الخطر على اقتصادهم في المدينة، وتضرُّر مصالحهم، فقد كانوا يزاولون التجارة والرِّبا المضاعف.

وبعد فهم أسباب عداء اليهود للدَّعوة الإسلام أصبحنا نَعِي لماذا كانت آيات العهد المدني تتوجه لتصف مواقفهم، وجحودهم نعم الله تعالى، وخروجهم عن شريعتهم، وتحذِّر المسلمين من نقض العهد كما فعل اليهود. من قوله

---

(١) انظر: نظام القرآن، (ص: ٨١).

تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٠-٤٤][(١)].

وفيما يلي عرض لأبرز مواقف أهل الكتاب من دعوة النبي ﷺ في سورة البقرة:

١. رفض اليهود اتّباع النَّبي ﷺ مع علمهم بمبعثه: فقد كان اليهود يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مَبعثه، فلمَّا بعثه الله من العرب أنكروا ما كانوا يقولون فيه. فقال لهم بعض الصحابة: يا معشر يهود، اتَّقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك، وتخبروننا بأنَّه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فأجابهم أحد بني النَّضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنَّا نذكره لكم، فأنزل الله تعالى: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩][(٢)].

٢. طَلَبهم خوارق ومعجزات: فقد كان بعض اليهود يقولون لرسول الله ﷺ: يا محمد، ائتنا بكتاب تُنزِّله علينا من السماء نقرؤه، وفجِّر لنا أنهاراً نتَّبعك ونصدِّقك. فأنزل الله تعالى: ﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ١٠٨][(٣)].

وقوله تعالى: ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ﴾ [البقرة:١٠٨] هو قولهم في أوائل سورة البقرة ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة:٥٥].

وتبعها آية تتضمَّن عتاباً للمؤمنين على إصغائهم لدسائس اليهود: قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة:١٠٩] في هذه الآية إرشاد للدَّسائس التي يُثيرها اليهود في نفوس المسلمين، فيدفعوهم للشكِّ في بعض الغيبيات، وكانت هذه الدَّسائس تجد آذاناً في بعض المسلمين، فتصدر منهم مواقف تستوجب عتابهم على إصغائهم لليهود[(٤)].

وقالوا له أيضاً: إن كنت رسولاً من عند الله كما تقول، فقل لله فليكلمنا حتَّى نسمع كلامه، فأنزل الله تعالى في ذلك ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (١/٣١-٣٢).

(٢) انظر: العجاب في بيان الأسباب، (١/٢٨٠).

(٣) انظر: العجاب في بيان الأسباب، (١/٣٥١).

(٤) انظر: سيرة الرسول ﷺ، (ص: ٤٥).

قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة:١١٨][(١)].

٣. ادِّعاؤهم أنَّ الهدى ما هم مقيمون عليه: فقد كان اليهود يقولون لرسول الله ﷺ: ما الهُدى إلا ما نحن عليه، فاتَّبعنا يا محمد تهتد، وكانت النَّصارى تقول له مثل ذلك. فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥]"[(٢)].

٤. بثَّهم الفتن لزعزعة المؤمنين: فبعد أن صُرِفت القبلة إلى الكعبة، أتى إلى رسول الله ﷺ جماعة من اليهود فقالوا له: يا محمد، ما ولَّاك عن قبلتك التي كنت عليها وأنت تزعم أنَّك على ملَّة إبراهيم ودينه؟ لَأِنْ رجعت إلى قبلتك التي كنت عليها لنتَّبعك ونُصدِّقك، وقد أرادوا بذلك فتنته عن دينه، فنزل قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [البقرة:١٤٢-١٤٣][(٣)].

ولم تقف سورة البقرة عند عرض جانب من عداء أهل الكتاب للنَّبيّ ﷺ فقط، بل رَوَت أيضاً جانباً من عداء المشركين والمنافقين للصحابة، وغدرهم بهم حينما بعثهم رسول الله عليه السلام في سرية لتعليم القرآن، فقتل المشركون بعضاً منهم وأسروا بعضاً آخر، وقال رجال من المنافقين: يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا، لا هم قعدوا في أهليهم، ولا هم أدَّوا رسالة صاحبهم! فأنزل الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة:٢٠٤][(٤)].

ومعَ كلِّ هذا العداء الذي أحاط بالنبي ﷺ وبالمؤمنين، وضرورة محاربتهم وقتالهم، كان لابد من آيات تنزل لتبعث الطمأنينة والسكينة في قلوبهم، وتقيم الحجَّة على منكري نبوته ﷺ، ومن أمثلة ذلك:

١. قصة أصحاب طالوت: من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُواْ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ

---

(١) انظر: العجاب في بيان الأسباب، (٣٦٨/١).

(٢) انظر: العجاب في بيان الأسباب، (٣٨١/١)، ولباب النقول، (ص: ١٩).

(٣) انظر: العجاب في بيان الأسباب، (٣٨٨/١).

(٤) انظر: لباب النقول، (ص: ٢٩).

ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٦-٢٥١] والتي نزلت تثبيتاً للنَّبي ﷺ وللمؤمنين، وذلك لمشابهة حال الصَّحابة في غزوة بدر لأصحاب طالوت، وأنَّ عددهم كعددهم، وذكرت كيف نصرهم الله تعالى بالرغم من قلَّة عددهم، وذلك لدفع الفساد عن الأرض، وإقامة السلم والصلاح، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [البقرة:٢٠٨][(١)].

٢. قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام والتي نزلت في أوائل العهد المدني في الوقت الذي كان المشركون يرفضون اتِّباع النَّبي ﷺ وما جاء به من الحق، ويقفون موقف المكابرة والعناد من دعوته ﷺ بالرغم من قيام البراهين والبينات على صدق ما جاء به ﷺ، فناسب أن يضرب لهم المثل بسيدنا إبراهيم عليه السلام في حجاجه مع النمرود ملك بابل الذي ادَّعى الرُّبوبية؛ ليبن لهم أنَّ كثيراً ممن سبقهم قد وقفوا مثل موقفهم، وعاندوا الحق، ورفضوا اتِّباعه، ويؤكِّد ذلك ما ختمت به الآية من نعي الظَّالمين، وبيان أنَّ السَّبب الرئيسي لعدم هدايتهم هو ما غلب عليهم من خبث وظلم وكِبر حَجَبَ عن قلوبهم أنوار الهداية، كما قُصد من ذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام التَّسرية عن النَّبي ﷺ لما يلقاه من عناد ومكابرة قومه، خصوصاً زعماء العرب[(٢)]، وأن يذكِّرهم بأنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام كان مسلماً يدعو إلى الإسلام، وإلى ترك التَّعصب في الدِّين، وأنَّ الإمامة إنَّما نالها لخضوعه لأوامر الله تعالى، وأنَّ الكعبة التي بناها كانت شعيرة من شعائر دينه، وقد حجَّ البيت داعياً ومبتهلاً وموحِّداً لله تعالى، وأنَّ ما جاء به نبيهم محمد ﷺ موافق لدين سيدنا إبراهيم عليه السلام، وأنَّ نبينا محمد ﷺ هو استجابة لدعوته عليه السلام، فالواجب على من يعترفون بفضل سيدنا إبراهيم عليه السلام ومكانته، ويتباهون أنَّهم من ساكني حرمه وحامي بيته أن يتَّبعوا ملَّة الإسلام التي جاء بها سيدنا محمد ﷺ[(٣)].

فإذاً سورة البقرة بما تضمَّنته من آيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت متوافقة مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها.

ثالثاً– مقاطع سورة البقرة، ومقصدها الرئيس:

افتتحت سورة البقرة بالحديث عن المؤمنين والكافرين والمنافقين، ثمَّ دعوة النَّاس جميعاً إلى عبادة الله تعالى والإيمان بكتابه المنزل على رسوله، وتحدِّي المشركين أن يأتوا بسورة من مثله، وما تضمَّنته من تبشير المؤمنين بالجنَّة، وتهديد الكافرين بالنَّار، ثمَّ انتقلت للحديث عن قصة سيدنا آدم عليه السلام واستخلافه في الأرض، ثمَّ انتقلت الآيات

---

(١) انظر: نظام القرآن، (ص: ٧٥-٧٦).

(٢) انظر: التفسير الحديث، (٦/٤٧٣-٤٧٤).

(٣) انظر: نظم الدرر، (٢/١٤٨)، وروح المعاني، (١/٣٧٢).

للحديث مطوَّلاً عن بني إسرائيل –وهم الأمَّة التي نزل عليها كتاب سماوي، فابتعدت عن هذا الكتاب– وشنَّت الآيات حملة قوية على أفاعيلهم، فكانت الغاية من الحديث عنهم تنبيه المسلمين إلى ما فعله بنو إسرائيل حتَّى لا يفعلوا مثلهم، بل يتمسَّكوا بكتابهم ويعملوا بما جاء فيه لكيلا ينزل عليهم غضب الله تعالى كما نزل على بني إسرائيل، يضاف إلى ذلك تبصير المسلمين بتاريخ بني إسرائيل لكي يعرفوا عدوَّهم ويحذروا منه، ويبتعدوا عن موالاتهم، وتنتهي هذه الحملة ببيان أنَّ ورثة سيدنا إبراهيم عليه السلام الحقيقين هم المتَّبعون لسنَّته.

ثمَّ يتوجه الخطاب للمؤمنين لإعدادهم لحمل أمانة العقيدة، والخلافة في الأرض وفق المنهج الذي شرَّعه الله تعالى لهم، ووَضَعَ لهم الأُسس التي تقوم عليها حياتهم، وذلك من خلال تزويدهم بالتَّشريعات اللازمة لتنظيم حياتهم كأفراد ومجتمعات، وبدأت بتعيين القبلة التي تتَّجه إليها تلك الجماعة، ثمَّ رسمت لهم منهج التَّصور والعبادة، ومنهج السلوك والمعاملة، وبيَّنت لهم كثيراً من أحكام القصاص في القتلى، والوصية، والصوم، والجهاد، والحج، وأحكام الزواج والطلاق مع التَّوسع في دستور الأسرة بصفة خاصة، وأحكام الصَّدقة والرِّبا، والدَّين والتجارة ...

وفي مناسبات معينة يرجع السياق إلى الحديث عن بني إسرائيل، وعن حلقات من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام سيتم الحديث عنها مفصلاً، وأخيراً تُختتم السورة بمثل ما افتتحت به من الدَّعوة إلى الإيمان بجميع الأنبياء والكتب والغيب[١]. "كان ختام سورة البقرة منسجماً مع أوَّل سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة:١-٣]، ففي أوَّل السورة ضرب الله المثل بالكافرين والمنافقين، وفي ختامها يقول الحقُّ دعاء على لسان المؤمنين: ﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، هذا القول يدلُّ على استدامة المعركة بين الإيمان والكفر، وأنَّ المؤمن يأخذ أحكام الله دائما لينازل بها الكفر أيَّان وجِدَ ذلك الكفر، ويثق المؤمن تمام الثِّقة أنَّ الله متوليه؛ لأنَّ الله مولى الذين آمنوا، أمَّا الكافرون فلا مولى لهم"[٢].

إذاً نستطيع من خلال العرض السريع للموضوعات التي تناولتها السورة أن نقسمها على الرغم من طولها إلى مقدمة ومقطعين وخاتمة:

المقدمة: وُصِف فيها المتَّقون والكافرون والمنافقون، ودُعِي فيها إلى توحيد الله تعالى، من قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٢/٣٣-٣٥).

(٢) تفسير الشعراوي، (٢/١٢٤٩).

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١-٢٩].

المقطع الأول: إصلاح العقيدة لتحقيق الهداية، واشتمل على ثلاثة محاور:

المحور الأول: خلافة سيدنا آدم في الأرض، من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٠-٣٩].

المحور الثاني: أحوال بني إسرائيل. من قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٠-١٢٣].

المحور الثالث: أحوال العرب. من قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٢٤-١٤١].

المقطع الثاني: تفصيل التَّشريعات لاستحقاق الخلافة، من قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٤٢-٢٨٤].

الخاتمة: بيان طبيعة التَّصور الإيماني، من قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦][1].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (١/٣٣-٣٥).

ومن خلال دراسة مقاطع السورة يمكننا أن نحدد المقصد الرئيس لسورة البقرة هو: من الهداية إلى الخلافة.

رابعاً– التناسب بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة:

قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾﴾ [البقرة: ١٢٤-١٤١].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

افتُتحت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة بالإخبار عن اختبار الله تعالى له ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ وقُدِّم المفعول على الفاعل؛ لأنَّ المقصود تشريف إبراهيم بإضافة اسم الرَّب سبحانه إلى اسمه، وكان الاختبار بكلام أوحاه إليه، وهذا الكلام تضمَّن تكليفه بعدَّة أوامر ونواه، إمَّا من الفضائل والآداب، وإمَّا من الأحكام التَّكليفية الخاصة به، ولم تُفصِّل الآيات تلك الكلمات؛ لأنَّ الغرض ليس تفصيل شريعة إبراهيم عليه السلام، وإنَّما الغرض بيان فضل إبراهيم عليه السلام ببيان عزمه وامتثاله لتنفيذ تلك التَّكاليف، فقوله: ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ الفاء دلَّت على الفور في الامتثال النابع من شدَّة العزم، وعلى أدائها على الوجه الأتمِّ والأكمل.

وعندما أدَّاها كاملة نال عظيم الجزاء، فجعله الله تعالى إماماً للنَّاس، وجعل مقامه قبلة للنَّاس، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ﴾ والإمام: هو القدوة والهادي، والمراد هنا: الرَّسول، فالرِّسالة هي أكمل أنواع الإمامة، ولم يعبِّر بـ ﴿رسولاً﴾؛ ليكون ذلك دالاً على أنَّ رسالته تنفع الأمَّة المرسل إليها بطريق التَّبليغ، وتنفع غيرهم من الأمم بطريق الاقتداء، فإنَّ إبراهيم عليه السلام رحل إلى آفاق كثيرة، وكان في جميع منازله محلُّ التَّبجيل، والتَّبجيل يقتضي الاقتداء.

ثمَّ سأل الله تعالى أن يجعل الإمامة في بعض ذرِّيَّته؛ لأنَّه يعلم أنَّ سنَّة الله تعالى في هذ الكون لم تجر على أن يكون جميع نسل أحد صالحين للاقتداء بهم، فلم يسأل ما هو مستحيل عادة؛ لأنَّ سؤال ذلك ليس من آداب الدُّعاء، ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لا يصيب وعدي بإجابة دعوتك الظَّالمين لأنفسهم بإشراكهم بالله تعالى، فكانت استجابة مطوية على بيان أنَّ هناك فريقاً من ذرِّيَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام ستتحقق فيه دعوته، وإنَّما اكتفى بذكر الفريق الثاني، وهو الفريق الذي لم تتحقق فيه الدَّعوة؛ لأنَّ المقصد من ذكرهم في هذا الموضع تعريض بأهل الكتاب ومشركي العرب الذين يزعمون أنَّهم أولى الناس بإبراهيم، وهم المحرمون من دعوته، ولأنَّ درء المفاسد أولى من جلب المصالح، فبيان الذين لا تتحقق فيهم الدعوة أولى من بيان الآخرين(١).

وبعد أن بيَّن الله تعالى حال سيدنا إبراهيم عليه السلام حين كلَّفه بالإمامة، شرع في بيان التَّكليف الثاني، وهو تطهيره للبيت، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ والمراد بالبيت: البيت الحرام؛ لأنَّ الله تعالى وصفه بالأمن، وهذه صفة

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (١/٧٠١-٧٠٦).

جميع الحرم، وليست مختصة بالكعبة[١]، فيكون المعنى: ذكِّر يا محمد هؤلاء العرب بنعم الله تعالى عليهم إذ جعل البيت الحرام مرجعاً يقصده النَّاس للحجِّ، وتميل قلوبهم للعودة إليه، ومأمناً لهم من جميع المخاوف، فلا تسفك فيه الدِّماء حتَّى لو وَجَدَ الرجل قاتل أبيه في الحرم فلا يمسُّه بسوء.

﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ أي: وقلنا لهم اتِّخذوا من مقام إبراهيم مصَّلى، وفائدة ذكر هذا الأمر أن يستحضر السامعون أنَّ الأمر موجَّه إليهم أيضاً كما توجَّه إلى من سلفهم في عهد أبيهم إبراهيم عليه السلام[٢]، ﴿مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾: هو الحجر الذي فيه أثر قدميه، والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه، أو هو عرفة ومزدلفة وموضع رمي الجمار، لأنَّه قام أيضاً في هذه المواضع ودعا فيها، أو جميع الحرم يَعَدُّ مقاماً لإبراهيم. واتَّخذ الناس من مكان إبراهيم قبلة يُصلُّون إليها.

ثمَّ أمر الله تعالى سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بتطهير البيت من جميع الأوثان والأنجاس والخبائث للطَّائفين فيه، والعاكفين: المجاورين الذين عَكَفُوا عنده، ويجوز أن يراد بالعاكفين: القائمين في الصَّلاة، فيكون المعنى للطَّائفين والمصلِّين عند الكعبة، لأنَّ القيام والركوع والسجود هيآت للصَّلاة[٣]، ﴿وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾.

وبعد أن بيَّنت الآيات السابقة ما امتنَّ الله عزَّ وجلَّ على ساكني مكَّة بأنَّ جعل البيت آمناً من كلِّ سوء، أشار هنا إلى مَنْقَبَةٍ ثالثة لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وهي أنَّ هذا البيت إنَّما جُعِلَ آمناً استجابة لدعوته عليه السلام، وتنبيهاً لمشركي مكَّة ليتذكَّروا دعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام ويستشعروا حرصه على إيمانهم بالله تعالى واليوم الآخر، ثمَّ يتأمَّلوا في أنفسهم فيدركوا أنَّهم على غير الحالة التي أرادها لهم[٤]، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا﴾ سأل سيدنا إبراهيم عليه السلام ربه أن يجعل هذا البلد يعني مكَّة أو الحرم بلداً آمناً ذا أمن، وآمناً من فيه، ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ لأنَّه كان بواد غير ذي زرع، أي: وارزق المؤمنين من أهله خاصة، ﴿قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ وسأرزق من كفر تمتيعاً قليلاً أو زماناً قليلاً إلى حين أجله، ثمَّ أُلجئه في الآخرة إلى عذاب النَّار، وبئس هذا المرجع الذي يصير إليه[٥].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٤/٤١).
(٢) انظر: تفسير المنار، (١/٣٧٨-٣٧٩).
(٣) انظر: الكشاف، (١/١٨٥).
(٤) انظر: التحرير والتنوير، (١/٧١٣).
(٥) انظر: معالم التنزيل، (١/١٦٦).

ويستمر السياق بعرض مناقب سيدنا إبراهيم عليه السلام، والتَّعريض بالمشركين، فيأمر الله تعالى نبيه الكريم أن يذكِّر هؤلاء المشركين ببناء سيدنا إبراهيم عليه السلام للكعبة بمساعدة ابنه إسماعيل عليه السلام، فقال: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٢٧] والقواعد: ما يقوم عليه البناء من الأساس، ورفعها: إعلاء البناء عليها، والبيت: هو الكعبة، وعطف إسماعيل على إبراهيم تنبيهاً على أنَّه كان معاوناً له ويعطيه الأحجار، وكانوا يطلبون من الله تعالى أثناء رفعها أن يتقبل منهم بناء هذا البيت، فهو السميع لدعائهم والعليم بنواياهم(١).

يتابع سيدنا إبراهيم عليه السلام دعاءه: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ مخلصين لك، ومستسلمين ومنقادين لأمرك، والمقصود من دعائه الثبات والزيادة على ما كان عليه الإخلاص ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ واجعل بعضاً من ذريتنا موحِّدين لك، ويجوز أن يراد بالأمَّة المسلمة: أمَّة سيدنا محمد عليه السلام، ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ عرِّفنا مواضع نسكنا وأفعال حجِّنا، ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ استتابة لذرِّيَّتهما، أو توبةً لهما عمَّا فرَّطا فيه سهواً.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ في الأمة الإسلامية رسولاً لهم من أنفسهم، ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ يبلِّغهم ما توحيه إليه من البيِّنات ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾ القرآن ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ ما تَكمُل به نفوسهم من أحكام الشريعة ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ ويطهِّرهم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ الغالب الذي لا يُقهر، والذي يفعل ما تقتضيه المصلحة(٢).

وبعد أن ذكرت الآيات ابتلاء إبراهيم بكلمات وإتمامه لهن، وجعله للنَّاس إماماً، وبناءه البيت وتطهيره من الشرك، وأمره بالحجِّ، وحرصه على مصالح عباده ودعاءه بالخير لهم، عَجَّبَ من النَّاس فقال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ والإيمان بما أتى من شرائعه فكان في ذلك توبيخٌ لليهود والنَّصارى ومشركي العرب(٣)، والمعنى: ومن يزهد في ملَّة إبراهيم الحنيفية المسلمة، ويختار غيرها، وعنى بذلك أهل الكتاب لاختيارهم اليهودية والنَّصرانية على الإسلام ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ إلا الجاهل بمنافع نفسه ﴿وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ اخترناه للخلَّة، وصيَّرناه لمن بعده إماماً ﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ وإنَّ إبراهيم في الدار الآخرة لمن الصَّالحين.

---

(١) انظر: مدارك التنزيل، (١/١٢٩-١٣٠).

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، (١/١٦١-١٦٢).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (٤/٦٠).

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ﴾ أخلص العبادة والطاعة لي، فقال إبراهيم عليه السلام مجيباً لربّه: ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خضعت بالطاعة، وأخلصت العبادة، لمالك جميع الخلائق ومدبرها دون غيره(١).

ولما كان أهل الحكمة حريصين على صلاح أنفسهم وصلاح أمتهم كان من مُكمِّلات ذلك أن يحرصوا على استدامة الحقِّ فيمن بعدهم، مستعينين بالتَّوصية لهم ألا يحيدوا عن طريق الحقِّ(٢)، فقال: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ وصَّى سيدنا إبراهيم ويعقوب عليهما السلام ذرِّياتهم بملَّة الإسلام، فقال كلٌّ منهما: ﴿يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ اختاره لكم وهداكم إليه، فحافظوا على الإسلام، وأخلصوا العبادة لله تعالى، حتَّى لا تموتوا إلا على ملَّة الإسلام.

ثمَّ أراد أن يقرر أمر هذه الوصية ويؤكدها ويقيم الحجَّة بها على أهل الكتاب(٣)، فقال: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣] إنَّكم يا معشر اليهود والنَّصارى الجاحدين بنبوَّة محمد عليه السلام لم تكونوا حاضرين في الوقت الذي حضر يعقوب الموت، فقد وصَّى بنيه بالحنيفية المسلمة، وقال لهم: أيُّ شيء تعبدون من بعدي؟ فقالوا: نعبد معبودك الذي تعبده، ومعبود آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق، ونفرده بالعبادة فلا نشرك به أحداً، ونحن مسلمون لعبادته، ثمَّ عهدوا بهذه الوصية إلى أولادهم من بعدهم، فكيف لكم أن تفتروا على رُسُلِ الله، وتنسبوهم إلى اليهودية والنَّصرانية، ولو حضرتم وصيته لعلمتم أنَّ ما كانوا عليه مخالف لما تنسبونه إليهم من الأديان والملل(٤)، وقد نزلت هذه الآية "نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ حِينَ قَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ يَعْقُوبَ يَوْمَ مَاتَ أَوْصَى بَنِيهِ بِالْيَهُودِيَّةِ"؟(٥)

وبعد أن أثنت الآيات على سيدنا إبراهيم عليه السلام، وعدَّدت مناقبه، وعرَّضت بمن لم يتبع هديه، ويسير على نهجه من ذرِّيَّته ، واتَّخذ من مكانة أبيه وفضله سبيلاً لنجاته وعذراً لتقصيره، فجاءت هذه الآية لتؤكد أنَّ الجزاء بالأعمال لا بالاتِّكال(٦)، ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ إشارة إلى الأمَّة المذكورة، وهي إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، وذرِّيَّتهم من الموحِّدين، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ لا أحد ينفعه كسب غيره

---

(١) انظر: جامع البيان، (١/٨٩-٩٢).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، (١/٧٢٧).
(٣) انظر: تفسير المنار، (١/٣٩١-٣٩٢).
(٤) انظر: جامع البيان، (٣/٩٧-٩٩).
(٥) أسباب النزول، (ص: ٤١).
(٦) انظر: التحرير والتنوير، (١/٧٣٥).

متقدِّماً كان أم متأخراً، فكما أنَّ من سلفكم لم ينفعهم إلا كسبهم، فكذلك أنتم لن ينفعكم إلا ما كسبتم، ولن تنفعكم حسنات أوائلكم، ولن تغني عنكم أنسابكم التي تفتخرون بها، ولن تؤاخذوا على سيئاتهم(١).

وبعد أن ذمَّ عُدولهم عن تلقي الإسلام، بيَّن كيفية إعراضهم ومقدار غرورهم بحصر كلِّ فريق منهم الهدى في دينه، فقالوا: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ﴾ فأتاهم الجواب: ﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ﴾ بل لا اهتداء إلا باتِّباع ملَّة إبراهيم، ويجوز أن يكون التقدير: بل نكون أهل ملَّة إبراهيم، ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ وهي احتراس لئلا يغتر المشركون بقوله: ﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ﴾ فيتوهمون أنَّه لم يبق من الأديان إلا ما هم عليه؛ لأنَّهم يزعمون أنَّهم على ملَّة إبراهيم(٢).

وروي عن ابن عبَّاس أنَّ هذه الآية "نَزَلَتْ فِي رُؤُوسِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ: كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، وَمَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ، وَوَهْبِ بْنِ يَهُوذَا، وَأَبِي يَاسِرِ ابن أَخْطَبَ؛ وَفِي نَصَارَى أَهْلِ نَجْرَانَ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ خَاصَمُوا الْمُسْلِمِينَ فِي الدِّينِ، كُلُّ فِرْقَةٍ تَزْعُمُ أَنَّهَا أَحَقُّ بِدِينِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ غَيْرِهَا، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: نَبِيُّنَا مُوسَى أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ، وَكِتَابُنَا التَّوْرَاةُ أَفْضَلُ الْكُتُبِ، وَدِينُنَا أَفْضَلُ الْأَدْيَانِ، وَكَفَرَتْ بِعِيسَى وَالْإِنْجِيلِ وَمُحَمَّدٍ وَالْقُرْآنِ وَقَالَتِ النَّصَارَى: نَبِيُّنَا عِيسَى أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَكِتَابُنَا الْإِنْجِيلُ أَفْضَلُ الْكُتُبِ وَدِينُنَا أَفْضَلُ الْأَدْيَانِ وَكَفَرَتْ بِمُحَمَّدٍ وَالْقُرْآنِ. وَقَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ لِلْمُؤْمِنِينَ: كُونُوا عَلَى دِينِنَا فَلَا دِينَ إِلَّا ذَلِكَ وَدَعَوْهُمْ إِلَى دِينِهِمْ"(٣).

ثمَّ دعا الله تعالى المؤمنين إلى الإيمان بما أُنزل إليهم –وهو القرآن الكريم– بواسطة رسولهم محمد ﷺ مفصلاً، وبما أُنزل على الأنبياء المتقدمين مجملاً، وعدَّد بعضاً من الرسل، وأجمل ذكر بقية الأنبياء، ودعاهم إلى عدم التَّفرقة بين أحد منهم، فلا يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض، بل يؤمنوا بهم جميعاً، قال تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦](٤).

﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ﴾ وإن صدَّق اليهود والنَّصارى بالله تعالى، وبالقرآن، وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم مثلَ ما صدَّق المؤمنون فقد وُفِّقوا واهتدوا إلى طريق الحقِّ، وأصبحوا منكم بدخولهم في ملَّتكم وأصبحتم منهم، ﴿وَّإِن تَوَلَّوۡاْ

---

(١) انظر: الكشاف، (١/١٩٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٣/٧٣٦-٧٣٧).

(٣) أسباب النزول، (ص: ٤١).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، (١/٤٤٨).

فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ وإن أعرضوا وامتنعوا عن الإيمان بمثل ما آمن به المؤمنون، فلم يصدِّقوا بالله، وبما جاءت به الأنبياء، وفرَّقوا بين رُسُل الله فاعلموا أيُّها المؤمنون أنَّ هؤلاء في عصيان وحرب لله ولرسوله، وأنَّ الله تعالى سيتولى رَسوله ويكفيه بتسليطه إيَّاه عليهم، حتَّى قَتل بعضهم، وأَجلَى بعضهم، وأخزى بعضهم بالجزية، فهو السميع لأقولهم وكفرهم، والعليم بما يبطنون لمحمد ﷺ وأصحابه من البغض والحسد(١).

ثمَّ بيَّنت الآيات أنَّ هذه العقيدة التي أمروا بإعلانها، والدَّعوة إليها هي دين الله وشريعته وسنَّته وفطرته، ولا يوجد أيُّ دين أفضل منها ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗ﴾ وإنَّما سماه صبغة لأنَّه يظهر أثر الدِّين على المتدين(٢)، فقد روي عن ابن عبَّاس أنَّ "النَّصَارَى كَانَ إِذَا وُلِدَ لِأَحَدِهِمْ وَلَدٌ فَأَتَى عَلَيْهِ سَبْعَةُ أَيَّامٍ، صَبَغُوهُ فِي مَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ له: المعمودي ليظهروه بِذَلِكَ، وَيَقُولُونَ: هَذَا طَهُورٌ مَكَانَ الْخِتَانِ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ قَالُوا: الْآنَ صَارَ نَصْرَانِيًّا حَقًّا، فأنزل الله تعالى هذه الآية"(٣)، ﴿وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ مطيعون.

ثمَّ أمر الله تعالى نبيه الكريم أن يتوجه بأسئلة للذين يحاجُّونه ويُعرضون عن دعوته، فقال: ﴿قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ﴾ [البقرة:١٣٩] قل يا محمد لأهل الكتاب: أتجادلوننا في دين الله وتدَّعون أنَّ الأنبياء كانوا منكم وعلى دينكم، وأنَّ دينكم أقدم من ديننا فأنتم أولى بالله منَّا، ونحن وأنتم سواء في الله تعالى، فإنَّه ربنا وربكم، ولكلٍّ واحد منا جزاء عمله، فكيف تدَّعون أنَّكم أولى، ونحن له مخلصون، وأنتم به مشركون.

﴿أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ استفهام توبيخي، ويعني: أتقولون أيُّها اليهود والنَّصارى: إنَّ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى فقل لهم يا محمد، أنتم أعلم بدينهم أم الله؟ وقد أخبر الله تعالى أنَّ إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، ولكن كان حنيفاً مسلماً، ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ لا أحد أظلم ممن أخفى شهادة عنده من الله تعالى، وهي علمهم بأنَّ إبراهيم عليه السلام وبنيه كانوا مسلمين، وأن محمداً ﷺ رسول الله، وقد أشهدهم عليها في كتبهم(٤)، ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ وعيد وإعلام لهم أنَّ الله تعالى لن يترك أمرهم سدى، وقد أحصى أعمالهم وسيجازيهم عليها.

---

(١) انظر: جامع البيان، (٣/١١٣-١١٦).

(٢) انظر: المحرر الوجيز، (١/٢١٦)، والتفسير الحديث، (٦/٢٤٦).

(٣) أسباب النزول، (ص: ٤١).

(٤) انظر: معالم التنزيل، (١/١٧٣-١٧٤).

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وكُرِّرت للتَّهديد والتَّخويف، فإذا كان أولئك الأنبياء على إمامتهم وفضلهم يجازون بكسبهم فأنتم أحرى(١).

وبعد أن بيَّنت الآيات عقيدة التَّوحيد التي جاء بها إبراهيم عليه السلام، والتي وصَّى بها ذرِّيَّته، وأقامت الحجَّة على الكافرين بعقيدته مع ادِّعائهم الانتساب إليه، جاءت هذه الآيات لتعرض نموذجاً لمن كفر بعقيدته، وادَّعى الرُّبوبية، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، ألم تر يا محمد حال الملك الذي خاصم سيدنا إبراهيم عليه السلام في ربه، وهو أوَّل مَلِكٍ تجبَّر في الأرض، حين قال له سيدنا إبراهيم عليه السلام ربِّي الذي يحي من يشاء ويميت من يشاء، فقال الملك، وأنا أفعل ذلك، فأستحي من أردت قتله فلا أقتله، وأقتل من أريد إماتته، فقال سيدنا إبراهيم عليه السلام، فإنَّ الله تعالى يأتي بالشمس من مشرقها، وإن كنت صادقاً أنَّك إله فأت بها من مغربها، فانقطعت حجَّة ذاك الملك وبطلت دعواه، والله لا يهدي أهل الكفر إلى حجَّة يدحضون بها حجَّة أهل الحقِّ عند المحاجاة(٢).

ولما قال سيدنا إبراهيم عليه السلام للمَلِكِ: ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ رغب بالارتقاء من علم اليقين إلى عين اليقين، فيشاهد قدرته العظيمة على البعث(٣)، فقال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠]، فطلب سيدنا إبراهيم عليه السلام من ربِّه أن يريه كيفية إحيائه للموتى، فسأله ربه عمَّا إذا كان لديه شكٌّ بقدرته حتَّى يسأل ذلك، فأكَّد إيمانه، وبين أنَّ الذي دفعه لهذا السؤال رغبته بالاطمئنان العياني، فأمره أن يضمم إليه أربعة طيور، ويقطِّعهن لأجزاء، ثمَّ يوزع أجزاءها على جبال مختلفة، ثمَّ يدعوها إليه لتأتي إليه حيَّة مسرعة، ولم تذكر الآية نتيجة التجربة، إلا أنَّ ما خُتمت به الآية قد دلَّ على قدرة الله تعالى، فقد انتهت الآية بأمر سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يوقن أنَّ الله تعالى عزيز لا يعجزه شيء، وحكيم لا يفعل إلا ما فيه الصواب(٤).

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، (٢١٧/١).

(٢) انظر: جامع البيان، (٤٣٠/٥-٤٣٧).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٦٨٩/١).

(٤) انظر: التفسير الحديث، (٤٧٧/٦).

خامساً– التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات السورة:

الموضوع الأول: إصلاح العقيدة لتحقيق الهداية، ويتضمن ثلاثة محاور:

المحور الأول: إثبات التَّوحيد، من خلال عرض:

١. خلافة سيدنا آدم عليه السلام في الأرض:

إنَّ قوله تعالى ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤] عطفٌ على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] لاشتراكهما بالافتتاحية بقوله: ﴿وَإِذِ﴾، وبذكر فضل كلّ واحد منهما، فقصة سيدنا آدم عليه السلام تضمَّنت تذكيرهم بنعمة الخلق الأوَّل، والإيجاد من العدم، وقد جاءت بعد التَّعجب من كفر المشركين بخالقهم، قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، وأُتبعت تلك التَّذكرة بإنذار وتهديد الكافرين بالله تعالى من ذرِّيَّة آدم، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى﴾ [البقرة: ٣٨]، ثمَّ خُصَّ من ذرِّيَّة آدم بنو إسرائيل الذي أُرسِل إليهم سيدنا موسى عليه السلام، فتهيأ المقام لتذكيرهم بأبيهم إبراهيم عليه السلام، فتوجَّه الخطاب للعرب ابتداء، ولذرِّيَّة سيدنا آدم عليه السلام تبعاً، لذا كان توجه الثناء لسيدنا إبراهيم عليه السلام في هذه السورة بتذكير العرب بنعمة بناءه عليه السلام للكعبة، ثمَّ انتقل إلى ذكر سلف بني إسرائيل بقوله: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ﴾ [البقرة:١٣٣] ليفضي إلى تفضيل الحنفية التي هي أصل الإسلام، وأنَّ المشركين واليهود والنَّصارى ليسوا منها في شيء، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْ﴾ [البقرة:١٣٥][(١)].

٢. أحوال بني إسرائيل:

إنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متناسبة مع عرض أحوال بني إسرائيل:

أ- فقد عرضت كيفية استقبال بنو إسرائيل لدين الإسلام بالرَّفض، وادِّعائهم أنَّ الجنَّة لهم ولمن اتَّبع ملَّتهم فقط، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١١]، فبعد أن بيَّنت الآيات ادِّعاء اليهود والنَّصارى أنَّهم أصحاب الجنَّة، ردَّ الله عليهم وبيَّن لهم أنَّه لن ينال أحد هذه المنزلة إلا بعد الابتلاء، فلا يكفي مجرد ادِّعاء الانتساب لدين إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٢٤].

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (١/٧٠٠).

ب- عرضت كيفية استقبال بني إسرائيل لنبوَّة سيدنا محمد عليه السلام، فقد كانوا ينتظرون أن يكون الرسول الأخير منهم، فلمَّا جاء من العرب كفروا به وبدعوته، من قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٠-١٢٣]، فردَّت عليهم الآيات أنَّ ورثة سيدنا إبراهيم عليه السلام هم المتَّبعون لنهجه، والمتقيّدون بعهده مع ربّه، وصرَّحت أنَّ وراثة سيدنا إبراهيم عليه السلام انتهت إلى سيدنا محمد ﷺ استجابة لدعوته ﷺ وهو يرفع القواعد من البيت مع ابنه سيدنا إسماعيل عليه السلام، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٢٨ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٢٩﴾ [البقرة:١٢٨-١٢٩][1].

ت- عرضت كيفية استقبال بني إسرائيل لشعائر الإسلام، وقبلة المسلمين، فقد سَعَوا لمنع المسلمين من الصَّلاة في المسجد الحرام، قال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ١١٤]، فبعد أن بيَّنت الآيات سعي اليهود لمنع المسلمين من الصَّلاة في المسجد الحرام بيَّنت هنا أنَّ البيت الحرام هو قبلة المسلمين، وموطن التَّوحيد، وركن الأمن، وأطهر بقاع الأرض، ولا يسمح لأحد بتدنيسه بالأصنام ولا بغيرها[2]. قال تعالى: ﴿وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥].

٣. أحوال مشركي العرب:

بعد أن ذكرت الآيات أحوال بني إسرائيل، و عدَّدت النِّعَمَ التي أنعم الله تعالى عليهم بها، وبيَّنت قبائحهم في أديانهم وأعمالهم، وأقامت الحجج عليهم، وختمت الحديث عنهم بمثل ما بدأت به وهو قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢٢ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ [البقرة: ١٢٢-١٢٣] انتقل التوبيخ من بني إسرائيل إلى مشركي العرب الذين يزعُمون أنَّ حالهم الذي كانوا عليه من عبادة الأصنام ما هو إلا اتِّباع لملَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام ، فردَّت عليهم الآيات بتذكيرهم بملَّته عليه السلام وأحواله، وبيان فساد ادِّعائهم اتِّباعه ما لم يتَّبعوا سيدنا محمد ﷺ، ويؤمنوا

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (١/٣٢-٣٤).

(٢) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، (١/١٤٨).

بنبوته، فسيدنا إبراهيم عليه السلام شخص يعترف بفضله جميع الطَّوائف والملل. وكان اليهود والنَّصارى والمشركين معترفين بفضله ويفتخرون أنَّهم من نسله، فناسب أن يذكِّرهم بسيدنا إبراهيم عليه السلام ليكون ذلك دافعاً لهم لقبول نبوة سيدنا محمد ﷺ والاعتراف بدينه(١). من قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٢٩-١٣١].

يقول ابن عاشور: "فمناسبة ذكر فضائل إبراهيم ومنزلته عند ربّه ودعوته لعَقِبِه عَقِبَ ذكر أحوال بني إسرائيل، هي الاتِّحاد في المقصد، فإنَّ المقصود من تذكير بني إسرائيل بالنِعَمِ والتَّخويف تحريضهم على الإنصاف في تلقِّي الدَّعوة الإسلامية والتَّجرد من المكابرة والحسد وترك الحظوظ الدُّنيوية لنيل السعادة الأخروية، والمقصود من ذِكْرِ قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام موعظة المشركين ابتداء وبني إسرائيل تبعاً له، لأنَّ العرب أشدُّ اختصاصاً بإبراهيم من حيث إنهم يزيدون على نسبهم إليه بكونهم حفظة حَرَمِهِ، ومنتمين قديماً للحنفية، ولم يطرأ عليهم دين يخالف الحنفية بخلاف أهل الكتابين"(٢).

المحور الثاني: إثبات نبوَّته ﷺ:

بعد أن أخبرت الآيات عن اختبار رسل الله إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وما عَرَضَ لهم مع أقوامهم خُتِمَت الآيات بقوله تعالى: ﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [البقرة:٢٥٢] لتكون تلك الأخبار عن الأمم والرُّسل برهاناً على نبوته ﷺ، وحجَّة على المشركين وأهل الكتاب الجاحدين برسالة محمد ﷺ، إذ لا يمكن أن يكون سيدنا محمد ﷺ عالماً بأخبار السابقين دون أن يكون هناك وحي من الله تعالى إليه(٣).

المحور الثالث: إثبات البعث:

إنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيۡفَ تُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰۖ قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ قَالَ فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٣١/٤).
(٢) التحرير والتنوير، (٧٠٠/١).
(٣) انظر: التحرير والتنوير، (٥/٣).

جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠] متناسبة مع قصص إحياء الموتى التي وردت في سورة البقرة، وهي:

١. في قصة بني إسرائيل حينما امتنَّ الله عليهم فأحياهم بعد أن أخذتهم الصَّاعقة لما رفضوا الإيمان حتَّى يروا الله جهرة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة:٥٥-٥٦].

٢. في قصة البقرة، قال تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٣].

٣. في قصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة:٢٤٣].

٤. في قصة الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها، قال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة:٢٥٩].

٥. كما أنَّ الآيات أشارت إلى قدرة الله تعالى على إحياء الأرض بعد موتها، والذي قَدِرَ على ذلك قادر على إعادة الأجسام بعد صيرورتها رميماً، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤][(١)].

٦. في قصة الخليل إبراهيم عليه السلام في حجاجه مع مَلِكِ زمانه حين قال له ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨].

فشكَّلت هذه القصص في مجموعها حجَّة على منكرين البعث، وأبطلت مزاعمهم، وأثبت قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت[(٢)].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٣٠٣/١).

(٢) انظر: البحر المحيط، (٦٤٢/٢).

الخلاصة: إنَّ جميع ما ذُكِرَ من خلافة سيدنا آدم، وأحوال بني إسرائيل ومشركي العرب من دين الإسلام الذي جاء به سيدنا محمد ﷺ متَّبعاً به سيدنا إبراهيم عليه السلام لَيَصُبُّ جميعه في مقصد واحد وهو: إنَّ إصلاح القلوب لاستقبال أنوار الهداية لا يتم إلا بالتَّخلص من أمراضها كالكِبَرِ والمعاندة والحسد والتَّعلق بمتاع الدنيا ونعيمها الزائف، فإن نجحوا بالتَّخلص منها اهتدوا إلى الاعتقاد بأنَّ العقيدة تراث القلب المؤمن، وليست تراث العصبية العمياء، وأنَّ القرابة هي قرابة الإيمان لا قرابة النَّسب، واهتدوا إلى الإيمان بوحدانية الله تعالى، وبنبوة سيدنا محمد ﷺ.

الموضوع الثاني: تفصيل التَّشريعات لاستحقاق الخلافة:

إنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مهَّدت للانتقال إلى الحديث عن جملة من التَّشريعات والأحكام لتكون زاد الخليفة في الأرض، فتناسبت مع عدَّة تشريعات:

المحور الأول: تحويل القبلة:

إنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام تضمنت ذِكْرَ فضائل البلد الحرام والبيت الحرام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾﴾ [البقرة:١٢٥-١٢٦] تمهيداً لإقامة الحجَّة على السُّفهاء المتعجِّبين من تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرَّفة، والمتذرِّعين بذلك إلى الطَّعن في الإسلام، من قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٤٢-١٥٢]، فأظهرت لهم هذه الآيات أنَّ الكعبة هي الأجدر بالاستقبال؛ نظراً لانتقال الخلافة للمسلمين، وما أكرمهم الله تعالى به من جعلها شعيرة من شعائر دينهم(١).

المحور الثاني: شعائر الحج:

لما ذكرت الآيات الواردة في حقِّ نبي الله إبراهيم عليه السلام بناءه للكعبة، وأشارت إلى فضائل البيت الحرام التي جعلته الأجدر بالاستقبال، وكان تحويل القبلة إنعاماً من الله تعالى على نبيه الكريم وعلى المؤمنين الذين انتقلت الخلافة

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٧٠١/١).

إليهم، من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٥-١٢٩]، ذَكَرَ البيان الإلهي هنا إتمام تلك النعمة عليهم بإحياء شريعة سيدنا إبراهيم عليه السلام ودينه، قال تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٥٠]، ولما كان السعي بين الصفا والمروة من شعائر حجّ سيدنا إبراهيم عليه السلام ناسب ذكر هذه الشعيرة من شعائر الحجّ بعد تلك الآية. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨]، وإنَّما جُعِلَت تلك الشعيرة من شعائر سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ لأنَّهما من آثار هاجر وإسماعيل عليه السلام مما جرى عليهما من البلوى، فكانوا النموذج الأسمى للصبر، واستدلوا بها على أنَّ من صبر على البلوى لابد وأن يصل إلى أعظم الدَّرجات وأعلى المقامات. قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥][1].

المحور الثالث: ولاية الله تعالى للمؤمن، وولاية الطاغوت للكافر:

بعد أن أخبرت الآيات أنَّ الله تعالى وليُّ الذين آمنوا والتزموا بتنفيذ تشريعاته، وأنَّ الكافرين أولياؤهم الطَّاغوت، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة:٢٥٧] ذُكِرَت حلقة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في حجاجه مع الملِكِ الكافر، وقدرته على غلبته وإقامة الحجَّة عليه، لأنَّ الله تعالى كان معه وتولَّاه بالنَّصر والتأييد، وبُهِت الملِكِ الكافر وعجز عن الرَّدّ؛ لأنَّ الطَّاغوت كان وليُّه، فكانت هذه القصة مثالاً للمؤمن والكافر[2]. قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (١٣٤/٤-١٣٥).

(٢) انظر: البحر المحيط، (٦٢٤/٢).

المحور الرابع: فضيلة الإنفاق:

بعد أن ذكرت الآيات حلقات من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام والتي تضمَّنت إثباتاً للبعث بعد الموت، من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠]، ناسب أن يتبعها جُملة مع الأحكام والشرائع والتَّكاليف المتعلِّقة بالمعاملات المالية كالإنفاق في وجوه الخير، واجتناب الربا، وبيان طرق الكسب الحلال، وكيفية حفظ الدَّين، وافتتحت هذه الأحكام بالحضِّ على الإنفاق في سبيل الله، فبيَّنت الآيات ما ينتفع به الإنسان يوم البعث، فبذور الإنفاق في سبيل الله تعالى التي تغرس في الدُّنيا إنَّما تقطف ثمارها يوم البعث، والسعي للإنفاق في الدنيا فيه استحضار دائم للبعث، ويقين بتحقُّقه، فمحال أن ينفق من يعتقد فناءه بعد الموت، وذهاب أعماله سُدى، وفي تشبيه النفقة بالحبَّة تنويه أيضاً بالبعث، لأنَّ من الحبَّة يخرج سبعمائة حبَّة، ومن كان قادراً على ذلك، فهو قادر على إحياء الموتى من باب أولى، من قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١] إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٨٣][(١)].

المحور الخامس: بيان أنَّ المالك هو المشرِّع:

بعد أن عرضت السورة حلقات من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام التي أثبتت التَّوحيد والنبوة والمعاد، إلى جانب ما تضمنته السورة من مختلف التَّشريعات والتَّكاليف، ناسب أن تُختتم السورة بالتَّذكير بأنَّ الله تعالى هو المالك لما في السماوات والأرض، وإذا مَلَكَ حُقَّ له التَّصرف في مُلْكِه، فيُلزِم من يشاء من مملوكاته بما شاء من تكليفاته،

(١) انظر: البحر المحيط، (٢/٦٥٢-٦٥٣).

قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٨٤](١).

الخلاصة: إنَّ جميع ما ذُكِرَ من تشريعات كانت ضرورية لإعداد المسلمين وتهيئتهم لتحمُّل أعباء الرِّسالة التي آلت إليهم استجابة لدعوة أبيهم إبراهيم عليه السلام بعد أن أسلم قلبه لربِّه، والتزم عقيدة التَّوحيد، وقام بأداء التَّكاليف والأوامر التي كُلِّف بها، فاستحقَّ أن تُجعل الخلافة والإمامة في ذرِّيَّته.

ثامناً: التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع المقصد الرئيس لسورة البقرة:

ابتدأت السورة بإرساء الأساس، وإصلاح الداخل، وتثبيت العقيدة التي هي روح الدِّين وجوهره، وبعد أن تمَّ ذلك انتقلت السورة إلى تفصيل الشريعة، والتي هي مظهر الدين وهيكله، وبعد أن أُزيلت شُبَهُ المعاندين، وأُقيمت الحجَّة عليهم لم يبق إلا إنارة السبيل للسالكين، وبعد أن كانت العناية موجهة إلى ترسيخ حقائق الإيمان توجهت الآيات إلى بسط شرائع الإسلام(٢)، وهذا يدلُّ على أنَّ مقصد السور: من الهداية إلى الخلافة.

وحتى تترسَّخ الهداية في النفوس لابد من إزالة الشبهات والفتن التي يُثيرها أعداء الإسلام تجاه الدَّعوة الإسلامية، وهذا ما عرضته سورة البقرة من مواقف عدَّة لبني إسرائيل ولمشركي العرب؛ ليحذر المسلمون من كيد أعدائهم، ويتعلموا من تجارب من سبقهم، فيصبحوا مستعدِّين لحمل أمانة الدَّعوة والخلافة في الأرض بعد أن نقض بنو إسرائيل العهد، ورفضوا حمل تلك الأمانة، والحلقات الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متناسبة مع مقصد السورة فقد أثبتت صلاح عقيدته بقيامه بتوحيد الله تعالى، وحجاجه من أجلها، وإيمانه بالبعث بعد الموت، وبيَّنت آيات القصة أنَّ الخلافة والإمامة لا تكون إلا لمتين العقيدة، المستقيم على أمر الله، ولا عبرة بكونه من نسل سيدنا إبراهيم عليه السلام، لذلك آلت الرِّسالة للنبي ﷺ، والخلافة للمؤمنين(٣).

ونستنتج أنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة كانت متناسبة مع جميع مقاطع السورة، وساهمت هذه الحلقة مع بقية موضوعات السورة بالتوصل إلى مقصد السورة.

---

(١) انظر: البحر المحيط، (٧٤٩/٢).

(٢) انظر: النبأ العظيم، (ص: ٢٥٨).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، (٢٨/١).

المطلب الثاني: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة آل عمران.

أولاً– بين يدي السورة:

سورة آل عمران مدنية نزلت بعد سورة الأنفال وقبل سورة الأحزاب(١)، وهي السورة التاسعة والثمانون في ترتيب نزول سور القرآن، وفي تسميتها وجوه:

١. آل عمران: سُمِّيت بهذا الاسم لأنَّ النَّبيَّ ﷺ سمَّاها بذلك، ولأنَّه ذُكِرَ فيها فضائل آل عمران، فسورة آل عمران هي السورة الوحيدة التي ذُكِرَ فيها قصة السيدة أم مريم(٢)، ويروي مصطفى مسلم سبباً لطيفاً لتسميتها بهذا الاسم وهو: أنَّ معظم الحوارات في هذه السورة قد دارت مع النَّصارى، والخلاف الأكبر معهم حول بشرية سيدنا عيسى عليه السلام، فقامت آيات السورة بدحض هذه الشُّبهة، وذلك من خلال بيان أنَّ سيدنا عيسى عليه السلام هو ابن السيدة مريم، والسيدة مريم هي ابنة عمران، فإذاً فإنَّ سيدنا عيسى هو من آل عمران، فكان اسم السورة دالاً على نسبه البشري، وحاسماً للخلاف من العنوان(٣).
٢. الزهراء، فهي وسورة البقرة تسمَّيان بالزهراوين(٤).
٣. وقد ذكر الآلوسي عدَّة تسميات لها، وهم: الأمان، والكنز، والمجادلة، وسورة الاستغفار(٥)، ويرى ابن عاشور أنَّ التسميات التي جاء بها الآلوسي ما هي إلا اقتباس لمجموعة أوصاف وصفت بها السورة(٦).

ثانياً– تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة آل عمران مع زمن نزولها:

في تاريخ نزول سورة آل عمران روايتان:

١. نزلت بعد سورة البقرة؛ وقد ورد أنَّ بداية سورة آل عمران إلى قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤] نزلت في السنة الثانية للهجرة حينما قَدِمَ "وَفْدُ نَجْرَانَ(٧)، وَكَانُوا سِتِّينَ رَاكِبًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِيهِمْ

---

(١) انظر: البرهان، (١٩٤/١).
(٢) انظر: التحرير والتنوير، (١٤٣/٣-١٤٤).
(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، (٤١٦/١).
(٤) يُراجع الحديث المذكور في وجوه تسمية سورة البقرة.
(٥) انظر: روح المعاني، (٧١/٢).
(٦) انظر: التحرير والتنوير، (١٤٣/٣).
(٧) "قوم من نجران بلغهم مبعث النبي ﷺ، وكان أهل نجران متدينين بالنَّصرانية، وهم من أصدق العرب تمسُّكاً بدين المسيح، وفيهم رهبان مشاهير، وقد أقاموا للمسيحية كعبة ببلادهم". التحرير والتنوير، (١٤٥/٣).

أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَفِي الْأَرْبَعَةَ عَشَرَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ إِلَيْهِمْ يؤول أمرهم، "فالعاقب" أَمِيرُ الْقَوْمِ وَصَاحِبُ مَشُورَتِهِمُ الَّذِي لَا يُصْدِرُونَ إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ وَاسْمُهُ: عبد المسيح، و"السيد" إمامهم وَصَاحِبُ رَحْلِهِمْ وَاسْمُهُ: الْأَيْهَمُ، "وَأَبُو حَارِثَةَ بْنُ عَلْقَمَةَ" أُسْقُفُهُمْ وَحَبْرُهُمْ، وَإِمَامُهُمْ وَصَاحِبُ مِدْرَاسِهِمْ، وَكَانَ قَدْ شَرُفَ فِيهِ وَدَرَسَ كُتُبَهُمْ حَتَّى حَسُنَ عِلْمُهُ فِي دِينِهِمْ، وَكَانَتْ مُلُوكُ الرُّومِ قَدْ شَرَّفُوهُ وَمَوَّلُوهُ وَبَنَوْا لَهُ الْكَنَائِسَ لِعِلْمِهِ وَاجْتِهَادِهِ، فَقَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدَخَلُوا مَسْجِدَهُ حِينَ صَلَّى الْعَصْرَ، عَلَيْهِمْ ثياب الحبرات جُبّات وَأَرْدِيَةٌ فِي جَمال رجال بني الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ.

يَقُولُ بَعْضُ مَنْ رَآهُمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا رَأَيْنَا وَفْدًا مِثْلَهُمْ، وَقَدْ حَانَتْ صَلَاتُهُمْ، فَقَامُوا فَصَلَّوْا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"دَعُوهُمْ" فَصَلَّوْا إِلَى الْمَشْرِقِ، فَكَلَّمَ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ "أَسْلِمَا"، فَقَالَا: قَدْ أَسْلَمْنَا قَبْلَكَ، قَالَ: "كَذَبْتُمَا مَنَعَكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ دُعَاؤُكُمَا لِلَّهِ وَلَدًا، وَعِبَادَتُكُمَا الصَّلِيبَ، وَأَكْلُكُمَا الْخِنْزِيرَ"

قَالَا: إِنْ لَمْ يكن عيسى ولد الله فَمَنْ أَبُوهُ؟ وَخَاصَمُوهُ جَمِيعًا فِي عِيسَى، فَقَالَ لَهُمَا النَّبِيُّ ﷺ "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَلَدٌ إِلَّا وَهُوَ يُشْبِهُ أَبَاهُ؟ " قَالُوا: بَلَى، قَالَ: "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وأن عيسى أتى عَلَيْهِ الْفَنَاءُ؟ " قَالُوا: بَلَى، قَالَ: "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا قَيِّمٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ يَحْفَظُهُ وَيَرْزُقُهُ؟ " قَالُوا: بَلَى، قَالَ: "فَهَلْ يَمْلِكُ عِيسَى مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا؟ " قَالُوا: لَا، قَالَ: "فَإِنَّ رَبَّنَا صَوَّرَ عِيسَى فِي الرَّحِمِ كَيْفَ شَاءَ، وَرَبُّنَا لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ وَلَا يُحْدِثُ" قَالُوا: بَلَى، قَالَ: "أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَى حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَمَا تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ، ثُمَّ وَضَعَتْهُ كَمَا تَضَعُ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا، ثُمَّ غُذِّيَ كَمَا يُغَذَّى الصَّبِيُّ، ثُمَّ كَانَ يَطْعَمُ وَيَشْرَبُ وَيُحْدِثُ؟ " قَالُوا: بَلَى، قَالَ: "فَكَيْفَ يَكُونُ هَذَا كَمَا زَعَمْتُمْ؟ " فَسَكَتُوا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى فِيهِمْ صَدْرَ سُورَةِ آلِ عمران إلى بضعة وثَمَّانية آيَةٍ مِنْهَا"(١).

ولكن وبحسب ما أورده سيد قطب في تفسيره فإنَّ وفد نصارى نجران قَدِمَ المدينة في السنة التاسعة للهجرة، مما يجعل نزول هذه الآيات بهذه المناسبة بعيداً، كما أنَّ الموضوعات التي عالجتها السورة تجعل نزولها في السنوات الأولى من الهجرة هو الأولى(٢).

٢. نزلت بعد سورة الأنفال، وكان نزولها في وقعة أُحُد، أي في شوال سنة ثلاث، لأنَّ قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران:١٢١] كان في قتال يوم أُحُد. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ [آل عمران:١٤٤] فقد أشار إلى الإرجاف يوم أُحُد بقتل النَّبيّ ﷺ.

---

(١) أسباب النزول، (ص: ٩٧-٩٨).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٣٥٢/١).

وخلاصة القول إنَّ ترجيح نزول هذه الآيات في وفد نجران يعني أنَّ قدوم وفد نجران للنَّبيِّ ﷺ كان قبل سنة الوفود؛ للإجماع أنَّ سورة آل عمران من أوائل ما نزل بالمدينة(١).

وقد نزلت سورة آل عمران في الفترة التي كان المشركون المنهزمون في غزوة بدر يشعرون بالخوف من انتصار النَّبيِّ ﷺ والمسلمين، فلم يَعد المسلمون تلك الفئة الضعيفة التي يسهل عليهم قمعها والقضاء عليها، بل أصبح لهم دولة وقوة، مما جعل المشركين يخافون على مكانتهم وتجارتهم، ويتجهزون لدفع الخطر الذي قد ينزل بهم في أي لحظة.

وعلى الجهة الأخرى بدأت تظهر في المدينة جماعة المنافقين، وذلك بعد أن استقرت الجماعة المسلمة في المدينة، وزاد انتشار المنافقين بعد انتصار المسلمين في غزوة بدر، فاضطرت فئة من النَّاس لممارسة النفاق وإظهار الإسلام، وإضمارها الحقد والعداء للمسلمين، وانتظار الفرص المناسبة لزعزعة صفوف المسلمين.

فدخل المنافقون بين صفوف المسلمين محاولين بثَّ البلبلة والشكوك في نفوسهم، والمسلمون في بداية العهد المدني لم يكونوا على سويَّة واحدة في النضج العقدي، ولم يكن لديهم الخبرة الكافية التي تجعلهم يكشفون المنافقين، ويدركون خطرهم، يضاف لذلك ما وقع في نفوس المؤمنين في غزوة أُحُد من أنَّ النَّصر هو الحالة الطبيعية للمسلمين، كما حدث معهم في غزوة بدر، والحقيقة أنَّ النصر مقترن بالإيمان بالله تعالى واللجوء إليه، واليقين أنَّ النصر من عنده، إلى جانب تكوين الصفوف، وإعداد العُدَّة، ورسم الخطط، والتزام الطَّاعة، واليقظة لخوالج النَّفس ولحركات الميدان(٢). كما أنَّ فئة المشركين لم تفوت فرصة التَّحالف مع اليهود الذي يحملون في أنفسهم الحقد والعداء للمسلمين مثل المنافقين، وربما أشدُّ، ويحاولون القضاء عليهم بشتَّى السبل.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ جَمَعَ الْيَهُودَ فِي سُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ فَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا»، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، لَا يَغُرَّنَّكَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّكَ قَتَلْتَ نَفَرًا مِنْ قُرَيْشٍ كَانُوا أَغْمَارًا، لَا يَعْرِفُونَ الْقِتَالَ، إِنَّكَ لَوْ قَاتَلْتَنَا لَعَرَفْتَ أَنَّا نَحْنُ النَّاسُ، وَأَنَّكَ لَمْ تَلْقَ مِثْلَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وجلَّ فِي ذَلِكَ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ۝١٢ قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٣/١٤٤-١٤٦).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (١/٣٥٠-٣٥٢).

مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢-١٣]"[(١)].

فناسب أن تنزل سورة آل عمران تكشف عن ملامح تلك الفترة وتفضح المنافقين، ومن المنافقين الذي ذكرتهم السورة: معتب بن قُشير الذي قال يوم أُحُد: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤][(٢)]، وتنقل لنا كثيراً من مواقف أهل الكتاب التي فعلوها في تلك الفترة، وتردُّ عليهم، وتنفي عنهم صلتهم بسيدنا إبراهيم عليه السلام، وتبيَّن أنَّه كان حنيفاً مسلماً[(٣)]، ، وتنهى المسلمين عن موالاتهم، من هذه المواقف:

١. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ الْمِدْرَاسِ[(٤)]عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْيَهُودِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ نُعَيْمُ بْنُ عَمْرٍو وَالْحَارِثُ بْنُ زَيْدٍ: عَلَى أَيِّ دِينٍ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ؟ قَالَ: عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ، قَالَا: فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَهُودِيًّا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: فَهَلُمَّ إِلَى التَّوْرَاةِ، فَهِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُم، فأَبَيَا عَلَيه. فأنزل الله تعالى فيهما: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُو۟تُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [آل عمران:٢٣-٢٤]"[(٥)].

وفي هذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٨]

٢. وقال نفر من أهل الكتاب تعالوا نؤمن بما أُنزِل على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية، حتى نلبس عليهم دينهم، لعلَّهم يصنعون كما نصنع، ويرجعون عن دينهم، فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

---

(١) سنن أبي داود، أبو داوود الأزدي السجستاني، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة، (١٥٤/٣)، (٣٠٠١)، وهو ضعيف الإسناد. وانظر: لباب النقول، (ص: ٤٠).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام، (٥٢٢/١).

(٣) انظر: القصص القرآني عرض وقائع، (٣٠٥/١).

(٤) المِدْرَاسَ: "هو البيت الذي يدرسون فيه". لسان العرب، (٨٠/٦)، مادة (دَرَسَ).

(٥) لباب النقول، (ص: ٤٠)

وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [آل عمران: ٧١-٧٣][(١)].

٣. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كَانَ رِجَالٌ مِنَ المسلِمِينَ يُواصِلُونَ رِجَالاً مِنْ يَهُودٍ لِمَا كَانَ بَيْنَهُم مِنْ الجِوَارِ والحِلفِ فِي الجَاهِلِيةِ، فَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَى فِيهم يَنهَاهُم عَنْ مُبَاطَنَتِهم تَخَوُّفَ الفِتنَةِ عَلَيهِم"[(٢)] قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران:١١٨-١٢٠] فنهت الآيات المسلمين عن اتِّخاذ اليهود أولياء، واطلاعهم على أسرارهم، مما يشير إلى أنَّ المسلمين كانوا شديدي الصِّلة بهم، وعلى العكس كان اليهود شديدي العداء لهم، ويمكرون بهم، ويستغلون هذه الصِّلة لبث الدَّسائس والشكوك في نفوس المسلمين[(٣)].

وتنتقل فصول السورة من الحديث عن جماعة المنافقين وأهل الكتاب إلى الحديث عن جماعة المشركين، والمعارك التي خاضها المسلمون معهم، فنقلت لنا أحداث غزوة أُحُد حينما زحف صناديد قريش على رأس جيش كبير من مكَّة إلى يثرب لأَخذِ ثأرهم من يوم بدر.

وليس في الآيات بسط قصصي تفصيلي لمشاهد وقعة أُحُد التي حصلت في السنة الثالثة للهجرة، وإنَّما ذُكِرَ إشارات لمواضع من الغزوة تتناسب مع حكمة التنزيل، وهذه الآيات اشتملت على العتاب والتَّطمين والعظة والتَّسلية، قال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٢١] فهذه الآية تصف خروج النبي ﷺ من بيت السيدة عائشة رضي الله عنها بعدما لبس درعه للخروج من المدينة لقتال المشركين، وما تبعها من تنظيم الرسول ﷺ للجيش، وأمر الرُّماة باتخاذ مواضعهم على الجبل، ثمَّ تصف

---

(١) انظر: لباب النقول، (ص: ٤٢).

(٢) لباب النقول، (ص: ٤٥).

(٣) انظر: سيرة الرسول ﷺ، (ص: ٤٨).

الضعف الذي أصاب المسلمين بعد أن قام عبد الله بن أبي بن سلول –رأس المنافقين– بالانفصال مع ثلث الجيش مدَّعياً أنَّ الرسول ﷺ لم يأخذ برأيه، واستمع إلى شباب أهل المدينة(١).

وكان هناك طائفتان من الخزرج المخلصين أوشكتا على الانسحاب تأثراً بالمنسحبين ولكن ثبَّتهما الله تعالى، وهما بنو حارثة وبنو سلمة، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «فِينَا نَزَلَتْ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران:١٢٢] قَالَ: نَحْنُ الطَّائِفَتَانِ بَنُو حَارِثَةَ، وَبَنُو سَلِمَةَ وَمَا نُحِبُّ – وَقَالَ سُفْيَانُ مَرَّةً – وَمَا يَسُرُّنِي أَنَّهَا لَمْ تُنْزَلْ لِقَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران:١٢٢]»(٢).

ثمَّ أشارت إلى المعركة التي انتصر فيها المسلمون، وهي غزوة بدر، لنكون أمام الموازنة لمعرفة أسباب النَّصر والهزيمة، ومواطن القوة والضعف، وليترسخ في أذهاننا اليقين بأنَّ النَّصر والهزيمة من عند الله تعالى(٣).

وأخيراً فقد نزلت آيات تحثُّ المؤمنين على الجهاد في سبيل الله بذِكرِ ما أعدَّ الله تعالى لهم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، تَأْكُلُ مِنْ ثَمَّارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ، وَمَشْرَبِهِمْ، وَمَقِيلِهِمْ، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا، أَنَّا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلَا يَنْكُلُوا عِنْدَ الْحَرْبِ، فَقَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١٦٩]»(٤).

فإذاً سورة آل عمران بما تضمَّنته من آيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت متوافقة مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها.

ثالثاً– مقاطع سورة آل عمران، ومقصدها الرئيس:

افتتحت سورة آل عمران بالتنويه بالقرآن الكريم وعِظَمِ شأنه، ثمَّ انتقلت لبيان فضيلة الإسلام، وعدم قبول دين

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (١/٤٦٧-٤٦٨).

(٢) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا، (٦/٣٨)، (٤٥٥٨)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار، (٢٥٠٥).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، (١/٤٦٩).

(٤) سنن أبي داوود، كتاب الجهاد، باب في فضل الشهادة، (٣/١٥)، (٢٥٢٠)، وهو حديث حسن. وانظر: لباب النقول، (ص: ٤٩).

سواه بعد ظهوره، كما حكت عن الكتب السماوية التي سبقت دين الإسلام وهي التَّوراة والإنجيل، وأكَّدت عدم جواز الكفر بها، ثمَّ انتقلت لعرض دلائل وحدانية الله تعالى، وتهديد المشركين الذين اتَّخذوا من دون الله شركاء وأبناء، إلى جانب تبشير المؤمنين بما أعدَّه الله تعالى لهم من خيرات، ثمَّ الثناء على سيدنا عيسى عليه السلام وآل بيته، وإبطال ما نسبوه إليه من الألوهية، ثمَّ عرضت الآية سلسلة من محاجاة أهل الكتاب في حقيقة الحنفية، وكشفت مدى بعدهم عنها، وفضحت ضلالاتهم وافترائهم في دينهم وكتمان ما أُنزِل إليهم، ثمَّ ذكَّرت المسلمين بنعمة الإسلام، وحذرتهم من كيد الأعداء الذين يتربصون بهم، وأمرتهم بالصَّبر على الشدائد، ووعدتهم بالنَّصر والتَّأييد وإلقاء الرعب في نفوس الأعداء، كما ذكَّرتهم بيوم بدر وأُحُد، وبيَّنت عظيم شأن الشهداء، وحثَّت المسلمين على فضائل الأعمال، وختمت السورة بآيات تدعو إلى التَّفكر في ملكوت الله عزَّ وجلَّ[1].

إذاً نستطيع من خلال العرض السريع للموضوعات التي تناولتها السورة أن نقسمها على الرغم من طولها إلى مقطعين رئيسين:

المقطع الأول: مواقف أهل الكتاب من عقيدة الإسلام، من قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران: ١-١٢٠].

المقطع الثاني: تقرير العقيدة الإسلامية، وبناء الجماعة المسلمة على أساس تلك العقيدة، من قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٢١-٢٠٠][2].

ومن خلال دراسة مقاطع السورة يمكننا أن نحدد المقصد الرئيس لسورة آل عمران هو: بين معركة النفوس ومعركة السيوف ترسخ عقيدة التَّوحيد في القلوب.

رابعاً- التناسب بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام الواردة في سورة آل عمران:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٣/١٤٤-١٤٥).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (١/٣٥٣-٣٥٧).

مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٨].

قال تعالى: ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٥ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ [آل عمران: ٩٥-٩٧].

افتتحت قصة سيدنا إبراهيم في سورة آل عمران بمحاجاة أهل الكتاب في شأنه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [آل عمران:٦٥] يا أهل التَّوراة والإنجيل لم تُجادلون في إبراهيم، وتُخاصمون فيه، ويدَّعي كلُّ فريق منكم أنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام كان على دينه، مع أنَّ التَّوراة والإنجيل قد أُنزلت بعد وفاته، فكيف تدَّعون أنَّه منكم؟[١]،

"ولما كان الدليل العقلي واضحاً في ذلك خُتمت الآية بقوله منكراً عليهم ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ أي هب أنَّكم لبَّستم وادَّعيتم أنَّ ذلك في كتابكم زوراً وبهتاناً، وظننتم أنَّ ذلك يخفى على من لا إلمام له بكتابكم، فكيف غفلتم عن البرهان العقلي! ثمَّ استأنف تبكيتاً آخر فقال منبهاً لهم مكرراً التنبيه إشارة إلى طول رقادهم أو شدَّة عنادهم"[٢] ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ أنتم جادلتم في أمر موسى وعيسى، وادَّعيتم أنَّكم على دينهما، وقد أنزلت التَّوراة والإنجيل عليكم، أو حينما جادلتم بالباطل في أمر محمد ﷺ لأنَّ نَعْتَهُ قد وجد في كتبكم، ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ فلم تُجادلون في إبراهيم وليس في كتبكم ما يثبت أنَّه كان يهودياً أو نصرانياً، والله يعلم ما تحاجون به، وأنتم جاهلون.

ثمَّ برَّأ الله تعالى إبراهيم عما قالوا[٣]، فقال: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧] فنفى عنه اليهودية والنَّصرانية والشرك الذي هو عبادة الأوثان كما كانت تفعل العرب، ويدخل في ذلك الإشراك الذي تتضمنه اليهودية والنَّصرانية، وجاء ترتيب النفي على غاية الفصاحة، فنفى أولاً انتساب سيدنا إبراهيم عليه السلام لتلك الملل، ثمَّ قرر الحالة الحسنة وهي الحنفية، ثمَّ عاد ونفى نفياً بيَّن فيه

(١) انظر: جامع البيان، (٦/٤٨٩-٤٩٠).
(٢) نظم الدرر، (٤/٤٥٠).
(٣) انظر: معالم التنزيل، (١/٤٥٣).

أنَّ جميع تلك الملل فاسدة لتضمُّنها الإشراك بالله تعالى، فاليهود كانوا يدَّعون أنَّ عزير ابن الله، والنَّصارى يدَّعون أنَّ المسيح ابن الله[١].

ولما كانوا يقولون نحن أولى الناس بدين إبراهيم، ونفت الآية السابقة كون سيدنا إبراهيم من اليهود والنَّصارى والمشركين جاءت هذه الآية لتبين أنَّ أولى النَّاس به، وأخصَّهم به، وأقربهم منه هم المتَّبعون له كسيدنا لوط عليه السلام وولديه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾، ثمَّ عطف النَّبيّ على الذين اتَّبعوا سيدنا إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ﴾ اهتماماً به، وتأكيداً أنَّ متابعة سيدنا إبراهيم عليه السلام ليست متابعة عامة، بل متابعة في أصول شريعته الحنفية، ثمَّ قال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ والمراد بهم المسلمون من أمَّة سيدنا محمد ﷺ الذين تخلَّقوا بأصول شرعه، وعرفوا قدره، فهؤلاء أحقُّ به، وأولى النَّاس به، ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي: والله وليُّ سيدنا إبراهيم عليه السلام، والذين اتَّبعوه، وسيدنا محمد ﷺ، والمؤمنون[٢].

وبعد أن بيَّنت الآيات أنَّ أولى الناس به هم المتبعون لملَّته، جاءت هذه الآيات لتكذِّب كلَّ من ادَّعى اتِّباع ملَّته، وتقيم الحجَّة عليهم، وتنفي عنهم شرف الانتساب له، قال تعالى: ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ﴾ قل يا محمد: صدق الله فيما أخبرنا به من أنَّ جميع الطعام كان حلالاً لبني إسرائيل، وأنَّ الله تعالى لم يحرِّم على إسرائيل أو ولده العروقَ ولا لحومَ الإبل وألبانَها في التَّوراة، إنَّما هو من حرَّمه على نفسه وَوَلده، وأنتم يا معشر اليهود الكاذبين في نسبتكم تحريم ذلك إلى الله تعالى وادِّعاء وجوده في التَّوراة، ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ فإن كنتم أيُّها اليهود صادقين في ادِّعائكم أنَّكم على الدِّين الذي ارتضاه الله لأنبيائه ورُسله فاتَّبعوا ملَّة إبراهيم الحنيفية دون اليهودية والنَّصرانية والشرك، فأنتم معترفون بنبوَّته، ومدَّعون اتِّباعه[٣].

و"لما أمر تعالى باتباع ملَّة إبراهيم وكان حجُّ البيت من أعظم شعائر ملَّة إبراهيم ومن خصوصيات دينه، أخذ في ذكر البيت وفضائله ليبيِّن الحجَّ ووجوبه، وأيضاً فإنَّ اليهود حين حُوِّلَت القبلة إلى الكعبة طعنوا في نبوَّة رسول الله ﷺ وقالوا: بيت المقدس أفضل وأحقُّ بالاستقبال لأنَّه وضِعَ قبل الكعبة، وهو أرض المحشر، وقبلة جميع الأنبياء، فأكذبهم الله في ذلك بقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦] كما أكذبهم في دعواهم قبل: إنَّما حرَّم عليهم ما كان محرَّماً على يعقوب من قبل أن تنزل التَّوراة، وأيضا فإنَّ كلَّ

---

(١) انظر: المحرر الوجيز، (٤٥١/١).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (٢٧٦/٣-٢٧٨).

(٣) انظر: جامع البيان، (١٧/٦).

فرقة من اليهود والنَّصارى زعمت أنَّها على ملَّة إبراهيم، ومن شعائر ملَّته حجُّ الكعبة وهم لا يحجُّونها، فأكذبهم الله تعالى في دعواهم تلك"[١].

وسبب نزول هذه الآية، أنَّ اليهود كانوا يتفاخرون ويقولون بيت المقدس أفضل من الكعبة لأنَّه مُهَاجَرُ الأنبياء، وفي الأرض المقدسة، وكان المسلمون يتفاخرون ويقولون: بل الكعبة أفضل، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٢]، ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾ إنَّ الكعبة الشريفة هي أوَّل بيت وضع للهدى، والدلالة على وحدانية الله تعالى، ونفي الإشراك، وقد ثبت لهذا البيت دوام الحرمة على مرِّ العصور، ويجوز أن يكون المراد من النَّاس في هذه الآية اليهود والنَّصارى والمسلمين؛ لأنَّ جميعهم كانوا معترفين بأصالة دين سيدنا إبراهيم عليه السلام، فأوَّل معبد بإجماعهم كان الكعبة، فأقروا بأنَّه أفضل من سائر البيوت.

﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ أي: مكَّة، وقيل: مكَّة: البلد، وبكَّة: موضع البيت، ويرجح ابن عاشور أنَّ بكة اسم بمعنى البلدة وضعه سيدنا إبراهيم عليه السلام عَلَمَاً على المكان الذي عيَّنه لسكنى ولده بنيَّة أن يكون بلداً، ﴿مُبَارَكًا﴾؛ لأنَّ داخله مثاباً ومحصّلاً على خير عظيم بقدر عِظَمِ نيَّته، وقدَّر لسكان بلده أن يكونوا ببركة زيادة الثواب ورفاهية الحال، وأمر بجعل داخله آمناً، ﴿وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ لأنَّ شهرته تدفع النَّاس للتساؤل عن سبب وضعه، فيكون هداية للنَّاس لتوحيد الله تعالى[٣].

﴿فِيهِ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ﴾ واشتمل على دلائل وعلامات ظاهرة وهي: أولا: ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾، أي موضع قيامه فيه للصَّلاة والعبادة، فالعرب تعلم ذلك بالنقل المتواتر، فهذا المقام من أوضح الأدلة أنَّ هذا البيت هو أوَّل بيت وضع للعبادة الصحيحة، وثانياً: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ فالعرب متفقين على احترام هذا البيت وتعظيمه، وجعل من يدخله يأمن على نفسه من الاعتداء وسفك الدماء واستباحة الحرمات ما دام فيه، ثمَّ جاء الإسلام وأقرَّ ذلك، وثالثاً: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ تعظيم البيت بإيجاب الحجِّ إليه، وحجُّ البيت كان من عهد سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى عهد سيدنا محمد ﷺ، وبالرغم من شركهم إلا أنَّهم كانوا يحجُّون اقتداءً بسنَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام، فهذه الأدلة الثلاثة تثبت نِسبَة هذا البيت لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وتبطل اعتراضات أهل الكتاب، وتؤكِّد أنَّ النَّبيَّ ﷺ متَّبع ملَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

---

(١) البحر المحيط، (٣/٢٦٧).

(٢) انظر: أسباب النزول، (ص: ١١٥).

(٣) انظر: التحرير والتنوير، (٤/١١-١٦).

﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ تأكيد لما سبق، ووعيد للجاحدين، وتنزيه لله تعالى عمَّا يدَّعونه من أنَّ الله تعالى محتاج إلى حجِّهم، فالمراد بالكفر: جحود كون هذا البيت أوَّل بيت وضعه الله سبحانه وتعالى للعبادة الصحيحة بعد إقامة الحجج على ذلك، وعدم الإذعان لما فرض الله من حجِّه والتَّوجه إليه بالعبادة(١).

خامساً– التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات السورة:

الموضوع الأول: مواقف أهل الكتاب من عقيدة الإسلام:

افتتحت السورة بالتمهيد لعرض مواقف أهل الكتاب من قضيتين أساسيتين وهما: قضية التَّوحيد، قال تعالى: ﴿ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢]، وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٨-١٩]، وقضية نبوة سيدنا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ٣].

ويندرج تحت الموضوع الأول عدَّة محاور:

المحور الأول: إثبات التَّوحيد:

بعد أن افتتحت السورة بإثبات وحدانية الله تعالى، وبيان الدِّين المقبول عند الله تعالى، جاءت حلقة سيدنا إبراهيم عليه السلام لتنفي عنه ما ينسبه إليه أهل الكتاب من كونه يهودياً ولا نصرانياً، وتقرر أنَّه كان حنيفاً مسلماً خاضعاً لله تعالى، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧]، ثمَّ عادت الآيات بعد طول الحجاج لإعلان حقيقة أنَّ الدين ليس إلا الإسلام، وكلُّ ما سواه مردود، وأصحابه من الخاسرين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥](٢).

المحور الثاني: إثبات النُّبوَّة:

بعد أن أثبتت الآيات الأصل الأول من أصول العقائد، وهو وتوحيد الله تعالى انتقلت إلى إثبات الأصل الثاني من أصول العقائد، وهو نبوة سيدنا محمد ﷺ، وإقامة الحجَّة على أهل الكتاب، من خلال عدَّة أمور:

---

(١) انظر: تفسير المنار، (٤/٧-١٠).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (٨/٢٨٢).

١. إبطال ادِّعائهم اتِّباع ملَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام: ابتدأ ﷺ محاجاة أهل الكتاب بالبناء على اشتركوا فيه من الإقرار بالصانع واستحقاقه للعبادة، فبدا وكأنَّه قال لهم: أنا متمسك بهذا القدر المتفقين عليه، والخُلفُ فيما وراءه، وعلى المدَّعي الإثبات، ثمَّ أضاف لهم ما يثبت نبوته ﷺ بإخبارهم أنَّه متَّبع ملَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي تعظِّمونه، وتدَّعون أنَّكم على دينه، وتقرّون أنَّه كان محقاً في دعوته، وأنا متمسك بطريق من هو عندكم محقٌّ فعليكم اتِّباعي، فإنِّي قد أُمرت أن أتابع دعوته، فيكون هذا من باب الإلزام عليهم، قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۖ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٩٥].

فإنِّ استمروا في النزاع فقل: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٢٠] فهذا تمام الوفاء بلزوم الربوبية والعبودية، فصح أنَّ الدين الكامل الإسلام لا غير(١).

٢. إبطال ادِّعائهم أنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يهودياً أو نصرانياً: فبعد أن أثبت سيدنا محمد ﷺ أنَّه متَّبع لملَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام الحنيفية، ناسب أن يأتي الأمر الإلهي باتِّباع سيدنا محمد ﷺ، وقرن محبته باتِّباعه ﷺ؛ لأنَّ ما جاء به مماثل لما جاء به سيدنا إبراهيم عليه السلام.

ثمَّ عاد السياق لبيان مكانة رُسل الله تعالى الذين سبقوا سيدنا محمد ﷺ بالاصطفاء والنُّبوة(٢)، وقد كان منهم سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي اصطفاه لخلَّته، ورفع من قَدْرِه حتَّى أصبحت جميع الملل تعظِّمه وتفتخر بالانتساب إليه، من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١-٣٤]، وذلك تمهيداً للعودة مرَّة أخرى إلى محاجاة أهل الكتاب الذين يرفضون اتِّباع ملَّة سيدنا محمد ﷺ لزعمهم التَّمسك بملَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام، والانتساب إليه، فجاءت الآيات تبطل مزاعمهم، وتردُّ أقوال اليهود في أنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يهودياً، وأقوال النَّصارى في أنَّه كان نصرانياً، وتبيّن حقيقة ما كان عليه من التَّوحيد، وتؤكّد أنَّ أولى النَّاس به هم: المتَّبعون لهديه، والسائرون على نهجه، وسيدنا محمد ﷺ، والمؤمنون، وأنَّ غاية أهل الكتاب من هذا الادِّعاء هو إضلال المسلمين عن دينهم(٣). قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (١٧٤/٧).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (١٩٨/٨).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، (٤٠٩/١).

نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨﴾ [آل عمران:٦٥-٦٨].

٣. تذكيرهم بالميثاق المأخوذ عليهم: بعد أن أقامت الآيات السابقة الحجَّة على أهل الكتاب الذين يزعمون أنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام كان يهودياً أو نصرانياً، انتقلت الآيات لتقيم حجَّة أخرى عليهم في إنكارهم نبوَّة سيدنا محمد ﷺ ودينه، وذلك من خلال تذكيرهم بالميثاق -المذكور في كتبهم- الذي أخذه الله تعالى على أنبيائه بالإيمان بسيدنا محمد ﷺ، والتَّصديق بما جاء به، ونصرته، وإقرارهم على ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ٨٢﴾ [آل عمران:٨١-٨٢][(١)].

وبعد أن ذكرت الآيات أنَّ الله تعالى أخذ الميثاق على جميع الأنبياء أن يؤمنوا ويصدِّقوا بكلِّ من أتى بعدهم من الرُّسل، جاءت هذه الآيات لتبيِّن أنَّ الله تعالى قد أخذ الميثاق على سيدنا محمد ﷺ بأن يؤمن بكلِّ من أتى قبله من الرُّسل، ولم يأخذ عليه الميثاق لمن يأتي بعده من الرُّسل، فدلَّت هذه الآية على أنَّ سيدنا محمد ﷺ خاتم النبيين، ولا نبي بعده البتة[(٢)]، كما دلَّت هذه الآيات بمجموعها على وحدة الرِّسالة التي جاء بها رُسُلُ الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:٨٤].

٤. إبطال ادِّعائهم أنَّ لحوم الإبل وألبانها كانت محرَّمة على إبراهيم عليه السلام: نزل قوله تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلّٗا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران:٩٣] في كشف محاجاة اليهود للنَّبيِّ ﷺ حين قالوا له: لو كنت على ملَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام كما تدَّعي فكيف تأكل لحوم الإبل وألبانها وهي محرَّمة في دينه، فقال النبي ﷺ: إنَّ ذلك كان حلالاً لإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام، حتى حرَّمه يعقوب على نفسه، وبقيت تلك الحرمة في أولاده، فأنكر اليهود ذلك، فطلب منهم الرسول ﷺ إحضار التَّوراة ليقدِّموا الدليل على أنَّ لحوم الإبل وألبانها كانت محرَّمة على إبراهيم عليه السلام فعجزوا عن ذلك[(٣)].

---

(١) انظر: البحر المحيط، (٢٣٥/٣).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٨١/٨).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٩١/٨).

ومناسبة هذه الآية لما قبلها واضحة، فبعد أن بيَّنت الآيات السابقة أنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، وإنَّما كان حنيفاً، جاءت هذه الآيات لتقيم الحجَّة على اليهود أنَّ دينهم ليس من الحنفية في شيء، فإنَّ تحريمهم لبعض الأطعمة لم يكن موجوداً في دين سيدنا إبراهيم عليه السلام الحنيف(١).

٥. إبطال ادِّعائهم أنَّ قبلة سيدنا إبراهيم عليه السلام وذرِّيَّته كانت باتِّجاه بيت المقدس: بعد أن بيَّنت الآيات أنَّ دين اليهود ليس من الحنفية في شيء، وإنَّما قالوا ما قالوه للطَّعن في نبوَّة سيدنا محمد ﷺ بعدما بُعِثَ من العرب ولم يُبعث منهم، انتقلت الآيات لعرض شبهة جديدة قاموا بافتعالها للطَّعن في نبوَّته ﷺ، وهي قولهم إنَّ الله تعالى وعد سيدنا إبراهيم عليه السلام أن تكون البركة في ذرِّيَّته ، وجميع الأنبياء من ذرِّيَّته كانوا يعظِّمون بيت المقدس، ويُصلُّون إليه، فكيف تحوِّل اتجاه القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة، وتُعظِّم مكاناً آخر غير الذي عظَّمه الأنبياء من قبلك(٢)؟

فردَّت عليهم الآيات بأنَّ الله تعالى أمر باتِّباع ملَّة إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران:٩٥] وكان من أعظم شعائر دين سيدنا إبراهيم عليه السلام هو الحجُّ، واليهود والنَّصارى لا يحجُّون فبان كذبهم، وبانت أفضلية الكعبة المشرفة(٣). قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ [آل عمران:٩٦-٩٧].

الموضوع الثاني: تقرير العقيدة الإسلاميَّة، وبناء الجماعة المسلمة على أساس تلك العقيدة، ويتضمن عدَّة محاور:

المحور الأول: تحذير الأمَّة الإسلاميَّة من ارتكاب أخطاء أهل الكتاب:

بعد أن عرضت الآيات شبهات أهل الكتاب للطَّعن في عقيدة المسلمين، وكشفت كذبهم، وزيف ادِّعائهم الانتساب لسيدنا إبراهيم عليه السلام واتِّباع ملَّته، انتقلت الآيات إلى تثبيت تلك العقيدة في نفوس المؤمنين من خلال تحذيرهم من طاعة أهل الكتاب، والوقوع في مثل أخطائهم، كيلا يبعدوهم عن دينهم، ودعوتهم للاعتصام بحبل الله تعالى المتين، والبعد عن التَّفرُّق والاختلاف في القرآن الكريم كما اختلفت الأمم السابقة بعدما جاءتهم البينات، كما حذَّرتهم من أعدائهم من أهل الكتاب ومن المنافقين، وبيَّنت لهم أنَّ التقوى سبيل النَّجاة من

(١) انظر: التحرير والتنوير، (٨/٤).
(٢) انظر: تفسير المنار، (٤/٤).
(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٩٤/٨-٢٩٥).

كيدهم، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ﴾ [آل عمران: ١٠٠-١٢٠][(١)].

المحور الثاني: التذكير بمعارك المسلمين:

بعد أن عرضت الآيات شبهات أهل الكتاب، وكان منها في حق سيدنا إبراهيم عليه السلام: شبهة ادِّعائهم أنَّه يهودياً أو نصرانياً، وشبهة تحويل القبلة، وكشفت عن المعارك الفكرية التي يمارسها أعداء الإسلام لزعزعة المسلمين في عقيدتهم، وحذَّرتهم من مكائدهم، ومكائد المنافقين، وأمرتهم بالصَّبر والتَّقوى، انتقلت الآيات للتَّذكير بالمعركة الحقيقية التي خاضها المسلمون ضد أعداء الإسلام، وهي معركة أُحُد، والاختبار الذي حصل فيها؛ للتمييز بين المسلمين راسخي العقيدة والمنافقين. من قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ غَدَوۡتَ مِنۡ أَهۡلِكَ تُبَوِّئُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلۡقِتَالِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٢١-١٨٩][(٢)].

المحور الثالث: الدعوة إلى التَّفكر:

بعد استغراق الآيات السابقة في تقرير الأحكام والردِّ على شبهات أعداء الإسلام الذي يحاربونه مادياً وفكرياً،

تختتم آيات السورة بما يُنير الفكر والقلب من خلال عرض دلائل التَّوحيد والكبرياء والجلال، ودعوة المسلمين إلى التَّفكر بها حتى ترسخ عقيدة التَّوحيد في نفوسهم، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٩٠-٢٠٠] [(٣)].

ثامناً: التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع المقصد الرئيس لسورة آل عمران:

إنَّ مقصد سورة آل عمران: بين معركة النفوس ومعركة السيوف ترسخ عقيدة التَّوحيد في القلوب، والحلقات الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متناسبة مع المقصد، فقد اشتملت على هزيمة أهل الكتاب في معاركهم

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، (٤٩٢/١).

(٢) انظر: البحر المحيط، (٣٢٦/٣)، والتفسير الموضوعي لسور القرآن، (٥٠٧/١).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (٤٥٨/٩).

ومحاولاتهم المتعدِّدة لجَعلِ سيدنا إبراهيم عليه السلام منهم، وجَعلِ أنفسهم ورثته، ثمَّ برَّأته عليه السلام من الانحرافات التي نسبوها إليه، وقرَّرت أنَّ ملَّته هي الإسلام لله وحده، وعدم الإشراك به، وألَّا أحد يستطيع أن يدَّعي أنَّه على ملَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد بعثة المصطفى ﷺ دون أن يكون مؤمناً به(١).

ونستنتج أنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة آل عمران كانت متناسبة مع جميع مقاطع السورة، وساهمت هذه الحلقة مع بقية موضوعات السورة بالتوصل إلى مقصد السورة.

المطلب الثالث: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الحجِّ.

أولاً– بين يدي السورة:

سورة الحجِّ هي السورة الخامسة والمئة في ترتيب نزول سور القرآن الكريم(٢)، وهي من السور التي وردت تسميتها في زمن النَّبيِّ ﷺ، وليس لها اسم آخر، فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه(٣) قال: قُلْتُ: "يَا رَسُولَ اللهِ، فُضِّلَتْ سُورَةُ الحَجِّ بِأَنَّ فِيهَا سَجْدَتَيْنِ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ لَمْ يَسْجُدْهُمَا فَلاَ يَقْرَأْهُمَا"(٤). وإنَّما سمِّيت بذلك لأنَّها تضمَّنت كيف أمر الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام بدعوة النَّاس إلى حجِّ البيت بعد بنائه، وما شَرَعَ للنَّاس من نُسُك فيها، وبيان ما في الحجِّ من فضائل ومنافع، وتقريعاً بالذين يصدُّون النَّاس عن المسجد الحرام، وإن كان نزولها قبل أن يفرض الحجُّ على المسلمين(٥).

وهذه السورة تُعَدُّ من أعاجيب السور، وقد وصفها الجمهور بالمختلطة؛ لاشتمالها على آيات مكِّية وآيات مدنية، وآيات نزلت في سفر وآيات نزلت في حضر، وآيات نزلت في حرب وآيات نزلت في سِلْمٍ، وآيات نزلت ليلاً وآيات نزلت نهاراً(٦)، وقد صنَّفناها ضمن السور المدنية لما ورد من نزولها بعد سورة النُّور وقبل سورة "المنافقون"(٧)، وهما مدنيتان، ولاشتمالها على عدَّة تشريعات، كأحكام الحجِّ والهَدي، والإذن بالقتال، والأمر

---

(١) انظر: التفسير الحديث، (١٦٧/٧).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (١٨٣/١٧).

(٣) عقبة بن عامر بن نابئ بن زيد بن حرام بن كعب بن سلمة الأنصاري، شهد العقبة الأولى، وشهد المشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وشهد يوم اليمامة، وقُتِلَ يومئذ شهيداً سنة اثنتي عشرة في خلافة أبي بكر الصديق رحمة الله عليه. انظر: الطبقات الكبرى، (٤٢٨/٣)، والإصابة في تمييز الصحابة، (٤٣٠/٤).

(٤) سنن الترمذي، أبواب السفر، باب في السجدة في الحج، (٧١٩/١)، (٥٧٨)، وقال عنه: هذا حديث ليس إسناده بذاك القويّ.

(٥) انظر: التحرير والتنوير، (١٧٩/١٧).

(٦) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١/١٢).

(٧) انظر: الإتقان، (١٩٤/١).

بالجهاد، وهذا لم يتم إلا بالمدنية[١]، واستثنى منها ابن عباس رضي الله عنهما أربع آيات نزلت بمكَّة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٖ ٥٥﴾ [الحج:٥٢-٥٥][٢].

ثانياً- تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الحجّ مع زمن نزولها:

نزلت سورة الحجّ بعد سورة النُّور، ونزلت سورة النُّور بعد سورة الحشر، وكان نزول سورة الحشر فيما بين صلح الحديبية وغزوة تبوك، فيكون نزول سورة الحجّ في الفترة ما بين السنة السادسة والتاسعة للهجرة.

وفي تلك الفترة "كَانَ مُشْرِكُو أَهْلِ مَكَّةَ يُؤْذُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَلَا يَزَالُونَ يَجِيئُونَ مِنْ بين مضروب ومجشوح، فَشَكَوْهُمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ لَهُمْ: اصْبِرُوا فإِنِّي لم أؤمر بِالْقِتَالِ حَتَّى هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ"[٣] فأنزل الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩]، وأباح لهم القتال لإزاحة الباطل، وإقامة شعائر الله تعالى. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج:٤١].

وبعد الهجرة، وانتشار الدَّعوة الإسلاميَّة في المدينة أخذ الأعراب يَقْدِمون على النَّبيّ ﷺ مهاجرين من بواديهم، فإن وجدوا في الإسلام رغد العيش ثَبَتُوا عليه، وإن أصابهم ضيق في العيش عادوا إلى الكفر[٤]. قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج:١١]. وروي في سبب نزول هذه الآية، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كَانَ الرَّجُلُ يَقْدَمُ المدِينَةَ فَيُسْلِم، فَإِنْ وَلَدَتِ امْرَأَتُهُ غُلامًا، وَنُتِجَتْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينٌ صَالِحٌ، وَإِنْ لَمْ تَلِدِ امْرَأَتُهُ وَلَدَاً ذَكَرَاً وَلَمْ تُنْتَجْ خَيْلُهُ، قَالَ: هَذَا دِينُ سُوءٍ"[٥].

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، (٧٦/٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١/١٢).

(٣) أسباب النزول، (ص: ٣٠٩).

(٤) انظر: جامع البيان، (٥٧٥/١٨).

(٥) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب ومن النَّاس من يعبد الله على حرف، (٩٨/٦)، (٤٧٤٢)، ولباب النقول، (ص: ١٣٤).

وبالرغم من اختيار النَّبيّ ﷺ موطناً جديداً لنشر دعوته بعيداً عن قريش، إلَّا أنَّ مشركي قريش لم يدعوه وشأنه، وأصرُّوا على إيذائه وإيذاء أصحابه رضي الله عنهم مستخدمين شتَّى الطُّرق لمنع دعوتهم من الانتشار، فقاموا بصدِّهم عن المسجد الحرام منذ هجرتهم، واستمروا على تلك الحال حتَّى رأى رسول الله ﷺ وهو في المدينة مناماً أنَّه قد دخل المسجد الحرام مع أصحابه واعتمروا، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، وظنُّوا أنَّهم داخلوا مكَّة عامهم ذلك، فتجهزوا للسفر لمكَّة وأداء العمرة(١).

فلمَّا سمعت قريش بخروج النَّبيّ ﷺ مع المسلمين لأداء العمرة قرَّرت أن تصدَّهم عن البيت، وتمنعهم من دخول المسجد الحرام لأداء شعيرة الحجّ، فناسب أن تنزل آيات من سورة الحجّ لتنذرهم وتذكِّرهم بالأساس الذي من أجله بُنِيَ هذا البيت حينما أمر الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يقيمه على التَّوحيد، وأن يطهِّره من الشرك، وأن يؤذِّن في النَّاس جميعاً بالحجّ إليه(٢).

فإذاً سورة الحج بما تضمَّنته من آيات قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كانت متوافقة مع طبيعة المرحلة التي نزلت فيها.

ثالثاً– مقاطع سورة الحج، ومقصدها الرئيس:

افتُتِحت سورة الحج بالأمر بالتَّقوى وبإنذار النَّاس من يوم القيامة وأهوالها، وتقديم دلائل على قدرة الله تعالى على بعثهم من جديد للحساب والجزاء، وذمّ الكافرين، والتَّنويه بالمؤمنين، وعرض مشاهد من عذاب ونعيم يوم القيامة، وتوبيخ الكافرين الذين يصدُّون عن المسجد الحرام، وبيان صلة سيدنا إبراهيم عليه السلام بالكعبة والحجّ، وتفصيل مناسكها، والإذن للمؤمنين بقتال الكافرين، وتثبيت قلب النَّبيّ ﷺ تجاه ما يلقاه من عناد الكافرين، وزفّ البشرى للمهاجرين بتحقيق نصر الله تعالى لهم في الدُّنيا والآخرة، وتذكيرهم بدلائل عظمة الله تعالى ووحدانيَّته، لتُخْتَتَم السورة ببيان المكانة العظيمة التي خصَّ الله تعالى بها المسلمين من اتّباعهم لملَّة أبيهم إبراهيم عليه السلام، وما أكرمهم به من جَعْلِهم شهداء على النَّاس(٣).

إذاً نستطيع من خلال العرض السريع للموضوعات التي تناولتها السورة أن نقسمها إلى أربعة مقاطع، وهي:

المقطع الأول: إثبات البعث، والجزاء يوم القيامة. من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الحج:١-٢٤].

المقطع الثاني: أحكام تشريعية. من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ إلى قوله

---

(١) انظر: الرحيق المختوم، (ص: ٣٠٨).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٢٤١٧/٤).

(٣) انظر: التفسير الحديث، (٧/٦).

تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج:٢٥-٤١].

المقطع الثالث: تسلية النَّبيّ من خلال عرض مصارع المكذِّبين، ووعد الله تعالى بنصرة المؤمنين. من قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج:٤٢-٦٠].

المقطع الرَّابع: دلائل التوحيد. من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٦١-٧٨].

ومن خلال دراسة مقاطع السورة يمكننا أن نحدد المقصد الرئيس لسورة الحج هو: ترسيخ أصول العقائد التي توجِّه المسلم لحماية شعائر الله تعالى والالتزام بأحكام شريعته، والتي يقع على رأسها الجهاد في سبيل الله تعالى لتخليصها من تسلُّط الكفر والوثنية.

رابعاً- التناسب بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الحجّ:

قال تعالى ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحج:٢٦-٢٩].

افتُتِحت الحلقة الواردة من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في سورة الحجّ بخطاب فيه تقريع وتوبيخ لمشركي قريش الذين أشركوا مع الله تعالى آلهة أخرى في البقعة التي أُسِّست من أوَّل يوم على توحيد الله تعالى[1]، وطُلِبَ من النَّبيّ ﷺ بأن يذكر لهم كيف أرشد الله تعالى إبراهيم عليه السلام وألهمه مكان البيت الذي بناه مرجعاً يرجع النَّاس إليه

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، (١٥٢/٣).

للعمارة والعبادة[١]، ويرجع سيدنا إبراهيم عليه السلام إليه بأن يكون بقلبه موحِّداً لله تعالى، وبقالبه مطهِّراً البيت من الأوثان والأقذار للقادمين إليه من خارج مكَّة، والمقيمين من أهلها، والمصلّين فيه[٢]. قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦].

فلمَّا انتهى سيدنا إبراهيم عليه السلام من بناء البيت أمره الله تعالى بأن ينادي النَّاس لحجِّ البيت، فقال إبراهيم عليه السلام وما يبلغ صوتي؟ فقال: عليك الأذان وعلينا البلاغ، فأتاه النَّاس من كلِّ طريق بعيد إمَّا مشاة على أرجلهم، أو ركباناً على بعير هزيل قد أتعبها وأنهكها بُعْدُ المسافة وطول الطريق[٣]. قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج:٢٧].

وبعد أن شرَّع الله تعالى الحجَّ ذَكَرَ الحكمة منه. قال تعالى: ﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ﴾ ليحضروا منافع كثيرة لهم دينية ودنيوية، وقد "نُكِّرَ المنافع لأنه أراد منافع مختصة بهذه العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات، وكنَّى عن النَّحر والذبح بذكر اسم الله تعالى؛ لأنَّ أهل الإسلام لا ينفكُّون عن ذكر اسمه إذا نحروا أو ذبحوا. وفيه تنبيه على أنَّ الغرض الأصلي فيما يتقرَّب به إلى الله أن يذكر اسمه"[٤]، ﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ في عشر ذي الحجة، أو أيام التشريق ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾ فيجوز لكم أيُّها الحجيج أن تأكلوا من بهائم أنعامكم التي ذكرتكم اسم الله تعالى عليها، وأطعموا أيضاً البائس الذي أصابه ضرُّ الجوع والحاجة، والفقير: الذي لا شيء له[٥].

وبعد أن يذبحوا الهَدْي عليهم أن يزيلوا كلَّ قذارة قد لحقت بهم، كقصِّ الشارب، ونتف الإبط، وحلق العانة، ثمَّ يؤدُّوا ما نذروه من هدي وغيره في الحجِّ، ثمَّ يؤدُّوا طواف الإفاضة حول البيت العتيق، وإنَّما سمِّي بالبيت العتيق لأنَّه أوَّل بيت وضع للعبادة، ولأنَّه أُعْتِقَ من الجبابرة الذين سَعَوا لهدمه[٦]. قال تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩].

خامساً– التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع موضوعات سورة الحج:

---

(١) انظر: الكشاف، (١٥٢/٣).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (٢١٩/٢٣).

(٣) انظر: تفسير البغوي، (٣٣٤/٣-٣٣٥).

(٤) الكشاف، (١٥٢/٣-١٥٣).

(٥) انظر: جامع البيان، (٦١٠/١٨-٦١١).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٢١/٢٣-٢٢٢).

الموضوع الأول: إثبات البعث والجزاء يوم القيامة.

بعد أن أثبتت الآيات تحقق البعث يوم القيامة، وردَّت على المجادلين في قدرة الله تعالى، والمنكرين للبعث والنُّشور، وعرضت أحوال أهل السعادة والشقاوة، وما دار بينهم من خصومة، من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [الحج:١-٢٤]. ناسب أن يَذْكُرَ فرقاً جوهرياً بينهم، وهو تجرُّد الكافرين عن تعظيم شعائر الله تعالى، وسعيهم الدؤوب لصدِّ المؤمنين عن المسجد الحرام، ومحافظة المؤمنين على تعظيم شعائر الله تعالى والمسجد الحرام الذي بناه أبوهم إبراهيم عليه السلام، وأمرهم بالحجِّ إليه، ليبين انحراف الكافرين عن الطَّريق والملَّة التي كان عليها سيدنا إبراهيم عليه السلام[١].

الموضوع الثاني: أحكام تشريعية.

لما فرض الله تعالى الحجَّ على المسلمين، وذَكَرَ سعي الكافرين لمنع المسلمين من دخول المسجد الحرام وأداء الحجِّ، ناسب أن يذكِّرهم بأنَّ هذه الشعيرة هي من شعائر سيدنا إبراهيم عليه السلام باني الكعبة، وهو أوَّل من أُمِر بدعوة النَّاس للحجِّ إليها، ولأنَّ مناسك الحجِّ هي مناسك سيدنا إبراهيم عليه السلام، فالهدْي يومئ إلى ما فدى الله تعالى به سيدنا إسماعيل عليه السلام عندما همَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام بذبحه تنفيذاً للرؤيا[٢]. من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الحج: ٢٥-٣٧].

وبعد أن بيَّنت الآيات مناسك الحجِّ التي هي من ملَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام، وما فيها من منافع الدُّنيا والآخرة، وما بذله الكافرون للصدِّ عن دين الله تعالى وعن دخول المؤمنين لمكَّة، ناسب ذِكْرُ تشريع القتال للدفاع عن المقدَّسات والمنع من الصدِّ عن سبيل الله تعالى، وعن مساجده؛ لتمكين المؤمنين من عبادة الله تعالى، وتهيئتهم لتخليص المسجد الحرام من تسلُّط الكفر والوثنية[٣]. من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، (٥/٩٣).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، (٩/٤٩٦٩).

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، (٥/١٠٠).

بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج:٣٨-٤١].

الموضوع الثالث: تسلية النَّبيّ من خلال عرض مصارع المكذِّبين، ووعد الله تعالى بنصرة المؤمنين.

بعد أن بيَّنت الآيات ما أوجبه الله تعالى على المسلمين من حجِّ بيته بإخلاص، وأداء جميع مناسكه بتقوى، كما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام، وما أَذِنَ الله تعالى به للمسلمين من القتال لحماية دينه وشعائره، ودفع أذى أعداء الدَّعوة عنهم، جاءت هذه الآيات لتثبيت النَّبيّ ﷺ وتسليته من خلال تذكيره بسنَّة الله تعالى في الأمم المكذِّبة لرُسُلِها، فبعد أن كُذِّبَ الرُّسل وصبروا على تكذيب أقوامهم له تحقق الوعد الإلهي بنصرة الله تعالى لرُسُلِه، فهَلَكَ الظالمون، ونجا المتَّقون[1]. من قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ﴾ [الحج:٤٢-٦٠].

الموضوع الرَّابع: دلائل التوحيد.

بعد أن عرضت السورة الغاية العظمى التي من أجلها أمر الله تعالى نبيه الكريم سيدنا إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة، وهي إفراده تعالى بالوحدانية، وتطهير البيت من مظاهر الشِّرك، جاءت هذه الآيات لتقدِّم دلائل كونية أخرى على وحدانية الله تعالى، وتتحدَّى المشركين الذين يصدُّون المسلمين عن المسجد الحرام، ويعبدون من دون الله تعالى ما لا دليل على عبادته من سمع أو عقل، وتقيم الحجَّة عليهم بأنَّ الآلهة التي يشركونها مع الله تعالى عاجزة عن خلق أقلِّ الأشياء بل عن ردِّ ما أخذه ذلك الأقلُّ منه[2]. من قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٦١-٧٨].

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٢٤٢٩/٤).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٥١/٢٣)، والبحر المحيط، (٥٢٧/٧).

سادساً– التناسب بين الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع المقصد الرئيس لسورة الحج:

إنَّ المقصد الرئيس لسورة الحجِّ هو: ترسيخ أصول العقائد التي توجِّه المسلم لحماية شعائر الله تعالى والالتزام بأحكام شريعته، والتي يقع على رأسها الجهاد في سبيل الله تعالى لتخليصها من تسلُّط الكفر والوثنية، والحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متناسبة مع مقصد السورة؛ لأنَّ الله تعالى قد أمر سيدنا إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة في أرض الإسلام، ومَهْبِط الوحي؛ لتكون قبلة للموحِّدين، وكلَّفه أن يقيمها على التَّوحيد الخالص له، وأن يطهِّرها من الشرك، ويحرِّرها من الوثنية، وأن يدعو النَّاس للحجِّ إليها، وإقامة شعائر الله تعالى فيها بعدما جرَّدها من مظاهر الكفر(١). ونستنتج أنَّ الحلقة الواردة من قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الحجِّ كانت متناسبة مع جميع مقاطع السورة، وساهمت هذه الحلقة مع بقية موضوعات السورة بالتوصل إلى مقصد السورة.

في ضوء ما سبق يمكن القول:

١. القرآن الكريم على غاية حُسنِ النَّظم والسَّبك في آياته وموضوعاته، فلم توضع آية إلَّا في موضعها الأليق بها، والمتناغم مع موضوعها.
٢. دراسة السورة في ضوء التَّرابط والتناسب بين موضوعاتها يعطي شمولية في الفكر والنَّظر، وتُعين على الفهم الصحيح لمراد الله تعالى من كتابه، وتعظِّم كلام الله في النفوس، وينعكس أثرها على سلوكيات المسلم وتعاملاته.
٣. دراسة التَّناسب بين آيات القرآن الكريم تزيد الإيمان بالقلب، وترسخ عقيدة التَّوحيد.
٤. إنَّ موضوعات السور المكِّية قد شكَّلت فيما بينها وحدة متكاملة ومتماسكة فقد نزلت جميعها لتحقيق مقاصد رئيسية ألا وهي: تقرير الوحدانية لله تعالى، ونفي الولد والشركاء عنه، وتقرير نبوة سيدنا محمد ﷺ، ونفي ما ادَّعوه عليه من الكذب والسحر والجنون، وغيرها، إثبات البعث والحساب والجزاء، والردِّ على منكريه وإقامة الحجَّة عليهم. كما أنَّ موضوعات السور المدنية قد شكَّلت فيما بينها وحدة متكاملة ومتماسكة فقد نزلت جميعها لتحقيق مقاصد رئيسية ألا وهي: إعداد المسلمين لحمل أمانة الخلافة الإسلامية، وتحذيرهم من النُّكول عن حملها، وجدال أهل الكتاب.
٥. نالت شخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام مساحة واسعة في الخطاب القرآني، فقصته من أطول القصص في القرآن الكريم بعد قصة سيدنا موسى عليه السلام، وقد نزلت على سيدنا محمد ﷺ من أوائل العهد المكِّي واستمر نزولها حتَّى أواخر العهد المدني، مما يوحي بأهمِّيتها، وبأنَّ نزولها كان متفقاً مع أحداث الدَّعوة الإسلاميَّة، ومتناسباً

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٤/٢٤٠٧).

مع طبيعة العهد الذي نزلت فيه، ففي السور المكّية نجد فيها مشاهد لحوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، ودعوتهم لتوحيد الله تعالى، وهذه المشاهد قد حملت في طيَّاتها إثباتاً لنُبوَّة سيدنا محمد ﷺ، وردَّاً على مشركي العرب الذين يزعمون أنَّهم على دينه، بينما في السور المدنية نجد فيها مشاهد من قصته تتناسب مع انتقال المسلمين إلى المدينة، وردِّ ادِّعاء اليهود احتكار وراثتهم لسيدنا إبراهيم عليه السلام، والتَّأكيد على أنَّ الوراثة الحقيقية له عليه السلام هي الوراثة الإيمانية، والالتزام بمنهجه التَّوحيدي.

٦. كان القرآن الكريم ينزل على النَّبيِّ ﷺ بما يتفق مع أحوال دعوته، فينقل لنا بعضاً من أحداثها، ويعرض جوانب عدَّة من دعوة النَّبيِّ ﷺ، ويطوي عنه مشقة الطريق، ويردُّ على ادِّعاءات الكافرين وأكاذيبهم. فكان التدرج في نزوله بما يلائم حاله إحدى المعجزات الدَّالة على أنَّ القرآن الكريم كلام الله تعالى، وليس من كلام النَّبيِّ ﷺ، وأنَّ سيدنا محمد ﷺ هو النَّبيُّ الموحَى إليه من ربه.

٧. كثيراً ما كانت تنزل قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام لتقيم الحجَّة على أهل الكتاب ومشركي العرب وعلى أهل الكتاب الذين يدَّعون أنَّهم على دين سيدنا إبراهيم عليه السلام.

٨. في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام تأكيد أنَّ ما جاء به النبي ﷺ هو عين ما جاء به أبو الأنبياء عليه السلام من الدَّعوة إلى توحيد الله عزَّ وجلَّ، وفيها إقامة الحجَّة على من يدَّعون أنَّهم على دين سيدنا إبراهيم عليه السلام.

٩. أوَّل سورة ذَكَرَت جانباً من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام هي سورة مريم، وخصَّت دعوته لأبيه لعبادة الله تعالى، وترك عبادة الأصنام.

١٠. ذُكِرَت دعوة سيدنا إبراهيم إلى توحيد الله تعالى في سورة مريم والشعراء والأنعام والصافات والزخرف والأنبياء والعنكبوت والبقرة.

١١. ذُكِرَ تحطيم سيدنا إبراهيم عليه السلام للأصنام في سورة الأنبياء والصافات.

١٢. ذُكِرَ إحراق سيدنا إبراهيم عليه السلام في النار في سورة الأنبياء والصافات والعنكبوت.

١٣. ذُكِرَ حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع الملائكة، وبشارتهم له بالولد في سورة هود والحجر والذاريات.

١٤. ذُكِرَ دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام للبيت في سورة إبراهيم، وذُكِرَ بناؤه للكعبة وتطهيرها من الشرك في سورتي البقرة والحج، وذُكِرَ دعوته للنَّاس إلى حجِّ بيت الله في سورة الحجِّ.

١٥. ذُكِرَ استغفار سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه في سورة مريم – الشعراء – إبراهيم – الممتحنة – التوبة.

١٦. كان جزاء اعتزال سيدنا إبراهيم عليه السلام أن جعل الله تعالى كلمة التَّوحيد والنبوة في ذرِّيَّته، وقد ذُكر ذلك سورة مريم – هود – الزخرف – الأنبياء – العنكبوت – البقرة.

١٧. سيدنا إبراهيم عليه السلام كان أوَّل مهاجر في سبيل الله تعالى، وقد ذُكِرَت هجرته في سورة مريم – الشعراء – الصافات – الأنبياء – العنكبوت.

١٨. سورة العنكبوت هي السورة الوحيدة التي جمعت التبشير والإنذار في آية واحدة.

١٩. لم تذكر سورة آل عمران مشاهد من قصته، وإنَّما تحدثت عن حقيقة الانتساب إليه، وحقيقة الدِّين الذي جاء فيه.

٢٠. انفردت سورة الأنعام بذكر قصة عَبَدَة الكواكب، وحجاجه لهم.

٢١. انفردت سورة الصافات بذكر قصة ذبح سيدنا إسماعيل عليه السلام.

٢٢. انفردت سورة البقرة بذكر حجاج سيدنا إبراهيم عليه السلام للمَلِكِ الظَّالم.

٢٣. انفردت سورة البقرة بذكر سؤال سيدنا إبراهيم عليه السلام ربَّه أن يُريه كيفية إحيائه للموتى.

٢٤. جميع حلقات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام كانت متناسبة مع جميع مقاطع السورة، وساهمت هذه الحلقات مع بقية موضوعات السورة بالتوصل إلى مقصد السورة.

الفصل الثاني:

تكامل قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم.

المبحث الأوَّل: التكامل بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام الداعية إلى التوحيد وإثباته.

المبحث الثاني: التكامل بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام المثبتة لوحدة رسالة الأنبياء.

المبحث الثالث: التكامل بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام المثبتة للبعث.

المبحث الرابع: تكامل قصة حياة نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم.

التمهيد:

ما من حرف ولا كلمة في القرآن الكريم إلا ووضعت في موضعها الذي يحقق الفائدة من ذكرها، ثمَّ إنَّ العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل إلى أكثرها، وما أوتي البشر من العلم إلا قليلاً، وقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام كغيرها من القصص القرآني قد تكررت في عدَّة مواضع في القرآن المكّي والمدني، وذُكرت مفصلة في مواطن منها، وموجزة في مواطن أخرى؛ لبيان شرف مكانته، وعظيم شأنه عند الله تعالى، وذكرت إشارات له في عدَّة سور، وذلك للثناء عليه، والأمر باتباع ملَّته عليه السلام، وبالرغم من تكرارها في عدَّة مواضع في القرآن الكريم إلا أنَّها في كلِّ موضع كانت تسلِّط الضوء على جانب مناسب للسياق الذي وردت فيه، وبما يحقق المقصد المراد من ذكر تلك القصة، فتارةً تُعرض من أولها، وتارةً من وسطها، وتارةً من آخرها، وتارةً تُعرض كاملة، وتارةً تُعرض بعض حلقاتها، وذلك بحسب الغاية من ذكرها، وعند النَّظر في تلك المواضع يظهر لنا هذا التَّنوع والإعجاز والاتِّساق للقصة في السورة التي وردت فيها، وإذا وسَّعنا نظرنا، وقمنا بجمع جميع جوانب القصة أدركنا اتِّساقها وانسجامها وتكامل حلقاتها فيما بينها، وتشكَّلت لدينا صورة متكاملة عن تلك القصة، وبدت لنا وكأنَّها أشبه بعِقدِ اللؤلؤ المرصوص الذي لا انفكاك بين حباته، فضلاً عن جماله، وأيقنَّا بإعجاز القرآن الكريم، وبأنَّ هذا الإتقان لابد أن يكون إلهي المصدر.

وعند النَّظر في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام بتلك النظرة التكاملية ندرك أنَّه من الأنبياء الذين طال ذِكْرُهم في القرآن الكريم، وأنَّ قصته قد شغلت حيزاً واسعاً من القرآن الكريم، عليه السلام، فقد نزلت قصته على سيدنا محمد ﷺ من أوائل العهد المكّي واستمر نزولها حتى أواخر العهد المدني، مما يوحي بأهمِّيتها، وبأنَّ نزولها إنَّما كان لترسخ أصول العقائد الثلاث، ألا وهي: توحيد الله تعالى، وإثبات النُّبوَّة ووحدة رسالات الانبياء، وإثبات البعث والحساب، وسنقوم في هذا الفصل بدراسة وتتبع قصته، وتقسيمها حسب تلك العقائد، وبيان لبعض حِكَمِ توزيعها بتلك الطريقة، وعلاقة كلِّ مشهد بالآخر، ودراسة مدى التكامل بين آيات كلِّ موضوع، ثمَّ دراسة مدى تكامل وترابط جميع أجزاء القصة مع بعضها البعض.

المبحث الأول: التكامل بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام الداعية إلى التوحيد وإثباته.

إنَّ من عظيم ما امتن الله تعالى به على عباده أن أرسل إليهم رُسُلاً من أنفسهم؛ لتدلهُّم على طريق الخير، وتحذرهم من سبيل الشر، وكان من أجلِّ ما جاءت به الرُّسل لأقوامهم دعوتهم إلى توحيد الله تعالى، وترك دين الآباء والأجداد، وقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام إمام الموحدين؛ لأنَّه بذل حياته كلَّها في سبيل تبليغ تلك الدعوة، ونجح

في جميع الابتلاءات، واختار الله تعالى في كلِّ موقف، فلا عجب أنَّ دعوته إلى توحيد الله تعالى قد شغلت جانباً كبيراً في القرآن الكريم، وأصبح قدوة لجميع الدعاة من بعده، لذا فقد "أمرنا الله باتباع ملَّة إبراهيم، ومِنَ اتباع ملَّته سلوك طريقه في الدعوة إلى الله تعالى، بطريق العلم والحكمة واللين والسهولة، والانتقال من مرتبة إلى مرتبة والصبر على ذلك، وعدم السآمة منه، والصبر على ما ينال الداعي من أذى الخَلقِ بالقول والفعل، ومقابلة ذلك بالصفح والعفو، بل بالإحسان القولي والفعلي"(١).

وعند تتبُّع مواضع دعوته واستقرائها نخلص إلى وجود علاقة متينة بينها، فقد اتَّفقت جميعها في المقصد الأساسي من ذكرها، وهو الدعوة إلى توحيد الله تعالى، ونبذ الشركاء والأنداد، ثمَّ إنَّها في كلِّ سورة تَعرِض أسلوباً جديداً من أساليب دعوته؛ ليعلم الدعاة كيف يختارون الأسلوب المفحم لحجة الخصم، وبهذا تتكامل الآيات، وتتعاظم العبر، وتنتفي شبهة التكرار غير المجدي.

وفيما يلي عرض لمنهج دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام إلى توحيد الله تعالى، ومدى التكامل بينهم:

١. التفكر الموصل لليقين:

لم يجعل الله تعالى طريق الوصول إليه معتمداً على التقليد الأعمى، بل جعل العلم أساساً للتوحيد، وجعل للعالِم أفضلية على العابد؛ لأنَّ عبادته نابعة عن علم وبصيرة وتفكُّر ويقين بفاطر السماوات والأرض، ومِن ثمَّ فإنَّ العلم زاد الدَّاعي، فلا يستطيع المؤمن مهما بلغ خشوعه لله تعالى أن يدعو الناس إلى توحيد الله تعالى ما دام وعاء عقله فارغاً، لذا أعطى الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام رشده وأكمل عقله منذ نعومة أظفاره، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥١]، فخاض رحلة عقلية بدأها منذ وعى نفسه، وتنقَّل في التَّفكر في ملكوت السماوات والأرض، متدرجاً في الاستدلال والمعرفة في منازل يعلو بعضها بعضاً حتَّى بلغ درجة اليقين(٢)، واليقين: "علم يحصل بعد زوال الشبهة بسبب التَّأمل"(٣)، وقد بدا ذلك واضحاً في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:٧٥].

٢. العلم والحنكة:

وقد زوَّده الله تعالى بالعلم الذي يمكِّنه من حمل الرسالة، والقيام بأعباء التكليف، فنهض يدعو والده إلى الإسلام

(١) تيسير الكريم الرحمن، عبد الرحمن السعدي، (ص: ٤٩٤).
(٢) انظر: إبراهيم خليل الله، (ص: ١٤٩-١٥٠).
(٣) مفاتيح الغيب، (٣٧/١٣).

عن طريق العلم، فقال له: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾ [مريم:٤٣][(١)].

وتوَّجَهُ بالحنكة التي انعكس نورها في كثير من مراحل دعوته، فعندما سألوه عمَّا إذا كان هو المحطِّم لآلهتهم، أجابهم إجابة مليئة بالحنكة والمهارة في إقامة الحجة عليهم، فقال: ﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٣].

وبهذه الحنكة استطاع أن يوصل رسالته لقومه، فأصاب عُمق قلوبهم، وهزَّهم بكلماته الصَّادقة، وكشف شبهاتهم عندما طلب منهم أن يسألوا أصنامهم إن كانت تستطيع النطق لتجيبكم، فهم يعلمون في قرارة أنفسهم عجزها عن النطق فكيف لهم أن يعبدوها ويجعلوها آلهة؟![(٢)]

ثمَّ إنَّه بحنكته استطاع أن يأخذ منهم إقراراً بعجز آلهتهم عن النطق، واتِّصافها بالنَّقص الذي يتنافى مع تأليههم لها، واستطاع أن يحصل منهم على اعتراف بخطئهم وظُلمهم، قال تعالى: ﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥﴾ [الأنبياء:٦٤-٦٥]، فأصبح في موضع القاضي بعد أن كان في قفص الاتِّهام، وأصدر حُكمه عليهم، قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٧﴾ [الأنبياء:٦٦-٦٧][(٣)].

وتبرز حنكته عندما اختار لحجاجه مع المَلِكِ الظالم تقديم معجزة الإحياء والإماتة، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨]؛ لأنَّ هذه المعجزة تدُّل بظاهرها على وجود إله خالق لهذا الكون، فلا حياة بدون محيي، ولا موت من دون مميت، وهذا هو الربُّ الذي كان يدعو إلى عبادته وتوحيده[(٤)].

٣. الحلم والإنابة:

كما جمَّله الله تعالى بأخلاق جليلة لا يمكن لأيِّ سائر في طريق الدعوة إلى تعالى أن ينجح بدونها، منها: الحلم والإنابة، وقد برزت هاتين الخصلتين في جميع مراحل سيرته، فقد ظهر حلمه:

---

(١) انظر: قصة إبراهيم في القرآن الكريم، إسحاق محمد حمدان البدارين، رسالة ماجستير، (ص: ١٦٨).

(٢) انظر: قصة إبراهيم في القرآن، (ص: ١٩١).

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، (٢٦٧/٥).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (٦٨٦/١).

أ- عندما قام أبوه بتهديده بالقتل، وأمره بالهجران، فقابل تلك الغلظة والشدَّة من أبيه باللطف واللين، فقال له: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾ [مريم:٤٧]، فلم يتعجل ويردَّ الإساءة بمثلها، بل صبر على أذى والده، وقابل إساءته بالإحسان، وأظهر له من جانبه السلام والدُّعاء والاستغفار له طوال حياته بالرغم من عدائه الشَّديد له، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة:١١٤].

ب- وحين أبطل عبادة الكواكب بكلِّ هدوء وحلم وتدرج إلى أن أقام الحجة عليهم.

ت- وحين جادل الملك الظالم، وما ذاك إلا لحلمه وشفقته عليه.

ث- حتى عندما حطَّم الأصنام لم تغب عنه تلك الصفة، فهو لم يحطِّمها إلا لوفور شفقته على قومه الذين لا يستجيبون لدعوته، ولما لم يستجيبوا لهم وألقوه في النار لم يغضب ولم يفزع من فعلهم، بل كان حليماً متوجهاً بقلبه إلى الله تعالى.

ج- وكلَّما اشتد عليه البلاء ازداد حلماً، فلمَّا أُمر أن يأخذ زوجه وابنه إلى بلاد الحجاز[١] أناب إلى الله تعالى بالدُّعاء، وصبر على الفراق.

ح- كما أنَّه لم يسأل الله عزَّ وجلَّ تعجيل العقوبة للخارجين عن ملَّته، وإنَّما أوكلهم إلى غفران الله تعالى ورحمته، قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم:٣٦][٢].

خ- وها هو الحليم يستجيب لأمر الله تعالى له بذبح ولده دون غضب أو سخط، وهو صابر ومحتسب وراضٍ بقضاء الله تعالى، فلم يزده البلاء إلا حلماً وإنابة لله تعالى.

د- وحين جادل الملائكة في شأن قوم لوط وعذابهم، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ ٧٥﴾ [هود:٧٤-٧٥] وهذه الآية اشتملت على الثَّناء عليه لكيلا يُظنُّ أنَّه متعاطف مع أعداء الله، وإنَّما جادلهم لشدَّة حلمه في دعوته، وطول اصطباره عليهم لعلَّهم يتوبون ويعودون عن ضلالهم[٣].

---

(١) الحجاز: هو جبل ممتد بين غور تهامة ونجد يمنع أن يختلط أحدهما بالآخر. انظر: معجم البلدان، (٢١٨/٢).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٢١٠٩/٤).

(٣) انظر: القصص القرآني عرض وقائع، (٤٣١/١).

٤. الصبر:

ولأنَّ الدعوة إلى الله تعالى مهمة عظيمة يُجتبى إليها صفوة عباد الله، كان لابد من اختبارات تُلاحق الدعاة بين الحين والآخر أثناء رحلتهم في الدعوة إلى الله تعالى إلى أن يصل الداعي إلى حال لا يرى فيها سوى الله تعالى، ولا يبقى في قلبه أحد إلا الله تعالى، ولا يرغب بثناء أو عطية إلا من الله تعالى، فتصبح حياته كلُّها لله تعالى، وقد كانت حياة سيدنا إبراهيم عليه السلام مليئة بالاختبارات التي نقَّت قلبه وسلَّمته مما سوى الله تعالى، فكان نِعمَ الصابر المحتسب المفوِّض أمره إلى الله تعالى.

أ- فقد صبر على شتم أبيه له، وتهديده له بالقتل، وهجرانه له، قال تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم:٤٦].

ب- وصبر على إحراق قومه له، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ [العنكبوت:٢٤]، ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٦٨]، قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِي ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٩٧].

ت- وصبر على ذبح ولده، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ۝١٠٦﴾ [الصافات:١٠٣-١٠٦].

وقد نفَّذ جميع أوامر ربِّه، وصبر على جميع الابتلاءات حتى استحق شهادة ربِّه له بالوفاء، قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٧]، ونال مرتبة الخُلَّة، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥][(١)].

٥. دوام اتصاله بالله تعالى:

ومع كثرة البلاءات قد يضعف القلب عن مواصلة الطريق المليء بالرَّفض والأذى، الخالي من الخلِّ والصديق المؤنس لوحشة الطريق، لذا كان لابد من أن ينال القلب زاده من الصِّلة بالله تعالى التي تُثبِّته، وتُصبِّر نفسه، وتُعينه على مواصلة طريق الدعوة، وقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام وثيق الاتصال بالله تعالى، مستشعراً وجوده معه في كلِّ موقف، لا سيما في رحلة دعوته لله تعالى، وخصوصاً عندما يتعرض للرَّفض والأذى من قومه، فكانت هذه الأزمات تزيد قربه وتعلُّقه بخالقه، فأصبح مثالاً يحتذى به في موالاة الله تعالى له، ونصره أمام أعدائه، وقد كانت جميع محاوراته لقومه تظهر تلك الصلة المتينة بالله عزَّ وجلَّ، و"العقيدة التي تملأ مشاعره، وتشغل فكره، وتنتقل معه حيث ارتحل، وتحلُّ معه حيث نزل، لا يداهن فيها عظيماً، ولا يجامل فيها قريباً، ولا يستبقي من

(١) انظر: قصة إبراهيم في القرآن الكريم، (ص: ١٧٦).

أجلها ولداً ولا وطناً"[١]، فعندما قابل والده دعوته بالغلظة والشَّتم والتَّهديد بالقتل لم يشأ سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يقابله بمثل غلظته، بل قابله بالسلام والاستغفار؛ لأنَّ قلبه معلَّقٌ بالسلام المتسامح، قال تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ٤٨﴾ [مريم:٤٧-٤٨].

٦. الشجاعة:

ولأنَّ قلبه وثيق الاتصال بالله تعالى فلم يوقفه رفض دعوته من أقرب الناس له، بل قام يدعو قومه بكلِّ يقين وشجاعة، فلم يتردد في مواجهتهم، ولم تزعزعه تهديداتهم، ولم تخيفه كثرتهم، بل وقف أمامهم مدافعاً عن عقيدته، ومتخلياً عن أي مكسب من مكاسب الدنيا، وقد ظهر ذلك عندما:

أ- بادر بفتح حوار جريء معهم يدعوهم من خلاله إلى توحيد الله تعالى، ويبطل عبادتهم لآلهتهم، قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الشعراء:٧٠]، وإبراهيم عليه السلام كان عالماً بأنَّهم يعبدون الأصنام، ولكنَّه أراد من هذا السؤال استنكار واستهجان عبادتهم للأصنام، وعبَّر عنها ب ﴿مَا﴾ التي تستخدم في اللغة لغير العاقل لإثارة انتباههم، فكأنَّه يقول لهم: أتعبدون غير عاقل؟ هل أنتم مجانين؟[٢].

ب- وحين نصر الحق، وهاجم الباطل بتصريحه بضلالهم، قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [الأنبياء:٥٤].

ت- وحين أقسم على كيد أصنامهم، قال تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾ [الأنبياء:٥٧].

ث- وحين جمعوا الحشود ليحاكموه على تحطيم أصنامهم، فتقدَّم وسط هذه الجموع الحاشدة بشجاعة ونفس مطمئنة، غير مبال بتهديدهم ووعيدهم[٣]، قال تعالى: ﴿قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ﴾ [الأنبياء:٦١].

ج- وحين نفَّذوا حكمهم بإلقائه في النار، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ﴾ [العنكبوت:٢٤]، ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٦٨]، قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات:٩٧].

ح- وحين خرج منها، وبقي ثابتاً على موقفه، واتَّخذ قراره بمفارقته لأبيه وقومه ليكمل مهمته في الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾

---

(١) صناعة الحوار، (ص: ١١٨).

(٢) نظر: ملة أبيكم إبراهيم، (ص: ٣١).

(٣) انظر: منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، محمد سرور بن نايف زين العابدين، (ص: ٨٧).

[مريم:٤٨]، ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:٩٩]، ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:٧١]، ﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت:٢٦].

٧. الاستسلام لله تعالى:

ومع كلِّ هذه الابتلاءات لم نرى سيدنا إبراهيم عليه السلام إلا مؤمناً راضياً بقضاء الله تعالى وقدره، ومفوّضاً جميع أموره إليه، فبلغ أعلى درجات الاستسلام لله تعالى، والانقياد لأمره قولاً وفعلاً وعقيدة، فأصبح قلبه سليماً مستقيماً نقياً من الشرك، قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات:٨٤] "فسلَّم ولده للقربان، وجسده للنّيران، وماله للضّيفان، بل وسلَّم روح وقلبه وكيانه للرَّحمن، وجعل صلاته ونسكه ومحياه ومماته لله ربِّ العالمين"(١)، دون أن يراود قلبه خاطرة من خواطر الشكِّ أو الشّرك، فكان من الموقنين في جميع أدوار حياته، فالله أعلمه ما وراء مظاهر الملك، وما وراء مظاهر الأشياء وعواقبها، وقد ظهر ذلك عندما:

أ- أُخِذَ ليطرح في النَّار جاء له جبريل ليقول: ألك حاجة؟ قال سيدنا إبراهيم عليه السلام: أمَّا إليك فلا. وقد قال ذلك ليقينه أنَّ النار وبالرغم من كونها محرقة إلا أنَّ خالقها وموجدها يستطيع ألَّا يجعلها كذلك، ولذلك لم يطفئ الله النار بظاهر الأسباب ولكن جعلها الله لَيّاً لأعناق خصومه، ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩]، وقد كان هذا من الابتلاءات الأولى في حياته.

ب- ثمَّ جاءه الابتلاء الأعظم في أواخر حياته حينما أُمر بذبح ولده، فلم يرد أن يمر ولده بفترة سخط على تصرفه فيحرم من الأجر، فبين له المسألة: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات:١٠٢]، فلمَّا استسلما ورضيا بالقضاء رُفع البلاء، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥﴾ [الصافات: ١٠٣-١٠٥] "ويفدي الله إسماعيل بذبح عظيم، ولا يقتصر الأمر على ذلك بل يرزق الله إبراهيم بولد آخر؛ لأنَّه فهم ملكوت السموات والأرض، وعرف نهاية الأشياء"(٢).

٨. التَّلطف في الدعوة، وحُسن اختيار الألفاظ:

إنَّ هذا اليقين الذي غُرس في سيدنا إبراهيم عليه السلام على مدار السنوات أثمر عن شخصية حكيمة تمتلك ضوابط تميز بين الحقِّ والباطل، ومن هذه الشخصية الرَّاشدة، والصفات الجليلة، والأخلاق الحميدة ننتقل إلى السلوكيات والأساليب الحكيمة في الدعوة إلى الله تعالى، فاللطف أوَّل مفتاح لكسب المدعوين، كما قال تعالى لرسوله

(١) فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم، أحمد البراء الأميري، (ص: ٢٤٥).

(٢) تفسير الشعراوي، (٣٧٤٨/٦).

الكريم: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، فلا يمكن للداعي أن يؤثر في النُّفوس بوجه متجهّم ولسان غليظ، وقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام نموذجاً يحتذى به في اللطف وحُسْنِ انتقاء الكلمات، وقد ظهر ذلك عندما:

أ- دعا سيدنا إبراهيم عليه السلام أباه قام بالتودد إليه وناداه بصفة الأبوة دون اسمه العَلَم.

ب- كما أحسن اختيار اللفظ الذي سيفتتح به حواره مع أبيه وقومه، فعندما ابتدأ سؤالهم عن صفات معبوداتهم توجه أولاً إلى صفة السمع، فقال لهم: ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ [الشعراء:٧٢]؛ لأنَّ السمع تتعلَّق به الإجابة، فكيف يجيب من لا يسمع؟ وقوله: ﴿إِذْ تَدْعُونَ﴾ يشير إلى أنَّ للدُّعاء أحوالاً، فقد يدعو الإنسان بصوت مرتفع، وقد يدعو في سرّه، فكأنَّه أراد أن يقول لهم أنتم تعبدون آلهة عاجزة عن سماع دعواتكم، سواء أدعوتموها في سرِّكم أو جهركم، في حين أنَّ الإله الحق يسمع عباده في جميع الأحوال(١)، وقبل أن يفكروا بإجابة مناسبة للردِّ عليه تابع سؤالهم: ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء:٧٣].

ت- ومرَّة أخرى نجح سيدنا إبراهيم عليه السلام باختيار اللفظ المناسب عندما قال لهم: ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾، ولم يقل: ﴿يضرونكم﴾ ليشير إلى أنَّ تلك الآلهة التي يعبدونها لن تستطيع أن تلحق الضَّرر بأي أحد حتَّى الكافرين بها، والمعاندين لها، فكيف لها أن تدفع الضُّرَّ عنكم؟ وبهذه الألفاظ استطاع نبينا الكريم أن يبهتهم ويجعلهم عاجزين الردِّ عليه، فلو أجابوا بنعم، فسيقول لهم اطلبوا منها الآن أن تلحق الضَّرر بأحد، ولو قالوا لا أعلنوا هزيمتهم في الحوار(٢).

ث- وقد ظهر لطفه مع قومه أيضاً حينما أنكر عليهم عبادتهم لأصنام لا تضرُّ ولا تنفع، فبدأ محاورتهم بصيغة المستفهم العالم، تمهيداً لتخطئتهم بعد أن يسمع جوابهم(٣)، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢].

ج- وأخيراً فقد تلطَّف مع قومه عَبَدَة الكواكب باختياره لفظ ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ ليوحي إليهم رغبته بالتَّدرج معهم، فهو لم يشأ أن يبهتهم بالحقيقة دفعة واحدة، ويقول لهم: لا أعبد الآفلين، بل إنَّ كلمة

---

(١) انظر: ملة أبيكم إبراهيم، (ص: ٣٢).

(٢) انظر: ملة أبيكم إبراهيم، (ص: ٤٤).

(٣) انظر: صناعة الحوار، حمد عبد الله السيف، (ص: ٩٥).

﴿لَآ أُحِبُّ﴾ تتضمن معنى لا أعبد وتزيد في المعنى[١]؛ لأنَّه إن كان لا يحبها فمن المؤكد أنَّه لن يعبدها، فالعبادة محبة، وإذا فُقدت المحبة فلا عبادة[٢].

٩. مجاراة الخصم واستدراجه:

ومع اللطف وحُسْنِ انتقاء الكلمات تابع سيدنا إبراهيم عليه السلام دعوته مستخدماً معهم أسلوب التدرج لكي يدفعهم للتفكير فيما يعبدونه، وقد ظهر ذلك عندما:

أ- أخذ يكشف لهم عيباً في كلِّ معبود يجعله غير مستحق للعبودية، وبهذا الأسلوب ارتقى بهم من معبود لمعبود إلى أن وصل إلى إثبات زيف عبادتهم للكواكب والقمر والشمس، فجميعها متغيرة من حال إلى حال، ومصيرها الزوال، فلا تستحق أن تُعبد، فحقَّق غايته وأوصلهم إلى المعبود الحق، وأعلن براءته من هذه الآلهة، وتوجُهَه لعبادة الله تعالى خالق السماوات والأرض.

ب- كما أنَّه استدرج قومه عَبَدَة الأصنام من خلال سؤالهم عن شيء معلوم لهم، ولكن ينطوي عليه تحقير مبطَّن لشأن المسؤول عنه[٣]، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢].

ت- واستطاع سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يجاري الملِكَ الظَّالم الذي ادَّعى الألوهية، ويتدرج في حجاجه له إلى أن أقام عليه الحجة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨]، فعندما زَعَمَ الملِكُ أنَّ لديه الصِّفات التي تجعله مستحقاً للألوهية، وهي القدرة على الإحياء والإماتة، دَحَضَ سيدنا إبراهيم عليه السلام زعمه وأبطل حجَّته فانتقل به من الحجة الواقعة في الأنفس إلى الحجة الواقعة في الآفاق، فحاجَّه بأعظم الكواكب وهي الشمس، ففي ظاهر الاحتجاج انتقال، وفي مضمونه تقرير للحجَّة الأولى؛ لأنَّ الفاء في قوله ﴿فَإِنَّ﴾ هي الفاء الرابطة بين الكلامين، مما يدلُّ على أنَّ الحجة الثانية إتمام للحجة الأولى[٤]، وكانت الحجة الثانية هي أمر الله تعالى في تدبيره للكون بأن تشرق الشمس من مشرقها، فإن كان إلهاً كما يزعم فليأتِ بالشَّمس من مغربها، فدُهش الملِكُ بالحجَّة الدَّامغة، وأخذته الحيرة، وأحاط به العجز عن النطق بأيِّ ردٍّ.

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، (٤٦٥/٢).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، (٢٥٦١/٥).

(٣) انظر: صناعة الحوار، (ص: ٣٧١).

(٤) انظر: نظم الدرر، (٥١/٤).

١٠. إقناعهم من خلال تشكيكه في معتقداتهم:

وأثناء تدرجه في دعوة قومه عَبَدَة الكواكب طرح عليهم تلك الأسئلة المثيرة التي دفعتهم للشَّك في معبوداتهم، وكشفت لهم الغطاء عن الجانب المظلم مما يعبدون، وعَرَّضَ بقومه أنَّهم ضالون، ليهيِّئهم لما سيصرح به من وجود إلهاً يَعْبُدَهُ غير الكواكب، فلا يحاولوا بعد ذلك إقناعه بموافقتهم على ضلالهم؛ لأنَّه لما انتفى استحقاق الربوبية عن أعظم الكواكب التي عبدوها -وهي الشمس- انتفى عمَّا دونها، ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٰٔفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام:٧٦-٧٨].

وكذلك الحال مع عَبَدَة الأصنام، فقد قام سيدنا إبراهيم عليه السلام بتشكيكهم في معبوداتهم من خلال الاستفهام عن السبب الذي دفعهم لعبادتها، وأراد من هذه الأسئلة إبطال عبادتهم؛ لأنَّ العبادة تقتضي أن يطيع العابِدُ المعبُودَ فيما أمره ونهاه، وهذه الأصنام التي عكفوا على عبادتها بماذا أمرتهم؟ وعن ماذا نهتهم؟ وإذا لم تأمر ولم تنه فمن المؤكد أنَّها لن تحاسب ولن تجازي على الإساءة أو الإحسان[١] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء:٧٠]، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ [الصافات:٨٥].

ثمَّ قام بالاستفهام عن أوصافها؛ ليتحقَّقوا أنَّها لا تضرُّ ولا تنفع، وبالتالي فلا مسوغ لعكوفهم على عبادتها؛ لفقدانها لصفات الألوهية التي توجب العبادة، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢][٢].

وزاد من شكوكهم حينما صرَّح لهم بضلالهم، قال تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء:٥٤]، وقد نجح في ذلك حينما سألوه سؤال التائه المتخبط الذي لا يدري حقيقة دينه إلا ما أملته عليه الأعراف[٣]، فقالوا له: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء:٥٥].

فلمَّا وجه إليهم تلك الأسئلة، ونجح في تشكيكهم، وعَجِزُوا عن الردِّ عليه، أخذ ببيان صفات الآلهة التي يعبدونها، حتَّى تتجرد قلوبهم من تعظيم تلك الآلهة، ويدركوا نقصانها وضعفها، فكيف لهم أن يتوجهوا لعبادة أصنام نحتوها بأيديهم، ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٥-٩٦]، وهي لا تسمع دعاء

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي، (١٠٥٩١/١٧).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، (٤٨٨٢/٩).

(٣) انظر: صناعة الحوار، (ص: ١٠١).

من يدعوها ويبثُّ إليها الشكوى، ولا تبصر من يتقرب إليها، ولا تنفع من يعظمها، ولا تدفع السُّوء عمَّن يستجير بها، ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٤٢]، ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۝٧٢ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ۝٧٣﴾ [الشعراء:٧٢-٧٣]، ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ [الأنبياء:٦٦-٦٧]، ولا ترزق من يفتقر إليها، ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت:١٧]، بل وبلغ منها الحد الذي جعلها عاجزة عن حماية نفسها، أو إخبارهم بمن حطَّمها، ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٣]، فأيُّ فائدة من عبادتها؟!

٤. أسلوب المقابلة:

وقد تكرر هذا الأسلوب كثيراً في القرآن الكريم، فبعد أن بيَّن لهم سوء ما يتبعون أتى ببيان صفات الإله الذي يستحق أن يتوجهوا له بالعبادة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ۝٨٠ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ۝٨١ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ۝٨٢﴾ [الشعراء:٧٨-٨٢]، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝١٩ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۖ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٠ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ۝٢١﴾ [العنكبوت:١٩-٢١][(١)].

١١. الأسلوب العقلي:

ثمَّ ناداهم لإعمال عقولهم، وعدم تركها متحجرة تسودها أوهام زائفة، وذلك من خلال استدلاله بأفول الكواكب والقمر والشمس على عدم استحقاقها للعبادة؛ لأنَّ الربَّ لابد أن يكون دائم المراقبة لتدبير شؤون العباد[(٢)].

كما اتَّبع معهم أسلوب افتراض صحة ما يقوله الخصم؛ والتَّدرج معه ليصل إلى بطلان رأيه بالدَّليل القاطع، "فالأخذ من الأدون فالأدون مترقّياً إلى الأعلى فالأعلى له نوع تأثير في التَّقرير والبيان والتَّأكيد لا يَحصُلُ من غيره، فكان ذِكْرُهُ على هذا الوجه أولى"[(٣)]، فجلس مع هؤلاء الذين يعبدون الكواكب، وربما كانت الجلسة في

---

(١) انظر: جامع البيان، (٣٦٣/١٩).

(٢) انظر: منهجية التدرج في دعوة إبراهيم عليه السلام، د. أمينة محمد، (ص: ٢٧٣-٢٧٤).

(٣) مفاتيح الغيب، (٤٦/١٣).

معبدهم الذي يجتمعون فيه، وأخذ يناظرهم بذكاء وحرص على هداية قومه لتوحيد الله تعالى[١]، ففي قوله أمامهم: ﴿هَـٰذَا رَبِّي﴾ إنصاف لخصمه مع علمه ببطلان رأيه، مع عدم تعصُّبه لمذهبه، فاستحوذ على انتباههم لما سيقوله بعد ذلك، ثمَّ أخذ في إبطاله.

كما دعا قومه عَبَدَة الأصنام لإعمال عقولهم من خلال قوله لهم ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء:٥٦]؛ لأنَّهم قد أقرُّوا أنَّ الآلهة التي يعبدونها لا تَخلُق، وأنَّ خالق جميع المخلوقات والمدَّبر لشؤونها هو الله تعالى وحده، فكيف يليق بهم أن يغطُّوا عقولهم ويعبدوا مخلوقاً مفتقراً إلى مدبِّر، ويتركوا عبادة الخالق المدبِّر؟![٢].

ولما اعترفوا بعجز أصنامهم انتهز سيدنا إبراهيم عليه السلام الفرصة، وقام بتوظيف الموقف توظيفاً عقلياً مقنعاً، فخاطبهم بعد فضح آلهتهم المحطَّمة وسألهم: كيف تعبدون أصناماً ضعيفة وعاجزة عن دفع الضُّرِّ عن نفسها، أما آن لكم أن توقظوا عقولكم وتعترفوا أنَّ الذي عَجِزَ عن جلب النَّفع لنفسه، ودَفْعِ الضُّرِّ عنه لن يستطيع جلب النَّفع لكم، ودفع الضُّرِّ عنكم، فكيف لكم أن تعبدوها بعد أن ثبت عجزها عن ذلك، وتتركوا عبادة القوي القادر على ذلك، ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۝٦٦ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝٦٧﴾ [الأنبياء:٦٦-٦٧].

وما ختمت به الآية إنكار آخر عليهم، وذم آخر لهم، فأمثال هؤلاء لا يؤثر فيهم المنطق العقلي، ولا الحجَّة المنطقية؛ لأنَّهم عطَّلوا عقولهم وشغلوها بكفرهم وضلالهم، لذا عندما أرادوا محاكمته غلبهم بمنطقه الإيماني، وحجَّته العقلية، وانتصر الحقُّ الذي يمثِّله[٣].

١٢. الأسلوب الواقعي العملي:

فلمَّا لم يستجيبوا لدعوته ويُعمِلوا عقولهم، وأصرُّوا على التَّقليد، انتقل بهم من الدَّعوة بالقول إلى الدَّعوة بالفعل؛ ليَشُدَّ أنظارهم إلى الحقيقة، ويجعلَها قريبة محسوسة منهم، وقد ظهر ذلك عندما:

---

(١) انظر: قصص الأنبياء في رحاب الكون، د. عبد الحليم محمود، (ص: ١١٤).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (ص: ٥٢٥).

(٣) انظر: القصص القرآني عرض وقائع، (٣٥٨/١).

أ- أراد أن يبين لعَبَدَة الكواكب عَجْزَ معبوداتهم، وعدم استحقاقها للتَّعظيم والعبودية انتظر حتَّى أقبل الليل وظهرت النُّجوم تلمع في ظلامه، وبدأ يحاورهم. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ [الأنعام:٧٦](١).

ب- وعندما أراد أن يبين لعَبَدَة الكواكب عَجْزَ معبوداتهم، وعدم استحقاقها للتَّعظيم والعبودية أقبل على أصنامهم فحطَّمها جميعها، مستثنياً الصنم الأكبر لتكتمل التَّجربة ويُعجزَهم بالحجَّة، قال تعالى: ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات:٩٣]، ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء:٥٨].

١٣. مناداتهم بنداء الفطرة:

فلمَّا وجدهم لم ينفع معهم لطف الكلام، ولا إعمال العقل، ولا التَّجربة المشاهدة حاول أن يناديهم بنداء الفطرة السليمة التي لم يُخالطُها الكِبَرُ والعناد، عسى أن يحيي فيهم بذور الإيمان التي دفنوها بتقليدهم عبادة الآباء والأجداد، وقد ظهر ذلك:

أ- بعد حواره مع قومه عَبَدَة الكواكب، وإقامة الحجَّة عليهم، بيَّن لهم أنَّ الإسلام هو دين الفطرة، وأنَّ تلك الكواكب التي يعبدونها هي متحركة وحادثة، فهي مفتقرة إلى محرِّك وموجد لها، وبالتالي لا تستحق العبودية، فتبرَّأ منها، وأعلن توجُّهه لله تعالى خالق هذه الكواكب التي عَكفوا على عبادتها(٢)، قال تعالى: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٧٩].

ب- وكذلك الحال عندما خاطب قومه عَبَدَة الأصنام، وبيَّن لهم أنَّهم بعبادتهم ضالون ومبتعدون عن الفطرة التي فطرهم الله تعالى عليها، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الأنبياء:٥٢-٥٤] فتعجبوا من قوله، وظنُّوه هازلاً، ولم يتصورا أنَّهم بعبادتهم للأصنام يشوِّهون فطرتهم، قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء:٥٥]، فردَّ عليهم بأنَّ الله تعالى هو فاطر السماوات والأرض ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء:٥٦]، فقد علَّل نسبة الرُّبوبية لله تعالى؛ لأنَّه فطر السماوات والأرض فكان ربُّهن.

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، (٤٦٥/٢).

(٢) انظر: دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون، عبد الله التليدي، (ص: ٩٢).

يقول ابن كثير: "ربُّكم الذي لا إله غيره، هو الذي خلق السموات والأرض وما حوت من المخلوقات الذي ابتدأ خلقهن، وهو الخالق لجميع الأشياء، وأنا أشهد أنَّه لا إله غيره، ولا ربَّ سواه"(١).

ت- ومن ثمَّ يعود عليه السلام في نهاية دعوته لتأكيد ما بدأ به، ويدعوهم إلى التفكُّر في نفوسهم، والفطرة المغروسة فيهم، فبعد أن تبرَّأ من جميع معبوداتهم التي لا تنفع ولا تضرُّ، أعلن ولاءه وتوجُّهه لعبادة الذي فطره وهداه لاتباع الحق، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الزخرف:٢٧]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ [الشعراء:٧٨] أي: فكما هداني لمعرفته بالفطرة، ودبَّر لي أمري، وأصلح لي ودنياي فإنَّه سيهديني لما يُصلِح ديني وآخرتي(٢)، وكذلك أنتم قد هُديتم للإسلام بفطرتكم، قال تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة:١٣٨] وصبغة الله: هي دين الله تعالى، وهو الإسلام، فهل هناك فطرة أفضل من الإسلام الذي فطر الله تعالى عباده عليها؟! لأنَّ الفطرة ابتداء الخلق، وأوَّل ما خُلقوا عليه هو الإسلام، فعلى العباد التزام تلك الفطرة، واتباع ملَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي جاء لتقريرها(٣).

١٤. إعلان الوصول للنتيجة:

فلمَّا وجد جميع الوسائل لم تثمر نفعاً معهم، أعلن سيدنا إبراهيم عليه السلام:

أ- براءته من أبيه، فبعد مضي مدة طويلة من رحلة دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام لأبيه، واستمراره بالاستغفار له طيلة تلك المدَّة بعدما أخذ عليه وعداً بالاستجابة لدعوته، فلمَّا تيقَّن أنَّه عدو لله تعالى، وسيموت على الكفر تبرَّأ منه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة:١١٤](٤).

ب- عداوته لأصنامهم، واستثنى ربَّ العالمين، فقال: ﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ٧٥ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ ٧٦ فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٧﴾ [الشعراء:٧٥-٧٧].

ت- براءته من الشرك الذي يمارسه عَبَدَة الكواكب، فبعد أن وصل بهم من خلال أفول هذه المخلوقات إلى حتمية وجود خالق لها، أعلن لهم براءته من الشرك، والتَّوجه لعبادة خالق السماوات والأرض، قال

---

(١) تفسير القرآن العظيم، (٣٤٨/٥).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (ص: ٧٦٤).

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن، (١٤٤/٢).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (ص: ٣٥٣).

تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام:٧٩][1].

ث- وأخيراً فقد أعلن براءته من أبيه وقومه معاً، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف:٢٦].

لقد كانت دعوة إبراهيم عليه السلام نموذجاً حياً لكلِّ الدعاة، في كلِّ الأماكن، وفي كلِّ الأزمان، وكثيراً ما كانت قصته مضرباً للمثل في القرآن؛ لتنشأ صلة قلبية بينه وبين الدعاة المؤمنين، فلا يشعر أحد منهم بالغربة وسط الطُّغاة الكافرين، ولا توحشه قلَّة السالكين، ولا يشتكي من مشقَّة التَّكليف التي نهض بها السَّالكون لهذا الطَّريق من قبله، بل يقتدي بهم، ويقتفي أثرهم، ويسير على خطاهم حتَّى يلقاهم في الدار الآخرة فيخبرهم عن صبره وثباته على الحق بالرُّغم من اشتعال الفتن من بعدهم، وانتشارها كالنار في الهشيم، فينالوا جميعاً جزاء اتِّباع الدِّين القويم، ويَحظَوا برضا ربِّ العالمين.

المبحث الثاني: التكامل بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام المثبتة لوحدة رسالة الأنبياء.

خلق الله تعالى البشر ليكونوا عباداً له في هذه الدنيا، ولن يصلوا إلى معرفته والإيمان به إلا برُسُل تُرشدُهم إليه، وتُبلِّغهُم تعاليمه، وتُنذِرُهم من عذاب الله تعالى، وتُبشِّرُهم بمغفرته ورضوانه، ولأنَّ الله تعالى اصطفاهم لهذه المهمة الجليلة فقد جعل الإيمان بالرسل أحد أركان الإيمان، والطَّريق المؤدِّي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى ومحبَّته والفوز برضوانه، فهم قد جاءوا بأمانة الرِّسالة، وبلَّغوا تعاليم الدِّين، وتخلَّقوا بأسمى الأخلاق، وعُصِموا عن المعاصي والشَّهوات، فكانوا نِعْمَ القدوة في الأقوال والأفعال والاستقامة على أمر الله تعالى، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ [الممتحنة:٤].

"فلا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدُّنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرُّسل، ولا سبيل إلى معرفة الطِّيب والخبيث على التَّفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله تعالى البتَّة إلا على أيديهم، فالطَّيِّب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديُهم، وما جاؤوا به، فَهُمُ الميزان الرَّاجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم

(١) انظر: منهجية التدرج في دعوة إبراهيم عليه السلام، د. أمينة محمد، (ص: ٢٧٥).

تُوزَن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهلُ الهدى من أهل الضَّلال، فالضَّرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه"(١).

وسيدنا إبراهيم عليه السلام أَحَدُ رُسُلِ الله تعالى الذي أوحى إليه بالرِّسالة، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء:١٦٣]، وبعثه الله تعالى ليُخرج النَّاس من الظُّلمات إلى النُّور، ويُصلِح القلوب، ويُنير العقول بأنوار التَّوحيد والهداية، فقام بجميع مهام الرُّسل عليهم السلام:

١. **تبليغ الوحي**: فقد دعا قومه إلى توحيد الله تعالى بجميع الوسائل والطُّرق، فكان قدوة لجميع الأنبياء من بعده، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٩٠].

٢. **الإنذار**: فابتدأ بدعوة أبيه إلى الهداية إلى الصِّراط المستقيم، ثمَّ إنذاره من عذاب الله لإشفاقه عليه من أن يقع في سخط الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم:٤٣-٤٥].

ثمَّ توجَّه لإنذار قومه عَبَدَة الأصنام، وبيَّن لهم أنَّ من يخالِفُ أمره فهو عليه قادر، ولن يفلت من عقابه. قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾ [العنكبوت:٢٢].

ثمَّ أنذر قومه عَبَدَة الكواكب، وبيَّن لهم أنَّ ما يعبدونه لا يُخيفُه، وخوَّفهم من الإشراك بالله تعالى القادر على إهلاكهم، قال تعالى: ﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام:٨١].

٣. **امتلاك الحجة، وإقامتها على قومه**: وقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام صاحب حجَّة قوية ومقنعة، وهذه الحجة بفضل من الله تعالى عليه، قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام:٨٣]، فأقام الحجَّة على عَبَدَة الأصنام عندما سألهم مستنكراً عليهم عبادتهم لأصنام لا تنفع ولا تضرُّ، فعجزوا عن الرَّدِّ عليه بإثبات أو نفي، وعندما حطَّم أصنامهم، وأحال تحطيمها إلى كبيرهم، وطلب منهم سؤالها عن محطِّمها، فبهتهم بالحجَّة، قال تعالى: ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، (١/٤٧-٤٨).

أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء:٦٢-٦٧].

وأمَّا عَبَدَة الكواكب فقد أقام الحجَّة عليهم عندما بيَّن لهم أنَّ آلهتهم تغيب، والإله ينبغي ألَّا يغيب، حتَّى يتمكنوا من التَّوجه إليه في أيِّ وقت، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنعام:٧٦-٧٩].

وقد شغلت شخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام مساحة واسعة في الخطاب القرآني أكثر من غيره من الرسل، وربما يعود السبب في ذلك إلى مكانة سيدنا إبراهيم عليه السلام عند مختلف أهل الطوائف، فأهل الكتاب ومشركو العرب يعترفون بفضله، وينسبون أنفسهم إليه، ويدَّعون أنَّهم على طريقته(١)، مع أنَّهم أبعد ما يكون عن الانتساب إليه، واتِّباع دينه، فاليهود يزعمون الانتساب إليه؛ لأنَّهم من ذرِّية إسحاق ويعقوب عليهما السلام، والنَّصارى لأنَّهم يزعمون أنَّهم على دينه، أمَّا العرب فلأنَّهم من ذرِّية إسماعيل عليه السلام، فلمَّا بُعث خاتم الأنبياء والمرسلين، وأخذ يدعو قومه إلى توحيد الله تعالى كما كان يفعل سيدنا إبراهيم عليه السلام رفضوا الاستجابة لدعوته لكيلا يتخلُّوا عن دين إبراهيم عليه السلام، فجاءت آيات القرآن الكريم تتناول هذا الموضوع، وتسجِّل بعض مزاعم هؤلاء الطَّوائف، وعند تتبُّع هذه الآيات واستقرائها نجدها قد تكاملت فيما بينها للرَّدِّ على تلك المزاعم ونقضها، وبيان حقيقة دين إبراهيم عليه السلام، والمنتسبون الحقيقيون له(٢).

أولاً: مزاعم العرب في سيدنا إبراهيم عليه السلام، والرَّدُّ عليهم:

نبدأ مع العرب وهم قوم سيدنا محمد ﷺ، فقد نشأ في مكَّة المكرَّمة، وقبل آلاف السنين وفي هذه البقعة المباركة أمر الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يبني الكعبة الشَّريفة بمساعدة ولده سيدنا إسماعيل عليه السلام؛ ليكون هذا البيت مركزاً للتوحيد من زمنه إلى قيام الساعة، و تقام فيه شعيرة أساسية يؤدِّيها الموحِّدون، وقد كلَّف الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام بنداء النَّاس للحجِّ إليها، فأصبح أشرف وأقدس مكان يَفِدُ النَّاس إليه من كلِّ بقاع الأرض، واستمر النَّاس على مدى الأزمان بأداء هذه الشعيرة التي نادى بها عليه السلام حتَّى بعدما طرأ الشرك على الأجيال اللاحقة،

---

(١) انظر: رسالات الأنبياء، عبد الرحمن حللي، (ص: ٧٣).

(٢) انظر: القصص القرآني عرض وقائع، (٤٥١/١).

فلا عجب أن نجد العرب يعظِّمون البيت الحرام ولا يتعرَّضون له بأيِّ أذى أو سوء؛ لأنَّهم ينسبون أنفسهم لإبراهيم عليه السلام بانيها، ويتشرَّفون ويفتخرون ويتباهون بهذا الانتساب، فلمَّا بُعِثَ سيدنا محمد ﷺ رفضوا اتِّباعه زاعمين أنَّهم على دين سيدنا إبراهيم عليه السلام، فجاءت الآيات المشيرة إلى بناء نبي الله إبراهيم عليه السلام للكعبة، ونداءه النَّاس للحجِّ لـ:

١. تقرير حقيقة دين سيدنا إبراهيم عليه السلام –وهي التَّوحيد الخالص لله تعالى– والبُعد ما بين عقيدة التَّوحيد هذه وبين العقائد المشوَّهة التي ينسبونها له.
٢. تقرير وحدة رسالات الرُّسل، فجميع الرُّسل دَعَوا إلى توحيد الله تعالى، والتَّوحيد مفهوم عقدي يحتاج إلى ممارسة عملية تُثبِته وتؤيِّده، وهذه الممارسة تحتاج إلى موطن يحتضنها، فبُنِيت الكعبة وشُرِّع الحجّ؛ ليكون رمزاً للتوحيد، وإثباتاً لوحدة الدِّين الذي دعا إليه رُسُل الله أجمعين، وهذا ما يؤكِّده قوله تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران:٨٤-٨٥] فالله تعالى أمر سيدنا محمد ﷺ أن يؤمن بجميع ما جاء به الأنبياء من قبله، ثمَّ صرَّح بعدم قبول أيِّ دين وأيِّ ملَّة سوى الإسلام، مما يدلُّ على أنَّ دين الأنبياء السابقين هو الإسلام لا غير، وأنَّ الرِّسالة التي حملوا أمانة تبليغها من لدن إبراهيم عليه السلام إلى محمد ﷺ هي رسالة إسلام الوجه لله تعالى، وبما أنَّ الإله واحد، والدِّين واحد، فلابد أن تكون القبلة واحدة.
٣. تقيم الحجَّة على مشركي العرب الذين يدَّعون الانتساب إليه، واتباع ملَّته، ثمَّ يخالفون دينه وشريعته الحنفية، والتي أساسها شعيرة الحجّ، فقد كان بناءه للكعبة التي يعظِّمونها، ونداؤه للناس بالحجِّ لغرض توحيد الله تعالى، وإقامة شعائره فيها، لا لإحاطتها بالأصنام كما فعلوا، والدَّليل على ذلك:
   أ. ما تضمنه دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام عندما ترك زوجه وولده في مكَّة قبل بناءه للكعبة، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧]، فقد بيَّن أنَّ غايته من وضعهم في هذا المكان هو إقامتهم لشعائر الله من أداء للصَّلاة، وشكرٍ للمُنعِم؛ لأنَّ اللام في قوله تعالى: ﴿لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ لام تعليل، أي: أسكنتهم في هذا المكان لأجل إقامة الصَّلاة فيه، وإعماره بصلاتهم[1]، مما يعني أنَّ العرب عندما قاموا بإحاطة الكعبة بالأصنام انحرفوا عن الغاية

(١) انظر: زهرة التفاسير، (٤٠٣٨/٨).

التي بُني من أجلها، وخالفوا موقف إبراهيم عليه السلام مخالفة واضحة، فلا صلاة أقاموها لله تعالى، ولا شكر له على استجابته لدعاء نبيه إبراهيم عليه السلام من جعل القلوب تتوافد إليها من كلِّ مكان، والأرزاق تتوالى عليها من كلِّ جانب(١).

ب. ما تضمنه دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام بعد بنائه للكعبة من أن يديم نعمة الأمن على هذا البلد، وأن يثبّته وذرّيّته على التوحيد، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، مما يدلُّ على أنَّ دين إبراهيم عليه السلام كان التوحيد، ولم يكن من شرعه أيُّ توجه أو عبادة للأصنام، بل على العكس كان يسأل الله تعالى الثبات على التَّوحيد، والابتعاد عن عبادة الأصنام، أمَّا العرب ساكنو الحرم فقد أساؤوا لإبراهيم عليه السلام حينما ادَّعوا أنَّهم على ملَّته، وهم يعبدون أصنامهم في البيت الحرام الذي بناه سيدنا إبراهيم عليه السلام خالصاً لله تعالى(٢).

ت. ما صرَّح به إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى﴾ [إبراهيم:٣٦]، فقد بيَّن أنَّ الرَّابطة الحقيقية التي تربط بنيه به هي رابطة العقيدة والإتّباع، وكلُّ ما سواها هي ادِّعاءات زائفة. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨].

ث. عندما أمر الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام ببناء الكعبة أمره بتطهيره من الشِّرك والمعاصي ومن جميع الأنجاس والأدناس؛ لأنَّ هذا البيت سيكون قبلة للنَّاس، وسيفدون إليه للصَّلاة والطَّواف وأداء جميع أنواع القربات(٣)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦]، ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥]، ويدخل في الأنجاس والأدناس الأصنام التي وضعها العرب في الكعبة وما حولها، والتي كان سيدنا إبراهيم عليه السلام يحاربها، ويدعو قومه إلى إعمال عقولهم والتَّخلي عن عبادتها، فالعرب الذين يدَّعون الانتساب إليه واتّباع ملَّته عليهم أن يتركوا عبادتهم للأصنام، ويتوجهوا لعبادة الله تعالى، ويتَّبعوا نهج نبيهم محمد ﷺ المتضمن تذكيرهم بالغاية الأساسية من بناء سيدنا إبراهيم عليه السلام للكعبة وهي توحيد الله تعالى، وأداء شعيرة الحجِّ، فما جاء به محمد ﷺ هو عين ما جاء به إبراهيم عليه السلام، فلا عجب أن نجد في القرآن الكريم الذي أُنزِل على

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٤/٢١١٠).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٥/٢٦٠٠).

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (١/٥٣٦).

سيدنا محمد ﷺ أمراً باتباع ملَّة سيدنا إبراهيم عليه السلام، لأنَّ رسالة جميع الأنبياء واحدة، وهي الدَّعوة إلى توحيد الله تعالى، وإقامة شعائره، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]. ولكي ينجح العرب باتِّباع سيدنا محمد ﷺ عليهم التَّخلي عن مزاعمهم تقليد الآباء في عبادتهم للأصنام؛ لأنَّ قدوتهم إبراهيم عليه السلام تخلَّى عن تقليد أبيه وقومه، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة:١١٤]، فإن كانوا مقلِّدين آباءهم كما يزعمون فإنَّ أشرف آبائهم هو إبراهيم عليه السلام فعليهم تقليده في التَّوحيد ونبذ عبادة الأوثان(١)، وإن انحرفوا عمَّا جاء به فلن يشفع لهم نسبهم له؛ "لأنَّ أيَّ انحراف عن التَّوحيد الخالص لله تعالى يُفقِد الإنسان صلته بالأنبياء، حتَّى لو كانوا من صلبهم حقيقة"(٢).

فعليهم أن يتفكروا كيف حاجَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام أباه وقومه ومَلِكَ زمانه، وأقام عليهم الحجج القاطعة المثبتة لعدم استحقاق تلك الأصنام العبادة، وحارب وجاهد وصبر على أذى قومه من أجل إعلاء كلمة التَّوحيد، فلم يتجرد من هذه العقيدة حتَّى عندما ألقوه في النَّار، فإذا أرادوا اتِّباعه فعليهم قراءة سيرته لعلَّهم يعقلونها فيدركون أنَّ المستحق للعبودية هو الله سبحانه وتعالى، وأنَّ ما جاء به سيدنا محمد ﷺ هو تماماً مثل جاء به إبراهيم عليه السلام.

ثانياً: مزاعم أهل الكتاب في إبراهيم عليه السلام، والرَّدُّ عليها:

لما وجد رسول الله ﷺ إصرار العرب على كفرهم، وعدم الاستجابة لدعوته عَزَمَ على الهجرة اقتداء بسيدنا إبراهيم عليه السلام الذين فارق أباه وقومه لما وجد منهم عدم استجابة لدعوته، فهاجر إلى المدينة، وبدأت دعوته تنتشر، ومع انتشار دعوته أخذ أهل الكتاب يحاجُّون النَّبيَّ ﷺ، ويحاربون دعوته، ويرفضون اتِّباعه لزعمهم أنَّهم لن يتخلوا عن دين إبراهيم عليه السلام، فمن مزاعمهم:

١. أنَّهم كانوا كلَّما ذُكرت مَحمَدة لإبراهيم عليه السلام وبنيه نسبوها لأنفسهم، وافتخروا بها، وإن كانوا لم يهتدوا بهديهم، فردَّ الله تعالى عليهم بأنَّ مجرد الانتساب لهم لن يكسبهم شرفاً وذِكراً عند الله تعالى والنَّاس ما

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٢١/٥٤١-٥٤٢).

(٢) قصة إبراهيم في القرآن الكريم، (ص: ١٦).

داموا لم يسلُكُوا مسلَكَهم ويعملُوا عملَهم[١]. قال تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤][٢].

٢. لم يقف أهل الكتاب عند نَسْبِهم بمحامد إبراهيم عليه السلام وذرّيّته إليهم، بل حصروا الهداية فيهم، فقالوا للنَّاس كونوا يهوداً تهتدوا، وقال النَّصارى: كونوا نصارى تهتدوا، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥][٣]. فالآية تضمَّنت تعريضاً بأهل الكتاب، وإبطالاً لدعواهم الانتساب لإبراهيم عليه السلام واتّباع نهجه، وبيَّنت أنَّ ما عليه الفريقان محض ضلال، وأنَّ الدِّين المرضي عند الله تعالى هو الإسلام، لذلك فقد بَعَثَ نبياً يجدِّد لهم دين إبراهيم عليه السلام ويدعوهم إلى هذا الأصل[٤]، وكان هذا النَّبيُّ استجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام عندما سأل ربَّه أن يديم ذكره ببعثة نبيٍّ لا تُنسخ شريعته إلى يوم القيامة، فيجدِّد أصل دينه، ويدعو النَّاس إلى ما كان يدعوهم إليه من التَّوحيد، عليه السلام، ويتلو عليهم آيات الله ويعلِّمهم الكتاب والحكمة ويزكّيهم، قال تعالى: ﴿وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤]، ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩][٥].

فالهداية محصورة في اتّباع دين الإسلام الذي جاء به خاتم الأنبياء، قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾ [البقرة:١٣٩]، أي قل لهم يا محمد أتجادلوننا في الله تعالى، وتدَّعون أنَّ لكم مكانة خاصة عنده، وتزعُمون أنَّكم أولى بالله منَّا من أجل أنَّ نبيكم قبل نبيّنا، وكتابكم قبل كتابنا، والله هو ربُّنا جميعاً، ونحن مخلصون له بالعبادة، ولم نشرك به شيئاً، بل أنتم من أشركتم معه آلهة أخرى، فلستم أقرب إليه منَّا[٦].

٣. وبعد أن وبخت الآيات أولئك الذين يحاجُّون في الله، ويجادلون في توحيده، انتقلت الآيات إلى توبيخ آخر لهم، وهي دعواهم أنَّ رُسُلَ الله كانوا هوداً أو نصارى، قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٠]، فبيَّنت الآية أنَّ هؤلاء الأنبياء لم يكونوا

---

(٣) انظر: زهرة التفاسير، (١/٤٢٠).

(٤) انظر: في ظلال القرآن، (١/١١٧).

(١) انظر: القصص القرآني عرض وقائع، (١/٤٥٢).

(٢) انظر: محاسن التأويل، (١/٤٠٧).

(٣) انظر: روح المعاني، (١٠/٩٧)، وفي ظلال القرآن، (٥/٢٦٠٤).

(٤) انظر: جامع البيان، (٣/١٢٢).

هوداً ولا نصارى، بل كانوا مسلمين موحدين، ورسالة الإسلام هي التي دَعَوا إليها، وأوصوا بها أبناءهم من بعدهم، والتي ذُكرت في الكتب المنزَّلة عليكم فسعيتم لإخفائها، وكتمتم شهادة الله التي ائتمنكم عليها[١]، ثمَّ إنَّ التَّوراة أُنزلت على سيدنا موسى عليه السلام، والإنجيل أُنزل على سيدنا عيسى عليه السلام، وسيدنا موسى وعيس عليهما السلام قد جاؤوا بعد سيدنا إبراهيم عليه السلام بمئات السنين، فكيف لهم أنَّ يدَّعوا أنَّ هؤلاء الأنبياء كانوا من اليهود أو النَّصارى، ويُغرقوا أنفسهم بأكاذيب فضحها التاريخ، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾ [آل عمران:٦٥-٦٦][٢].

٤. لما نزل الأمر الإلهي بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وكان أهل الكتاب يعظِّمون بيت المقدس، ويعتبرونه قبلة جميع الأنبياء، استغلوا هذا الأمر للطَّعن في نبوة محمد ﷺ، فردَّت عليهم الآيات إن كنتم تزعمون أنَّكم على ملَّة إبراهيم عليه السلام فكيف لكم أن تتخلوا عن تعظيم الكعبة، وترفضوا الحجَّ إليها، مع أنَّ إبراهيم عليه السلام هو باني الكعبة، والمنادي في النَّاس ليحجُّوا إليها؟! ومقامه الموجود عند الكعبة من أعظم الدلائل على أنَّ هذا البيت هو أوَّل بيت وضعه إبراهيم عليه السلام للعبادة الصحيحة، وليس بيت المقدس. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ [آل عمران:٩٦-٩٧][٣].

فإذاً دين إبراهيم عليه السلام وأبناؤه هو الإسلام، لا كما يدَّعي أهل الكتاب من كونهم يهوداً أو نصارى، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧]، وملَّة إبراهيم عليه السلام هي ملَّة الأنبياء أجمعين؛ لأنَّ الله تعالى اختاره للإمامة، وابتلاه بالكلمات، ولأنَّه كان شاكراً لنِعَمِ الله تعالى عليه، ولأنَّه انتُخِبَ لبناء البيت وتعليم مناسك الحجّ، ولأنَّ الله تعالى اصطفاه ليكون أبا الأنبياء؛ ولذلك كلَّه قال تعالى: ﴿وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٣٠-١٣١][٤].

---

(٥) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، (٢٠٥/١).

(١) انظر: القصص القرآني عرض وقائع، (٤٥٤/١).

(٢) انظر: البحر المحيط، (٢٦٧/٣).

(٣) انظر: زهرة التفاسير، (٤١٢/١).

وبعد أن جرَّدت الآيات الكريمة جميع تلك الطوائف من الانتساب لإبراهيم عليه السلام، ونفت عنهم كون أمثالهم على ملَّته، بيَّنت أنَّ أحقَّ النَّاس بالانتساب إليه هم المتَّبعون دينه(١)، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨]، وذلك لأنَّ إبراهيم عليه السلام كان قد صرَّح باتِّباعه ملَّة الإسلام، وأوصى ذرِّيَّته بالالتزام بها، حتَّى إنَّ حفيده يعقوب عليه السلام عندما حضره الموت قام بمثل ما قام به جدُّه، فأوصى ذرِّيَّته من بعده بالتَّمسك بهذا الدِّين، قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة:١٣٢-١٣٣] وقد ذُكِرت وصيَّته لأبنائه في سياق الآيات التي حثَّت على وجوب التَّمسك بملَّته، وبيَّنت أنَّ من ترك ملَّته رغبة عنها إلى غيرها فإنَّما هو جاهل بموضع حظِّ نفسه فيما ينفعها ويضرُّها في معادها، كما فعل اليهود والنَّصارى الذين ابتعدوا عن جادة الصَّواب(٢). قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ﴾ [سورة البقرة:١٣٠].

"تلك كانت وصيَّة إبراهيم لبنيه، ووصيَّة يعقوب لبنيه.. الوصيَّة التي كرَّرها يعقوب في آخر لحظة من لحظات حياته، والتي كانت شُغله الشاغل الذي لم يصرفه عنه الموت وسكراته، فليسمعها بنو إسرائيل"(٣)، وليعلموا أنَّ هذه الوصيَّة حجَّة عليهم، وأمرٌ لهم باتِّباع الإسلام الذي جاء به الأنبياء جميعاً، وقد حفظه الله تعالى كاملاً في قرآنه العظيم الذي أنزله على خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم.

وبهذا نجد أنَّ آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام المثبتة لوحدة رسالة الأنبياء تكاملت فيما بينها؛ لتكون في مجموعها:

---

١. حجَّة على مشركي العرب الذين يعبدون الأصنام، ولتعلن براءته عليه السلام من معبوداتهم، وعداوته لهم، قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء:٧٥-٧٧]، قال تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧]؛ لأنَّ هذه الأصنام التي عبدوها كانت السبب في إضلال كثير من النَّاس، قال تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٦].

---

(٤) انظر: القصص القرآني عرض وقائع، (٤٥٥/١).

(١) انظر: إبراهيم خليل الله، (ص: ٦٧٩).

(٢) في ظلال القرآن، (١١٦/١).

٢. حجَّة على أهل الكتاب، فقد أبطلت هذه الآيات جميع حججهم ومزاعمهم، ونفت عنهم صلتهم بالأنبياء السابقين، فليس لهم أيُّ صلة بهم لا في العقيدة ولا في الشريعة ولا في العبادة، ولا سبيل لهم إلى العودة إليهم، والانتساب لهم إلا بالتَّمسك برسالة الإسلام التي جاء بها خاتم الأنبياء والمرسلين، والكتاب الذي أُنزل عليه(١).

٣. ولتؤكد أنَّ الانتساب الحقيقي لإبراهيم عليه السلام يكمُن في اتِّباع ملَّته، قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٩٥]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء:١٢٥]، ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ ۖ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨]، وملَّة إبراهيم عليه السلام هي ملَّة الإسلام التي كان مبتداها عنده ومنتهاها عند سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣]، فلن يُقبل منهم ادِّعاؤهم اتِّباع ملَّة إبراهيم عليه السلام مع رفضهم اتِّباع ملَّة محمد ﷺ، إذ بيَّنت الآيات أنَّ أحقَّ النَّاس بالانتساب إليه هم أولاً: المتَّبعون لدينه الحنيف في عصره، وثانياً: سيدنا محمد ﷺ الذي جاء ليُكمِّل رسالة أبيه إبراهيم عليه السلام، وأخيراً: المؤمنون الصالحون أتباع سيدنا محمد ﷺ(٢)، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨]، فعلى الرغم من البعد الزماني بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وسيدنا محمد ﷺ إلا أنَّهما قريبان في المحبة والمنزلة عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٨](٣).

وهكذا تكون قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام بياناً أنَّ دين الأنبياء جميعاً هو التَّوحيد الخالص لله تعالى من لدن إبراهيم عليه السلام إلى محمد ﷺ، وأنَّ الكعبة قبلتهم، والحجَّ شريعتهم، وفيها ردٌّ على كلِّ منحرف عن دين التَّوحيد الذي جاء به كالعرب وأهل الكتاب، وقطعاً لأيِّ صلة بينهم وبينه، لأنَّ الرَّابطة الحقيقية لابد أن تكون مبنية على الرَّابطة الإيمانيَّة فقط.

---

(١) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، (١/٢٠٥).

(٢) انظر: القصص القرآني عرض وقائع، (١/٤٥٧).

(٣) انظر: فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم، أحمد البراء الأميري، (ص: ٢٣٨-٢٣٩).

المبحث الثالث: التكامل بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام المثبتة للبعث.

اهتمَّ القرآن الكريم بضرب الأدلَّة العقليَّة والمنطقيَّة المثبتة للبعث والحساب والجزاء، وقد ورد إثبات البعث في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في عدَّة مواضع، منها ما كان حلقة من سلسلة حلقات قصته، ومنها ما كان إشارة إلى اليوم الآخر بدعاء أو غيره، فشكَّلت هذه المواضع فيما بينها نسيجاً متكاملاً مثبتاً لقدرة الله تعالى على البعث بعد الموت.

فالمتتبّع لآيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم لا بد أن يلاحظ أنَّ ذِكْرَ الدَّار الآخرة، واستشعار مراقبة الله تعالى، والخوف من المؤاخذة والعذاب يوم الحساب كان حاضراً مع سيدنا إبراهيم عليه السلام، وورثته من الأنبياء في جميع مراحل حياتهم، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ۝٤٧﴾ [ص:٤٥-٤٧]، والمراد منها: "جعلنا ذكرى الدَّار الآخرة في قلوبهم، والعمل لها صفوة وقتهم، والإخلاص والمراقبة لله وصفهم الدائم، وجعلناهم ذكرى الدار يَتذكَّر بأحوالهم المتذكِّر، ويَعتبر بهم المعتبِر، ويُذكَرون بأحسن الذِّكر"(١).

ثمَّ إنَّ ذكرى الآخرة لم يكن حاضراً في ذهن سيدنا إبراهيم عليه السلام فحسب، بل دُوِّن أيضاً في صحفه، وأُمر بتبليغه إلى قومه، فقد ذكر ابن عاشور أنَّ الكلمات التي ابتلى الله تعالى نبيه إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ﴾ [البقرة:١٢٤] هي الصُّحف التي أُنزلت عليه، وتضمنت ما أوحاه الله تعالى إليه(٢)، وقد كان البعث والجزاء على الأعمال من أهمّ ما دوِّن في صحفه عليه السلام، لأنَّها من الأمور الاعتقاديَّة التي لا يصلح الإيمان ولا الإسلام إلا بها، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ۝١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلى:١٤-١٩]، وقال تعالى: أيضاً: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝٣٧ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ۝٣٨ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ۝٤٠ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ۝٤١ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝٤٢ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ۝٤٤ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ۝٤٦ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ۝٤٧ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ۝٤٨ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ۝٤٩ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ۝٥٠ وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ ۝٥١ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ ۝٥٢ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ ۝٥٣ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ۝٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ۝٥٥ هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾ [النجم:٣٦-٥٦]، ففي هذه الآيات يخبر الله تعالى أنَّ كلَّ عامل له عمله الحسن

(١) تيسير الكريم الرحمن، (ص: ٧١٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، (١٢٩/٢٧-١٣٠).

أو القبيح الذي لن يتحمَّله أحد عنه، والذي سينال جزاءه في الآخرة، إن خيراً فله، وإن شرَّاً فعليه، وأنَّ مآل الأمور جميعها إليه، وصيرورة الخلائق إليه بعد البعث والنُّشور، وأنَّه المنفرد بالإيجاد والإعدام، فالذي أوجد الخلق، وكلَّفهم بجملة من الأوامر، ونهاهم عن أخرى، لا شكَّ أنَّه سيُعيدهم بعد موتهم ليجازيهم على أعمالهم التي عملوها في الدنيا(١).

وبهذه الصُّحف نهض سيدنا إبراهيم عليه السلام يدعو أباه إلى الإيمان بالله تعالى العزيز القادر على إحياء الموتى، وبعثِهم للحساب والجزاء، وعلى الرغم من أنَّ أباه كان يرفض الاستجابة لدعوته، إلا أنَّ نبينا الكريم كان يُعيد الكرَّة، ويرجو هدايته، ويخشى عليه أن يحلَّ به غضب الله تعالى وعذابه يوم القيامة إن أصرَّ على موالاة الشَّيطان وعبادة الأصنام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم:٤٥]، ولوفور شفقته على أبيه فلم يتوقف عن دعوته إلى الهداية والتَّوحيد، بل كثيراً ما كان يسأل الله عزَّ وجلَّ له المغفرة خوفاً عليه من المؤاخذة يوم الحساب، قال تعالى: ﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء:٨٦]، ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾ [إبراهيم:٤١].

ثمَّ إنَّه لما وسَّع دائرة دعوته، نهض يدعو قومه إلى توحيد الله تعالى والإيمان باليوم الآخر قام بعدَّة أمور:

١. عدَّد لهم صفات الخالق المستحق للعبادة، وكان منها انفراده بالقدرة على الإماتة والإحياء من جديد للبعث، ثمَّ الحساب والجزاء على الأعمال، والتَّجاوز عن السيئات، بينما أصنامهم عاجزة عن جميع ذلك، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾ [الشعراء:٨١]، وخصَّ قضية البعث بعد الموت بالذِّكر؛ لأنَّ قضية الموت يعتقد بها البرُّ والفاجر، ولا سبيل لأحد لإنكارها، فهي مشاهدة أمام الأعين، ومتكرِّرة في كلِّ يوم، والكافرون قد رأوا بأعينهم كيف مات آباؤهم وأجدادهم، إلا أنَّه يصعب عليهم تصديق فكرة البعث بعد الموت، وهذا ما دفع الخليل إبراهيم عليه السلام لذكر تلك الحقيقة التي يفرُّون منها، لأنَّ الإيمان بتلك الحقيقة هو جزء من رسالته التي أُمر بتبليغها للنَّاس، فقد قال لهم عندما كان يصف لهم الإله الحقَّ الذي يجب أن يتوجهوا له بالعبادة: إنَّ ربي هو الذي كلَّفني أن أبلغكم بأنَّه سيميتني ويميتكم، ثمَّ سيبعثنا من قبورنا ليحاسبنا، فأسمعوني ما تقوله لكم آلهتكم، فهل أخبرتكم أنَّ لديها القدرة على الخلق، والإحياء والإماتة؟(٢).
٢. بيَّن لهم أهمية التوجه إلى الله تعالى وطلب المغفرة منه؛ لأنَّ الحساب ملازم للبعث، إذ هو الغاية منه، وأراد بذلك أن يعلِّمهم ويرشدهم إلى اجتناب الإشراك بالله تعالى، والابتعاد عن المعاصي التي انغمسوا فيها، فهو

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (ص: ٨٢١).
(٢) انظر: ملة أبيكم إبراهيم، (ص: ٤٦).

قد سأل ربَّه المغفرة لما عسى أن يكون قد بَدَرَ منه من الصغائر مع أنَّه في طاعة الله تعالى، فكيف بهؤلاء المغمورين في الكفر والمعاصي!، وعلَّق مغفرة الخطايا بيوم الدين لأنَّ أثرها يظهر يومئذ، ولتهويل الأمر عليهم، لأنَّ عدم المغفرة يقتضي وقوع الجزاء والعقوبة بهم(١)، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٨٢]، ثمَّ بيَّن لهم أنَّه يرجو من ربِّه أن يدخله برحمته جنَّة النَّعيم، فليس لأحد أن يدخل الجنَّة بعمله، قال تعالى: ﴿وَٱجۡعَلۡنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشعراء:٨٥]، ويُكمِل دعاءه بسؤال ربِّه ألَّا يخزيه يوم البعث والجزاء، قال تعالى: ﴿وَلَا تُخۡزِنِي يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾ [الشعراء:٨٧] ومن هذا الدعاء نستشفُّ مدى إدراك سيدنا إبراهيم عليه السلام لأهوال ذلك اليوم، ومدى حيائه من ربه، وخشيته من الخزي أمامه في ذاك اليوم، وخوفه من تقصيره مع أنَّه النَّبيُّ الكريم، كما أنَّنا نستشفُّ من قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩] مدى إدراكه لحقيقة ذلك اليوم، ولحقيقة القيم، فلن يكون هناك أيُّ قيمة في يوم الحساب إلَّا قيمة إخلاص القلب لله تعالى، وتجرُّده من الشَّهوات والانحرافات، وخُلُوِّه من التَّعلق بغير الله تعالى، أمَّا قيمة المال والبنين التي يتفاخر بها قومه فهي زائلة وباطلة، ولن تنجيهم من عذاب الله تعالى يوم القيامة(٢).

٣. وجَّههم إلى النَّظر في أنفسهم وكيف ابتدأ الله تعالى خلقهم ولم يكونوا شيئاً مذكوراً، فالذي ابتدأ خلقهم وأوجدهم قادر على إعادتهم للحياة، ثمَّ بَعْثِهم للحساب، وليس في خلق الله تعالى شيء عسير، ولكنَّه يقيس للبشر بمقاييسهم، فالإعادة بالنِّسبة لهم أيسر من الابتداء، وإلَّا فالبدء كالإعادة، والإعادة كالبدء بالقياس إلى قدرة الله سبحانه. وإنما هو توجه الإرادة وكلمة: كن... فيكون. قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [العنكبوت:١٩].

٤. ثمَّ وجَّههم للسير والنَّظر في الآفاق، ومشاهدة الآيات الباهرات في الخلق والإنشاء ليدركوا أنَّ الذي أنشأ يُعيد بلا عناء(٣). ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [العنكبوت:٢٠].

٥. وأخيراً فقد خوَّفهم من الحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ﴾ [العنكبوت:٢١] فهذه الآية تدلُّ على القهر والانقياد عنوة، فكأنَّه أراد أن يقوله لهم: مهما بلغ بكم الطُّغيان

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، (٦/٢٤٩-٢٥٠).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٥٦/٢٦٠٤-٢٦٠٥).

(٣) انظر: في ظلال القرآن، (٥/٢٧٢٩).

والجبروت والجحود لنِعَمِ الله تعالى، فلا تنسوا أنَّه سيأتي يوم تُرجعون فيه إلى الله تعالى، وتقفون بين يديه ليجازيكم على طغيانكم واستكباركم عن طاعته(١).

ولما لم يستجيبوا له، ولم يؤمنوا بالبعث بعد الموت توجَّه لمحاجَّة المَلِكِ الظَّالم، وابتدأ محاجَّته بذكر دليل الحياة والموت؛ لأنَّهما أشدُّ الأمور أثراً في نفس الإنسان العاقل، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨]، وأفاد قوله ﴿إِذْ﴾ صيغة الحصر، فهو وحده الذي يحي ويميت، وكلُّ ما سواه عاجز عن ذلك، وقدَّم الحياة على الموت؛ لأنَّ اطلاع الإنسان عليها أتمُّ، وورد لفظ الإحياء والإماتة بصيغة المضارع ﴿يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ لأنَّه يفيد معنى الاستمرار الذي يتحقق في كلِّ يوم، وفي أيِّ وقت(٢)، وللدَّلالة على أنَّ الله تعالى هو المنفرد بالتَّصرف في مخلوقاته، ولأنَّ الإحياء مبدأ الحياة الدُّنيا، والإماتة مبدأ الحياة الآخرة(٣)، فكانت حجَّته مثبتة لقدرة الله تعالى على البعث بعد الموت للحساب والجزاء، فالذي ابتدأ خلقهم في الحياة الدنيا، وجعل ذلك أمراً مشاهداً ومتكرِّراً أمام أعينهم في كلِّ يوم لن يعجزه أن يُعيد خلقهم مرَّة ثانية للحياة الآخرة؛ لينالوا جزاء ما بذلوه في الحياة الدنيا، وهذا ما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٠]، فإنَّ سؤاله لم يكن لشكِّه في قدرة الله تعالى، فقد كان عليه السلام مقرَّاً ومؤمناً بالبعث والنشور، وبقدرة الله تعالى على الإحياء والإماتة، ولكنَّه أراد بسؤاله ربَّه أن يُرِيَهُ كيفية إحياء الموتى أن يعلم بالحسِّ كما علم بالقول، وبالعيان كما علم بالبرهان(٤)، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ دلالة على أنَّ معاينة التجربة لا تُنشئ الإيمان في القلب، ولكن تزيده وتُقويه، وزيادة الإيمان تزيد الطُّمأنينة في القلب(٥)، وتكتمل الصورة التي بيَّنها الله تعالى لإبراهيم عليه السلام في إماتة الطيور ثمَّ إحيائهن من جديد من خلال خَتْمِ الآية بذكر صفاته العلية التي تؤكِّد أنَّ البعث يُظهر للعباد كمال عزَّة الله وحكمته وعظمته وسعة سلطانه وتمام عدله(٦)، فالعزيز الذي قَدِرَ على إماتة الطيور وإحيائها من جديد قادرٌ على أن يحيي جميع مخلوقاته من جديد، ويبعثها للحساب مهما تفرَّقت أجزاؤها، واختلطت عناصرها بالتراب.

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي، (١١١٢١/١٨).
(٢) انظر: زهرة التفاسير، (٩٥٧/٢).
(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (ص: ١٨٩).
(٤) انظر: زهرة التفاسير، (٩٦٥/٢).
(٥) انظر: القصص القرآني عرض وقائع، (٤٤٦/١).
(٦) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (ص: ١٩١).

ثمَّ إنَّه عليه السلام لما هاجر وفارق دين أبيه وقومه، وتزوج من هاجر، وأنجبت له إسماعيل عليه السلام، وأمره الله تعالى بالهجرة بهم إلى أرض الحجاز ومفارقتهم، توجَّه إلى الله تعالى بالدعاء بالأمن والرِّزق لأهل هذا المكان، وخصَّ منهم المؤمنين بالله تعالى واليوم الآخر؛ ليكون هذا الرِّزق عوناً لهم على طاعة الله تعالى وعبادته، فالمؤمن يستشعر مراقبة الله تعالى له في كلِّ حال ومكان، فيسعى لتحصيل الرِّزق الحلال، ليصرِفه في وجوه الحلال أيضاً؛ لأنَّه يوقن أنَّه سوف يُسأل عن هذا الرِّزق يوم القيامة من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة:١٢٦].

وبعد رحلته الطويلة في الدَّعوة إلى توحيد الله تعالى، وما أكرمه الله تعالى من ذرِّيَّة طيبة مسلمة موحِّدة لله تعالى، كانت وصيَّته الأخيرة لهم أن يتمسكوا بملَّة التوحيد، وأن يلتزموا بها حتَّى آخر لحظة في حياتهم مهما تقلَّبت بهم الظروف والأحوال، قال تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢]، ثمَّ إنَّ حفيده يعقوب عليه السلام سار على نهجه ووصَّى ذرِّيَّته باتباع ملَّة التَّوحيد عندما حضرته سكرات الموت، فالمتَّأمل في هذا المشهد لابد أن يلحظ أنَّ فكرة البعث بعد الموت للجزاء والحساب لم تفارق سيدنا يعقوب عليه السلام حتَّى في أواخر لحظات حياته، فلم يكن يشغله سوى شيء واحد، عقيدة التَّوحيد، ويخشى على ذرِّيَّته أن تضلَّ وتبتعد عنها، فأراد أن يسمع منهم، ويطمئن أنَّ وصيَّته ستكون مرعية في أبنائه من بعده. قال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣] وأخيراً تختتم هذه الحلقة بقوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤]، جاءت هذه الآية لبيان أنَّ دعوى أهل الكتاب اتِّباع ملَّته والانتساب إليه لمجرد أنَّهم من ذرِّيَّته لن تشفع لهم يوم القيامة، ولن تنجيهم من عذاب الله تعالى يوم الحساب؛ لأنَّهم انفصلوا بعملهم عن عمله، فلم يتَّبعوا ملَّته، ولم يسلُكوا مسلَكه، فسيحصدون جزاء ما كسبوه يوم يبعث الله تعالى عباده للحساب، وبالمقابل فإنَّ الذين اقتدوا بسيدنا إبراهيم عليه السلام، واهتدوا بهديه، سيحصدون جزاء كسبهم وعملهم الموافق لملَّة إبراهيم عليه السلام[1]. فخلاصة القول: إنَّ الذين يدَّعون اتباع ملَّة إبراهيم عليه السلام عليهم أن يؤمنوا بمثل ما آمن به، ويوقنوا بالبعث والجزاء على الأعمال.

---

(١) انظر: زهرة التفاسير، (١/٤٢٠).

المبحث الرابع: تكامل قصة حياة نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم

إنَّ المتدبر لكتاب الله تعالى لابد أن يُبقي ذهنه مُستحضراً النَّظرة التَّكاملية لنصوص الآيات المتشابهة والموزَّعة في السور القرآنية، والقصة القرآنية هي جزء من هذا التَّكامل، وهذا ما يفسر تكرار بعضها في سور متعدِّدة، وبأساليب متنوِّعة، والاستغناء عن بعض تفاصيلها، وعند جمع حلقاتها تكتمل الصورة، وتظهر الوحدة الموضوعية للقصة القرآنية. وقصة سيدنا إبراهيم عليه السلام هي واحدة من تلك القصص القرآني، وقد عرض القرآن الكريم بعضاً من حلقاتها، وطوى ذكر بعض منها، وكرَّر ذكر الآخر، وكلُّ ذلك بما يخدم السِّياق الذي وردت فيه، ويحقِّق المقصد من ذكرها.

وبعد تتبُّع مواضع ذكر قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في جميع القرآن نجد أنَّ القرآن الكريم لم يذكر لنا شيئاً عن حياته عليه السلام قبل نبوته إلا ما امتنَّ الله تعالى به عليه من إيتائه الرُّشد في صغره(١)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٥١] بالرغم من أنَّه نشأ في بلدة كان أهلها يعبدون الأصنام التي ينحتونها بأيديهم، فأراد الله تعالى أن يُعدَّه لحمل رسالة الهداية إلى أبيه وقومه، فأعطاه رشده(٢)، ثمَّ إنَّ من تمام رشده عليه السلام رغبته بالإيمان بالله تعالى وبقدرته على إحياء الموتى على بصيرة ومشاهدة، فعندما أوحى الله تعالى إليه بأنَّه سيحي الموتى للحساب والجزاء أحبَّ أن يرى كيف يمكن أن تعود الحياة للميت، فطلب من الله سبحانه تعالى أن يُريه كيف يحي الموتى ليطمئن قلبه، ويزداد يقينه بقدرة الله تعالى من خلال المعاينة والنظر، فأمره الله تعالى أن يأخذ أربعة طيور فيقتلها ويفرِّق أجزاءها على الجبال، ثمَّ يدعوها فإنَّه سيجدها قادمة إليه، ففعل وعادت الحياة للطيور(٣)، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

وحتى تكتمل عناصر نبوته كان لابد مع تمام العقل والمعاينة بالتجربة من تطهير القلب من أي شرك أو تعلُّق بالدنيا وزينتها، وهذا ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات:٨٤] فقد استنكر ما كان عليه مجتمعه من عبادة للأصنام، وكان هذا الاستنكار نابعاً من فطرته السليمة التي ترفض كلَّ سلوك أو تصور

---

(١) وذلك وفقاً للقول الذي رجَّح أن محاجته لقومه الذين يعبدون الكواكب كانت بعد نبوته وهجرته، أمَّا قول بن عباس أنَّ هذه الحادثة وقعت في صِباه وقبل بلوغه فهو قول ضعيف؛ لأنَّه من غير الجائز أن يبعث الله تعالى نبياً أتى عليه وقت من الأوقات وهو به كافر. انظر: جامع البيان، (٤٨٣/١١)، المحرر الوجيز، (٣١٢/٢).

(٢) انظر: قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى، (ص: ٣٢-٣٣).

(٣) انظر: قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، (ص: ١٢٨).

يخالف التَّوحيد، ويناقض الإيمان والإخلاص، وبهذا القلب السليم الخالص ابتدأ رحلة نشر الدعوة، وواجه أعداءه، فلم يخش إلا الله تعالى، وجرَّد قلبه عن التَّعلق بما سواه، وسلَّم لجميع أقداره[١]، وانطلق يدعو أباه لتوحيد الله تعالى، ونبذ عبادة الأصنام، وربما يعود سبب ابتداء دعوته لأبيه أنَّ الأقربين أولى النَّاس بالنصيحة، والقلوب ترغب بهدايتهم، وأضاف ابن كثير أنَّ السبب الآخر الذي جعله يبتدأ دعوته بأبيه أنَّ أباه كان نجاراً ينحت الأصنام ويبيعها، فهدايته سوف تساعد على القضاء عبادة تلك الأوثان في بابل[٢][٣]، إلا أنَّ القرآن الكريم لم يذكر لنا صنعَة أبيه فلا نُسلِّم بتلك الرواية.

وقد جسَّدت آيات سورة مريم حوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه بأسلوب مليء باللطف واللين والحكمة والرغبة الشَّديدة بالهداية، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم:٤٢-٤٥].

وبعد أن أطال سيدنا إبراهيم عليه السلام في نُصحه لم يكتف والده بعدم قبول النصح، بل هدَّده وتوعَّده، فقال: ﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَۖ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾ [مريم:٤٦][٤]، ولكنَّ هذا التَّهديد لم يُخف سيدنا إبراهيم عليه السلام ويُوقفه عن دعوته إلى اتِّباع الحق، فقد عاد لدعوة أبيه وقومه إلى توحيد الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:١٦]، وأنكر عليهم عبادتهم الأصنام كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء:٧٠].

وقد جاء سؤال سيدنا إبراهيم عليه السلام قومه عن معبوداتهم بصيغة المضارع، مما يدلُّ على أنَّه أَلقَى عليهم السؤال حين تلبَّسهم بعبادة الأصنام، وأراد من هذا الاستفهام افتتاح المجادلة معهم؛ ليكونوا هم المبتدئين بشرح حقيقة معبوداتهم، فيظهر لهم فساد ما يعبدون، فقوله ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ للاستفهام، وما يدلُّ على ذلك أنَّهم أجروا مقاله مقال المستفهم، فأجابوه قائلين: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ بتنكير وتنوين لفظ ﴿أَصْنَامًا﴾ لإظهار تعظيمهم لها، ولأنَّهم يعلمون أنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام يعرفها ويعلم أنَّها معبوداتهم، ولم يقتصروا على قولهم: ﴿نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾،

---

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٢٩٩٢/٥).

(٢) مدينة في العراق سكنها الكلدانيون، وقيل سكنها سيدنا نوح عليه السلام بعد الطوفان، وعمَّروها، وأقاموا فيها، ويطلق عليها اليوم: بلاد ما بين النهرين، ووادي الرَّافدين؛ لوقوعها بين نهري دجلة والفرات، انظر: معجم البلدان، شهاب الدين الحموي، (٣٠٩/١)، الموسوعة العربية العالمية، شركة أعمال الموسوعة للإنتاج الثقافي، باب الباء، بابل البلاد، (ص: ١).

(٣) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، (ص: ١٥٧-١٥٨).

(٤) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، (ص: ١٥٧-١٥٨).

بل زادوا فيما يذكره القرآن الكريم حكاية عنهم: ﴿فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ عدلوا عن الجواب إلى تكرار الفعل الواقع في السؤال إظهاراً للابتهاج والافتخار بها، لهذا أبطل تعظميهم، وأظهر احتقاره لمعبوداتهم فقال عنها في سورة العنكبوت: ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا﴾ [العنكبوت:١٧][(١)].

ثمَّ كرَّر سؤاله لأبيه وقومه عن معبوداتهم في سورة الصافات، ولكنَّه عبَّر عنها بـ: ﴿مَاذَا﴾ فقال: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ﴾ [الصافات:٨٥] للمبالغة؛ لأنَّه لما نبههم فلم ينتبهوا استعمل اللفظ الأبلغ في تقريعهم وتوبيخهم، ولما علموا قصده لم يجيبوه هنا، فأضاف تبكيتاً إلى تبكيت فقال: ﴿أَئِفۡكًا ءَالِهَةٗ دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ٨٦ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٧﴾ [الصافات:٨٦-٨٧][(٢)].

وبعد أن سأل سيدنا إبراهيم عليه السلام أباه وقومه عن معبوداتهم لم يعد هناك داعٍ لسؤالهم عن عبادتهم في سورة الأنبياء، وإنَّما استكمل سؤالهم عما أجابوا عليه في سورة الشعراء حين قالوا: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ [الشعراء:٧١] فقال لهم: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢][(٣)].

وبعد سؤاله عن معبوداتهم أراد أن يوقظهم من غفلتهم، ويحثَّهم على إعمال عقولهم، ويكشف لهم أنَّ ما هم مقيمون على عبادته لا يستحق العبادة؛ لافتقاره إلى صفات الإله، فخاطبهم بصيغة الاستفهام وأراد به النفي، فقال لهم: ﴿هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ ٧٢ أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ ٧٣﴾ [الشعراء:٧٢-٧٣]، فأجابوه بأنَّهم ورثوا عبادة الأصنام عن آبائهم، ﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾ [الشعراء:٧٤] إضراب[(٤)]، "أضربوا عن أن يكون لهم سمع أو نفع أو ضرٌّ اعترافاً بما لا سبيل لهم إلى إنكاره، واضطروا إلى إظهار ألَّا سند لهم سوى التَّقليد فكأنَّهم قالوا: لا يسمعون ولا ينفعوننا ولا يضرُّون، وإنَّما وجدنا آباءنا يفعلون مثل فعلنا ويعبدونهم مثل عبادتنا فاقتدينا بهم"[(٥)]. فكأنَّهم قالوا: لا بل وجدنا عليها آباءنا، وذلك لأنَّ سؤال سيدنا إبراهيم عليه السلام لهم يقتضي أن ينفوا في جوابهم ما نفاه السائل، فأضربوا عنه إضراب من ينفي الأول ويثبت الثاني.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير، (١٣٩/١٩).

(٢) انظر: درة التنزيل، الخطيب الإسكافي، (٩٦٥/١-٩٧٠)، والبرهان في توجيه متشابه القرآن، برهان الدين الكرماني، (١٩٠/١)، وغرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري، (٢٧٣/٥).

(٣) انظر: قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص: ٣٠٦).

(٤) الإضراب: الْإِبْطَال. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۚ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦]، أو الانتقال من غرض إلى آخر. قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨﴾ [الأعلى:١٤-١٨]. انظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام، (ص: ١٥١-١٥٢).

(٥) روح المعاني، (٩٢/١٠).

وقد تكرر جوابهم في سورة الأنبياء، ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٥٣]، إلَّا أنَّه في سورة الأنبياء لم يذكر في جوابهم حرف ﴿بَلْ﴾ لأنَّ كلامهم هنا كان إجابة عن سؤال سيدنا إبراهيم عليه السلام عن معبوداتهم التي نحتوها بأيديهم، وعكفوا عليها، فكأنَّه أراد من هذا السؤال تسفيه رأيهم، وقوله لهم: لم تعبدون ما تنحتون، فقالوا: ﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٥٣](١).

ولما وجدهم مقلّدين عن غير علم وبصيرة أراد أن يهزَّهم هزَّة قوية تنبّههم لباطل ما يعبدون، فصرَّح بأنَّهم وآباءهم في ضلال واضح، فقال لهم: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء:٥٤]، وأعلن عداءه لهم، فلم يمنعه ارتباطه بقومه وانتماؤه لهم أن يفارقهم بعقيدته، وأن يجاهر بعدائه لآلهتهم، قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشعراء:٧٥-٧٧].

وقد فوجئوا باتهامه آباءهم، وعدائه لهم ولآلهتهم، وظنُّوا أنَّه يمزح معهم، فقالوا: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾ [الأنبياء:٥٥] فأزال ظنَّهم، وأكَّد لهم أنَّ الرَّب هو الخالق والمالك لهذا الكون، ﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء:٥٦]، وأنَّ الرَّب هو الذي يحي ويميت، ويخلق، ويهدي، ويطعم، ويسقي، ويشفي من الأمراض، ويحاسب الناس يوم القيامة، ويغفر للمؤمنين منهم ويدخلهم جناته، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨] ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء:٧٨-٨٢]، وأنَّ الرَّب هو الرزاق، وأنَّ آلهتهم عاجزة عن فعل أي شيء من هذه الأمور، ثمَّ حثَّهم من جديد على عبادة الله تعالى وشكره على نعمه، وهدَّدهم بعذاب ينزل بهم إن أصرُّوا على الكفر والتكذيب(٢)، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِى وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [العنكبوت:١٧-٢٣].

---

(١) انظر: درة التنزيل، (٩٠٤/١)، والبرهان في توجيه متشابه القرآن، (١٧٨/١).

(٢) انظر: قصص القرآن الكريم عرض وقائع، (ص: ٣٣٤-٤٣٦).

وبعد أن وجد سيدنا إبراهيم عليه السلام عدم جدوى دعواه، وعدم خضوع قومه للحجج التي أقامها عليهم، وعدم اعتبارهم بالنذر، واستمرارهم بعبادة أصنامهم قرر الانتقال من إقناع أبيه وقومه بالقول إلى إقناعهم بالفعل، وقد كان لهم عيد يذهبون إليه في كلِّ عام بعد أن يضعوا طعاماً في بيت عبادتهم لتُباركه آلهتهم، وعندما يعودون يأكلون منه فرحين، فَعَزَمَ على هدم صرح آلهتهم عندما يخرجون لعيدهم، وأقسم ليكيدها حتَّى يتيقَّنوا أنَّها لا تضرُّ ولا تنفع، ولا تدفع الأذى عن نفسها حتَّى تدفعه عنهم، وجهر بذلك حتى سمعه ضعفاء الناس(١)، قال تعالى: ﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ﴾ [الأنبياء:٥٧].

فلمَّا همُّوا للذهاب إلى عيدهم طلبوا من سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يرافقهم، فامتنع عن ذلك بحجَّة المرض(٢)، إذ قال تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظۡرَةٗ فِي ٱلنُّجُومِ ٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ ٨٩ فَتَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ مُدۡبِرِينَ ٩٠﴾ [الصافات:٨٨-٩٠]، وأراد بالسَّقَمِ: سُقم القلب وتعبه من عدم استجابة قومه لدعوته، فظنَّ قومه أنَّه مريض مرضاً بدنياً، فتركوه ولم يصرُّوا على ذهابه معهم(٣).

ولما وجد المدينة قد فرغت من ساكنيها توجه متخفياً ومسرعاً إلى بيت عبادتهم المملوءة بالتَّماثيل، قال تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ﴾ وما أحسن تعبير القرآن حين قال ﴿فَرَاغَ﴾ أي مال إليهم ميلة في خفية(٤)، فدخل عليها ورأى الطعام المتروك تحت أقدامها، فخاطبها متهكماً ومحقراً لها: ﴿فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٩١ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ٩٢﴾ [الصافات:٩١-٩٢]، ولما لم يجد منهم جواباً أخذ يحطمها بالفأس الذي في يده، ﴿فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ﴾ [الصافات:٩٣]، واستثنى أعظم صنم لهم فلم يحطِّمه، بل ربط الفأس بيده(٥) ليُشعرهم أنَّ صنمهم الأكبر قد غار من أن تُعبد معه هذه الصِّغار ﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأنبياء:٥٨].

ولما رجعوا من عيدهم ووجدوا ما حلَّ بمعبوداتهم تساءلوا متعجبين، ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٩ قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ ٦٠﴾ [الأنبياء:٥٩-٦٠]، وعندما علموا أنَّ إبراهيم هو المجترئ على آلهتهم، والمحطِّم لها، توافدوا عليه لإحضاره على رؤوس الأشهاد، ﴿فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ﴾ [الصافات:٩٤]، وأرادوا بذلك أن يشهد الجميع مقالته، ويعاينوا الاقتصاص منه، ﴿قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ﴾ [الأنبياء:٦١]، وابتدأوا محاكمته أمام الجمع الغفير، ﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾

---

(١) انظر: معالم التنزيل، (٢٩٢/٣).

(٢) انظر: قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى، (ص: ٣٩).

(٣) انظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، (١٥٦/٧).

(٤) انظر: معالم التنزيل، (٣٤/٤).

(٥) انظر: جامع البيان، (٤٥٩/١٨).

[الأنبياء:٦٢]، ولم يعلموا أنَّ هذا مقصده منذ البداية، فها هي الفرصة أمامه ليُلزمهم الحجَّة، ويُعيدهم إلى صوابهم، ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٣].

لقد نجح سيدنا إبراهيم عليه السلام في إيقاعهم في حيرة من أمرهم، وألجم أفواههم عن الردِّ عليه أو تكذيبه، فعادوا على أنفسهم بالملامة لتركها دون حارس لها ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الأنبياء:٦٤]، ثمَّ أطرقوا رؤوسهم مفكِّرين، وقالوا له: أنت تعلم أنَّها لا تستطيع أن تجيب، فكيف تأمرنا بسؤالها؟! ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٥][1]، فأخذ في تبكيتهم على جهلهم، والتأفف من استمرارهم على الباطل بعد شروق شمس الحق أمام أعينهم، فقال: ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات:٩٥-٩٦] ألهذا الحد بلغ منكم الجهل أن تعبدوا أصنام صنعتموها بأيديكم، وتتركوا عبادة الله تعالى، ولو كانت العبادة تحق لأحد غير الله تعالى فأنتم أحقُّ أن يَعبُدُوكم لأنَّكم أنتم من صنعتموهم وليس العكس، والحقيقة أنَّ الله تعالى هو خالقكم وخالق أعمالكم[2]، بل وحتَّى إنَّ هذه الأصنام عاجزة عن نفعكم أو دفع الضَرر عنكم، فها أنا قد حطَّمتها دون أن تدافع عن نفسها، وها هو صنمكم الأعظم قد عجز عن حماية بقية الأصنام، فكيف لكم أن تتوجهوا لعبادة أصنام عاجزة عن جلب النفع لها أو لغيرها، ودفع الضَرر عنها أو عن غيرها[3]. قال تعالى: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء:٦٦-٦٧].

ولما أعيتهم الحيلة، ووجدت موعظته منهم قلوباً غلفاً، وآذاناً صُمَّاً، ولم تبق لهم حجة، عَدَلُوا عن الجدال والمناظرة، وعمدوا إلى قوة يسترون بها هزيمتهم[4]، وعند تدبر الآيات التي تحدثت عن إحراقه نجدها تُكمِّل بعضها بعضاً، فكلُّ آية عرضت جانباً جديداً في موضوع الانتقام ونتيجته.

ففي سورة العنكبوت كان ردُّ القوم على دعائه إلى توحيد الله تعالى، ونهيه عن عبادة الأوثان، وحجاجه لهم قبل تحطيم الأصنام وبعدها هو اتِّخاذ القرار بقتله أو إحراقه، قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ [العنكبوت:٢٤] فالقائل هنا: هو بعضهم لبعض، أو كُبراؤهم المجرمون، أو واحد منهم، وكان الباقون راضين، فكانوا جميعاً في حكم القائلين، وقد عبَّر القرآن الكريم عن فعل القتل لقوله ﴿ٱقْتُلُوهُ﴾، ولم يقل ﴿قَتَلُوهُ﴾، بينما عبَّر عن الإحراق بقوله ﴿حَرِّقُوهُ﴾، ولم يقل ﴿حرَقوه﴾؛ لتصوير شدَّة حقدهم عليه، ورغبتهم الشَّديدة

---

(١) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، (ص: ١٦٤-١٦٥)، وقصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى، (ص: ٤٠-٤١).

(٢) انظر: نظم الدرر، (٢٥٨/١٦).

(٣) انظر: فتح القدير، (٤٨٩/٣).

(٤) انظر: قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، (ص: ١٠٤).

بتعذيبه، إذ إنَّ تكرار عين الفعل في ﴿فعَّل﴾ دليل على تكرار الحدث، وكأنَّ قومه الظَّالمين رأوا أنَّ القتل راحة لإبراهيم، وخلاصاً له من الألم بسرعة، أمَّا الإحراق فعذابه أشدَّ، وأمده أطول، وفيه شفاء لنيران الحقد المستَعِرَة في قلوبهم تجاهه، لهذا السبب اقترحوا في البداية الإحراق مع القتل، ثمَّ اختاروا الإحراق وحده، وأفصحوا عن سبب اختيارهم وهو قوله تعالى: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٦٨]، وهو أنَّ الإحراق ليس فيه انتقام فحسب، بل لأنَّ فيه نصراً لآلهتهم التي قد أذلَّها وأهانها، وقولهم ﴿إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ أي: إن كنتم ناصرين لآلهتكم، فإن لم تُحرقوه فقد فرَّطتم بها وبنصرتها.

وبعد هذا الاختيار الظالم في محاسبته ومعاقبته لم يُرضهم أن يكتفوا بإحراقه في نار تلتهم جسده فحسب، بل دفعهم طغيانهم أن يجعلوها جحيماً مُستعراً ومُستمراً مبالغة في الانتقام، وهذا ما أشارت إليه سورة الصافات، قال تعالى: ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات:٩٧]، والجحيم: الجُحْمَة: شدَّة تأجُّج النَّار، ومنه جَحَمَ وجهه من شدَّة الغضب؛ لثوران حرارة القلب(١)، وعليه فالجحيم هو كلُّ نار بعضها فوق بعض، فأرادوا أن يَصلَوه جحيماً مساوياً لِلَظى قلوبهم المليء بالحقد، فشرعوا يجمعون الحطب مدَّة طويلة، ثمَّ عمدوا إلى حفرة ووضعوا فيها الحطب وأوقدوا فيها النار حتَّى تأجَّجت والتهبت، فلم يستطيعوا الاقتراب منها، ومن علو بنيانها لجأوا إلى قذفه فيها من بعيد(٢)، فوضعوه في كفَّة منجنيق(٣) وهو مُكبَّل بالأغلال، ثمَّ ألقوه في النار.

الآن إبراهيم في النار إلا أنَّ قلبه مفعم بالإيمان، فلم تُزلزله المهمَّات، ولم تُخفه النيران، بل كان صابراً مطمئناً واثقاً بالله تعالى، وهنا يتبادر للذهن السؤال: ماذا حلَّ بأبي الأنبياء؟ وهل سينجح كيدهم به؟ ليأتي الجواب: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩]، ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾ [العنكبوت:٢٤]، فمعاذ الله أن يترك الرَّبُّ عبده المؤمن في بلاء دون أن يُنزل معه ألطافه ورعايته وعنايته، وها هي النَّار المضرمة لأيام لم تحرق إلا وثاقه، وأذهب الله حدَّتها، وجعلها برداً وسلاماً عليه، فلم تمسَّه بسوء، واختار الله تعالى تعطيل قانون إحراق النَّار لنصرة نبيه؛ لتظهر المعجزة الإلهية في حفظ الله تعالى له، وليشهد القوم بطلان معتقداتهم، وعجز آلهتهم عن أن تمسَّ محطِّمها ومهينها بأدنى سوء(٤).

إنَّ هذه المعجزة كانت خرقاً لنواميس الكون السائدة، ولا يخرق النَّاموسَ إلا خالقُ النَّاموس، ولا يُعطِّل قانون الأشياء إلا خالقها؛ لأنَّ الأشياء لم تُخلق لتكون لها القدرة على قيُّومية نفسها، بل مخلوقة لأداء مهمَّة، والذي

---

(١) المفردات في غريب القرآن، (ص: ١٨٧)، مادة (جَحَمَ).

(٢) انظر: من لطائف التعبير القرآني حول سير الأنبياء والمرسلين، محمد فؤاد سندي، (ص: ١٤٨-١٥١).

(٣) المنجنيق: آلة تُرمى بها الحجارة في الحرب، وهي كلمة فارسية معرَّبة. انظر: لسان العرب، (٣٣٨/١٠)، مادة (جَنَقَ).

(٤) انظر: من لطائف التعبير القرآني، (ص: ١٥٣).

خلقها لهذه المهمَّة هو الوحيد القادر أن يسلبَها خواصَّها، والله تعالى خلق النَّار وخلق فيها خاصية الإحراق، وهو وحده القادر على سَلْب هذه الخاصية منها، فتكون ناراً بلا إحراق، فليس للنار قيُّومية بذاتها(١).

ولما انطفأت النيران، خرج سيدنا إبراهيم عليه السلام حرَّاً طليقاً، وتحقَّقت معجزة الله تعالى بنصرته لأوليائه، فهم قد غالبوه بالجدل فغُلِبوا على أمرهم، عمدوا إلى القوة، فرَّد الله تعالى كيدهم في نحورهم(٢)، وكانت غايتهم من هذا الكيد والإحراق تحقيق أمرين:

أولاً: إذلال سيدنا إبراهيم عليه السلام كما أذلَّ أصنامهم بتحطيمها، قال تعالى: ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ﴾ [الصافات:٩٨] جاءت الآية مقترنة بالفاء التي تفيد التعقيب على قولهم ﴿قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات:٩٧](٣)، فكما بنوا بنياناً وأجَّجوه بالنِّيران، ثمَّ رفعوا سيدنا إبراهيم عليه السلام ورموه إلى أسفله، وأخذوا ينظرون إليه من علو وهو ملقى في أسفل الجحيم، كذلك الله تعالى أبطل كيدهم، ورفع سيدنا إبراهيم عليه السلام، وجعلهم هم الأسفلين حتى وإن كانوا الأعلى في المكان إلا أنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام هو الأعلى في المكانة مهما حرصتم على جعله أسفل منكم.

ثانياً: الدفاع عن آلهتهم التي حطَّمها، ونَصْرَها عليه، قال تعالى: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ﴾ [الأنبياء:٧٠]، جاءت الآية مقترنة بحرف الواو، عطفاً على ما تقديره: فألقوه فيها وأرادوا به كيداً، أي مكراً بإضراره بالنَّار، ولكن لما قدَّم قوله تعالى: ﴿قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء:٦٩] على هذه الآية دلت أنَّه حَكَمَ بسلامته من كيدهم لمجرد أن همُّوا بإحراقه، فكيف بما بعده(٤)! وفي التعبير بالأخسرين دلالة على أنَّه عليه السلام عندما كسَّر أصنامهم غلبهم، وبعد محاولتهم نصر آلهتهم بإحراقه عليه السلام نجَّاه الله تعالى منها، ونصره عليهم، فكانوا هم الأخسرين، ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٦٨](٥)، أمَّا هؤلاء الخاسرون عَبَدَة الأوثان فإنَّهم سيؤولون إلى نار ليست بمشابهة للنَّار التي أحرقوا بها سيدنا إبراهيم عليه السلام، ولن يكون للأصنام ولا لعَبَدَتها ناصر ومنجي لهم من تلك النَّار(٦)، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ

---

(١) انظر: تفسير الشعراوي، (٩٥٨٥/١٩).

(٢) انظر: قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى، (ص: ٤٣).

(٣) انظر: قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص:٣٠٩).

(٤) انظر: نظم الدرر، (٤٤٦/١٢).

(٥) انظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، (١٧٩/١)، وقصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص:٣١٠)، والقصص القرآني عرض وقائع، (٣٦٥/١).

(٦) انظر: مفاتيح الغيب، (٤٦/٢٥).

أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ [العنكبوت:٢٥].

ويطوي السياق القرآني ذهول القوم وخيبتهم بعد خروج سيدنا إبراهيم عليه السلام سالماً من نيرانهم، ليفتح صفحة جديدة من دعوة إبراهيم عليه السلام فبعد دعوة أبيه، أقرب النَّاس إليه، انتقل إلى دعوة قومه، وهي الدائرة الأوسع، فلمَّا لم يستجيبوا لدعوته وأحرقوه، انتقل إلى دعوة مَلِكِهم، فعلى الرغم من اختلاف الروايات في الوقت الذي وقعت فيه مناظرة سيدنا إبراهيم عليه السلام للملِكِ هل كانت قبل إحراقه أم بعد؟ إلا أنَّ الراجح وقوعها بعد الإحراق؛ لأنَّ أسلوب القرآن الكريم في قصة الإحراق يدلُّ على أنَّ الإحراق كانت نتيجة لتكسيره للأصنام، ومحاكمته على ذلك، ولم يوجد في القرآن ما يدلُّ على أنَّ الإحراق كانت نتيجة مناظرته للملِكِ، مما يرجح أنَّ معجزة نجاته من النَّار قد وصلت إلى الملِكِ، فتعجَّب من ذلك، ورأى ألَّا سبيل إلى بطشه وقهره، وأنَّ أفضل وسيلة للتَّعامل معه هي مناظرته لعلَّه يعود إلى رشده في زعمه، ويعود إلى عبادة معبوداتهم، والخضوع له[١].

وقد يتبادر للذهن السؤال من هو هذا الملِك؟ ولماذا ادَّعى الألوهية؟ وكيف كانت نهايته؟

إنَّ هذه الأسئلة لم يصرّح القرآن الكريم ولا السُّنة النَّبوية بالإجابة عنها، لذا فهي من المبهمات في القرآن الكريم، وإنَّما عرَّف القرآن الكريم عنه بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ [البقرة:٢٥٨] تحقيراً له، فهو أدنى من أن يذكر اسمه في القرآن الكريم، ولأنَّ العبرة من القصة متحققة دون ذكر اسمه، ولكي تتحقق العبرة على كلِّ جبار في الأرض قد سوَّلت له نفسه الجرأة على الله تعالى، كلُّ هذا جعل التصريح باسمه أمراً لا فائدة منه[٢].

أمَّا ما ورد من أنَّ اسمه نمروذ بن كنعان، وأنَّ الله تعالى أهلكه ببعوضة دخلت في أنفه إلى دماغه فهو من قبيل الإسرائيليات التي لا نُسلِّم بها، ولا نخوض فيها[٣]، فما يهمنا أنَّ هذا الملِك كان كافراً مدَّعياً الألوهية، وأنَّه قد دعا إبراهيم عليه السلام إليه، وسأله عن ربِّه الذي يعبده، فأجابه سيدنا إبراهيم عليه السلام: ربِّي الذي يمنح الحياة ويسلُبُها، فأفحمته الحجَّة، إلَّا أنَّ عادة المتكبّر ألَّا يخضع للحقِّ، بل تأخذه العزَّة بالإثم، فجادله بالباطل، وأتى برجلين قد تحتَّم قتلهما، وقال: أنا أحيي أحدهما بالعفو عن قتله، وآمر بقتل الآخر فأميته، فلمَّا وجد سيدنا إبراهيم عليه السلام من هذا الملِك المراوغة والخداع انتقل إلى ذكر الدليل الذي جعله عاجزاً عن النُّطق بأيِّ كلمة بعده، فقال له:

---

(١) انظر: الخليل إبراهيم عليه السلام في الكتاب والسنة، أبو سيف عبد الله علي محمد، رسالة ماجستير، (ص: ٤٢).

(٢) انظر: الحوار في قصة الخليل عليه السلام دروس وعبر، محمود سعد عبد الحميد شمس، رسالة ماجستير، (ص: ٤٣٢).

(٣) انظر: القصص القرآني عرض وقائع، (٣٣٨/١).

ربّي الذي جعل للشمس نظاماً تشرق من مشرقها، فإن كنت إلهاً كما تدَّعي فأبدل نظام الكون واجعلها تشرق من المغرب، فصدمته الحجَّة الباهرة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨].

وبعد أن أفحمه سيدنا إبراهيم عليه السلام بالحجَّة أخذ الملِك يُضيِّق عليه ويضارُّ به[١]، فلمَّا وجد سيدنا إبراهيم عليه السلام عدم استجابة أبيه وقومه ومَلِكِهم لدعواته المتكررة لهم، بل زادوا في عدائه رأى أن يعتزلهم ويفارقهم في المكان كما فارقهم بالعقيدة، ودلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾ [مريم:٤٨]، فالاعتزال: هو التَّباعد، وأراد بهذا التَّعبير مفارقة لأبيه وقومه في المكان وفي الطريقة والدِّين[٢]، فَعَزَمَ على الهجرة والفرار بدينه عسى أن يستقرَّ بأرض تنمو فيها دعوته، وقد ظفر إبراهيم عليه السلام قبل هجرته بوعد من أبيه أنَّه سيؤمن، ولشدَّة حبه له، ورغبته بهدايته فقد وعده أن يستغفر له على الرغم مما لاقاه منه من غلظة وكفر، قال تعالى: ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم:٤٧] وقد كان ذلك قبل علمه أنَّه عدو لله تعالى، والدَّليل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [مريم:٤٥][٣]، وقد نفَّذ سيدنا إبراهيم عليه السلام وعده واستغفر لأبيه، قال تعالى: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء:٨٦]، واستمر استغفاره لأبيه طوال حياة أبيه، وحتَّى بعد أن ولد له سيدنا إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم:٤١][٤].

ولأنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام إماماً وقدوة لمن بعده، فقد كان المسلمون في صدر الإسلام يستغفرون لأهليهم من المشركين اقتداء بسيدنا إبراهيم عليه السلام فنزلت هذه الآية لتؤكد عدم التَّأسي به في هذا الفعل، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ﴾ [الممتحنة:٤][٥]، ثمَّ بيَّنت الآية حقيقة استغفاره لأبيه، وهي بسبب وعد أبيه له بالإسلام، فلمَّا مات على

(١) انظر: قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى، (ص: ٤٤-٤٥).
(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (٥٤٧/٢١).
(٣) انظر: نظم الدرر، (٣٠٨/١٢).
(٤) انظر: مفاتيح الغيب، (٥١٦/٢٤).
(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٢٣٦/٥).

الشِّرك توقَّف عن الاستغفار؛ لأنَّه تيقن أنَّه عدو لله تعالى[١]، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤].

في النهاية أعلن سيدنا إبراهيم عليه السلام براءته من أبيه وقومه، وهذا هو الموقف الذي يجب أن يقتدي به المؤمنون بإبراهيم عليه السلام، موقف التبرُّؤ من كلِّ كافر ومعاد للدِّين الحقِّ، مهما كانت درجة قرابته، ما دام يتَّبع منهجاً باطلاً، وطريقاً فاسداً[٢]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٧].

خرج سيدنا إبراهيم عليه السلام من بلده بابل تاركاً وراءه أرضه وأهله وصحبه، وكلَّ ما يشدَّه إلى الأرض التي نشأ فيها[٣]، فنزل مع زوجته سارة، وابن أخيه سيدنا لوط عليه السلام في حرَّان[٤]، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات:٩٩]، ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:٧١]، ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [العنكبوت:٢٦]، وكان يرجو أن يكون أهل هذه البلاد أصحاب عقول نقية تستجيب لدعوته، ففوجئ بأنَّ أهل هذه البلد يعبدون الكواكب من دون الله تعالى، فأراد أن ينبِّههم ويرشدهم لباطل ما هم عليه، فاختار طريق العقل والحجَّة، فانتظر الليل، ورأى كوكباً يعبدونه، فخاطبهم بحسب اعتقادهم، دون أن يقوم بأيِّ تسفيه لمعبوداتهم، وكاشفاً لهم فساد اعتقادهم بطريق خفي، فلمَّا غاب لفت انتباههم إلى أنَّ الآلهة يجب ألَّا يتغير حالها، وتنتقل من مكان لمكان، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّىۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ [الأنعام:٧٦].

فلمَّا رأى القمر أراد استدراجهم واستهواء قلوبهم، فقال: هذا ربِّي، فلمَّا اختفى نوره واستتر بيَّن لهم أنَّ الله تعالى هو مصدر الهداية والتوفيق، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّىۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الأنعام:٧٧].

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٤/٢٢٥).

(٢) انظر: القصص القرآني عرض وقائع، (١/٣٢٧).

(٣) انظر: قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، (ص: ١٠٨).

(٤) مدينة مشهورة من جزيرة أُقُورَ، تقع على طريق الموصل والشام وتركيا، وسميت بهاران نسبة لأخي إبراهيم عليه السلام؛ لأنَّه أول من بناها، ثمَّ عرِّبت فقيل حرَّان، وذكر قوم أنَّها أوَّل مدينة بنيت على الأرض بعد الطوفان، وكانت منازل للصائبة، وهم عَبَدة الكواكب. وتقع اليوم في جنوب شرق تركيا قرب منابع نهر البليخ بين الرها ورأس العين. انظر: معجم البلدان، (٢/٢٣٥)، والموسوعة العربية، (٨/١٣٧).

فلمَّا رأى أكبر الكواكب وهي الشَّمس السَّاطعة قال: هذا ربِّي، فلمَّا غابت كانت الحجَّة قد أقيمت عليهم، فأعلن براءته مما يعبدونه من الكواكب المسيَّرة بأمر خالقها، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٧٨].

ثمَّ صرَّح بتوجهه إلى عبادة الله تعالى خالق السماوات والأرض، لكنَّهم لم يستجيبوا له، بل أخذوا يحاجُّونه، ويخوفونه من بطش آلهتهم، فتعجَّب من تخويفه من آلهة لا تضرُّ ولا تنفع، وعدم خوفهم من إشراكهم بالله تعالى القادر على إنزال أشد العذاب بهم[١]، قال تعالى: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ ۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنعام:٧٩-٨٣].

فلمَّا وجد سيدنا إبراهيم عليه السلام أهل حرَّان مصرِّين على كفرهم وضلالهم، قرر أن يتابع هجرته إلى ربِّه، فخرج إلى مصر يدعو إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، ولم يعرض القرآن الكريم تفاصيل هجرته إلى مصر، لذا لن نتطرق إليها.

ومن مصر خرج إلى الأرض المباركة، وهي أرض الشام، واستوطن في فلسطين مع زوجه سارة، ومع سارة جارية لها اسمها (هاجر)، وكانت سارة لا تنجب، وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام قد تقدَّم في العمر وليس له أولاد، فوهبته جاريتها عسى أن يصبح لديه ولد[٢]، وكان سيدنا إبراهيم عليه السلام يدعو ربه أن يهبه الذرِّيَّة الصَّالحة، قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات:١٠٠-١٠١] فوهِب له إسماعيل عليه السلام، ووصفه القرآن الكريم بالحليم؛ تمهيداً لما ستعرضه السورة من قصة تلقِّي سيدنا إسماعيل عليه السلام خبر رؤيا ذبحه بالرِّضى والصَّبر، فبيَّنت الآيات أنَّه حليم فاتَّقى الله تعالى وأطاع والده[٣].

ثمَّ جاء الأمر الإلهي بأن يأخذ ابنه الرَّضيع وأمه من فلسطين إلى بلاد الحجاز، ولم تصرِّح الآيات بالحكمة من هذا الأمر، لذا لا أرى داع للالتفات للروايات الإسرائيلية التي تُرجع سبب الهجرة إلى طلب سارة من نبينا الكريم

---

(١) انظر: قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى، (ص: ٤٦-٤٨).

(٢) انظر: القصص القرآني عرض وقائع، (٣٨١/١).

(٣) انظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، (٢١٤/١)، ملاك التأويل، (٢٩١/٢).

أن يهاجر بهما بعدما غارت منهما، وطلبت من سيدنا إبراهيم عليه السلام أن يذهب بهما إلى مكان بعيد لكيلا تراهما، فكيف تغار منهما وهي التي وهبتها لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وهي التي رجت أن يكون له ولد؟!

وعلى عادة سيدنا إبراهيم عليه السلام بالاستجابة لأمر الله تعالى، فقد هاجر بهما حتى وصلوا إلى واد غير ذي زرع، وبعد أن غادر وتركهما توجه إلى الله تعالى بالدُّعاء[١]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦] فدعا ربَّه أن يُزيل عن هذا الوادي الخوف الذي كان حاصل به، ويجعله بلداً آمناً[٢]، وأن يُغدق الرزق الوفير على ساكنيها، قال تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾﴾ [إبراهيم:٣٧-٣٨]. وقد استجاب الله تعالى دعوات نبيه الكريم، فتمَّ بناء البيت الحرام في هذا الوادي، وأقيمت مكَّة المكرَّمة، وسكنها النَّاس، ونبت فيها الزرع والثمار، وصارت مكاناً تشتاق إليه الأرواح، وصار بلداً آمناً من كلِّ سوء[٣]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة:١٢٥]، ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧].

قضى سيدنا إبراهيم عليه السلام سنوات طويلة من حياته يزورهم بين الحين والآخر؛ ليقرَّ عينه برؤيا ولده الذي عاش بعيداً عنه، إلى أن أصبح شيخاً كبيراً، وامرأته سارة عجوز عقيم صابرة على ما ارتضاه الله تعالى لها من عدم الإنجاب.

وكان ابن أخيه لوط قد استقرَّ بمنطقة تدعى سدوم[٤]، وكان أهلها ذوي أخلاق فاسدة، لا تجد منكراً إلا فعلوه، وجاهروا به، وكانوا يأتون الذكران من العالمين، فأمر الله تعالى سيدنا لوط عليه السلام أن يدعوهم إلى عبادة الله تعالى، وترك ما هم عليه من الفواحش والآثام، وحذَّرهم من سوء عاقبة ما يفعلونه، إلا أنَّهم لم يرتدعوا، بل تمادوا بطغيانهم، وهدَّدوا سيدنا لوط عليه السلام بإبعاده عن قريتهم هو وكلُّ من آمن معه، فلمَّا وجد سيدنا لوط عليه السلام قد استنفذ جميع وسائل إصلاحهم وردعهم، ورأى منهم عدم استجابة للحقِّ، وتمادي بالطغيان، دعا ربَّه أن ينصره على القوم المفسدين، قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ

---

(١) انظر: القصص القرآني عرض وقائع، (١/٣٨٤-٣٨٥).

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، (١٩/١٠٠).

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم، (١/٤١٣).

(٤) مدينة تقع على الطرف الجنوبي للبحر الميّت، على جنوب الأردن حالياً. انظر: الموسوعة العربية العالمية، باب السين، سدوم وعمورة، (ص: ١).

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [العنكبوت:٢٨-٣٠]، فاستجاب الله تعالى دعاءه، وبعث ملائكة لإهلاك أهل هذه القرية.

وهنا بدأت حكاية جديدة تروي فصلاً جديداً من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، فبعد أن احتفى القرآن الكريم بذكر سيدنا إبراهيم عليه السلام في طفولته وشبابه، يستمر الاحتفاء في مرحلة شيخوخته في موطنه الجديد، وتتعرض هذه القصة لبشارته بحصول نعمة لطالما دعا بها، وقد وردت هذه القصة في أربع حلقات في القرآن الكريم، جميعها في السور المكّية، وقد اختلفت في سياقها ونظمها، إلا أنَّها في كلِّ موضع عرضت تفصيلاً جديداً من تفاصيل القصة، وعند جمع هذه الحلقات نجدها تُكمِّل بعضها بعضاً، وترسم صورة متكاملة ومتآلفة لمجريات القصة، وتُسهم مجتمعة في استخلاص العبر منها.

فبعد أن استجاب الله تعالى دعاء سيدنا لوط عليه السلام أرسل ملائكة لإهلاك قومه، وقبل أن يصلوا إليه مرُّوا بسيدنا إبراهيم عليه السلام أولاً، وكانوا على هيئة أضياف، فَحَسِبَهُم عابري سبيل[١]، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [هود:٦٩]، ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحجر:٥١]، ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات:٢٤]، وصِفَتِ الملائكة بأنَّهم مُكرَمون، والذين أكرمهم الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء:٢٦-٢٧]، أو مُكرَمون من سيدنا إبراهيم عليه السلام، فقد أكرمهم عندما ردَّ عليهم التَّحية بأحسن منها، وخَدَمَهُم بنفسه، وجعل امرأته تُشاركه في خدمتهم، وقام بإعداد الطَّعام لهم، فأكرمهم بذبح عجل لهم، فاختاره سميناً، ومشويَّاً بأفضل أنواع الشواء، فهو سمين في ذاته، ومشويٌّ في طعمه، وهذا منتهى الإكرام[٢].

"وأضيفوا إلى إبراهيم عليه السلام وإن لم يكونوا أضيافاً، لأنَّهم في صورة من كان ينزل به من الأضياف، إذ كان لا ينزل به أحد إلا ضَافه"[٣].

ثمَّ سلَّموا عليه، ولم يُذكر أنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام قد ردَّ على تحيتهم إلَّا في سورة هود، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [هود:٦٩] لأنَّ سورة هود سبقت سورة الحجر بالنزول فَحُذِفَ في سورة الحجر ردُّ السلام، وتقديم

---

(١) انظر: قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى، (ص: ٦٠-٦٢).

(٢) انظر: تفسير الشعراوي، (١٤٥٨٥/٢٣).

(٣) البحر المحيط، (٤٨٤/٦).

الطعام؛ للدَّلالة عليها في سورة هود [١]، وانتقلت مباشرة إلى ذِكر خوفه من عدم أكلهم، فمحال أن يكون إبراهيم عليه السلام قد واجههم بمخاوفه عَقِبَ دخولهم وسلامهم عليه، فقد كان عليه السلام كريماً محبَّاً للضُّيوف، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾ [الحجر:٥٢]، ﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات:٢٥].

فسارع إلى إكرام أضيافه، وقدَّم إليهم خير ما يقدَّم للأضياف، فأتاهم بعجل مشوي على الحجارة، وسمين يسيل دسمه[٢]، قال تعالى: ﴿فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ﴾ [هود:٦٩]، ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات:٢٦].

ولكنَّ أيديهم لم تمتدَّ للطَّعام فعَلِم أنَّهم ملائكة وخاف منهم لعدم علمه فيم جاءوا من أجله، وقد بان خوفه من قسمات وجهه، فطمئنوه وبشروه بالولد[٣]. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود:٧٠]، ﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر:٥٣]، ﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ۝٢٧ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝٢٨﴾ [الذاريات:٢٧-٢٨].

وفي سورة هود أخبرته الملائكة أنَّهم مرسلون لإهلاك قوم لوط، ثمَّ بشَّروا زوجه بالولد وولد الولد؛ لأنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام كان له ولد من زوجته هاجر ولم يكن لها ولد، ولأنَّ المرأة أكثر فرحاً بالولد من الرجل، ولأنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام قد بشَّرته الملائكة وآمنته من الخوف، فأتبعوا بشارته ببشارتها[٤]، قال تعالى: ﴿قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝٧٠ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ۝٧١﴾ [هود:٧٠-٧١].

وقد تكون البشارة قد حصلت لهما معاً في وقت واحد، وقد تكون حصلت في وقتين متقاربين، فبشَّروه أولاً، ثمَّ امرأته[٥]، فتعجَّب سيدنا إبراهيم عليه السلام من بشارتهم لهم بالولد بعد أن مسَّه الكِبَرُ، قال تعالى: ﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝٥٤ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ۝٥٥ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۝٥٦﴾ [الحجر:٥٤-٥٦]، وكذلك حال زوجه فقد تعجَّبت من بشارتهم لها بالولد بالرغم من أنَّها عجوز عقيم، وزوجها شيخ كبير، ناسية أنَّ الذي زفَّ إليها الخبر هم الملائكة، فردَّها المرسلون إلى الحقيقة الأولى،

---

(١) انظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، (١/١٥٦).

(٢) انظر: معالم التنزيل، (٢/٤٥٦).

(٣) انظر: الكشاف، (٢/٤١٠).

(٤) انظر: البحر المحيط، (٦/١٨٢).

(٥) انظر: التحرير والتنوير، (١٤/٥٨).

حقيقة القدرة التي لا يمنعها شيء، والتي تدبّر كلَّ أمر بحكمة وعلم[١]، قال تعالى: ﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾ [هود:٧٢-٧٣]، ولشدَّة عجبها أخذت تلطم وجهها، قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾﴾ [الذاريات:٢٩-٣٠][٢].

وبعد البشرى وزوال الخوف سأل سيدنا إبراهيم عليه السلام الملائكة عن سبب مجيئهم، فأخبروه أنَّهم مرسلون لإهلاك قوم لوط المجرمين، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود:٧٤]، ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [الحجر: ٥٧-٥٨]، ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الذاريات: ٣١-٣٣]، ﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾ [العنكبوت:٣١]، فحزن سيدنا إبراهيم عليه السلام على ابن أخيه، وخاف عليه أن يمسَّه بعض الأذى وهو مؤمن موحِّد لله تعالى، فقال لهم: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت:٣٢]، أي: إنَّ إهلاككم للقرية وفيها أحد من المؤمنين إهلاك لمؤمن بغير ذنب، فأجابوه عن هذا بقولهم: ﴿قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا﴾ [العنكبوت:٣٢][٣]، فجادلهم في قوم لوط راجياً تأخير العذاب عنهم لعلَّهم يتوبون إلى الله تعالى، فأخبروه أنَّ الأمر قد قُضِي، وأنَّ العذاب نازل لا محالة، ولكن طمأنوه أنَّ لوطاً وأهله في مأمن من العذاب[٤]، قال تعالى: ﴿لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت:٣٢].

إنَّ سورة العنكبوت هي السورة الوحيدة التي جمعت التبشير والإنذار في آية واحدة؛ لأنَّ الآيات التي سبقت هذه الآية تحدثت عن دعاء سيدنا لوط عليه السلام على قومه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت:٣٠] فاستجاب الله تعالى دعاءه، وعندما أراد إهلاكهم، وكان مؤدى هذا الهلاك إخلاء الأرض من العباد قدَّم لسيدنا إبراهيم عليه السلام البشارة بأنَّه تعالى سيملأ الأرض بعباده الصَّالحين حتَّى لا يتأسَّف على

(١) انظر: في ظلال القرآن، (٦/٣٣٨٣).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، (٤/٣٣٤)، وقصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص:٣٠٣).

(٣) انظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، (٣/٣١).

(٤) انظر: قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى، (ص: ٦٣).

هلاكهم[١]، وهذا ما دلَّت عليه أداة الشرط ﴿وَلَمَّا﴾ التي أفادت مجيء البشرى بالولد أولاً، ثمَّ الإخبار عن إهلاك قوم لوط[٢].

هذا حال المؤمن يعيش بين خوف ورجاء، وبين عسر ويسر، وبين بلاء وجزاء، فبعد البشرى بالولد، والإنذار بالهلاك يعود سياق القصة ليفتح صفحة جديدة من صفحات البلاء التي تعرَّض لها سيدنا إبراهيم عليه السلام، والتي لا نبالغ إن وصفناها بأنَّها الأشدُّ وقعاً على قلب أيِّ إنسان، فبعد أن شبَّ ولده إسماعيل عليه السلام، وأصبح قادراً على العمل والقيام بمصالحه، زاد تعلُّق الأب بابنه، والله لا يرضى لمن اختاره نبياً، واصطفاه خليلاً أن يتعلَّق قلبه بسواه، فرأى في منامه أنَّه يذبح ولده بيديه[٣]، ما أعظم ذاك البلاء، فبعد كِبَرِ السن، وطول الانتظار، وفرحة

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٥/٥٠-٥١).

(٢) انظر: أضواء البيان، (٣/٢٩-٣٠).

(٣) رجَّح العلماء أنَّ الذَّبيح هو سيدنا إسماعيل عليه السلام لوجوه: أولاً: لأنَّ رسول الله ﷺ ابن الذَّبيحين، والذَّبيحين هما إسماعيل عليه السلام ووالده عبد الله؛ فلقد نذر عبد المطَّلب عندما حفر بئر زمزم أن يذبح أحد أولاده إن سهَّل الله تعالى له أمرها، فخرجت القرعة على عبد الله، فمنعه أخواله وطلبوا مه أن يفديه بمئة من الإبل ففعل. ثانياً: لأنَّ سيدنا إسماعيل عليه السلام كان بمكَّة والمنحر كان بمكَّة، ولو كان الذَّبيح إسحاق عليه السلام لكان الذَّبح في الأرض المباركة. ثالثاً: لأنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام سأل الله تعالى أن يرزقه بولد يستأنس به في غربته، قال تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:١٠٠]، وقد أجاب الله تعالى دعاءه، ووصلهما بالفاء فقال: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١]، فدلَّ ذلك على أنَّه لم يكن له ولد قبل دعاءه، فلابد أن يكون هذا الغلام الحليم هو الولد الأوَّل لسيدنا إبراهيم عليه السلام، ثمَّ ذكر الذبيح في هذه القصة متصلاً بالدعاء، فدلَّ على أنَّ سيدنا إسماعيل عليه السلام الذي هو أوَّل مولود لسيدنا إبراهيم عليه السلام هو الذبيح، ولأنَّ معنى قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾ [الأنبياء:٧٢] أي عطية من عندنا من غير دعاء ولا انتظار. رابعاً: في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٩] دلالة على أنَّ الموهوب الأوَّل اسمه إسماعيل، ومعناه: سمع الله، وقدَّمه على إسحاق في الشكر، فكأنَّه قال: الحمد لله الذي وهب لي إسماعيل إجابة لدعائي، ثمَّ وهب لي إسحاق نافلة. وهذا يدلُّ على أنَّ الموهوب في قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات:١٠٠-١٠١] هو إسماعيل عليه السلام، وبالتالي فهو الذَّبيح. خامساً: إن حادثة الذَّبح قد حدثت عندما كان سيدنا إسماعيل عليه السلام غلاماً لم يبلغ مبلغ الرِّجال، لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، ولأنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام خاطبه بقوله: ﴿يَٰبُنَىَّ﴾، وقد كان مضمون البشارة بإسحاق البشارة بنبوته، فكيف يمكن أن يكون هو الذَّبيح وقد كانت البشارة بنبوته من قبل ولادته؟! يضاف لذلك أنَّ مضمون بشارة سيدنا إبراهيم عليه السلام لم تقتصر على هبة الولد، بل ومعه ولد الولد، فبُشِّر بإسحاق وولده يعقوب، والإخبار بأبوَّته يجعل كونه هو الذَّبيح أمراً مستحيلاً. سادساً: إنَّ الذي صار قرباناً وُصِفَ بكون حليماً، قال تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١]، والحليم: خُلُقٌ جليٌّ يُرى فيمن أوتي الصَّبر، وهذا الخُلق يظهر منذ الصغر، أمَّا إسحاق عليه السلام فقد وُصِفَ بالعلم، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر:٥٣]، ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:٢٨]، والعلم لا يظهر إلا بعد التَّجارب، فقوله تعالى: وبشَّروه بغلام عليم دليل على أنَّ هذا الغلام سوف يَشِبُّ ويصير من العلماء والأنبياء، وقد كانت البشارة بكون إسحاق عليه السلام عليماً قبل نبوته، مما يمنع أن يكون هو الذَّبيح. سابعاً: إنَّ الله تعالى وصف سيدنا إسماعيل عليه السلام بالصَّبر دون سيدنا إسحاق عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء:٨٥]، ووصفه بصدق الوعد لأنَّه وعد أباه بالصبر على الذَّبح ووفَّى بذلك، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم:٥٤]. انظر: مفاتيح الغيب، (٢٦/٣٤٧)، الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، عبد الحميد الفراهي، (ص: ٧٩-٨٥).

القلب بالولد يؤمر نبينا الكريم بذبح قرَّة عينه، ولكنَّ عِظَمَ البلاء يكون على قدر عِظَمِ الرجال، والعظائم كفؤها العظماء، وسيدنا إبراهيم عليه السلام كان أهلاً لاجتياز هذا الامتحان، فسارع إلى ابنه وأخبره بما رأى؛ ليكون ذلك أهون عليه من أخذه قهراً، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢]، فسارع الابن إلى الامتثال لأمر الله تعالى كأبيه، فلمَّا أسلم إبراهيم ابنه، ووضعه على شقه، وأمسك السكين ومرَّرها على حلقه لم تقطع، فقد سلب الله تعالى منها خاصية القطع، ونودي بأن حصل المقصود من اختبارك، فاستبشرا بالفوز فقد ثبتُّما أمام هذا البلاء العظيم(١)، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥﴾ [الصافات:١٠٣-١٠٥].

لم يبقَ هناك داعٍ للألم البدني، ولا الدم المسفوح، فالله تعالى لا يريد أن يعذِّب عباده بالابتلاء، ولا يريد دماءهم ولا أجسادهم، فمتى أخلصوا له النية، واستعدوا للأداء بكلِّيتهم، فقد حقَّقوا التكليف(٢)، وقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام أعظم مثال على ذلك، فقد امتُحن بابنه الأكبر الذي رُزق به بعد كِبَرِ السن، وطول الانتظار، وكثرة الدعاء، وأُمر بذبحه بنفسه دون غيره، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الصافات:١٠٦]، فصدَّق الرؤيا، واستجاب لأمر الله تعالى(٣)، وظهر صفاء قلبه، وكمال محبته لربِّه، فلمَّا قدَّم حب الله على حبِّ ولده، وآثره على هوى نفسه، لم يبقَ للذبح فائدة(٤)، فاجتاز الامتحان بدرجة الامتياز، واستحق الإكرام من الله تعالى.

وفدى الله تعالى إسماعيل عليه السلام بكبش عظيم، وطلب منه أن يذبحه فداءً لابنه، قال تعالى: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات:١٠٧]، ولم تصرِّح الآيات بتفاصيل هذا الكبش، فلا يوجد داعٍ لسردها والخوض فيها(٥).

وكان هذا الفداء بعد النَّجاح في الاختبار، والاستسلام والتصديق لأمر الله تعالى، ولم يتوقف العطاء الإلهي عند حدِّ الفداء والنَّجاة من البلاء، بل تجاوزه إلى بشارته بإجابة دعوته بدوام ذِكْرِه الحسن فيمن بعده، وجعل النبوة في الصالحين من ذرِّيَّته، قال تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ١٠٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١١٠

---

(١) انظر: قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى، (ص: ٥٤-٥٦).

(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٢٩٩٦/٥).

(٣) انظر: قصة إبراهيم في القرآن الكريم، (ص: ١٢٩).

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، (ص: ٧٠٦).

(٥) انظر: القصص القرآني عرض وقائع، (٣٩٩/١).

إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات: ١٠٨-١١٣].

وتشارف قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام على الانتهاء، وتُختتم بالأمر الإلهي ببنائه الكعبة، لتكون أوَّل بيت وضع بمكَّة المكرمة لعبادة الله تعالى وللطَّاعات والخيرات، وقبلة للصَّلوات، وموضعاً للحجّ، ومكاناً يزداد ثواب العبادات والطَّاعات فيه[١]. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦]، فَقَدِمَ إلى ولده، وأخبره أنَّ الله تعالى أمره أن يبني البيت هاهنا، وأشار إلى أكَمَةٍ مرتفعة عمَّا حولها، ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج:٢٦].

وعند ذلك استجابا لأمر الله تعالى، فقاما برفع قواعد البيت، وكان إسماعيل يأتي بالحجارة، وإبراهيم يبني، وهما يدعوان الله تعالى أن يتقبل منهما بناءهما وعبادتهما، وأن يجعل من ذرِّيَّتهم أمَّة مسلمة له، توحِّده وتفرده بالعبادة، وأن يبعث لهم في آخر الزمان نبي لا تنسخ شريعته إلى يوم القيامة، ويتلو عليهم آيات الله ويعلِّمهم الكتاب والحكمة ويزكِّيهم، وكانت تلك الاستجابة بعد آلاف من السنين حسبما اقتضته حكمة الله تعالى[٢]، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة:١٢٧-١٢٩].

وبعد أن فرغ من بناء الكعبة دعا ربَّه أن يخصَّ هذا البلد بمزيد من الأمن، ويجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها فلا يخافون، فكان الخائف إذا التجأ إلى مكة أمِنَ، والمتخاصمون إذا التقوا بمكَّة لا يخاف بعضهم بعضاً[٣]، وهذا ما يفسر مجيء لفظ ﴿ٱلْبَلَدَ﴾ معرَّفاً في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، يضاف لذلك أنَّ دعاءه بالأمن قد تكرر بالرغم من وجود فاصل زمني بينهما، مما يدلُّ على أنَّ الأمن هو جوهر الحياة، فبدونه لا يستطيع الإنسان أن يحظى بلذَّة العبادة، ولا بلذَّة الرِّزق، لذا فقد ابتدأ سيدنا إبراهيم عليه السلام دعواته بطلب الأمن[٤].

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (٢٩٥/٨).

(٢) انظر: روح المعاني، (٩٧/١٠)، وفي ظلال القرآن، (٢٦٠٤/٥).

(٣) انظر: مفاتيح الغيب، (١٠٠/١٩-١٠١).

(٤) انظر: قصص القرآن الكريم صدق حدث، (ص:٣١٧).

ثمَّ طلب الثَّبات على التَّوحيد واجتناب عبادة الأصنام له ولذرّيَّته، أمَّا له فلأنَّه وبالرغم من علمه بعصمة الله تعالى له من عبادة الأصنام إلَّا أنَّه دعا بذاك الدُّعاء إظهاراً للحاجة والافتقار إليه في كلِّ مطلب، ولكي يعصمه الله تعالى من الشِّرك الخفي، فلا يرى متصرفاً في هذا الكون سوى الله سبحانه وتعالى(١)، وأمَّا لذرّيَّته فلأنَّه لما شاهد كثرة من ضلُّوا بهذه الأصنام في قومه، والأقوام التي سبقته، وكَثْرَةٍ من فُتنوا بها سأل الله عزَّ وجلَّ أن يحفظهم من الضَّلال والتَّوجه لعبادتها، والثَّبات على التَّوحيد(٢).

وما إن ارتفع البناء حتى جاء إسماعيل عليه السلام لأبيه بحجر فوضعه له، فقام عليه إبراهيم عليه السلام وأكمل البناء، وهذا الحجر هو مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام(٣)، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥]، وقال تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِـۧمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٧].

وبعد أن انتهى سيدنا إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من بناء الكعبة، أمره الله تعالى أن ينادي النَّاس لحجِّ البيت(٤)، قال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ٢٧ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ٢٨ ثُمَّ لۡيَقۡضُواْ تَفَثَهُمۡ وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ٢٩﴾ [الحج:٢٧-٢٩].

وبعد أن ابتلى الله تعالى سيدنا إبراهيم عليه السلام بكلمات خلال رحلة حياته، قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤] منها:

١. ابتلاء الدَّعوة، وتحمُّل تكاليف أعباء أداء الرسالة، فقام بدعوة أبيه وقومه ومَلِكِ زمانه.
٢. ابتلاء المواجهة، عندما واجه الكفَّار، وأقام الحجَّة عليهم، وثبت على الحقِّ.
٣. ابتلاء الإحراق، وتفويض الأمر لله تعالى.
٤. ابتلاء الهجرة، عندما ترك أرضه وأهله وماله وتوجه إلى الأرض المقدسة للدَّعوة إلى توحيد الله تعالى.
٥. ابتلاء الفراق، عندما فارق زوجه وابنه، وتركهما في واد غير ذي زرع.

---

(١) انظر: مفاتيح الغيب، (١٠١/١٩).
(٢) انظر: في ظلال القرآن، (٢١٠٩/٤).
(٣) انظر: قصص القرآن، محمد أحمد جاد المولى، (ص: ٥٩-٦٠).
(٤) انظر: جامع البيان، (٧٦/٣).

٦. ابتلاء إكرام الضيف.
٧. ابتلاء التَّضحية، عندما استجاب لأمر الله تعالى ونفَّذ رؤيا ذبحه لابنه.
٨. ابتلاء بناء البيت.
٩. ابتلاء العبادة والذكر والشكر والتَّوبة والدعاء.
١٠. ابتلاء الولاء للقوم الكافرين، والتبرُّؤ منهم ومن معبوداتهم.
١١. ابتلاء الإمامة والقيادة.

وقد نجح في جميعها، فلم يبتله الله تعالى ببلاء إلا وصبر عليه، ولم يأمره بشيء إلا ووفى به حق الوفاء، فأدَّى أمانة الميثاق الغليظ الذي عاهد الله تعالى عليه، والذي تتضمن أداء أمانة الرسالة، وتبليغها للناس، وتنبيههم أنَّ هذه الرسالة ستكون إمَّا حجة لهم أو عليهم، فيُسأل المؤمنين عنها يوم القيامة للثَّناء عليهم، ويعذِّب الكافرين في تلك العقيدة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٨﴾ [الأحزاب:٧-٨].

ولأنَّه وفَّى بهذا الميثاق فلا عجب أنَّ الله تعالى أثنى عليه في كتابه العزيز، فقال عنه: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٧]، وربما كان الباعث على التزامه بالكلمات والواجبات التي أمره الله تعالى بأدائهن هو قوَّة صلته بالله تعالى، وسلامة قلبه من الشرك والآفات، وامتلاؤه بالإيمان والإحسان، قال تعالى: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات:٨٤][(١)].

ولما نجح في ابتلاء الله تعالى، وأتمَّ كلماته، كافئه الله تعالى بعدَّة أمور:

١. جعل موطئ قدميه مباركاً[(٢)]، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ﴾ [سورة البقرة:١٢٥].
٢. أجاب دعوته فجعل له ولذرِّيَّته ذِكْرٌ حَسَنٌ في الأمم الآتية من بعده، فكلُّ الناس تفتخر بهم، وتثني عليهم، وجميع الملل تتمسَّك به وتعظِّمه[(٣)]، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ۝٤٩ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٥٠﴾ [مريم:٤٩-٥٠]، ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٣ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ۝٨٤ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨٥ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٨٦ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾

(١) انظر: القصص القرآني عرض وقائع، (٤٤١/١).
(٢) انظر: جامع البيان، (٨/٢)، مفاتيح الغيب، (٥٤٨/٢١).
(٣) انظر: فتح القدير، (١٢٣/٤)، وروح المعاني، (٤٢٠/٨).

[الشعراء: ٨٣-٨٩]، ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الصافات:١٠٨-١١١]

٣. جعل النُّبوة في ذرِّيَّته، وأخرج من نسله عباداً موحّدين لله تعالى، وشرَّفهم الله تعالى بالنُّبوة والكرامة، وفضَّلهم على العالمين، وكان هذا جزاء له على طاعته لله تعالى، وإفراده بالعبودية والطَّاعة، ومفارقته لدين أباه وقومه[١]، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ [مريم:٤٩-٥٠]، ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:٧١]، ﴿قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الحجر:٥٣]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنعام:٨٤-٩٠]، ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾﴾ [الصافات:١١٢-١١٣]، ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:٢٨]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم:٣٩-٤١]

فقوله: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى﴾ من: للتبعيض، أي اجعل بعضاً من ذرِّيَّتي مقيم الصَّلاة، فيكون حبل العبادة متصلاً إلى يوم القيامة، فلا ينقطع التَّوحيد من ذرِّيَّته، ولا تزول الشعائر، بل تستمر إلى يوم القيامة[٢]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنبياء:٧٢-٧٣]، ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [العنكبوت:٢٧]، فكلُّ نبيٍّ جاء بعد سيدنا إبراهيم عليه السلام، وكلُّ كتاب أنزل من السماء

---

(١) انظر: جامع البيان، (٥٠٧/١١)، وتفسير القرآن العظيم، (٢٧٤/٦-٢٧٥).

(٢) انظر: زهرة التفاسير، (٤٠٤٤/٨).

عليهم فمن ذرّيّته وشيعته[١]. قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩﴾ [الأعلى:١٨-١٩].

إلَّا أنَّ إجابة دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام لم تتحقَّق في جميع ذرّيّته ؛ لأنَّ من ذرّيّته المحسنون والظَّالمون، ولا ينال النُّبوة والإمامة إلَّا أهل الطاعة[٢]، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨] أي: في بعض عَقِبِه، ولعلَّ هذه الكلمة تُرجع الزَّائغين الضَّالين إلى الحقّ بإرشاد المؤمنين المهتدين؛ لأنَّ الحق ما دام قائماً في جملتهم فرجوع الضَّالين مرجو ومأمول[٣]، ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٢٤﴾ [البقرة:١٢٤]، وهذا التفصيل الذي قد ذكرته سورة البقرة كان قد أُشير إليه في سورة الصافات، قال تعالى: ﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات:١١٣]، وتكرَّر في السور المدنية، قال تعالى: ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ۝٥٤ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ۝٥٥﴾ [النساء:٥٤-٥٥]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد:٢٦].

فالإمامة لا تعني مجرد الانتساب لإبراهيم عليه السلام، وإنَّما تمنح على أساس الانتساب الدّيني، وتُنال بالإيمان والتَّصديق والعمل والصلاح، فلا عبرة بدعوى أهل الكتاب انتسابهم لسيدنا إبراهيم عليه السلام، وأنَّهم أولى النَّاس به؛ لأنَّ سيدنا إبراهيم عليه السلام لم يكن منهم، وقد وصَّى ذرّيّته باتّباع ملَّته الحنيفية، وعدم الإشراك بالله تعالى[٤].

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ [الشورى:١٣]، ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٣٠ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٣٢ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِي ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ۝١٣٣ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٣٤ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١٣٥ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ

---

(١) انظر: قصص الأنبياء، ابن كثير، (ص: ٢٠٧).

(٢) انظر: جامع البيان، (٢/٢٣-٢٤)، وتفسير القرآن العظيم، (١/٤١٠-٤١١).

(٣) انظر: أضواء البيان، (٧/٢٣٤).

(٤) انظر: القصص القرآني عرض وقائع، (١/٤٤٤).

وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧ صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨ قُلۡ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡ وَلَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُخۡلِصُونَ ١٣٩ أَمۡ تَقُولُونَ إِنَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطَ كَانُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ قُلۡ ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ١٤٠ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٤١﴾ [البقرة: ١٣٠-١٤١]، ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨﴾ [آل عمران:٦٥-٦٨].

٤. صار إمام الموحدين، وكلُّ أمة تقتدي به، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۦۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١ وَءَاتَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٢٢ ثُمَّ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ أَنِ ٱتَّبِعۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل:١٢٠-١٢٣]، ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٦١]، ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٩٥ إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكٗا وَهُدٗى لِّلۡعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ [آل عمران: ٩٥-٩٧]، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ [النساء:١٢٥]، والخليل: مجاز عن اصطفاء الله تعالى له، واختصاصه بكرامة عظمى، وهي أنَّ كلَّ أمَّة تتبُّع ملَّته وطريقته(١)، ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج:٧٨].

فالحمد لله الذي تفضَّل علينا ببعثة هذا النبي الكريم الذي كان إماماً لنا في التَّوحيد، والخضوع والطاعة لأمر ربِّ العالمين، والصَّبر على البلاء، ونسأل الله العظيم أن يجعلنا خير خلف لخير سلف، وأن يكرمنا بلقياه في الآخرة

(١) انظر: الكشاف، (٥٦٩/١).

كما أكرمنا بدارسة قصته وتقفي أثره في الدنيا، وأن ينفعنا بما علَّمنا، وينفع بنا، وأن يتقبَّلنا ويتقبَّل جهدنا المتواضع في سبيل خدمة الدين وكتاب الله المجيد... والحمد لله ربِّ العالمين.

في ضوء ما سبق يمكن القول:

١. تعدَّدت حلقات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام، وتنوَّعت مشاهدها، إلا أنَّها في كلِّ موضع كانت تسلك نظماً بديعاً، وأسلوباً جديداً ينفي عنها شبهة التكرار غير المجدي.
٢. كلُّ مشهد من مشاهد قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام يصلح أن يكون قصة تحمل في ثناياها كنوزاً من العبر.
٣. بعد دراسة قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في جميع القرآن الكريم لم نجد أي تناقض بين مشاهد قصته عليه السلام، بالرغم من اختلاف المراحل الزمنية التي نزلت فيها، فكان كلُّ مشهد من مشاهد قصته عليه السلام مذكوراً في موضعه المناسب له في السورة، بحيث لو قُدِّم أو أُخِّر عن موضعه لذهب الإعجاز واختلَّ نظم الآيات.
٤. عند دراسة حلقات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متفرِّقة وجدناها منسجمة مع موضوعات السورة، ومقصدها الرئيس، وعند دراسة حلقات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مجتمعة وجدناها متآلفة ومتكاملة، وكأنَّها سبيكة واحدة، مما يدلُّ على إعجاز القرآن الكريم، وعودته لمصدر إلهي واحد.
٥. إنَّ الدعوة إلى الله تعالى تحتاج إلى إعداد نفسي وفكري وجسدي، لأنَّ محاربة الدعاة من قبل أعداء الدين سنَّة كونية، قد خاضها الأنبياء قبل الدُّعاة، فعليهم أن يكونوا متهيئين لمواجهة غزوهم.
٦. زوَّدت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام جميع الدُّعاة بتجارب قيِّمة، عكست لهم الأساليب والوسائل التي يجب أن يمتلكها الدُّعاة في طريق دعوتهم إلى الله تعالى.
٧. إنَّ التمكين في الأرض والنَّصر لا يكون إلا بعد خوض سلسلة من الابتلاءات والنَّجاح في اجتيازها.
٨. إنَّ جميع ما في الكون ينطق بوجود إله خالق مبدع موجد له، ومع ذلك كان من فضل الله تعالى على الإنسان أن أرسل إليه رُسلاً تُرشده وتدلُّه على الله تعالى، وتضعه على الطَّريق القويم الموصل إليه، فلا عجب أن جعل الله تعالى الإيمان بالنُّبوة وبوحدة رسالات الأنبياء هي السبيل لمعرفة الله تعالى ونيل رضوانه.
٩. شغلت شخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام مساحة واسعة في الخطاب القرآني، ولعلَّ هذا الاهتمام بذكره يرجع إلى مكانته لدى مختلف الطوائف، فجميعهم يعترفون بفضله ومكانته.
١٠. عمَّقت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام الصلة بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وبين المسلمين، فقد تكرَّر ذِكْرُه عليه السلام في القرآن الكريم ما يقارب (٦٩) مرَّة ما بين حلقاتٍ من قصته، وثناءٍ من الله تعالى عليه، مما يؤكِّد أهمِّيته، ومكانته الخاصة عن باقي الأنبياء، وكونه رمزاً من رموز الدَّعوة إلى التَّوحيد والإخلاص لله تعالى، فلابد أن يبقى ذِكْرَهُ حاضراً في ذهن من يتلو القرآن الكريم ويتدبَّر آياته ليقتدي به ويقتفي أثره.

١١. إنَّ ما ذُكر من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم هو المعمول به، وما نُقل إلينا من إسرائيليات لم توجد في القرآن الكريم أو السُّنَّة النَّبوية الصَّحيحة فلا نأخذ به.

١٢. تكاملت حلقات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة مريم والشعراء والأنعام والصافات والزخرف والأنبياء والعنكبوت والبقرة لإثبات دعوته لتوحيد الله تعالى، وبيان منهجه بالدعوة.

١٣. تكاملت حلقات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة وآل عمران والحجِّ للرَّدِّ على من يزعمون الانتساب إليه، ولبيان أنَّ الحجَّ الذي نادى إليه هو أحد أركان التَّوحيد، وأحد الأدلة المثبتة لوحدة رسالات الأنبياء، وللدلالة على أنَّ سيدنا محمد ﷺ هو أقرب الأنبياء إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، وفي هذا فضل لكليهما، فعلى الرُّغم من البعد الزماني بينهما إلا أنَّهما قريبان في المحبة، وقريبان في منزلتهما عند الله تعالى.

١٤. تكاملت حلقات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأعلى – النجم – ص – مريم – الشعراء – إبراهيم – العنكبوت – البقرة لإثبات البعث والنشور.

الخاتمة

الخاتمة

وفي الختام الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات، حمداً يملأ الأرض والسماوات، على ما أنعم من الفضائل والبركات، وعلى نبيه محمد ﷺ أفضلُ التَّسليم وأتمُّ الصلوات، الذي جاء بالهدى وبلَّغ الآيات البيِّنات، وعلى آله وصحبه أصحاب المناقب والكرامات، وبعد:

فإنِّي أضع رحالي بعد أن أتممت بحثي المتواضع والذي عشت فيه مع قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام الصدِّيق الأوَّاه الحليم المنيب، الذي اتَّخذه الله تعالى خليلاً، وجعله إمام الموحِّدين، وأكرمه بالنُّبوَّة في ذرِّيَّته، وأسأل الله عزَّ وجلَّ الذي أعانني على تدُّبر آياته، والتَّفكر في حِكَمِهِ وأسراره، والغوص في بحار موضوعاته ومقاصد حِكَمِه أن يتقبَّل منِّي جهدي القليل، ويجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتجاوز عنِّي تقصيري فيه، وأن ينفعني وينفع بي الأمَّة. وأرفق لكم أهمَّ ما اشتمل عليه هذا البحث من نتائج وتوصيات:

النتائج والتوصيات:

النتائج:

١. إنَّ دراسة المناسبات بين آيات وسور القرآن الكريم يعطي شمولية في الفكر والنَّظر، ويعين على الفهم الصَّحيح لمراد الله تعالى من كتابه، ويُعظِّم كلام الله في النُّفوس، وينعكس أثرها على سلوكيات المسلم وتعاملاته، فلا غنى عنها لأيِّ مفسر؛ فهي تساعد على بيان المعنى المراد، وبها يتوصَّل إلى إبراز انسجام القرآن الكريم وتماسكه.

٢. من امتنعوا عن هذا العلم لم يمنعوه بالكلية، بل أتوا به في كتبهم، ولعلَّ ما أظهروه من اعتراضات كانت بسبب ما وجدوه من تكلُّف في طلبه عند البعض، وعليه فإنَّ هذه الاعتراضات لا تلغي أهمِّية علم المناسبة مادام الرَّبط بين الآيات والسور بعيداً عن التَّكلُّف والتَّعسُّف.

٣. إنَّ القصة القرآنية ما هي إلا وسيلة من وسائل القرآن الكريم لتحقيق أغراضه الدينية، فلا عَجَبَ أن نجدها لا تعتمد السرد التاريخي للأحداث والشخصيات، بل تسير وفق نهج متميِّز يقوم على عرض المشاهد المهمَّة من القصة، كلُّ ذلك بحَسْبِ ما تقتضيه محاور السور وموضوعاتها، ثمَّ تطوي المشاهد الجزئية أو التَّفاصيل التي لا تخدم السياق الذي وردت فيه.

٤. نالت شخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام مساحة واسعة في الخطاب القرآني، فقصته من أطول القصص في القرآن الكريم بعد قصة سيدنا موسى عليه السلام، وقد نزلت على سيدنا محمد ﷺ من أوائل العهد المكِّي واستمر نزولها حتَّى أواخر العهد المدني، مما يوحي بأهمِّيتها، وبأنَّ نزولها كان متفقاً مع أحداث الدَّعوة الإسلاميَّة، ومتناسباً

مع طبيعة العهد الذي نزلت فيه، ففي السور المكّية نجد فيها مشاهد لحوار سيدنا إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه، ودعوتهم لتوحيد الله تعالى، وهذه المشاهد قد حملت في طيَّاتها إثباتاً لنُبوَّة سيدنا محمد ﷺ، وردَّاً على مشركي العرب الذين يزعمون أنَّهم على دينه، بينما في السور المدنية نجد فيها مشاهد من قصته تتناسب مع انتقال المسلمين إلى المدينة، وردِّ ادِّعاء اليهود احتكار وراثتهم لسيدنا إبراهيم عليه السلام، والتَّأكيد على أنَّ الوراثة الحقيقية له عليه السلام هي الوراثة الإيمانية، والالتزام بمنهجه التَّوحيدي.

٥. عمَّقت قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام الصِّلة بينه وبين المسلمين، فقد تكرَّر ذِكْرُهُ عليه السلام في القرآن الكريم ما يقارب (٦٩) مرَّة ما بين حلقاتٍ من قصته، وثناءٍ من الله تعالى عليه، مما يؤكِّد مكانته الخاصة عن باقي الأنبياء، وكونه رمزاً من رموز الدَّعوة إلى التَّوحيد والإخلاص لله تعالى، فلابد أن يبقى ذكره حاضراً في ذهن من يتلو القرآن الكريم ويتدبَّر آياته ليقتدي به ويقتفي أثره.

٦. ما ذُكِرَ من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم هو المعمول به، وما نُقِلَ إلينا من إسرائيليات لم توجد في القرآن الكريم أو السُّنَّة النبوية الصَّحيحة فلا نأخذ به.

٧. تناسب حلقات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مع جميع موضوعات السورة، ومساهمة هذه الحلقات مع بقية موضوعات السورة بالتَّوصل إلى مقصد السورة.

٨. شكَّلت معظم موضوعات السور المكّية فيما بينها وحدة متكاملة ومتماسكة فقد نزلت جميعها لتحقيق مقاصد رئيسية ألا وهي: تقرير الوحدانية لله تعالى، ونفي الولد والشركاء عنه، وتقرير نبوَّة سيدنا محمد ﷺ، ونفي ما ادَّعوه عليه من الكذب والسحر والجنون، وغيرها، وإثبات البعث والحساب والجزاء، والرَّدِّ على منكريه وإقامة الحجَّة عليهم. كما أنَّ موضوعات السور المدنية قد شكَّلت فيما بينها وحدة متكاملة ومتماسكة فقد نزلت جميعها لتحقيق مقاصد رئيسية ألا وهي: إعداد المسلمين لحمل أمانة الخلافة في الأرض، وتحذيرهم من النُّكول عن حملها، وجدال أهل الكتاب.

٩. وردت مشاهد قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام في السور المكّية أكثر من السور المدنية؛ لأنَّ طبيعة القضايا التي ناقشتها القصة كانت أقرب للعهد المكّي.

١٠. على الرّغم من تَعَدُّدِ حلقات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، وتنوُّع مشاهدها، واختلاف المراحل الزمنية التي نزلت فيها إلَّا أنَّه لم يوجد أيُّ تناقض بين تلك المشاهد، بل كان كلُّ مشهد من مشاهد قصته عليه السلام مذكوراً في موضعه المناسب له في السورة، ومعتمداً نَظْمَاً بديعاً، وأسلوباً جديداً ينفي عنه شبهة التكرار غير المجدي، بحيث لو قُدِّم أحد تلك المشاهد عن موضعه أو أُخِّر عنه لذهب الإعجاز واختلَّ نَظْمُ الآيات؛ وفي الوقت نفسه يصلح أن يكون كلُّ مشهد قصة مستقلة تحمل في ثناياها كنوزاً من العِبَرِ.

١١. الفرق بيت التَّناسب والتَّكامل أنَّ التَّناسب: دراسة ارتباط جزء من السورة، أو قضية من قضاياها ببقية أجزاء السورة نفسها، والتكامل: دراسة ارتباط جزء من السورة ببقية الأجزاء المتعلِّقة به والواردة في جميع القرآن الكريم.

١٢. التَّكامل الموضوعي: هو تمام المعاني والتقاء جميع أركانها لتحقيق المقصد منها على أكمل وجه. أو: هو علم يقوم على تتبُّع قضية قرآنية واحدة، أو أجزاء قصة واحدة في جميع السور القرآنية، وتدبُّرها مجتمعة، وبيان مدى اكتمال هذه القضية أو القصة القرآنية بعد ضم كلِّ أجزائها وتركيبها في نسيج واحد.

١٣. تكاملت حلقات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة مريم والشُّعراء والأنعام والصَّافات والزُّخرف والأنبياء والعنكبوت والبقرة لإثبات دعوته لتوحيد الله تعالى، وبيان منهجه بالدَّعوة.

١٤. تكاملت حلقات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة وآل عمران والحجِّ للرَّدِّ على من يزعمون الانتساب إليه، ولبيان أنَّ الحجَّ الذي نادى إليه هو أحد أركان التَّوحيد، وأحد الأدلة المثبتة لوحدة رسالات الأنبياء، وللدلالة على أنَّ سيدنا محمد ﷺ هو أقرب الأنبياء إلى سيدنا إبراهيم عليه السلام، وفي هذا فضل لكليهما، فعلى الرُّغم من البعد الزماني بينهما إلا أنَّهما قريبان في المحبة، وقريبان في منزلتهما عند الله تعالى.

١٥. تكاملت حلقات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأعلى – النَّجم – ص – مريم – الشُّعراء – إبراهيم – العنكبوت – البقرة لإثبات البعث والنُّشور.

١٦. انفردت بعض السور بذكر بعض المشاهد من قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام؛ لتحقِّق الانسجام النَّصي أو الانسجام الموضوعي للسورة.

١٧. عند دراسة حلقات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام متفرِّقة وجدناها منسجمة مع موضوعات السور، ومحاورها الرئيسة، وعند دراسة حلقات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام مجتمعة وجدناها متآلفة ومتكاملة، وكأنَّها سبيكة واحدة، مما يدلُّ على إعجاز القرآن الكريم، وعودته لمصدر إلهي واحد.

التوصيات:

١. بالتوسع في دراسة التَّناسب بين قصص الأنبياء وموضوعات السورة ومقاصدها؛ لأنَّ معظم المهتمِّين بهذا العلم قد انشغلوا بدراسة التَّناسب بين موضوعات كلِّ سورة على حدى، ولم يُفرِدوا أبحاثاً تسلِّط الضَّوء على التَّناسب بين قصص الأنبياء وموضوعات السورة ومقاصدها.

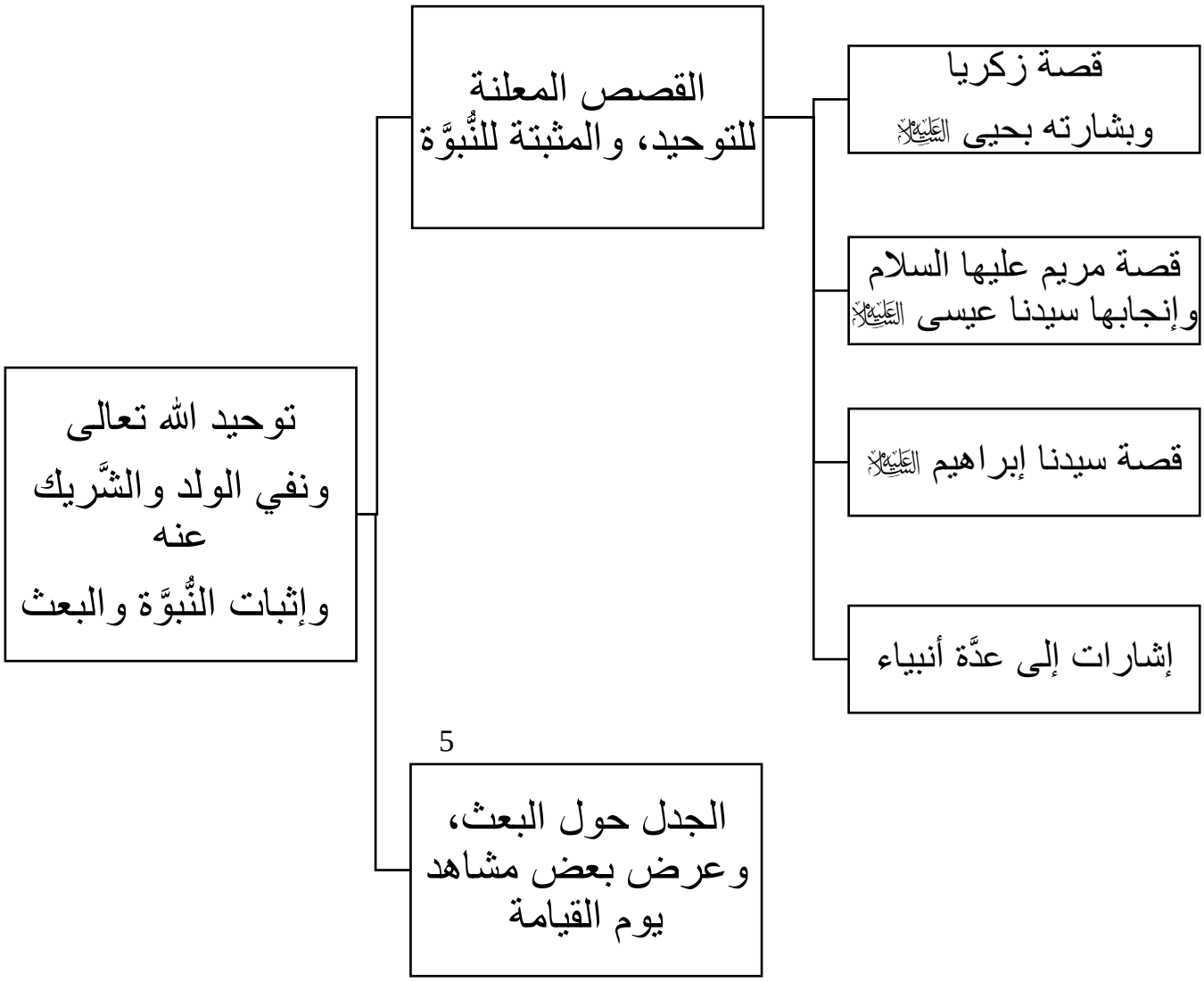
٢. بالتوسع في دراسة التَّكامل في موضوعات القرآن الكريم، وخاصة التَّكامل الموضوعي في القصص القرآني؛ نظراً لما وجدته من قلَّة الدراسات في هذا المجال، بالرُّغم من أهمِّية هذا العلم.

دمشق **١٤٤٦/١٠/٥هـ** **٢٠٢٥/٤/٤م**

الملاحق

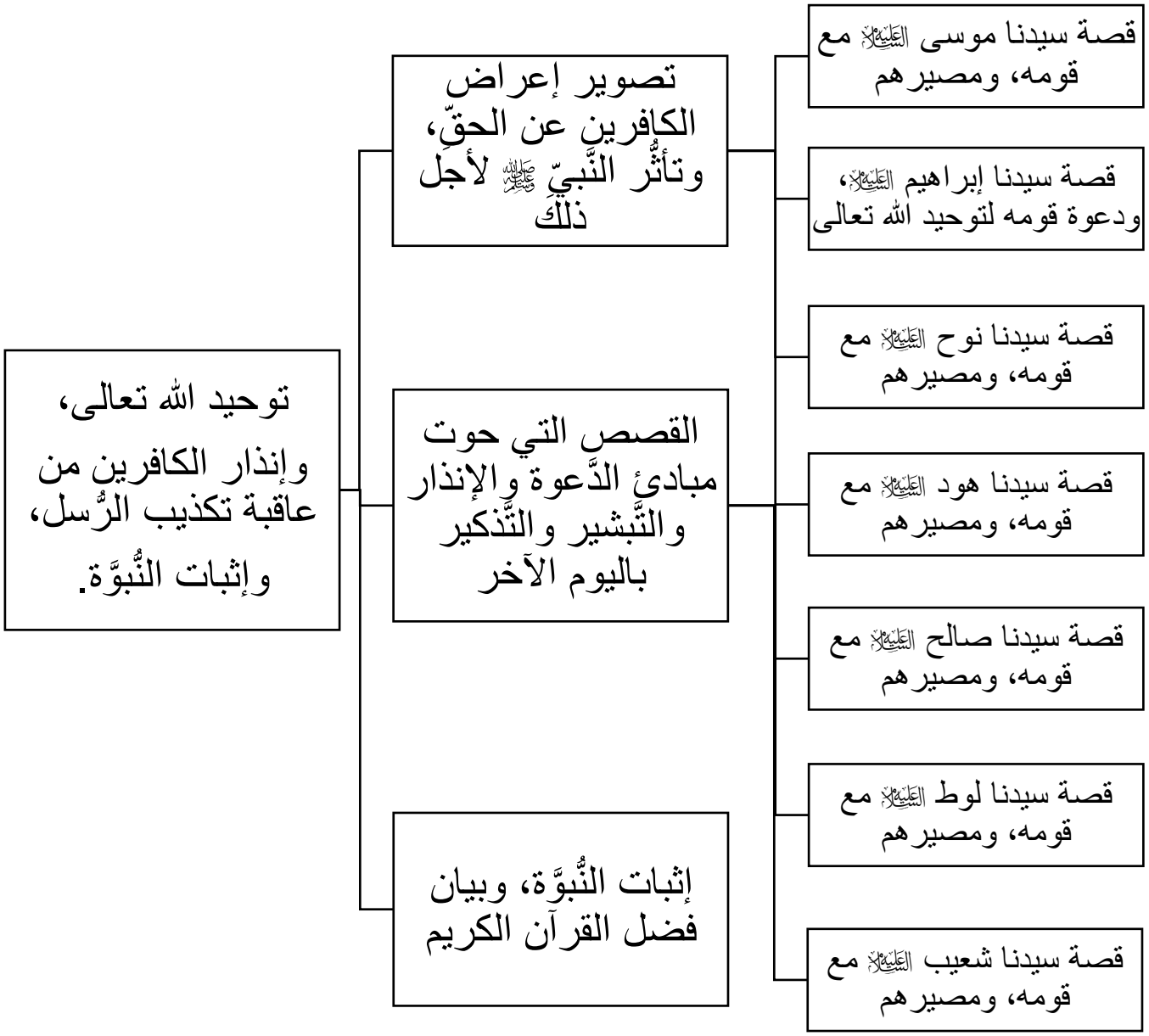
ملحق (أ)

(مقصد سورة مريم، وموضوعاتها الرئيسية في ضوء قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام)



ملحق (ب)

(مقصد سورة الشُّعراء، وموضوعاتها الرئيسية في ضوء قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام)



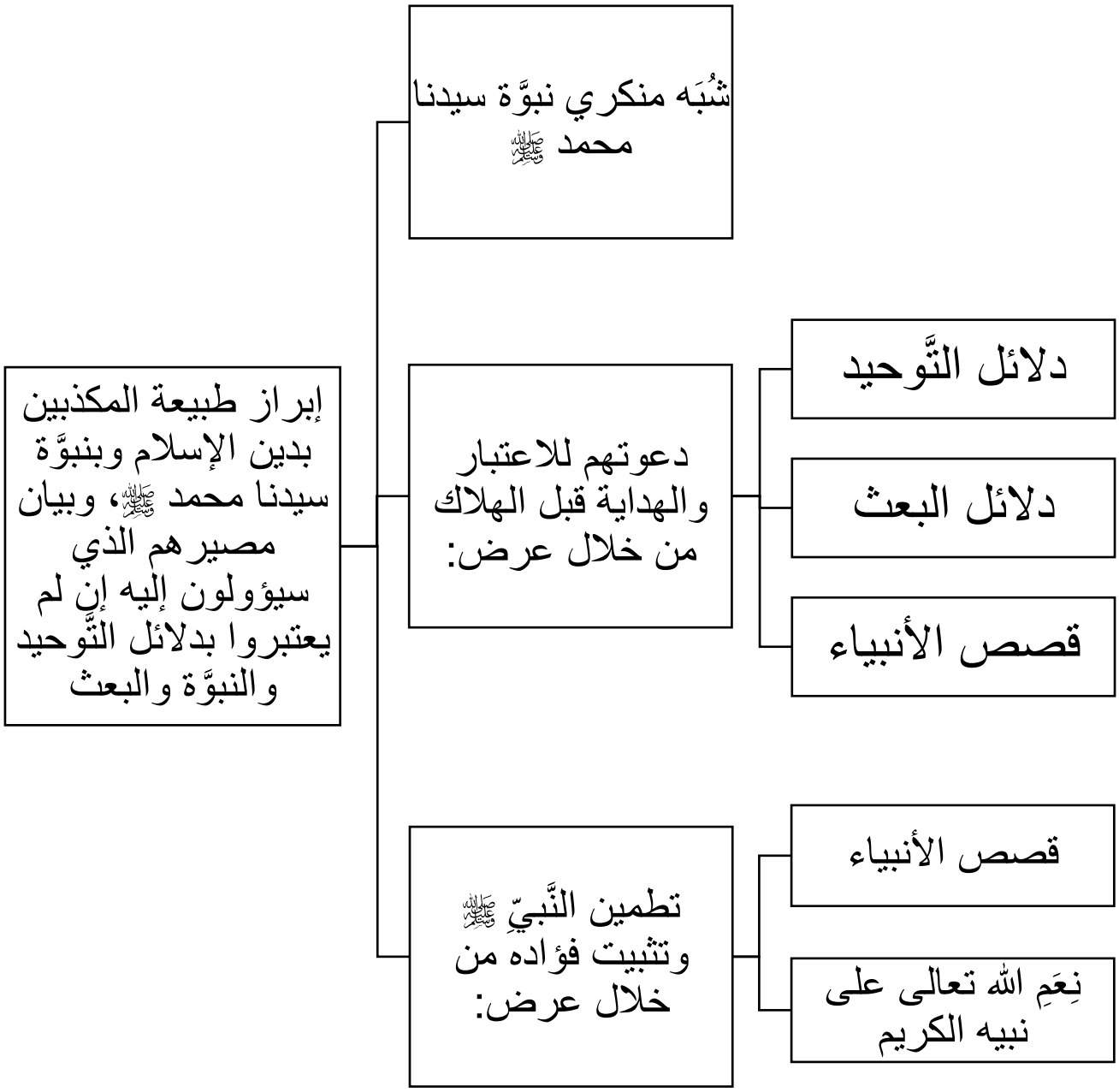
ملحق (ت)

(مقصد سورة هود، وموضوعاتها الرئيسية في ضوء قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام)



ملحق (ث)

(مقصد سورة الحجر، وموضوعاتها الرئيسية في ضوء قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام)



ملحق (ج)

(مقصد سورة الأنعام، وموضوعاتها الرئيسية في ضوء قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام)



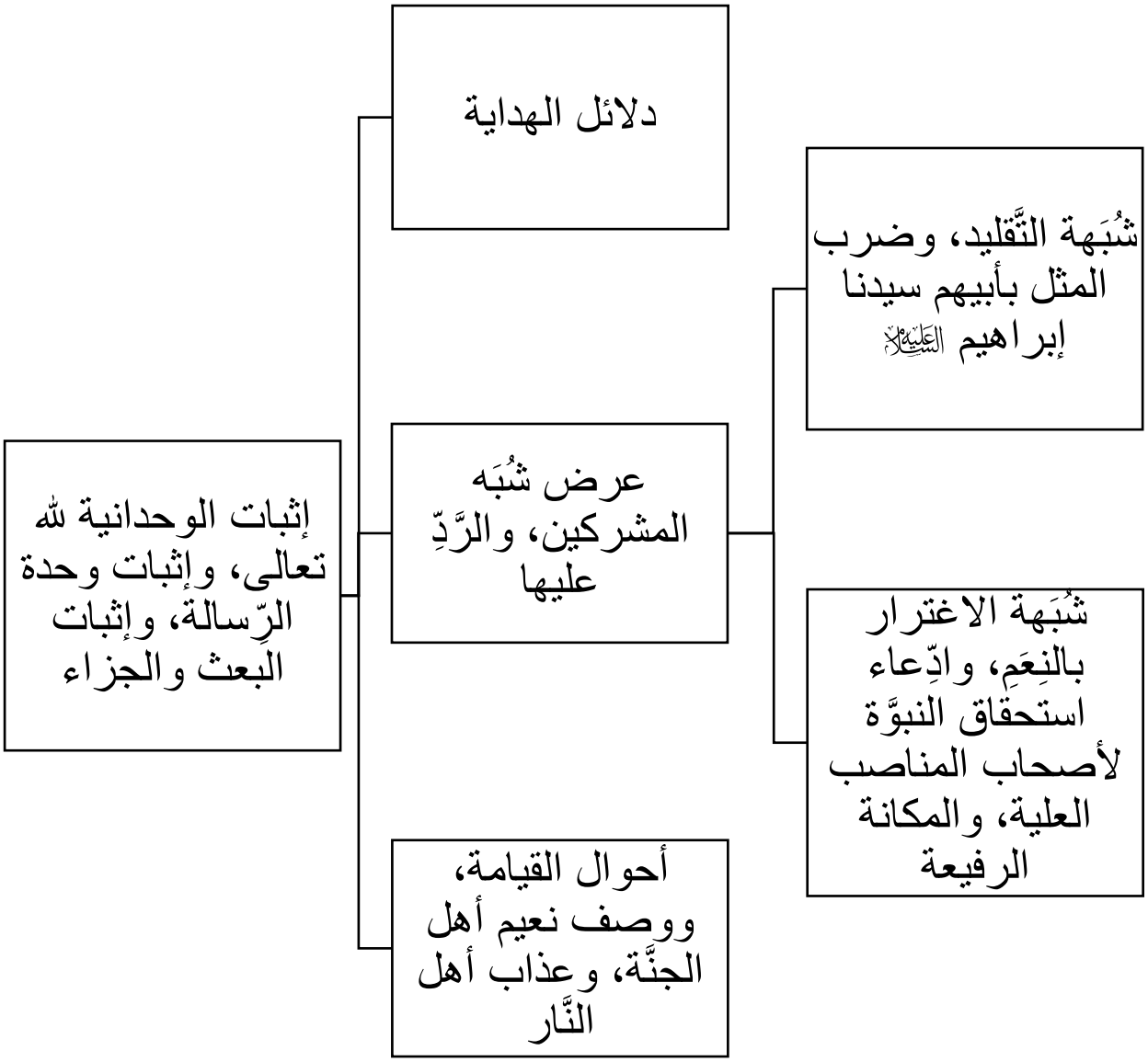
ملحق (ح)

(مقصد سورة الصَّافات، وموضوعاتها الرئيسية في ضوء قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام)



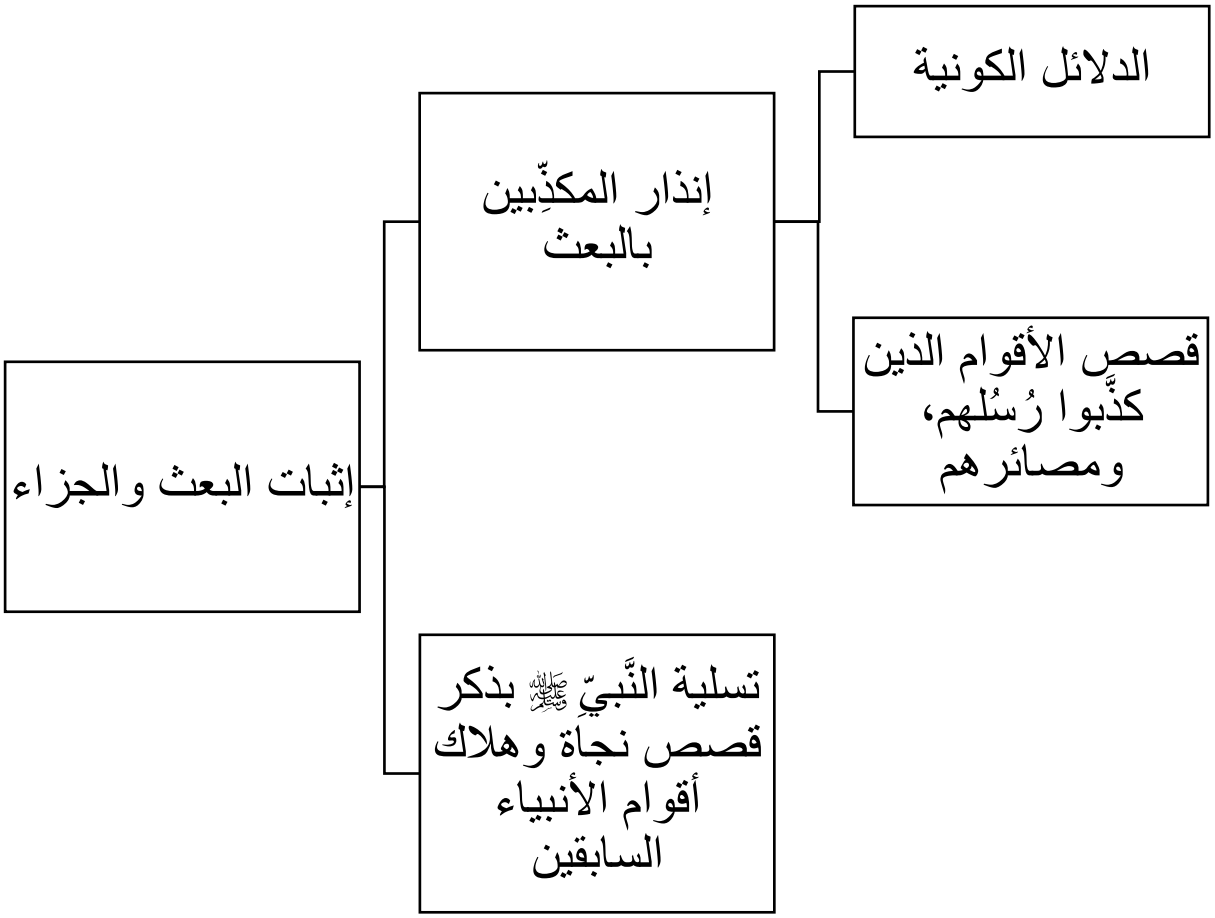
ملحق (خ)

(مقصد سورة الزُّخرف، وموضوعاتها الرئيسية في ضوء قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام)



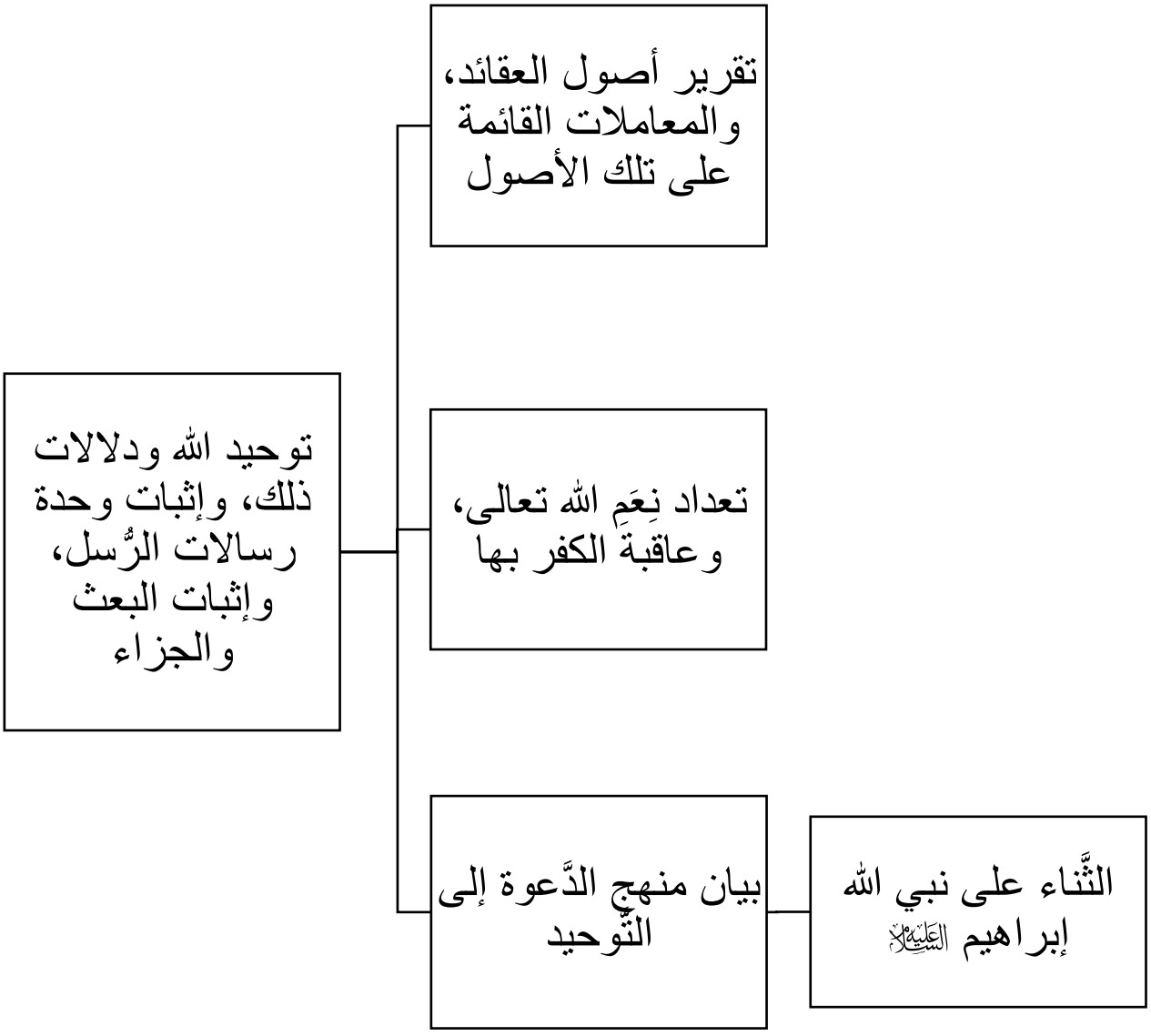
ملحق (د)

(مقصد سورة الذَّاريات، وموضوعاتها الرئيسية في ضوء قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام)



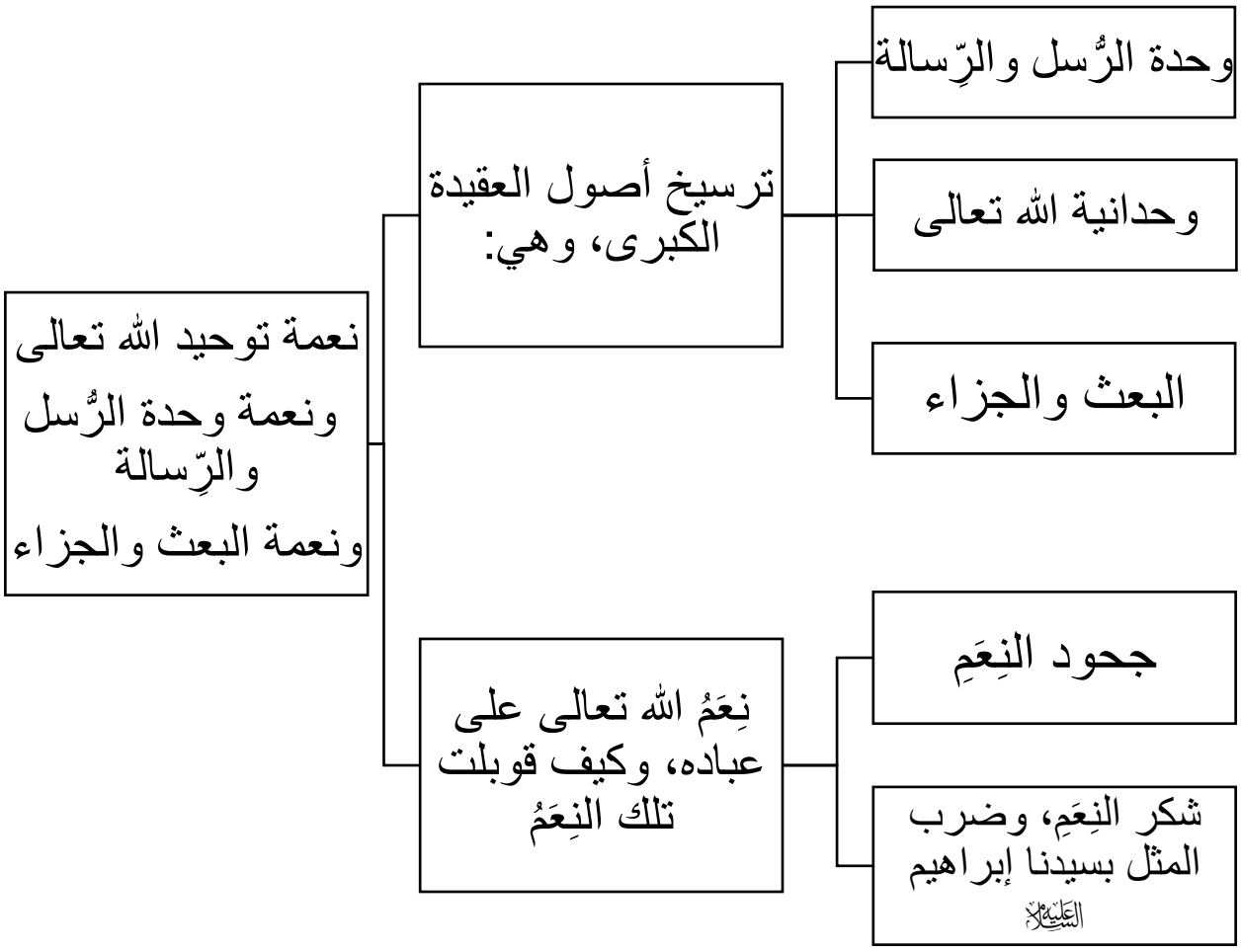
ملحق (ذ)

(مقصد سورة النَّحل، وموضوعاتها الرئيسية في ضوء قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام)



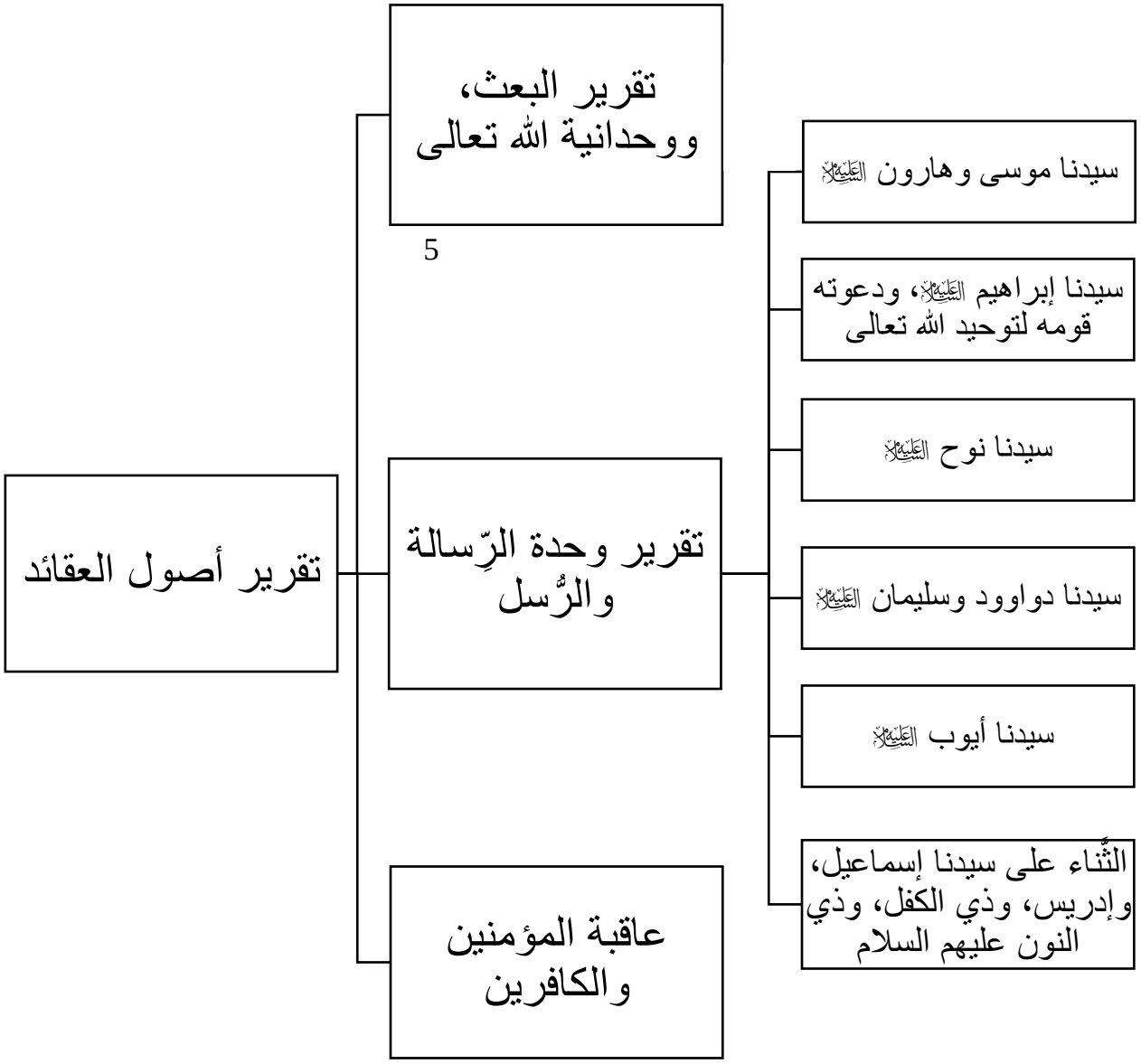
ملحق (ر)

(مقصد سورة إبراهيم، وموضوعاتها الرئيسية في ضوء قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام)



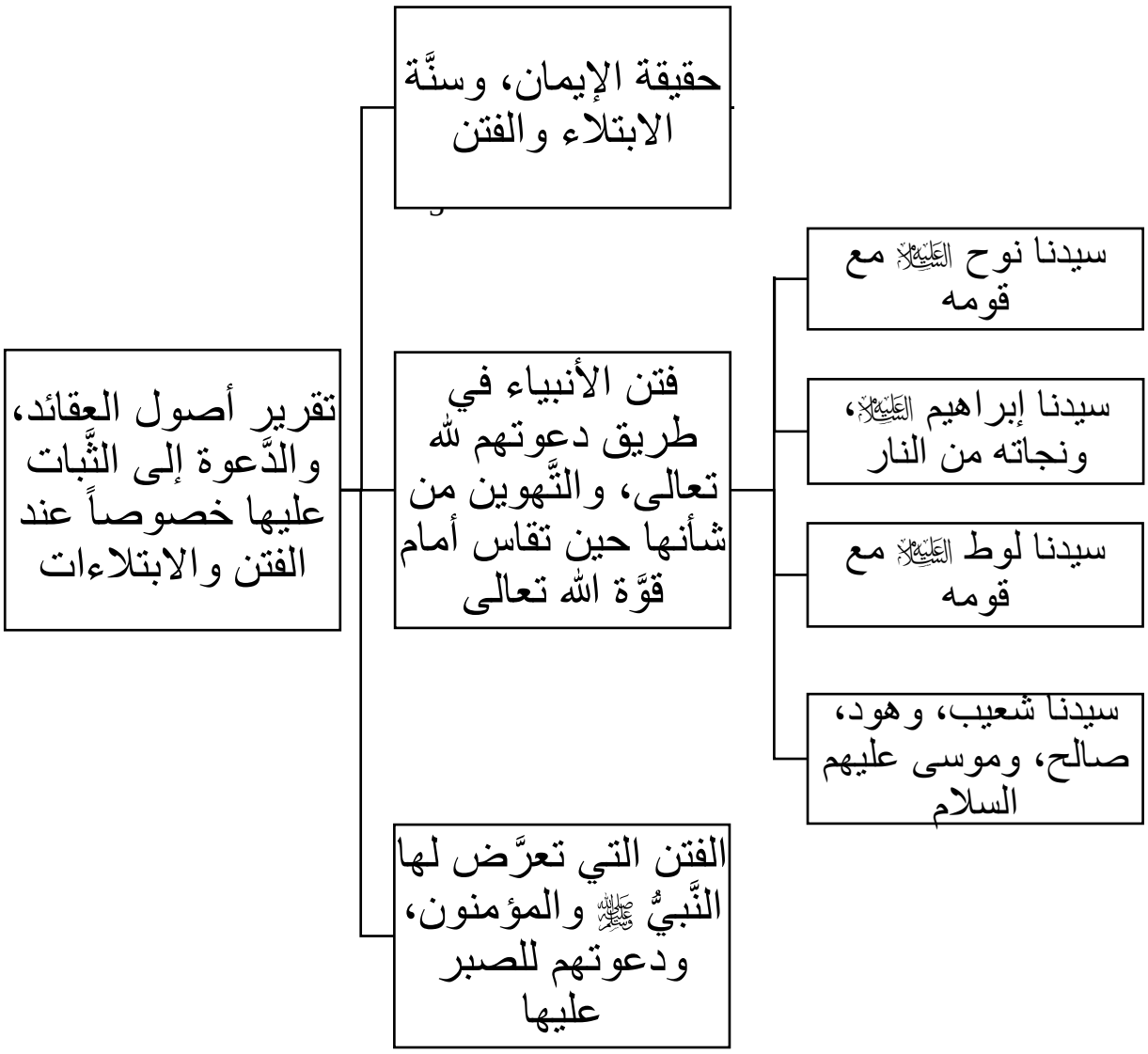
ملحق (ز)

(مقصد سورة الأنبياء، وموضوعاتها الرئيسية في ضوء قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام)



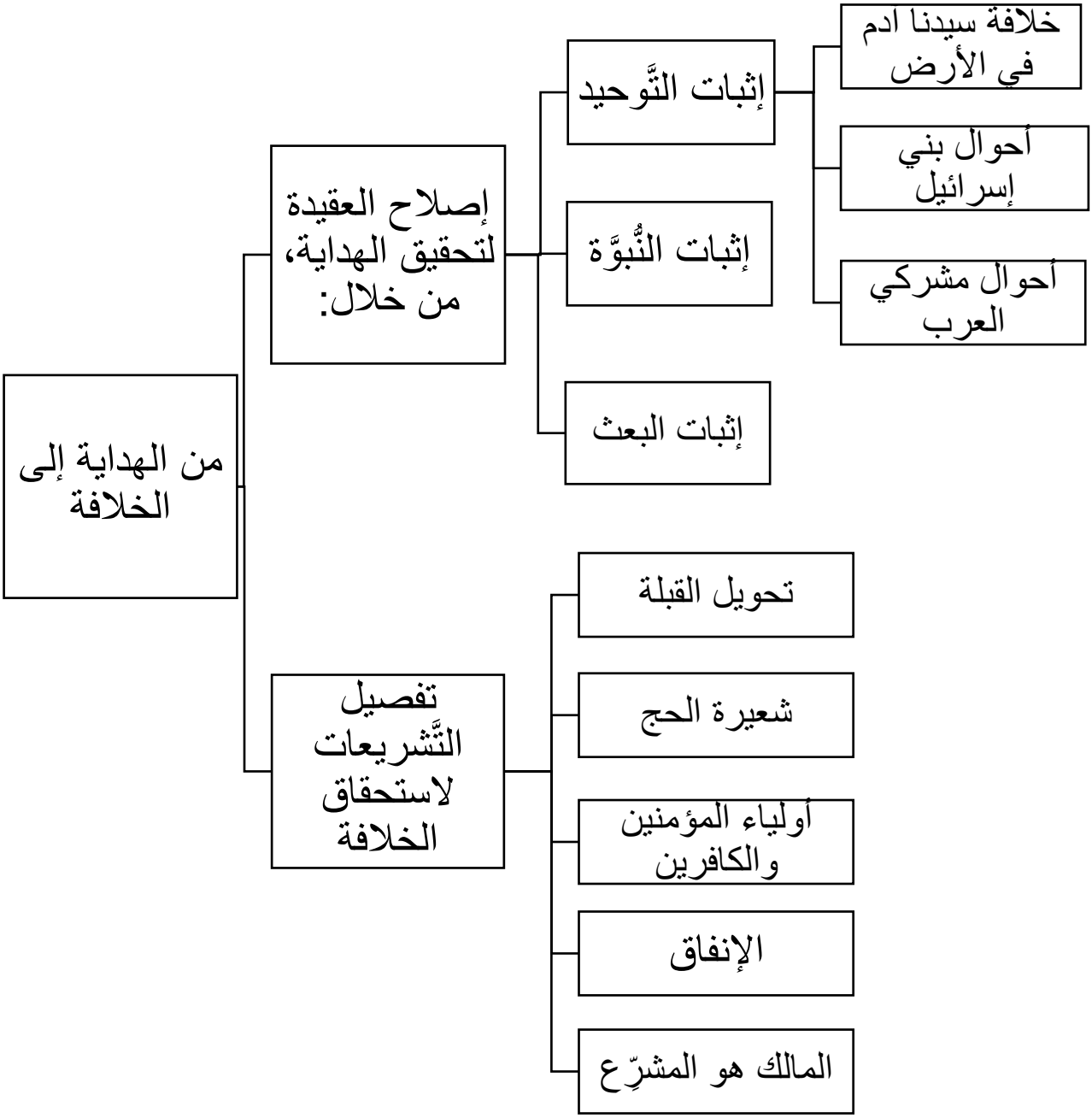
ملحق (س)

(مقصد سورة العنكبوت، وموضوعاتها الرئيسية في ضوء قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام)



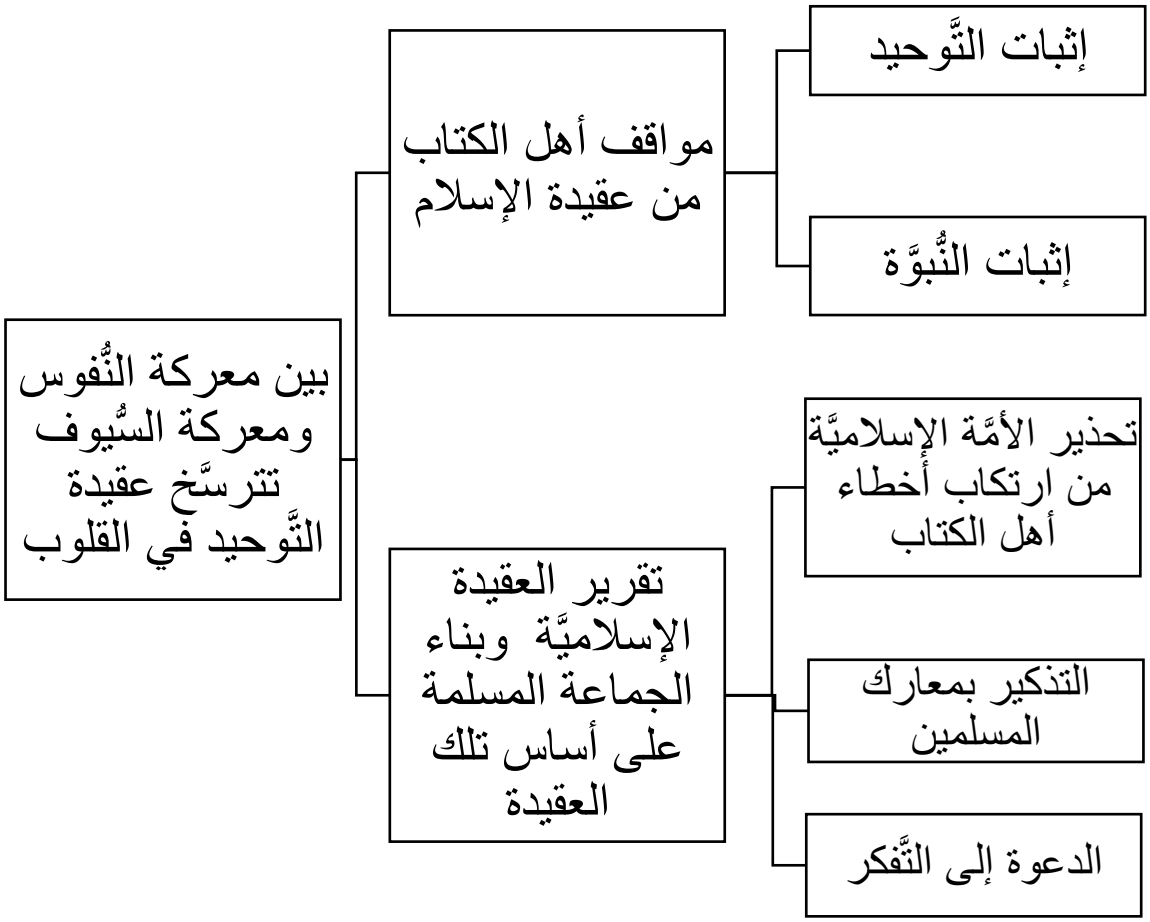
ملحق (ش)

(مقصد سورة البقرة، وموضوعاتها الرئيسية في ضوء قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام)



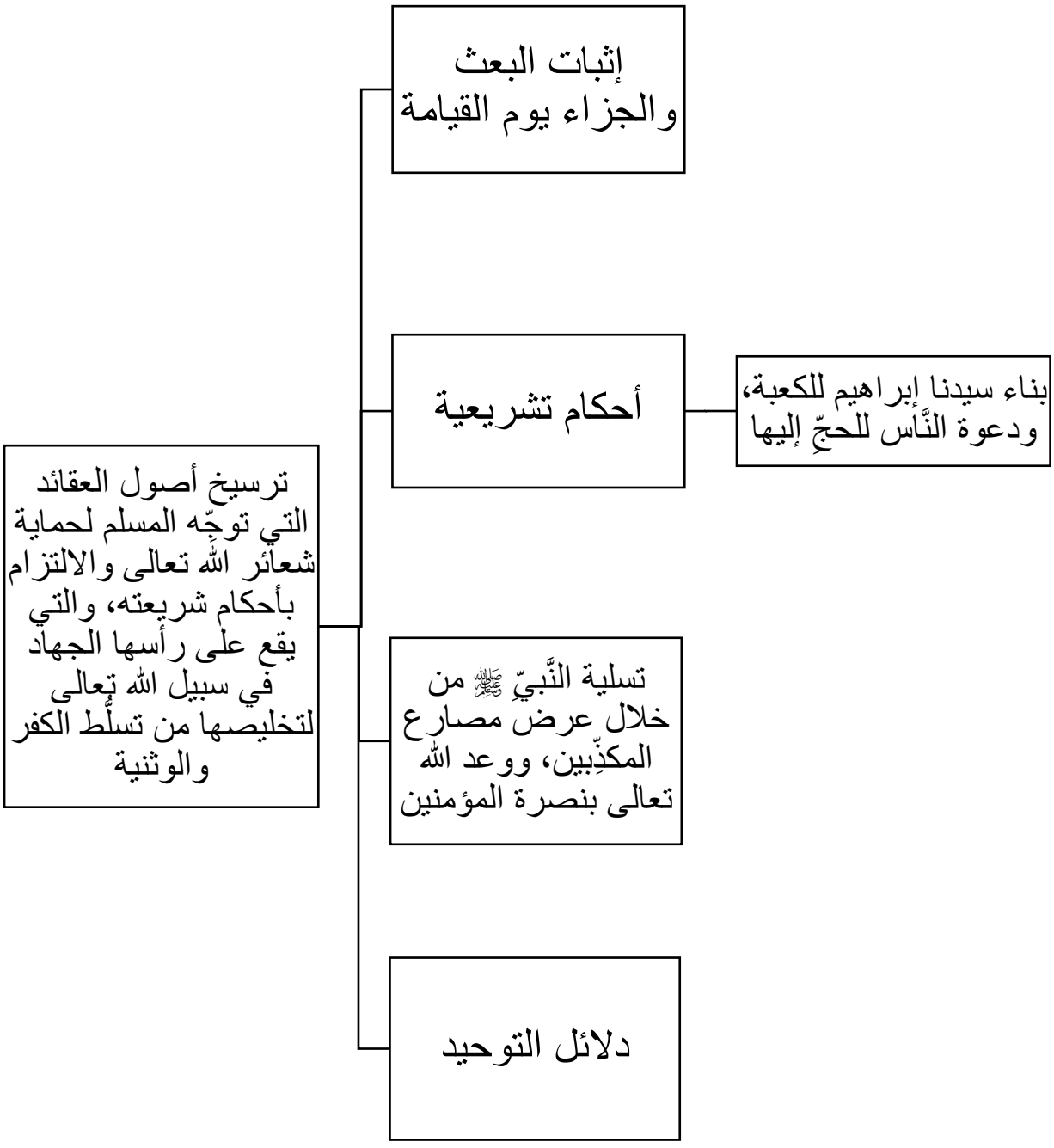
ملحق (ص)

(مقصد سورة آل عمران، وموضوعاتها الرئيسية في ضوء قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام)



ملحق (ض)

(مقصد سورة الحجِّ، وموضوعاتها الرئيسية في ضوء قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام)



الفهارس

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقم الآية	الصفحة
سورة البقرة		
﴿الٓمٓ﴾	١	١٨٢
﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾	٢	١٨٢
﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾	٣	١٨٢
﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾	٢٤	٢٨
﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾	٢٥	٢٨
﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾	٢٧	١٩٦
﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡ﴾	٢٨	١٨٢-١٩٢
﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾	٢٩	١٨٣
﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾	٣٠	١٨٣-١٩٢
﴿فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى﴾	٣٨	١٩٢
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾	٣٩	١٨٣
﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾	٤٠	١٧٩-١٨٣-١٩٣
﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾	٤٤	١٧٩
﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ﴾	٥٥	١٧٩-١٩٥
﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾	٥٦	١٩٥
﴿فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾	٧٣	١٩٥
﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	٨٩	١٧٩

﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾	١٠٨	١٧٩
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	١٠٩	١٧٩
﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾	١١١	١٩٢
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	١١٤	١٩٣
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ ۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	١١٨	١٧٩
﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٢٢	١٩٣
﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾	١٢٣	١٩٣-١٨٣
﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	١٢٤	١٩٢-١٨٥-١٨٤-١٨٣ ٢٧٧-٢٧٤-١٩٦
﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾	١٢٥	١٩٦-١٩٣-١٨٥-١٨٤ ٢٧٤-٢٦٧-٢٤٤-١٩٧
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾	١٢٦	٢٦٧-٢٥٤-١٩٦-١٨٦-١٨٤
﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	١٢٧	٢٧٣-١٨٧-١٨٤
﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	١٢٨	٢٧٣-١٩٣-١٨٧-١٨٤
﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	١٢٩	١٩٤-١٩٣-١٨٧-١٨٤ ٢٧٣-٢٤٦-٢٠٠-١٩٧
﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	١٣٠	٢٧٧-٢٤٧-١٨٧-١٨٤

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	١٣١	١٨٤-١٨٨-١٩٤-٢٤٧-٢٧٧
﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾	١٣٢	١٨٤-١٨٨-٢٤٨-٢٥٤-٢٧٧
﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى ۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾	١٣٣	١٨٤-١٨٨-١٩٢-٢٤٨-٢٥٤-٢٧٧
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	١٣٤	١٨٤-١٨٨-٢٤-٢٥٤-٢٧٧
﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	١٣٥	١٨٠-١٨٩-١٩٢-٢٤٦-٢٧٧
﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾	١٣٦	١٨٤-١٨٩-٢٧٨
﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾	١٣٧	١٨٤-١٨٩-٢٧٨
﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾	١٣٨	١٨٤-١٩٠-٢٣٩-٢٧٨
﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ﴾	١٣٩	١٨٤-١٩٠-٢٤٦-٢٧٨
﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	١٤٠	١٨٤-١٩٠-٢٤٦-٢٧٨
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	١٤١	١٨٤-١٩١-٢٧٨
﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	١٤٢	١٨٠-١٨٣-١٩٦
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ﴾	١٤٣	١٨٠
﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾	١٥٠	١٩٧
﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾	١٥٢	١٩٦

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	١٥٥	١٩٧
﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾	١٥٨	١٩٧
﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾	١٦٤	١٩٥
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾	٢٠٤	١٨٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	٢٠٨	١٨١
﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾	٢٣٣	٣٧
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾	٢٤٣	١٩٥
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٢٤٦	١٨٠
﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٢٥١	١٨٠
﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	٢٥٢	١٩٤
﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾	٢٥٧	١٩٧

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٢٥٨	٥٢-١٨٤-١٩١-١٩٥-١٩٧-١٩٨-٢٢٨-٢٣٤-٢٥٣-٢٥٨
﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	٢٥٩	١٩٥
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٢٦٠	١٨٥-١٩١-١٩٤-١٩٨-٢٥٣-٢٥٥
﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾	٢٦١	٢٠-١٩٨
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٢٦٥	٢٠
﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾	٢٧٥	٢٠
﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾	٢٧٦	٢٠
﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	٢٨١	١٧٨
﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾	٢٨٣	١٩٨

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾	٢٨٤	١٩٩-١٨٣
﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾	٢٨٥	١٨٣-١٣
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾	٢٨٦	١٨٣-١٨٢
سورة آل عمران		
﴿الٓمٓ﴾	١	٢٠٦
﴿ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾	٢	٢١٠
﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾	٣	٢١٠
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾	١٢	٢٠٢
﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾	١٣	٢٠٢
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾	١٨	٢١٠
﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ﴾	١٩	٢١٠
﴿فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾	٢٠	٢١١
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ﴾	٢٣	٢٠٣
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾	٢٤	٢٠٣
﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	٣١	٢١١

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٣٣	٣٣
﴿ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾	٣٤	٢١١
﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾	٦٢	٤٢
﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾	٦٤	٢٥
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٦٥	٢٥-٢٠٣-٢٠٦-٢٠٧-٢١١-٢٤٧-٢٧٨
﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٦٦	٢٠٣-٢٠٦-٢١١-٢٤٧-٢٧٨
﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	٦٧	٢٠٣-٢٠٧-٢١٠-٢١٢-٢٤٧-٢٧٨
﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	٦٨	٢٠٣-٢٠٧-٢٠٨-٢١٢-٢٤٤-٢٧٨
﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾	٦٩	٢٧
﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	٧١	٢٠٣
﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾	٧٢	٢٠٣
﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾	٧٣	٢٠٤
﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾	٨١	٢٠-٢١٢
﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾	٨٢	٢١٢
﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾	٨٣	٢٤

﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾	٨٤	٢٤-٢٠٠-٢١٢-٢٤٣
﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾	٨٥	٢١٠-٢٤٣
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾	٩١	١٦-١٧
﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	٩٣	٤٥-٢١٢
﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ ۗ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	٩٥	٢٠٧-٢٠٨-٢١١-٢١٣-٢٤٩-٢٧٨
﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾	٩٦	٢٠٧-٢٠٨-٢١٣-٢٤٧-٢٧٣-٢٧٨
﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٩٧	٢٠٧-٢٠٩-٢١٣-٢٤٧-٢٦٧-٢٧٤-٢٧٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾	١٠٠	٢١٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾	١١٨	٢٠٤
﴿هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾	١١٩	٢٠٤
﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾	١٢٠	٢٠٤-٢٠٦-٢١٤
﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾	١٢١	٢٠٤-٢٠٦-٢١٤
﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	١٢٢	٢٠٥
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾	١٤٤	٢٠١
﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾	١٥٤	٢٠٣
﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾	١٥٩	٢٣٣

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	١٦٩	٢٠٥
﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	١٨٩	٢١٤
إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	١٩٠	٢١٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٢٠٠	٢٠٦-٢١٤
سورة النساء		
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾	٥١	٢٠
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾	٥٢	٢٠
﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾	٥٤	٢٧٧
﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾	٥٥	٢٧٧
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾	٥٨	١٦-٢٠
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾	٨٢	٣٣
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾	١٢٥	٧١-٢٣٠-٢٤٩-٢٧٨
﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾	١٦٣	٢٤١
سورة المائدة		
﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	١٧	٢٠
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾	١٨	٢٠

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٣٨	٣٣-١٧
سورة الأنعام		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾	١	١١٨-١١١
﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾	٢	١١٨
﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾	٣	١١٨
﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	٧	١٠٩
﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾	٨	١٠٩
﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾	١٠	١١٠
﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾	٢٤	١١١
﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	٢٥	١١١-١١٠
﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾	٣٣	١١٠
﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	٣٤	١١٠
﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾	٣٥	١١٠
﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾	٧١	١١٩
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	٧٤	١١٣
﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾	٧٥	٢٢٧-١١٣
﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ﴾	٧٦	٢٦٥-٢٤٢-٢٣٥-١١٤-١١٣
﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾	٧٧	٢٦٥-٢٤٢-٢٣٥-١١٤-١١٣
﴿فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾	٧٨	٢٦٦-٢٤٢-٢٣٥-١١٥-١١٣
﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	٧٩	٢٦٦-٢٤٢-٢٣٨-١١٥-١١٣

﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾	٨٠	١١٣-١١٥
﴿وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾	٨١	١١٣-١١٦-٢٤١-٢٦٦
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾	٨٢	١١٣-١١٦-٢٦٦
﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾	٨٣	١١٣-١١٦-١١٩-٢٤١-٢٦٦
﴿وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلّٗا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحٗا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾	٨٤	١١٣-١١٦-١١٩-٢٧٦
﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾	٨٥	١١٣-١١٧-٢٧٦
﴿وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ﴾	٨٦	١١٣-١١٧-٢٧٦
﴿وَمِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡ وَإِخۡوَٰنِهِمۡۖ وَٱجۡتَبَيۡنَٰهُمۡ وَهَدَيۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	٨٧	١١٣-١١٨-٢٧٦
﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	٨٨	١١٣-١١٨-٢٧٦
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾	٨٩	١١٣-١١٨-٢٧٦
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾	٩٠	١١٣-١١٨-٢٤١-٢٧٦
﴿وَلَقَدۡ جِئۡتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَتَرَكۡتُم مَّا خَوَّلۡنَٰكُمۡ وَرَآءَ ظُهُورِكُمۡۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمۡ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ أَنَّهُمۡ فِيكُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْۚ لَقَد تَّقَطَّع بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ﴾	٩٤	١١٢-١٢٠
﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾	٩٥	١١٢-١٢٠
﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾	١٠٣	١١٢-١٢٠
﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾	١٠٤	١١٢-١٢٠
﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	١٠٩	١١٠

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	١٣٥	١٢٠-١١٢
﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۗ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾	١٣٦	١٢٠-١١٢
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	١٥٠	١٢١-١١٢
﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	١٥١	١٢١-١١٢-٣٨-٣٧
﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا﴾	١٦١	٢٧٨
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	١٦٥	١٢١-١١٢
سورة الأعراف		
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	٥٩	٥٠
﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾	٦٠	٥٠
﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٦٢	٥٠
﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	٦٢	٥٠
﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	٦٣	٥٠
﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ﴾	٦٤	٥٠
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	٦٥	٤٥

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	٧٣	٤٦-٤٥
﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	٨٥	٤٦
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾	١٣٣	٥١
سورة التوبة		
﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾	١١٤	٢٦٥-٢٤٥-٢٣٩-٢٢٩-٧١
﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾	١٢٨	٢١
﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾	١٢٩	٢١
سورة يونس		
﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾	١	٢٢
﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ﴾	٢	٢٢
سورة هود		
﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	١	٩٧-٩٣-٢٥
﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾	٢	٩٧
﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾	٦	٩٧
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾	٧	٩٧-٩٢

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ﴾	١٢	٩١-٩٢-٩٨
﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتۡلُوهُ شَاهِدٞ مِّنۡهُ وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ مِنَ ٱلۡأَحۡزَابِ فَٱلنَّارُ مَوۡعِدُهُۥۚ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	١٧	٩١-٩٣
﴿مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾	٢٤	٩٣
﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾	٢٥	٩٤-٩٨-٩٩
﴿أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ﴾	٢٦	٩٨
﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾	٤٩	٤٧
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ﴾	٥٠	٩٣
﴿أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ﴾	٦٠	٩٠
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾	٦١	٩٣-٩٤
﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابٞ قَرِيبٞ﴾	٦٤	٩٩
﴿وَلَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجۡلٍ حَنِيذٖ﴾	٦٩	٩٤-٩٥-٢٦٨
﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ﴾	٧٠	٩٤-٩٥-٢٦٩
﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾	٧١	٩٤-٩٥-٢٦٩-٢٧٦
﴿قَالَتۡ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٞ وَهَٰذَا بَعۡلِي شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ﴾	٧٢	٩٤-٩٦-٢٧٠
﴿قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ﴾	٧٣	٩٤-٩٦-٢٧٠
﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾	٧٤	٩٤-٩٦-٩٨-٩٩-٢٢٩-٢٧٠
﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٞ مُّنِيبٞ﴾	٧٥	٥٥-٩٤-٩٦-٩٨-٩٩-٢٢٩
﴿يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ﴾	٧٦	٩٤-٩٧-٩٨-٩٩
﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ﴾	٩٩	٩٤-٩٩

﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ﴾	١٠٠	٩٤
﴿فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ ۚ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ﴾	١٠٩	٩٩
﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	١١٢	٩٣
﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾	١١٣	٩٣
﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾	١١٤	٩١-٩٣
﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	١١٥	٩٣
﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾	١٢٠	٤٦
﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	١٢٣	٩٤
سورة يوسف		
﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾	٣	٢-٤٢-٤٤
﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾	٦	٧١
﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ﴾	١٦	٥٠
﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٢٣	٥٣
﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ﴾	١١١	٤٤-٥٣
سورة إبراهيم		
﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾	١	١٥٢-١٥٤
﴿ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾	٢	١٥٠
﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾	٣	١٥٠

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	١٣	١٥٠
﴿وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾	١٤	١٥٠
﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾	٢٧	١٥٤-١٥٢
﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ﴾	٢٨	١٥٥-١٥٢-١٥٠
﴿جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ﴾	٢٩	١٥٠
﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ﴾	٣٠	١٥٢-١٥٠
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ﴾	٣٢	١٥٥
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾	٣٣	١٥٥
﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾	٣٤	١٥٥
﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾	٣٥	٢٧٣-٢٤٤-١٥٢
﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾	٣٦	٢٦٧-٢٤٤-٢٢٩-١٥٢-١٥١
﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾	٣٧	٢٦٧-٢٤٣-١٥٣-١٥٢
﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾	٣٨	١٥٣-١٥٢
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾	٣٩	٢٧٦-٢٧١-١٥٤-١٥٢
﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾	٤٠	٢٧٦-١٥٤-١٥٢
﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ﴾	٤١	٢٧٦-٢٦٤-٢٥١-١٥٥-١٥٤-١٥٢
﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾	٤٢	١٥٥
﴿مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾	٤٣	١٥٥
﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوۡمَ يَأۡتِيهِمُ ٱلۡعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرۡنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ نُّجِبۡ دَعۡوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمۡ تَكُونُوٓاْ أَقۡسَمۡتُم مِّن قَبۡلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٖ﴾	٤٤	١٥١

﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ﴾	٤٥	١٥١
﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾	٤٦	١٥١
﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾	٤٧	١٥١
﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾	٥٢	١٥٤
سورة الحجر		
﴿الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾	١	١٠٢-١٠٥
﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ﴾	٢	١٠٥
﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾	٣	١٠٥
﴿وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾	٤	١٠٥
﴿مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ﴾	٥	١٠٥
﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾	٦	١٠١-١٠٥
﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	٧	١٠١-١٠٥
﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ﴾	٨	١٠٥
﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾	١٥	١٠٢
﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾	١٦	١٠٢-١٠٦
﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾	٤٢	١٠٦
﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٤٣	١٠٦
﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾	٤٨	١٠٦
﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٤٩	٤٦-١٠٦
وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾	٥٠	٤٦-١٠٢-١٠٦
﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ﴾	٥١	٤٦-١٠٣-١٠٦-٢٦٨
﴿إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ﴾	٥٢	٤٦-١٠٣-١٠٦-٢٦٨
﴿قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾	٥٣	٤٦-١٠٣-٢٦٩
﴿قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾	٥٤	١٠٣-١٠٤-٢٦٩
﴿قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ﴾	٥٥	١٠٣-١٠٤-٢٦٩
﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾	٥٦	١٠٣-١٠٤-١٠٦-٢٦٩

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾	٥٧	٢٧٠-١٠٧-١٠٤-١٠٣
﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾	٥٨	٢٧٠-١٠٤-١٠٣
﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٥٩	١٠٥-١٠٣
﴿إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾	٦٠	١٠٥-١٠٣
﴿فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾	٦١	٤٧
﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾	٦٢	٤٧
﴿قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾	٦٣	٤٧
﴿وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ﴾	٦٤	٤٧
﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾	٦٥	٤٧
﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ﴾	٦٦	٤٧
﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾	٧٢	١٣٨
﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾	٨٤	١٠٧
﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾	٨٥	١٠٧
﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾	٨٦	١٠٧
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾	٨٧	١٠٧
﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾	٩٠	١٠١
﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾	٩١	١٠١
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾	٩٢	١٠١
﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	٩٤	١٠٩-١٠١
﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾	٩٥	١٠١
﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾	٩٩	١٠٧-١٠٣
سورة النحل		
﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾	١	١٤٨-١٤٦-١٤٤
﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾	٢٢	١٤٥
لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾	٢٣	١٤٥

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	٢٤	١٤٥
﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾	٢٥	١٤٥
﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾	٤١	١٤٤
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾	١٠٣	١٤٥
﴿يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾	١١١	١٤٦-١٤٨
﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾	١١٢	١٤٥-١٤٦-١٤٩
﴿وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾	١١٣	١٤٥
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	١١٩	١٤٦-١٤٩
﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	١٢٠	١٤٧-٢٧٨
﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	١٢١	١٤٧-٢٧٨
﴿وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	١٢٢	١٤٧-٢٧٨
﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	١٢٣	١٤٧-١٤٨-١٤٩-٢٤٥-٢٧٨
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾	١٢٦	١٤٤
﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾	١٢٧	١٤٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾	١٢٨	١٤٤-١٤٧-١٤٩
سورة الإسراء		
﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾	٣١	٣٧-٣٨
﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾	٨٨	٥٣
سورة الكهف		
﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾	٦٦	٥٥

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا﴾	٦٧	٥٥
﴿وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا﴾	٦٨	٥٥
﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا﴾	٦٩	٥٥
﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعۡتَنِي فَلَا تَسۡـَٔلۡنِي عَن شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ أُحۡدِثَ لَكَ مِنۡهُ ذِكۡرٗا﴾	٧٠	٥٥
﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَاۖ قَالَ أَخَرَقۡتَهَا لِتُغۡرِقَ أَهۡلَهَا لَقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا إِمۡرٗا﴾	٧١	٥٥
﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمٗا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا زَكِيَّةَۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا﴾	٧٤	٥٥
﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا﴾	٧٧	٥٥
﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا﴾	٧٩	٥٥
﴿وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾	٨٠	٥٥-٥٦
﴿فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا﴾	٨١	٥٦
﴿وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا﴾	٨٢	٥٦
سورة مريم		
﴿كٓهيعٓصٓ﴾	١	٧٦-٨٠
﴿وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ وَيَوۡمَ يُبۡعَثُ حَيّٗا﴾	١٥	٨٠
﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾	١٦	٨٠
﴿فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا﴾	١٧	٥٧
﴿قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا﴾	١٨	٥٦
﴿قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا﴾	١٩	٥٧
﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا﴾	٢٦	٨٠
﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ﴾	٤١	٧٧
﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾	٤٢	٧٧-٢٥٦
﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا﴾	٤٣	٧٧-٧٨-٢٢٨-٢٤١-٢٥٦

﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا﴾	٤٤	٢٥٦-٢٤١-٧٨-٧٧
﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾	٤٥	٢٥٦-٢٥١-٢٤١-٧٨-٧٧
﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا﴾	٤٦	٢٥٦-٢٣٠-٧٨-٧٧
﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾	٤٧	٢٦٤-٢٣١-٢٢٩-٧٩-٧٧
﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا﴾	٤٨	٢٦٤-٢٣١-٧٩-٧٧
﴿فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا﴾	٤٩	٢٧٥-٧٩-٧٧
﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾	٥٠	٢٧٥-٧٩-٧٧
﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾	٥٤	٢٧١
﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا﴾	٥٥	٨٠
﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا﴾	٥٨	٨٠-٧٤
﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾	٦٥	٨١-٧٦
﴿وَيَقُولُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوۡفَ أُخۡرَجُ حَيّٗا﴾	٦٦	٨١-٧٧
﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾	٧١	٧٤
﴿وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هَلۡ تُحِسُّ مِنۡهُم مِّنۡ أَحَدٍ أَوۡ تَسۡمَعُ لَهُمۡ رِكۡزٗا﴾	٩٨	٨١-٧٧
سورة طه		
﴿طه﴾	١	١٨٩
﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ﴾	٤٩	٥٨-٥٧
﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾	٥٠	٥٨
﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ﴾	٥١	٥٨
﴿قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾	٥٢	٥٨
﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ﴾	٥٣	٥٨
﴿كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ﴾	٥٤	٥٨
﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾	٥٥	٥٨
سورة الأنبياء		
﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ﴾	١	١٦٣-١٥٨-١٥٧
﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ﴾	٨	١٥٧

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾	٢٥	٤٤
﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴾	٢٦	٢٥٧-٢٦٨
﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ﴾	٢٧	٢٦٨
﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾	٣٦	١٥٨
﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾٨	٤١	١٥٨
﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾	٤٧	١٥٨-١٦٣
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ﴾	٤٨	١٥٨-١٧١
﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ﴾	٥١	١٥٩-٢٢٧-٢٥٥
﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾	٥٢	١٥٩-٢٣٣-٢٥٧
﴿قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾	٥٣	١٥٩-١٦٠-٢٣٨-٢٥٨
﴿قَالَ لَقَدۡ كُنتُمۡ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾	٥٤	١٥٩-١٦٠-٢٣١-٢٥٨
﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ﴾	٥٥	١٥٩-١٦٠-٢٣٥-٢٥٨
﴿قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾	٥٦	١٥٩-١٦٠-٢٣٧-٢٥٨
﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم﴾	٥٧	١٥٩-١٦٠-٢٣١-٢٥٩
﴿فَجَعَلَهُمۡ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرٗا لَّهُمۡ لَعَلَّهُمۡ إِلَيۡهِ يَرۡجِعُونَ﴾	٥٨	١٥٩-١٦٠-٢٣٨-٢٥٩
﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٥٩	١٥٩-١٦٠-٢٥٩
﴿قَالُواْ سَمِعۡنَا فَتٗى يَذۡكُرُهُمۡ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبۡرَٰهِيمُ﴾	٦٠	١٥٩-١٦٠-٢٥٩
﴿قَالُواْ فَأۡتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعۡيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡهَدُونَ ﴾	٦١	١٥٩-١٦١-٢٣١-٢٥٩
﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلۡتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ﴾	٦٢	١٥٩-١٦١-٢٤١-٢٥٩
﴿قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾	٦٣	١٥٩-١٦١-٢٢٨-٢٣٦-٢٤١-٢٦٠
﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	٦٤	١٥٩-١٦١-٢٢٨-٢٤١-٢٦٠
﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾	٦٥	١٥٩-١٦١-٢٢٨-٢٤٢-٢٦٠
﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ﴾	٦٦	١٥٩-١٦١-٢٢٨-٢٣٦-٢٤٢-٢٦٠

﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	٦٧	١٥٩-١٦١-٢٢٨-٢٣٦-٢٤٢-٢٦٠
﴿قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾	٦٨	١٥٩-١٦٢-٢٣٠-٢٦٠
﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	٦٩	١٥٩-١٦٢-٢٣٢-٢٦١
﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾	٧٠	١٥٩-١٦٢-٢٦٢
﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾	٧١	١٥٩-١٦٢-٢٣٢-٢٦٥
﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ﴾	٧٢	١٥٩-١٦٢-٢٧٦
﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾	٧٣	١٥٩-١٦٣-٢٧٦
﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	٨٥	٢٧١
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ﴾	٩٢	١٥٨-١٦٣
﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ﴾	٩٣	١٥٨-١٦٣
﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾	١١٢	١٥٨-١٦٤
سورة الحج		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾	١	٢١٧-٢٢٠
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾	١١	٢١٦
﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾	٢٤	٢١٧-٢٢٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾	٢٥	٢١٧-٢٢٠
﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾	٢٦	٢١٨-٢١٩-٢٤٤-٢٧٣
﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾	٢٧	٢١٨-٢١٩-٢٧٤
﴿لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ﴾	٢٨	٢١٨-٢١٩-٢٧٤
﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾	٢٩	٢١٨-٢١٩-٢٧٤
﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٣٧	٢٢٠

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾	٣٨	٢٢٠
﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾	٣٩	٢١٦
﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾	٤١	٢١٦-٢١٨-٢٢١
﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَعَادٞ وَثَمُودُ﴾	٤٢	٢١٨-٢٢١
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾	٥٢	٢١٦
﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ﴾	٥٣	٢١٦
﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾	٥٤	٢١٦
﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ﴾	٥٥	٢١٦
﴿ذَٰلِكَۖ وَمَنۡ عَاقَبَ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيۡهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٞ﴾	٦٠	٢١٨-٢٢١
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾	٦١	٢١٨-٢٢١
﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۛ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾	٧٨	٧١-٧٦-٢١٨-٢٢١
سورة المؤمنون		
﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾	١	١٨
﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾	٢	١٨
﴿وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾	١١٧	١٨
﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	١١٨	١٨
سورة الفرقان		

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾	٣٢	٣٨
﴿فَجَعَلَهُۥ نَسَبٗا وَصِهۡرٗا﴾	٥٤	١١
سورة الشعراء		
﴿طسٓمٓ﴾	١	٨٤-٨٧
﴿تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾	٢	٨٧
﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾	٣	٨٢-٨٧
﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾	٤	٨٢-٨٧
﴿وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ﴾	٥	٨٧
﴿فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾	٦	٨٧
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٩	٨٤
﴿وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	١٠	٨٤-٨٨
﴿قَوۡمَ فِرۡعَوۡنَۚ أَلَا يَتَّقُونَ﴾	١١	٨٨
﴿وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ﴾	٦٥	٨٧
﴿ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ﴾	٦٦	٨٧
﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾	٦٧	٨٧
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٦٨	٨٧
﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ﴾	٦٩	٨٤-٨٥
﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ﴾	٧٠	٨٤-٨٥-٢٣١-٢٥٦
﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾	٧١	٨٤-٨٥-٢٥٦
﴿قَالَ هَلۡ يَسۡمَعُونَكُمۡ إِذۡ تَدۡعُونَ﴾	٧٢	٨٤-٨٥-٢٣٣-٢٥٧
﴿أَوۡ يَنفَعُونَكُمۡ أَوۡ يَضُرُّونَ﴾	٧٢	٨٤-٨٥-٢٣٣-٢٥٧
﴿قَالُواْ بَلۡ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ﴾	٧٤	٨٤-٨٥-٢٥٧
﴿قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ﴾	٧٥	٨٤-٨٥-٢٣٩-٢٤٨-٢٥٨
﴿أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ﴾	٧٦	٨٤-٨٥-٢٣٩-٢٤٨-٢٥٨
﴿فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	٧٧	٨٤-٨٥-٢٣٩-٢٤٨-٢٥٨
﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾	٧٨	٨٤-٨٦-٢٣٦-٢٥٨

﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطۡعِمُنِى وَيَسۡقِينِ﴾	٧٩	٨٤-٨٦-٢٣٦-٢٥٨
﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾	٨٠	٨٤-٨٦-٢٣٦-٢٥٨
﴿وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾	٨١	٨٤-٨٦-٢٣٦-٢٥١-٢٥٨
﴿وَٱلَّذِىٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾	٨٢	٨٤-٨٦-٢٣٦-٢٥٢-٢٥٨
﴿رَبِّ هَبۡ لِى حُكۡمًا وَأَلۡحِقۡنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾	٨٣	٨٤-٨٦-٢٧٥
﴿وَٱجۡعَل لِّى لِسَانَ صِدۡقٍ فِى ٱلۡأٓخِرِينَ﴾	٨٤	٨٤-٨٦-٢٤٦-٢٧٥
﴿وَٱجۡعَلۡنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾	٨٥	٨٤-٨٧-٢٥٢-٢٧٥
﴿وَٱغۡفِرۡ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾	٨٦	٨٥-٨٧-٢٥١-٢٦٤-٢٧٥
﴿وَلَا تُخۡزِنِى يَوۡمَ يُبۡعَثُونَ﴾	٨٧	٨٥-٨٧-٨٨-٢٥٢-٢٧٥
﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾	٨٨	٨٥-٨٧-٨٨-٢٥٢-٢٧٥
﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٍ سَلِيمٍ﴾	٨٩	٨٥-٨٧-٨٨-٢٥٢-٢٧٥
﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ﴾	٩٠	٨٨
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾	١٠٤	٨٨
﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ نُوحٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	١٠٥	٨٩
﴿كَذَّبَتۡ عَادٌ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	١٢٣	٨٩
﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	١٤١	٨٩
﴿كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾	١٦٠	٨٩
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَةًۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ﴾	١٩٠	٨٩
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾	١٩١	٨٤-٨٩
﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٩٢	٨٤-٨٩
﴿أَوَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ ءَايَةً أَن يَعۡلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾	١٩٧	٨٩
﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ﴾	٢١٤	٨٣-١٠٩
﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٢١٥	١٠٩
﴿فَإِنۡ عَصَوۡكَ فَقُلۡ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾	٢١٦	١٠٩
﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾	٢٢٤	٨٢
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾	٢٢٧	٨٤

سورة النمل		
﴿فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾	٤٢	٥٦
﴿قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ﴾	٤٤	٥٦
سورة القصص		
﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِ﴾	١١	٤٢
سورة العنكبوت		
﴿الٓمٓ﴾	١	١٦٦-١٧٠
﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَآۚ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾	٨	١٦٤
﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾	١٣	١٦٦-١٧٠
﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾	١٤	١٦٦
﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾	١٦	١٦٦-١٦٧-٢٥٦
﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾	١٧	١٦٦-١٦٧-٢٣٦-٢٥٧
﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾	١٨	١٦٦-١٦٧
﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾	١٩	١٦٦-١٦٨-٢٣٦-٢٥٢-٢٥٨
﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	٢٠	١٦٦-١٦٨-٢٣٦-٢٥٢-٢٥٨
﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ﴾	٢١	١٦٧-١٦٨-٢٣٦-٢٥٢-٢٥٨
﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾	٢٢	١٦٧-١٦٨-٢٤١-٢٥٨
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾	٢٣	١٦٧-١٦٨-٢٥٨
﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾	٢٤	١٦٧-١٦٩-٢٣٠-٢٦٠-٢٦١

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾	٢٥	١٦٧-١٦٩-٢٦٢
﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	٢٦	١٦٧-١٦٩-٢٣٢-٢٦٥
﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	٢٧	١٦٧-١٦٩-٢٧٦
﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٢٨	١٦٧-١٧٠-٢٦٧
﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾	٢٩	١٦٧-١٧٠-٢٦٨
﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾	٣٠	١٦٧-١٧٠-٢٦٨
﴿وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوٓا۟ إِنَّا مُهْلِكُوٓا۟ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ﴾	٣١	١٦٧-١٧٠-٢٧٠
﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا۟ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾	٣٢	١٦٧-١٧٠-٢٧٠
﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ﴾	٤١	١٦٤-١٧١
﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾	٤٣	١٦٦
﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٤	١٦٦-١٧٢
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٦٩	١٦٦-١٧٢
سورة الروم		
﴿الٓمٓ﴾	١	١٨
﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾	٢	١٨
﴿فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾	٣	١٨
﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	٤	١٨
﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٥	١٨
﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾	٦٠	١٨
سورة الأحزاب		

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾	٧	٧١-٢٧٥
﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾	٨	٢٧٥
سورة فاطر		
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾	٢٧	٢٥
سورة الصافات		
﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾	١	١٢٢-١٢٤-١٢٨
﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	٣٩	١٢٢
﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾	٧٠	١٢٤-١٢٨
﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	٧١	١٢٤
﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ﴾	٨٣	١٢٤-١٢٥-١٢٩
﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	٨٤	١٢٤-١٢٥-٢٣٢-٢٥٦-٢٧٥
﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾	٨٥	١٢٤-١٢٥-١٢٩-٢٣٥-٢٥٧
﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾	٨٦	١٢٤-١٢٥-١٢٩-٢٥٧
﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٨٧	١٢٤-١٢٥-٢٥٧
﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾	٨٨	١٢٤-١٢٥-٢٥٩
﴿فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾	٨٩	١٢٤-١٢٥-٢٥٩
﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾	٩٠	١٢٤-١٢٦-٢٥٩
﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾	٩١	١٢٤-١٢٦-٢٥٩
﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾	٩٢	١٢٤-١٢٦-٢٥٩
﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾	٩٣	١٢٤-١٢٦-٢٣٨-٢٥٩
﴿فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ﴾	٩٤	١٢٤-١٢٦-٢٥٩
﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾	٩٥	١٢٤-١٢٦-٢٣٦-٢٦٠
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾	٩٦	١٢٤-١٢٦-٢٣٦-٢٦٠
﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ﴾	٩٧	١٢٤-١٢٦-١٢٩-١٣١-٢٣٠-٢٦١
﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾	٩٨	١٢٤-١٢٦-١٢٩-١٣١-٢٦٢
﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾	٩٩	١٢٥-١٢٦-٢٣٢-٢٦٥
﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	١٠٠	١٢٥-١٢٦-٢٦٦

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾	١٠١	٢٦٦-١٢٧-١٢٥
﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	١٠٢	٢٧٢-٢٣٢-١٢٧-١٢٥
﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾	١٠٣	٢٧٢ -٢٣٠-١٢٧-١٢٥
﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾	١٠٤	٢٧٢ -٢٣٠-١٢٧-١٢٥
﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	١٠٥	٢٧٢ -٢٣٠-١٢٧-١٢٥
﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾	١٠٦	٢٧٢ -٢٣٠-١٢٧-١٢٥
﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾	١٠٧	٢٧٢-١٢٩-١٢٨-١٢٥
﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾	١٠٨	٢٧٢-١٣٠-١٢٨-١٢٥
﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	١٠٩	٢٧٢-١٣٠-١٢٨-١٢٥
﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	١١٠	٢٧٢-١٣٠-١٢٨-١٢٥
﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾	١١١	٢٧٣-١٣٠-١٢٨-١٢٥
﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾	١١٢	٢٧٦-٢٧٣-١٣٠-١٢٨-١٢٥
﴿وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾	١١٣	٢٧٦-٢٧٣-١٣٠-١٢٨-١٢٥
﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾	١١٤	١٢٩
﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾	١١٥	١٢٩
﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾	١٢٥	١٢٩
﴿ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾	١٢٦	١٢٩
﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	١٣٣	١٣٠
﴿ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾	١٣٦	١٣٠-١٢٤
﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ﴾	١٣٧	١٣٠-١٢٤
﴿وَبِٱلَّيْلِ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	١٣٨	١٣٠
﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾	١٤٩	١٣٠-١٢٣
﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	١٥٧	١٢٣
﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾	١٥٩	١٣٠
﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾	١٧٠	١٢٤
﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ﴾	١٧١	١٣٠-١٢٤-١٢٣
﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾	١٧٧	١٢٣

﴿وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٨٢	١٣١-١٢٤
سورة ص		
﴿صٓ﴾	١	١٨٩
﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾	٤٥	٢٥٠-٧١
﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾	٤٦	٢٥٠-٧١
﴿وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾	٤٧	٢٥٠-٧١
سورة الزمر		
﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾	٢	٢٨
﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾	٥	٢٨
﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ﴾	٦٦	٢٨
﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾	٧٥	٢٨
سورة الشورى		
﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾	١٣	٢٧٧-٧١
سورة الزخرف		
﴿حمٓ﴾	١	١٣٤-١٣٣
﴿وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾	١٤	١٣٤-١٣٣
﴿وَجَعَلُواْ لَهُۥ مِنۡ عِبَادِهِۦ جُزۡءًاۚ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَكَفُورٞ مُّبِينٌ﴾	١٥	١٣٣
﴿بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ﴾	٢٢	١٣٤-١٣٢
﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾	٢٣	١٣٤
﴿قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾	٢٤	١٣٤
﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾	٢٥	١٣٥
﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ﴾	٢٦	٢٦٥-٢٤٨-٢٤٠-١٣٥-١٣٣
﴿إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾	٢٧	٢٦٥-٢٤٨-٢٤٠-١٣٣
﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾	٢٨	٢٧٧-١٣٣
﴿بَلۡ مَتَّعۡتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ وَرَسُولٞ مُّبِينٞ﴾	٢٩	١٣٥

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلۡحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾	٣٠	١٣٢-١٣٦
﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾	٣١	١٣٢
﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ﴾	٣٢	١٣٢
﴿وَزُخۡرُفٗاۚ﴾	٣٥	١٣١
﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ﴾	٤٥	١٣١
﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ﴾	٥٦	١٣٣-١٣٦
﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾	٥٧	١٣٣-١٣٧
﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾	٨٩	١٣٣-١٣٧
سورة الذاريات		
﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾	١	١٣٩-١٤١-١٤٣
﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾	٢	١٤٣
﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾	٣	١٤٣
﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾	٤	١٤٣
﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ﴾	٥	١٤٣
﴿وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ﴾	٦	١٤٣
﴿فِي غَمۡرَةٖ سَاهُونَ﴾	١١	١٣٨
﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ﴾	١٤	١٤٠-١٤١
﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾	٢٠	١٤٠-١٤٢
﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾	٢١	١٤٠-١٤٢
﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾	٢٢	١٤٠-١٤٢
﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾	٢٣	١٣٩-١٤٢
﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾	٢٤	١٣٩-٢٦٨
﴿إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ﴾	٢٥	١٣٩-١٤٠-٢٦٩
﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ﴾	٢٦	١٣٩-١٤٠-٢٦٩
﴿فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ﴾	٢٧	١٣٩-١٤٠-٢٦٩
﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾	٢٨	١٣٩-١٤٠-٢٦٩-٢٧٦
﴿فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ﴾	٢٩	٥١-١٣٩-١٤١-٢٧٠

﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ﴾	٣٠	١٣٩-١٤١-٢٧٠
﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾	٣١	١٣٩-١٤١-٢٧٠
﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ﴾	٣٢	١٣٩-١٤١-٢٧٠
﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ﴾	٣٣	١٣٩-١٤١-٢٧٠
﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾	٣٤	١٣٩-١٤١
﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾	٣٧	١٤٢
﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾	٥٢	١٤٢
﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾	٥٣	١٤٢
﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ﴾	٥٤	١٤٢
﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾	٥٥	١٤٣
﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثۡلَ ذَنُوبِ أَصۡحَٰبِهِمۡ فَلَا يَسۡتَعۡجِلُونِ﴾	٥٩	١٤٣
﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوۡمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ﴾	٦٠	١٣٩-١٤٣
سورة النجم		
﴿إِذۡ يَغۡشَىٰ﴾	١٦	١٨٠
﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ﴾	٣٦	٢٥٠
﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾	٣٧	٧١-٢٣٠-٢٥٠-٢٧٥
﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ﴾	٣٨	٢٥٠
﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾	٣٩	٢٥٠
﴿وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ﴾	٤٠	٢٥٠
﴿ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ﴾	٤١	٢٥٠
﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾	٤٢	٢٥٠
﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾	٤٣	٢٥٠
﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا﴾	٤٤	٢٥٠
﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ﴾	٤٥	٢٥٠
﴿مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ﴾	٤٦	٢٥٠
﴿وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ﴾	٤٧	٢٥٠
﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾	٤٨	٢٥٠
﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾	٤٩	٢٥٠

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ﴾	٥٠	٢٥٠
﴿وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبۡقَىٰ﴾	٥١	٢٥٠
﴿وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ هُمۡ أَظۡلَمَ وَأَطۡغَىٰ﴾	٥٢	٢٥٠
﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَةَ أَهۡوَىٰ﴾	٥٣	٢٥٠
﴿فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ﴾	٥٤	٢٥٠
﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾	٥٥	٢٥٠
﴿هَٰذَا نَذِيرٞ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلۡأُولَىٰٓ﴾	٥٦	٢٥٠
سورة القمر		
﴿كَذَّبَتۡ عَادٞ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾	١٨	٥١
﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِي يَوۡمِ نَحۡسٖ مُّسۡتَمِرّٖ﴾	١٩	٥١
﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ﴾	٢٠	٥١
﴿فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾	٢١	٥١
﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾	٢٢	٥١
سورة الواقعة		
﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾	٩٦	٢١
سورة الحديد		
﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾	١	٢١
﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾	٢٦	٧٢-٢٧٧
سورة الممتحنة		
﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ﴾	٤	٧٢-٢٤٠-٢٦٤
سورة الجمعة		
﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾	٤	٣٠
﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٥	٣٠
سورة الطلاق		

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾	١	٢٦
﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾	٢	٢٦
سورة التحريم		
﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	١١	٤٩
سورة القلم		
﴿إِذْ أَقْسَمُواْ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾	١٧	٥٦
﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ﴾	١٨	٥٦
﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ﴾	١٩	٥٦
﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾	٢٠	٥٦
﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ﴾	٢١	٥٦
﴿أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَرِمِينَ﴾	٢٢	٥٦
﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ﴾	٢٣	٥٦
﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾	٢٤	٥٦
﴿وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾	٢٥	٥٦
﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾	٢٦	٥٦
﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾	٢٧	٥٦
سورة الحاقة		
﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ﴾	٤	٤٩
﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾	٥	٤٩
﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾	٦	٤٩
﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾	٧	٤٩
﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾	٨	٤٩
سورة الانشقاق		
﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾	٢٢	٢٧

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾	٢٣	٢٧
سورة البروج		
﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ﴾	١٧	٢٧
﴿فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ﴾	١٨	٢٧
﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ﴾	١٩	٢٧
﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ﴾	٢٠	٢٧
سورة الأعلى		
﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾	١٤	٢٥٠-٢٥٧
﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾	١٥	٢٥٠-٢٥٧
﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾	١٦	٢٥٠-٢٥٧
﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾	١٧	٢٥٠-٢٥٧
﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾	١٨	٧٢-٢٥٠-٢٥٧-٢٧٧
﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾	١٩	٧٢-٢٥٠-٢٧٧
سورة العاديات		
﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾	١١	٢٢
سورة القارعة		
﴿ٱلۡقَارِعَةُ﴾	١	٢٢
﴿مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾	٢	٢٢
سورة قريش		
﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾	١	٢٢

فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ	١٧٦
إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا وَسَنَامُ الْقُرْآنِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ	١٧٧
مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ	١٧٧
يَا رَسُولَ اللهِ، فُضِّلَتْ سُورَةُ الحَجِّ بِأَنَّ فِيهَا سَجْدَتَيْنِ؟	٢١٥
يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ شِبْتَ؟	٩١

فهرس الآثار

طرف الأثر	اسم الصحابي أو التابعي	الصفحة
إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَالْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ وَالنَّضْرَ بْنَ الْحَارِثِ	عبد الله بن عباس	١٠٠
إِنَّ النَّصَارَى كَانَ إِذَا وُلِدَ لِأَحَدِهِمْ وَلَدٌ فَأَتَى عَلَيْهِ سَبْعَةُ أَيَّامٍ	عبد الله بن عباس	١٩٠
إِنَّهُنَّ مِنَ العِتَاقِ الأُوَلِ	عبد الله بن مسعود	١٥٦
دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ الْمِدْرَاسِ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنَ الْيَهُودِ	عبد الله بن عباس	٢٠٣
فِينَا نَزَلَتْ: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران:١٢٢].	جابر بن عبد الله	٢٠٥
كَانَ الرَّجُلُ يَقْدَمُ المدِينَةَ فَيُسْلِم، فَإِنْ وَلَدَتِ امْرَأَتُهُ غُلاَمًا	عبد الله بن عباس	٢١٦
كَانَ رِجَالٌ مِنَ المسلِمِينَ يُواصِلُونَ رِجَالاً مِنْ يَهُودٍ	عبد الله بن عباس	٢٠٤
لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى	عبد الله بن مسعود	١٧٧
لَمَّا أَصَابَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرَيْشًا يَوْمَ بَدْرٍ	عبد الله بن عباس	٢٠٢
لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ	عبد الله بن عباس	٢٠٥
نَزَلَتْ فِي رُؤُوسِ يَهُودِ الْمَدِينَةِ: كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، وَمَالِكِ بْنِ الصَّيْفِ	عبد الله بن عباس	١٨٩

فهرس الأعلام

اسم العلم	الصفحة
ابن الأثير	٥٩
أبو إسحاق الثعلبي	٥٩
أبو أمامة الباهلي	١٧٦
أمين أحسن إصلاحي	٣١
بدر الدين الزركشي	١٤
أبو البركات النسفي	٥٨
برهان الدين البقاعي	١٢
أبو بكر ابن العربي	١٢
أبو بكر النَّيسابوري	٢٤
التهامي نقرة	٦٢
جعفر بن أبي طالب	٧٥
أبو جعفر الطبري	٢٣
حسين الطباطبائي	٣٠
ابن خلدون	٦٠
ابن الزبير الغرناطي	٢٧
الزمخشري	٢٥
أبو السعود	٥٨
السيوطي	٢٨
شهاب الدين الآلوسي	٢٨
الشوكاني	٣٢
الطِّيبي	٣٤
عبد الحميد الفراهي	١٤

عبد الرحمن الميداني	٣١
عبد القاهر الجُرجاني	٢٤
عبد الكريم الخطيب	٦١
عبد الله بن عباس ﷺ	٩١
عبد الله بن عمر البيضاوي	٥٨
عبد الله بن مسعود ﷺ	٢٣
عبد الملك الباهلي	١٧
عبد الوهاب النجار	٦٠
العز بن عبد السلام	٣٢
ابن عطية	١٣٦
عقبة بن عامر	٢١٥
فخر الدين الرازي	١٣
فضل عباس	٦٣
قتادة بن دعامة السَّدوسي	١٥٠
ابن كثير	٥٩
كعب بن عمرو	٧٥
محمد أحمد خلف الله	٦٠
محمد الطاهر بن عاشور	٣٠
محمد بن إسحاق	٩٢
محمد عبد الله درَّاز	٢٩
محمد عبده	٦٠
محمد محمود حجازي	٤٢
مصطفى عبد الواحد	٥٩
مصطفى مسلم	١٢
النجاشي	٧٥

فهرس المصطلحات المعرَّفة

المصطلح	الصفحة
الإسناد	٢٢
الإضراب	٢٥٧
الالتفات	١٩
براعة الاستهلال	١٨
التعلق بالعامل	٢٢
التكامل	٣٨-٣٧
التناسب	١٢-١١
العطف	٢٠
الفاصلة القرآنية	١٧
القصة	٤٢

فهرس الأماكن

المكان	الصفحة
بابل	٢٥٦
الحبشة	٧٥
الحجاز	٢٢٩
حرَّان	٢٦٥
سدوم	٢٦٧

فهرس المصادر والمراجع

١. إبراهيم خليل الله داعية التوحيد ودين الإسلام والأسوة الحسنة، د.علي محمد محمد الصَّلَّابي، دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م، عدد الأجزاء: (١).

٢. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، عدد الأجزاء: (٤).

٣. إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي)، د.نزار أباظة ومحمد رياض المالح، بيروت: دار صادر، ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: (١).

٤. أحكام القرآن، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلَّق عليه: محمد عبد القادر عطا، بيروت - دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: (٤).

٥. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الدمام: دار الإصلاح، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، عدد الأجزاء: (١).

٦. أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري، تحقيق: عادل أحمد الرفاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، عدد الأجزاء: (٨).

٧. أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة، عدد الأجزاء: (١).

٨. أسرار ترتيب القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: (١).

٩. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، تحقيق: علي محمد البجاوي، بيروت: دار الجيل، ط١، ١٤١٢هـ—١٩٩٢م، عدد الأجزاء: (٨).

١٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، عدد الأجزاء: (٩).

١١. إعجاز القرآن للباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (المتوفى: ٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، مصر: دار المعارف، ط٥، ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: (١).

١٢. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: (٨).
١٣. إمعان النظر في نظام الآي والسور، د: محمد عناية الله أسد سبحاني، دار عمار، عدد الأجزاء: (١).
١٤. انظر موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم، رؤوف سلامة موسى، الفجالة: دار المستقبل، ط١، ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: (١).
١٥. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء: (٥).
١٦. الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد بن محمد القزويني (المتوفى: ٧٣٩هـ)، وضع حواشه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: (٣).
١٧. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء: (١٠).
١٨. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي - القاهرة، ١٤١٩هـ، عدد الأجزاء: (٧).
١٩. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ -١٩٨٨م، عدد الأجزاء: (١٤).
٢٠. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، بيروت: دار المعرفة، عدد الأجزاء: (٢).
٢١. البرهان في تناسب سور القرآن، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، تحقيق: محمد شعباني، المغرب: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، عدد الأجزاء: (١).
٢٢. البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م، عدد الأجزاء: (٤).

٢٣. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، عدد الأجزاء: (٦).
٢٤. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي (المتوفى: ١٣٩١هـ)، مكتبة الآداب، ط١٧، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: (٤).
٢٥. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة، أبو جعفر الضبي (المتوفى: ٥٩٩هـ)، القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٧م، عدد الأجزاء: (١).
٢٦. البيان في عدّ آي القرآن، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: ٤٤٤هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، الكويت: مركز المخطوطات والتراث، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، عدد الأجزاء: (١).
٢٧. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، عدد الأجزاء: (٤٠).
٢٨. تاريخ الثقات، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفي (المتوفى: ٢٦١هـ)، دار الباز، ط١، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م، عدد الأجزاء: (١).
٢٩. التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حيدر آباد – الدكن: دائرة المعارف العثمانية، طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان، عدد الأجزاء: (٨).
٣٠. تاريخ بغداد وذيوله، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٧هـ، عدد الأجزاء: (٢٤).
٣١. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ، عدد الأجزاء: (٣٠).
٣٢. تذكرة الأعيان، جعفر السبحاني، قم: مؤسسة الإمام الصادق، ١٤٢٩هـ، عدد الأجزاء: (٢).
٣٣. تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، عدد الأجزاء: (٤).
٣٤. تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ (المتوفى: ١٤٠٨ هـ)، بيروت – دار الغرب الإسلامي، ط٢، ١٩٩٤م، عدد الأجزاء: (٥).

٣٥. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، القاهرة: دار الشروق، ط١٠، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، عدد الأجزاء: (١).
٣٦. التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، عدد الأجزاء: (١).
٣٧. تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، عدد الأجزاء: (٩).
٣٨. التفسير الحديث [مرتب حسب ترتيب النزول]، دروزة محمد عزت، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٨٣هـ، عدد الأجزاء: (١٠).
٣٩. تفسير الشعراوي - الخواطر، محمد متولي الشعراوي (المتوفى: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، عدد الأجزاء: (٢٠).
٤٠. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت: ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، عدد الأجزاء: (١٢).
٤١. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المملكة العربية السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز، ط٣، ١٤١٩هـ، عدد الأجزاء: (١١).
٤٢. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، عدد الأجزاء: (٨).
٤٣. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: ١٣٧١هـ)، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٦٥هـ-١٩٤٦م، عدد الأجزاء: (٣٠).
٤٤. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دمشق: دار الفكر المعاصر، ط٢، ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء: (٣٠).
٤٥. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد: نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، إشراف: أ.د. مصطفى مسلم، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، ط١، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، عدد الأجزاء: (١٠).

٤٦. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت: ٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدَّم له: محيي الدين ديب مستو، بيروت: دار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، عدد الأجزاء: (٣).

٤٧. التفسير الوسيط للزحيلي، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دمشق: دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: (٣).

٤٨. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الفجالة – القاهرة: دار نهضة مصر، ط١، عدد الأجزاء: (١٥).

٤٩. التكميل في أصول التأويل، للإمام الفراهي، الدائرة الحميدية ومكتبتها، الهند، عدد الأجزاء: (١).

٥٠. تهذيب التهذيب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، ط١، ١٣٢٦هـ، عدد الأجزاء: (١٢).

٥١. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي (المتوفى: ٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٠هـ—١٩٨٠م، عدد الأجزاء: (٣٥).

٥٢. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١م، عدد الأجزاء: (٨).

٥٣. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: (١).

٥٤. الثقات، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، حيدر آباد الدكن الهند: دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م، عدد الأجزاء: (٩).

٥٥. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: (٢٤).

٥٦. الجامع الكبير – سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: (٦).

٥٧. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: (٩).

٥٨. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة: دار الكتب المصري، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م، عدد الأجزاء: (٢٠).

٥٩. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ)، كراتشي: مير محمد كتب خانه، عدد الأجزاء: (٢).

٦٠. درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (المتوفى: ٤٢٠هـ)، تحقيق: د.محمد مصطفى آيدين، مكة المكرمة: جامعة أم القرى، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، عدد الأجزاء: (٣).

٦١. دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (المتوفى: ٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: (الفاتحة والبقرة) وَلِيد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، (وشاركه في بقية الأجزاء): إياد عبد اللطيف القيسي، بريطانيا - مجلة الحكمة، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، عدد الأجزاء: (٤).

٦٢. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، الهند: مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٢، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م، عدد الأجزاء: (٦).

٦٣. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، عدد الأجزاء: (١).

٦٤. دلائل التوحيد انطلاقاً من القرآن والكون، عبد الله التليدي، بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، عدد الأجزاء: (١).

٦٥. دلائل النظام، عبد الحميد الفراهي، الهند: الدائرة الحميدية ومكتبتها، ١٣٨٨هـ، عدد الأجزاء: (١).

٦٦. ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (المتوفى: ٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، بيروت - دار الفكر، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، عدد الأجزاء: (١).

٦٧. الرأي الصحيح فيمن هو الذبيح، عبد الحميد الفراهي، دمشق: دار القلم، ط٣، ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء: (١).

٦٨. الرحيق المختوم، صفي الرحمن المباركفوري (المتوفى: ١٤٢٧هـ)، بيروت: دار الهلال، ط١، عدد الأجزاء: (١).

٦٩. رسالات الأنبياء دين واحد وشرائع متعددة، عبد الرحمن حللي، بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، ط الأولى، ٢٠١٥م، عدد الأجزاء: (١).

٧٠. روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ)، بيروت: دار الفكر، عدد الأجزاء: (١٠).

٧١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت: ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: (١٦).

٧٢. زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، تحقيق: مصطفى العدوي، المنصورة: دار ابن رجب، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: (٥).

٧٣. زهرة التفاسير، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (المتوفى: ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي، عدد الأجزاء: (١٠).

٧٤. سراج المريدين في سبيل الدين، القاضي أبي بكر بن العربي، تحقيق: عصمت عبد اللطيف دندش، الرباط – دار الأمان، ط١، عدد الأجزاء: (٦).

٧٥. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا - بيروت: المكتبة العصرية، عدد الأجزاء: (٤).

٧٦. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: (١٨).

٧٧. سيرة ابن إسحاق = السير والمغازي، محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي بالولاء، المدني (المتوفى: ١٥١هـ)، تحقيق: سهيل زكار، بيروت: دار الفكر، ط١، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، عدد الأجزاء: (١).

٧٨. السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط٥، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، عدد الأجزاء: (٢).

٧٩. السيرة النبوية لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، مصر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٣٧٥هـ-١٩٥٥م، عدد الأجزاء: (٢).

٨٠. سيرة رسول الله ﷺ صور مقتبسة من القرآن الكريم، وتحليلات ودراسات قرآنية، محمد عزة دروزة، الاعتناء: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، صيدا-بيروت: منشورات المكتبة العصرية، عدد الأجزاء: (٢).

٨١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرَّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دمشق – بيروت: دار ابن كثير، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، عدد الأجزاء: (١١).

٨٢. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري (المتوفى : ٧٦٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر : القاهرة – دار التراث، دار مصر للطباعة ، ط٢٠، ١٤٠٠هـ -١٩٨٠م، عدد الأجزاء: (٤).

٨٣. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (المتوفى: ٩٠٠هـ)، بيروت – دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م، عدد الأجزاء: (٤).

٨٤. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، القاهرة: دار الصابوني، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، عدد الأجزاء: (١).

٨٥. صناعة الحوار مقاربة تداولية جمالية لحوارات سيدنا إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، حمد عبد الله السيف، بيروت: مركز نماء للبحوث والدراسات، ط١، ٢٠١٥م، عدد الأجزاء: (١).

٨٦. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، بيروت - منشورات دار مكتبة الحياة، عدد الأجزاء: (٦).

٨٧. طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط الثانية، ١٤١٣هـ.

٨٨. طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (المتوفى: ٨٥١هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: (١٠).

٨٩. طبقات الشافعيين، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثمَّ الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: د. أحمد عمر هاشم، د. محمد زينهم محمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، عدد الأجزاء: (١).

٩٠. الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، عدد الأجزاء: (٨).

٩١. الطبقات الكبرى، القسم المتمم لتابعي أهل المدينة ومن بعدهم، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: زياد محمد منصور، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ط٢، ١٤٠٨هـ، عدد الأجزاء: (١).

٩٢. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (المتوفى: ق ١١هـ)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، السعودية: مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: (١).

٩٣. طبقات المفسرين، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، راجع النسخة وضبط اعلامها لجنة من العلماء، بيروت: دار الكتب العلمية، عدد الأجزاء: (١).

٩٤. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية - بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ، عدد الأجزاء: (٣).

٩٥. عبد الرحمن حبنكة الميداني العالم المفكر المفسر، عائدة راغب الجراح، دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٢٢هـ—٢٠٠١م، عدد الأجزاء: (١).

٩٦. العجاب في بيان الأسباب، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: عبد الحكيم محمد الأنيس، دار ابن الجوزي، عدد الأجزاء: (٢).

٩٧. غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: ٨٥٠هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ، عدد الأجزاء: (٦).

٩٨. فتحُ البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، عُني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، صيدا – بيروت/ المكتبة العصريَّة، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م، عدد الأجزاء: (١٥).

٩٩. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠هـ)، دمشق: دار ابن كثير، ط١، ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: (٦).
١٠٠. الفرائد الحسان في عد آى القرآن، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، المدينة المنورة: مكتبة الدار، ط١، ١٤٠٤هـ، عدد الأجزاء: (١).
١٠١. فقه السيرة، محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ)، دمشق: دار القلم، ط، ١١٤٢٧هـ، عدد الأجزاء: (١).
١٠٢. فقه دعوة الأنبياء في القرآن الكريم، أحمد البراء الأميري، القاهرة: دار السلام، ط١، ٢٠١٢م، عدد الأجزاء: (١).
١٠٣. الفن القصصي في القرآن الكريم، محمد أحمد خلف الله، شرح وتعليق: خليل عبد الكريم، لندن: سينا للنشر – الانتشار العربي، ط٤، ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: (١).
١٠٤. فنون الأفنان في عيون علوم القرآن، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، بيروت: دار البشائر، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، عدد الأجزاء: (١).
١٠٥. في ظلال القرآن، سيد قطب، القاهرة – بيروت: دار الشروق، ط٢٦، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، عدد الأجزاء: (٦).
١٠٦. قصص الأنبياء في رحاب الكون، د. عبد الحليم محمود، القاهرة: دار الرشاد، ط١، ٢٠١٠م، عدد الأجزاء: (١).
١٠٧. قصص الأنبياء، الإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: د. مصطفى عبد الواحد، مكة المكرمة: مكتبة الطالب الجامعي، ط٣، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، عدد الأجزاء: (١).
١٠٨. قصص الأنبياء، تأليف: عبد الوهاب النجار، مصر: مطبعة النصر، ط٢، ١٣٥٥هـ-١٩٣٦م، عدد الأجزاء: (١).
١٠٩. قصص القرآن الكريم صدق حدث وسمو هدف وإرهاف حس وتهذيب نفس، فضل حسن عباس، الأردن: دار النفائس، ط٣، ١٤٣٠هـ-٢٠١٠م، عدد الأجزاء: (١).
١١٠. قصص القرآن، تأليف: محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، السيد شحاته، رَفعُ: عبد الرحمن النجدي، بيروت: دار الجيل، عدد الأجزاء: (١).
١١١. القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، فضل حسن عباس، عمان: دار الفرقان، ط١، ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: (١).
١١٢. القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، د. صلاح الخالدي، بيروت: الدار الشامية، دمشق: دار القم، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، عدد الأجزاء: (٤).

١١٣. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، عبد الكريم الخطيب، بيروت: دار المعرفة، ط٢، ١٣٩٥هـ — ١٩٧٥م، عدد الأجزاء: (١).

١١٤. قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله عزَّ وجلَّ، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٠٠هـ—١٩٨٠م، عدد الأجزاء: (١).

١١٥. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ، عدد الأجزاء: (٤).

١١٦. الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، بيروت: مؤسسة الرسالة، عدد الأجزاء: (١).

١١٧. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: (٤).

١١٨. لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، بيروت: دار الكتب العلمية، عدد الأجزاء: (١).

١١٩. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، بيروت: دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: (١٥).

١٢٠. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دمشق: دار القلم، ط٤، ١٤٢٦هـ –٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: (١).

١٢١. مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط ط٣، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: (١).

١٢٢. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، (المتوفى: ٦٣٧هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، القاهرة – دار نهضة مصر، عدد الأجزاء: (٤).

١٢٣. محاسن التأويل، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء: (٩).

١٢٤. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ، عدد الأجزاء: (٦).

١٢٥. مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، بيروت – صيدا: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، ط٥، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، عدد الأجزاء: (١).

١٢٦. مختصر المعاني، سعد الدين التفتازاني، قم: دار الفكر، ط١، ١٤١١هـ، عدد الأجزاء: (١).

١٢٧. المدخل إلى التفسير الموضوعي، إبراهيم صلح الحميضي، السعودية: دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٨هـ—٢٠١٧م، عدد الأجزاء: (١).

١٢٨. مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع – بحث في العلاقات بين مطالع سور القرآن وخواتيمها، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، قرأه وتممه: د. عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، الرياض – مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، ، ط١، ١٤٢٦هـ، عدد الأجزاء: (١).

١٢٩. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، عدد الأجزاء: (٤).

١٣٠. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، عدد الأجزاء: (٥).

١٣١. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ويُسَمَّى: "المِقْصِدُ الأَسْمَى فِي مُطَابَقَةِ اسْمِ كُلِّ سُورَةٍ لِلمُسَمَّى"، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: ٨٨٥هـ)، الرياض: مكتبة المعارف، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م، عدد الأجزاء: (٣).

١٣٢. معارج التفكر ودقائق التدبر، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار النشر: دمشق: دار القلم، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: (١).

١٣٣. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء: (٥).

١٣٤. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، بيروت: دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٨٤م، عدد الأجزاء: (١).

١٣٥. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، بيروت: دار صادر، ط٢، ١٩٩٥م، عدد الأجزاء: (٧).

١٣٦. المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الموصل: مكتبة الزهراء، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٣م، عدد الأجزاء: (٢٥).

١٣٧. معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي (المتوفى: ١٤٠٨هـ)، بيروت: مكتبة المثنى – دار إحياء التراث العربي، عدد الأجزاء: (١٣).
١٣٨. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، عدد الأجزاء: (٦).
١٣٩. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، عدد الأجزاء: (١).
١٤٠. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دمشق –دار الفكر، ط٦، ١٩٨٥م، عدد الأجزاء: (١).
١٤١. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: ٧٦١هـ)، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٣، دمشق — دار الفكر، عدد الأجزاء: (٢).
١٤٢. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣، ١٤٢٠هـ، عدد الأجزاء: (٣٢).
١٤٣. مفردات القرآن – نظرات جديدة في تفسير ألفاظ قرآنية، عبد الحميد الفراهي الهندي (المتوفى: ١٣٤٩هـ)، تحقيق: د. محمد أجمل أيوب الإصلاحي، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: (١).
١٤٤. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ط١، ١٤١٢هـ، عدد الأجزاء: (١).
١٤٥. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر (المتوفى: ٧٠٨هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، بيروت: دار الكتب العلمية، عدد الأجزاء: (٢).
١٤٦. ملَّة أبيكم إبراهيم، عبد الستار كريم المرسومي، دمشق: دار المعراج، ط١، ٢٠٢١م، عدد الأجزاء: (١).
١٤٧. الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (المتوفى: ٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي، عدد الأجزاء: (٣).

١٤٨. من روائع القرآن – تأملات علمية وأدبية في كتاب الله عزَّ وجلَّ، محمد سعيد رمضان البوطي، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، عدد الأجزاء: (١).
١٤٩. من لطائف التعبير القرآني حول سير الأنبياء والمرسلين (آدم ونوح وإبراهيم)، محمد فؤاد سندي، السعودية: مكتبة الملك فهد الوطنية، ط١، ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: (١).
١٥٠. مناهج المفسرين، د. منيع عبد الحليم محمود، القاهرة: دار الكتاب المصري، بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: (١).
١٥١. مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، عدد الأجزاء: (٢).
١٥٢. منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى، محمد سرور بن نايف زين العابدين، الكويت: دار الأرقم، ط٣، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م، عدد الأجزاء: (١).
١٥٣. المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (المتوفى: ٨٧٤هـ)، حققه ووضع حواشيه: د. محمد محمد أمين، تقديم: د.سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، عدد الأجزاء: (٧).
١٥٤. الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م، عدد الأجزاء: (٧).
١٥٥. موسوعة أحداث وأعلام مصر والعالم، رؤوف سلامة موسى، الفجالة والإسكندرية: دار ومطابع المستقبل، بيروت: مكتبة المعارف، ط٢، ٢٠٠٢م، عدد الأجزاء: (١).
١٥٦. الموسوعة العربية، مجموعة من الباحثين، دمشق، ٢٠٠٣م، عدد الأجزاء: (٢٤).
١٥٧. الميزان في تفسير القرآن، العلَّامة السيد محمد حسين الطباطبائي، صحَّحه وأشرف على طباعته: حسين الأعلمي، بيروت – مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، عدد الأجزاء: (٢٢).
١٥٨. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: ١٣٧٧هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، قدَّم له : أ. د. عبد العظيم إبراهيم المطعني، دار القلم، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، عدد الأجزاء: (١).
١٥٩. نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر = الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي (المتوفى: ١٣٤١هـ)، بيروت: دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م، عدد الأجزاء: (٨).

١٦٠. نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان، العلامة عبد الحميد الفراهي، الاعتناء: د. عبيد الله الفراهي، تونس: دار الغرب الإسلامي، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م، عدد الأجزاء: (٢).
١٦١. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، أبو الحسن برهان الدين البقاعي، تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، بيروت: دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، عدد الأجزاء: (٢٢).
١٦٢. النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، بيروت - المكتبة العلمية، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، عدد الأجزاء: (٥٠).
١٦٣. النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، د.محمد رجب بيومي، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، عدد الأجزاء: (٦).
١٦٤. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ)، بيروت: دار إحياء التراث، عدد الأجزاء: (٢).
١٦٥. الواضح في علوم القرآن، مصطفى ديب البغا، محيي الدين ديب مستو، دمشق: دار الكلم الطيب - دار العلوم الانسانية، ط٢، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، عدد الأجزاء: (١).
١٦٦. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، بيروت: دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، عدد الأجزاء: (٢٩).
١٦٧. الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم، د. محمد محمود حجازي، القاهرة: دار الكتب الحديثة، ط١، ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م، عدد الأجزاء: (١).
١٦٨. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: ٦٨١هـ)، تحقيق: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، عدد الأجزاء: (٧).

الرسائل الجامعية:

١. الحوار في قصة الخليل عليه السلام في القرآن الكريم دروس وعبر، محمود سعد عبد الحميد شمس، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين – جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠٠٨م.
٢. الخليل إبراهيم عليه السلام في الكتاب والسنة، أبو سيف عبد الله علي محمد، رسالة ماجستير، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
٣. سيكولوجية القصة في القرآن، د.التهامي نقرة، أطروحة دكتوراه، الحلقة الثالثة، الشركة التونسية للتوزيع، جامعة الجزائر، ١٩٧١م.

٤. قصة إبراهيم في القرآن الكريم، إسحاق محمد حمدان البدارين، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا – الجامعة الأردنية، عمَّان، ١٩٩٢م.

الأبحاث المحكَّمة:

١. «السورة وحدة نصية، تطور في تفسير القرآن في القرن العشرين»، مستنصر مير، ترجمة: د.حازم محي الدين، مؤمنون بلا حدود، الرباط – أكدال – المملكة المغربية، ٢٠١٧م.
٢. «دعوى وجود القصة الأسطورية في القرآن الكريم ونسبتها للشيخين عبده ورضا»، غفران محمد زياد السلَّاخ، إشراف: د. عبد العزيز حاجي، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية – المجلد الخامس– العدد الأوَّل– ٢٠٢٥م.
٣. «حبك النص – منظورات من التراث العربي»، محمد العبد، مجلة الفصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٤. «منهج الشيخ أمين أحسن الإصلاحي من الاتجاه اللغوي في تفسيره تدبر القرآن»، د.افتخار أحمد، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور – باكستان، العدد السادس عشر، ٢٠٠٩م.

المراجع الالكترونية:

١. العالم المفسر الدكتور محمد محمود حجازي، طارق طه مكرم الله، رابطة العلماء السوريين، ٢٠٢٠م، رابط المقال: https://islamsyria.com/ar
٢. العلَّامة المفسِّر الدكتور فضل حسن عباس في سطور، عبد الكريم علي الخلف، رابطة العلماء السوريين، ٢٠١٨م، رابط المقال: https://islamsyria.com/ar/
٣. الموسوعة التونسية المفتوحة، التهامي نقرة http://www.mawsouaa.tn/wiki/
٤. الموسوعة العربية العالمية، شركة أعمال الموسوعة للإنتاج الثقافي، عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International
٥. موقع أ.د. مصطفى مسلم، السيرة الذاتية، https://mustafamuslim.net/cv

المحتوى

الموضوع	الصفحة
الشكر والتقدير	أ
مستخلص الرسالة	ب
المقدمة	١
أ-مشكلة البحث وأسئلته	٢
ب-أهداف البحث	٤
ت-أهمية البحث، وأسباب اختياره	٤
ث-مناهج البحث	٥
ج-إجراءات البحث	٥
ح-الدِّراسات السابقة	٦
خ-تقسيمات البحث (خطة البحث)	٦
الفصل التمهيدي :مدخل إلى دراسة التناسب، والتكامل، والقصة القرآنية.	٩
المبحث الأول :التناسب والتكامل في القرآن الكريم، وفيه عدَّة مطالب:	١٠
المطلب الأول: تعريف التناسب، وأهمِّيته، ومستوياته.	١١
المطلب الثاني: نبذة عن جهود العلماء في دراسة التناسب.	٢٣
المطلب الثالث: تعريف التكامل الموضوعي في القرآن الكريم، وأهمِّيته.	٣٧
المطلب الرابع: دراسة التكامل في القصة القرآنية، والفرق بينه وبين التناسب.	٣٩
المبحث الثاني :القصة في القرآن الكريم، وفيه عدَّة مطالب:	٤١
المطلب الأول: مفهوم القصة القرآنية، وأهمِّيتها، ومقاصدها.	٤٢
المطلب الثاني: بنية القصة القرآنية، ومنهج القرآن الكريم في عرضها.	٤٨
المطلب الثالث: نبذة عن جهود العلماء في دراسة القصة القرآنية.	٥٨
الفصل الأول :تناسب ما ورد من قصة نبي الله إبراهيم ﷺ مع موضوعات السور التي ورد فيها، ومع مقصدها الرئيس.	٦٧
تمهيد	٦٨

المبحث الأوَّل: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في السور المكِّية.	٧٣
المطلب الأول: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة مريم.	٧٤
المطلب الثاني: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الشعراء.	٨٢
المطلب الثالث: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة هود.	٩٠
المطلب الرابع: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الحجر.	١٠٠
المطلب الخامس: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأنعام.	١٠٨
المطلب السادس: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الصافات.	١٢٢
المطلب السابع: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الزخرف.	١٣١
المطلب الثامن: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الذاريات.	١٣٧
المطلب التاسع: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة النحل.	١٤٤
المطلب العاشر: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة إبراهيم.	١٥٠
المطلب الحادي عشر: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الأنبياء.	١٥٦
المطلب الثاني عشر: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة العنكبوت.	١٦٤
المبحث الثاني: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في السور المدنية.	١٧٣
تمهيد	١٧٤
المطلب الأول: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة البقرة.	١٧٦
المطلب الثاني: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة آل عمران.	٢٠٠
المطلب الثالث: تناسب قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في سورة الحجِّ.	٢١٥
الفصل الثاني: تكامل قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم.	٢٢٥
تمهيد	٢٢٦
المبحث الأول: التكامل بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام الدَّاعية إلى التَّوحيد وإثباته.	٢٢٦
المبحث الثاني: التكامل بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام المثبتة لوحدة رسالة الأنبياء.	٢٤٠
المبحث الثالث: التكامل بين آيات قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام المثبتة للبعث.	٢٥٠
المبحث الرابع: تكامل قصة حياة نبي الله إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم.	٢٥٥

Proportionality and complementarity in the story of Prophet Ibrahim in the Holy Qur'an

(**Descriptive study**)

Student: Tasnim Hakki

Assistant Professor: Hazem Zakaria Mohyedin

Abstract

The research aims to show the extent to which the part of the Qur'anic story fits with the themes of the Surah in which it is mentioned and its main purpose, the extent to which the Qur'anic story is related to the time of its revelation, and the extent to which the part of the Qur'anic story is integrated with the rest of its parts in the Qur'an. In order to achieve these objectives, the thesis is divided into three chapters: Introduction to the study of proportionality, complementarity, and the Qur'anic story. Chapter One: The proportionality of the story of the Ibrahim with the themes of the surahs in which it is mentioned, and with its main purpose. Chapter Two: Integration of the story of Ibrahim in the Quran.

The research adopted the descriptive method, by collecting the Qur'anic verses related to the story of Ibrahim, analyzing them, and deriving their significance to reach the goals of this distribution of the Qur'anic story, and The research found that:

1. There is a close connection between the topics of the surah and its main purposes, as they all proceed in a harmonious context.

2. The scenes of the story of our Ibrahim appeared in the Meccan surahs more than in the Medinan surahs, because the nature of the issues discussed in the story was closer to the Meccan period.

3. When we study the episodes of the story of Ibrahim separately, we find that they are in harmony with the themes of the surah and its main purpose, and when we study them together, we find that they are coherent and integrated, which indicates the miracle of the Qur'an and its return to a single divine source.

Keywords: Proportionality - Themes of the Surah -Qur'anic Story - Integration - Ibrahim

Syrian Arab Republic
Ministry of Higher Education and scientific research
Damascus University
Faculty of Sharia
Department of: Tafsir and Qur'anic Sciences

Proportionality and complementarity in the story of Prophet Ibrahim in the Holy Qur'an

(Descriptive study)

A Thesis submitted to complete the requirements of obtaining the master's degree in …

By

Tasnim Abdul rahman Hakki

Supervisor(s)

Dr. Hazem Zakaria Mohyedin

AD 2025 – AH 1446